٢٢٦٨

التفسير والمفسرون

في ثوبه القشيب

تأليف

الأستاذ المحقق الشيخ محمد هادي معرفة

الجزء الأول

من منشورات
الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية

جمعداری اموال
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

معرفت. محمد هادي

التفسير و المفسرون في ثوبه القشيب / المؤلف: محمد هادي معرفة

مشهد: الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

٦٢٧ص.

المصادر في هوامش الكتاب

١ـ التفسير ـ الفن. ٢ـ المفسرون. الف. الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية ب. عنوان

BP ٩١ ٢٩٧/١٧١

اعداد الفهرس قبل النشر: مكتبة الجامعة الرضوية

كتابخانه
مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ٠٢٥١٩٩
تاريخ ثبت :

الكتاب: .... التفسير و المفسرون في ثوبه القشيب

المؤلف: .... الأستاذ المحقّق الشيخ محمد هادي معرفة

الموضوع: .... في علوم القرآن

الناشر: .... الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية

الطبعة: .... الأولى

عدد المطبوع: .... ٣٠٠٠ نسخة

التاريخ: .... ربيع الأول ١٤١٨

الأمور الفنيّة و الطبع: .... مؤسسة الطبع و النشر في الآستانة الرضوية المقدسة

«جميع الحقوق محفوظة للناشر»

بسم الله الرحمن الرحيم

تظلّ الحاجة قائمة إلى تفسير القرآن الكريم بوصفه دستور الإسلام الرفيع، و معجزة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم الخالدة لأسباب عرضها هذا الكتاب. من هنا كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أوّل من تولّى تفسيره عبر إعداده ثلّة من الصحابة الأكفاء الذين كان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أكثرهم تألّقاً. و يليه عبد الله بن مسعود، و أُبيّ بن كعب، و عبدالله بن عباس. وكانت لهؤلاء معرفة ملحوظة في تفسير القرآن.

وازدادت الحاجة إلى تفسير القرآن الكريم أكثر فأكثر بعد وفاة النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بسبب البعد عن زمن نزول الوحي، و اتّساع نطاق الفتوحات الإسلامية، و بروز مسائل علمية جديدة. فتوزّع عدد من الصحابة على الأمصار، فاستقرّ عبدالله بن عباس بمكة، و عبدالله بن مسعود بالكوفة، و أبيّ بن كعب بالمدينة و أبو موسى الأشعري بالبصرة، و أبو الدرداء بالشّام. و ألقى هؤلاء دروسهم في تفسير القرآن، و جهدوا في سبيل ذلك، فأثمرت مساعيهم من خلال إعداد شريحة من التابعين، وظهور مدارس تفسيرية متنوّعة.

و هكذا انتقل التراث الثمين لتفسير القرآن الكريم من التابعين إلى تابعي التابعين... و حفظته الصدور و تناقلته الألسن إلى أن حان تدوين أوّل التفاسير، فأشرق فصل جديد في عرض المعارف القرآنية السامقة للأجيال القادمة، و ظهرت أساليب مختلفة في التفسير.

و اضطلع التوّاقون إلى القرآن الكريم بتدوين مئات التفاسير ـ كاملةً كانت أم ناقصة ـ رغبة منهم في خدمة هذا الكتاب المقدّس بعد أن تجشّموا عناءً كبيراً على تواتر الأيّام، و بعد أن شهد العالم الإسلامي انبثاق مدارس فكرية متنوّعة في حقل الفلسفة، و الكلام، و العرفان، و التصوف، و شهد ظهور المعتزلة، و الأشاعرة. و لعلّ تعرّف الأُمم و الشعوب على الإسلام و رغبتها في رسالة هذا الدين فرضا ضرورة

تعريف القرآن لها، ممّا أفضى إلى بروز ظاهرة جديدة باسم «الترجمة».

إن مرور أربعة عشر قرناً على تفسير القرآن، و ظهور مدارس تفسيرية مختلفة، و جهود الفرق الإسلامية و علماء المسلين لاستيعاب المعارف القرآنية، و الاهتمام بمستلزمات تفسير القرآن، و عشرات الموضوعات الأخرى، كلّ ذلك حفّز الجميع على الاتّجاه الجادّ نحو فصل مهم في علوم القرآن، تحت عنوان «التفسير و المفسرون».

و أوّل كتاب مستقل تمّ تدوينه في هذا المجال هو كتاب «**مذاهب التفسير الإسلامي**» الذي ألّفه جولد تسيهر. و ترجم هذا المستشرق في الكتاب المذكور و غيره من كتبه الأخرى جهله، بل حقده على الإسلام. و حذا حذوه الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه «**التفسير و المفسرون**» الذي ألّفه في جزءين. و لقي هذا الكتاب ترحيباً من قِبَل الأوساط العلمية و الجامعية من لدن صدوره حتّى اليوم. و هو الكتاب الوحيد الذي تبسّط في مباحثه حول التفسير و المفسرين.

بيد أنّه مُنِي أيضاً بمثالب فاظعة؛ إذ إنّه غفل عن كثير من الكتب التي صنّفت قبله في التفسير، و وَهِم في تعريف المفسرين و كتبهم لاعتماده على مصادر ضعيفة، و الأنكى من ذلك كلّه أنّ مؤلّفه عبّر عن بغضه و إجحافه بحقّ بعض المذاهب الإسلامية و تفاسيرها ممّا قلّل من قيمة الكتاب كثيراً.

و من بين المذاهب التي أسخطته، و تجرّعت مضضَ جفائه أكثر من غيرها هو المذهب الجعفري؛ إذ تحامل الذهبي على عقائد الشيعة، و ذكر تفاسيرهم في عداد التفاسير المشوبة بالبِدَع.

إنّ ما يؤلمنا حقاً هو تدريس هذا الكتاب في جامعات بلادنا، و ذلك يعود إلى غياب كتاب يُستَبْدل به. و قيّض الله تعالى من يملأ هذا الفراغ، و هو الأستاذ المحقق، الباحث القرآني سماحة آية الله محمد هادي معرفة ـ دام ظلّه ـ الذي هبّ إلى تأليف كتاب «**التفسير و المفسرون**» بعزم راسخ و جهد كبير و بحث شامل.

و نلحظ أن هذا المؤلّف الكريم ـكما ذكر هو نفسه ـقد أمضى ما ينيف على ثلاثين سنة في البحث و التحقيق متحدّياً الصعاب دفاعاً عن كيان التشيع، و إثباتاً لدور علمائه في بثّ العلوم و المعارف القرآنية.

و كان عطاء تلك الجهود تدوين مجموعة كاملة في مباحث العلوم القرآنية بصورة واسعة و جامعة، و تشتمل هذه الدورة على سبعة أجزاء تحت عنوان «**التمهيد في علوم القرآن**»، طُبع منها لحدّ الآن ستة أجزاء.

و في هذا المضمار تمّ تأليف كتاب «**التفسير و المفسرون**» في جزءين. و ممّا يميّز هذا الكتاب هو أن مؤلّفه زاول تدريس موضوعاته في حوزة قم، و الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية بمشهد المقدسة قبل نشره. و جدّ في تحبيره من خلال إضافة فصول جديدة أثناء التدريس.

* * *

و يحسن هنا أن نشير إلى بعض خصائص الكتاب:

١ـكلّ من يراجع الكتاب مراجعة يسيرة يدرك أنّ مؤلّفه أخذ من كل مصدر يمكن أن يغني بحثه، و لم يغفل عن التتبّع اللازم.

٢ـازّين الكتاب بدراسات شاملة تتناول نقد الآراء و تحليلها بعد نقلها، على عكس بعض الكتب التي تكتفي بنقل الآراء و الأقوال.

٣ـظاهرة الإبداع مَعْلَم بارز من معالم الكتاب إذ نجد فيه مباحث جديدة كضوابط التأويل، و المنهج البياني للقرآن، و دور أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن. و هي مباحث يمكننا أن نقول عنها إنها تعرض لأوّل مرّة في كتاب علمي، مطعّمةً بالدليل.

٤ـلقد بذل المؤلّف جهوداً ملحوظة و مشكورة من أجل تحقيق هدفه المتمثل بالدفاع عن المذهب الجعفري من خلال طرحه فصولاً جديدة في الكتاب، منها: دور أهل البيت في تفسير القرآن، و تحقيق جامع حول الموالين لأهل البيت من الصحابة و التابعين، و تفاسير الشيعة، و غير ذلك.

٥ـ توّفر المؤلّف في دراسة دور المفسرين من الصحابة و التابعين على نقد الآراء المطروحة حولهم و تحليلها اعتماداً على المصادر الرجالية، و ذهب إلى براءة كثير منهم ممّا أُلصق بهم جرحاً و تضعيفاً، و أثبت موالاة الكثيرين منهم لأهل البيت عليهم السلام.

٦ـ إذا أنعمنا النظر في الأبحاث التي تدور حول تاريخ التفسير، فاننا نجد مجموعة كاملة من هذا العلم قد طرحت في الكتاب اعتباراً من الاصطلاحات المستعملة حتى عصور تبلور التفسير، و المدوّنات التفسيرية التي نلحظها في ذكر تفاسير الفريقين جميهما و ذلك كلّه بأسلوب شامل مقبول. و أن مسائل هذا العلم تغني كلّ مراجع.

من المعالم البارزة في كتب المؤلّف قوّة قلمه. و يستبين هذا المعلم من مقايسة كتبه ببعض الكتب المؤلفة باللغة العربية. و نلحظ في كتبه كلّها مَلَكة عربية، و إلماماً بالزوايا البيانية للغة العربية من أجل تبيان أهدافه.

و مؤلفنا القدير يزاول التدريس في الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية عدد سنين، مهتماً بنشر الثقافة القرآنية و إعداد الطلاب الكفوءين. و قد تفضّل بالموافقة على اقتراح جامعتنا لطبع كتابه المذكور و اختصنا بشرف ذلك.

و أنجزت المراحل التمهيدية قبل الطبع كالمراجعة، و الإخراج الفني، و إعداد فهارسه، و تنضيد الحروف المطبعية بالحاسب الالكتروني و غيرها، في قسم الدراسات القرآنية في الجامعة الرضوية.

نبتهل إلى المولى القدير جلّ و علا أن يتقبل من المؤلّف الكريم و من كافّة الأخوة الذين ساهموا في إعداد الكتاب و طبعه هذا الجهد.

و انّه لمن دواعي سرورنا أن نقدّم هذا الكتاب الثمين لأوداء القرآن الكريم جميعهم، و للّه الحمد أوّلاً و آخراً.

الجامعة الرضويّة للعلوم الاسلامية
قسم الدراسات القرآنيّة

التفسير و المفسّرون

في ثوبه القشيب

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا
آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

بحث مستوف بشؤون التفسير:
نشأته و تطوّره و ألوانه
مع عرض شامل لأشهر المفسرين
و تحليل كامل لأهم كتب التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله و سلام على عباده الذين اصطفى، محمد و آله الطّاهرين.

قال تعالى: ﴿وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

كان المسلمون في عهدهم الأوّل يفهمون القرآن على خالصته، و يستسيغون معانيه على بساطتها الأولى، صافية نقيّة عن كدر الأوهام والدخائل؛ إذ كان قد نزل بلغتهم وعلى أساليب كلامهم الفصيح البليغ، كانوا يتلقّونه غضّاً طريّاً، و يجيدون فهمه عذباً رويّاً.

و لئن كادت تكون لهم وقفات عند مبهمات التعابير؛ لدقّتها و رقّة معانيها، فإنّ الوقفة لم تكن لتطول بهم؛ حيث الرسول ـ و هو الذريعة العليا و الوسيلة الكبرى للوصول إلى فهم الشريعة في جميع مناحيها ـ في متناولهم القريب، فكان يبيّن لهم إذ ذاك ما خفي على أفهامهم أو دقّ عن أذهانهم؛ إذ كان عليه البيان، كما كان عليه البلاغ، قال تعالى: ﴿وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

* * *

---

١. النحل/ ٨٩.

٢. النحل/ ٤٤.

و هكذا ظلّ المسلمون يفهمون القرآن على حقيقته، و يعملون به على بيّنة من أمره، أقوياء أعزّاء، في سلامة و سعادة و عيش هنيءٍ، مستمسكين بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها. و قد تداومت بهم هذه الحياة العليا طوال عهد الرسالة، وشطراً بعدها غير قليل.

ثم خَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ ـ على تطاول الأيّام ـ أضاعوا بعض تلكم الطريقة المُثلى، واتّبعوا السبل، فتفرّقت بهم ذات اليمين و ذات الشمال، ربما في أهواء متباينة و آراء متضاربة؛ فكانت أحداث و بدع و ضلالات، و ابتداع مذاهب وانحيازات، كل يضرب على وتره، و يعمل على شاكلته..

* * *

و كان من جرّاء ذلك أن دخلت في الحديث والتفسير دخائل و أساطير مستوردة من أبناء اسرائيل و مسلمة أهل الكتاب، كان يبثّها بين المسلمين فئات تظاهرت بالإسلام إمّا لغلبة الجوّ والمحيط، أو لرغبة في الدسّ و التزوير.

تلك كانت بليّة المسلمين، وقد كثر الخبط والتخليط، و لم يفترق السليم عن السقيم، وكان نصيب التفسير من هذا الخبط الحظّ الأوفر بما أوتي هؤلاء من قدرة للاستحواذ على عقول الضعفاء و أهل الأطماع من الأُمراء.

* * *

نعم كانت هناك معايير و مقاييس تميّز الغثّ من السمين، و قد عرّفها النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم للأمّة منذ أن أحسّ بدخائل أهل الضغائن على الإسلام، ممن يتّبعون المتشابهات من الآيات ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل.

فوضع حدوداً دون رسوب تلكم الدسائس الخبيثة، و كان من أهمّها: العرض على محكمات الآيات «هنّ أم الكتاب»، ثم اللجوء إلى العترة الطّاهرة «الثقل الأصغر» كما في حديث الثقلين، و أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض. و عدم

الافتراق، يعني: تلازمهما و لا غناء بأحدهما دون الآخر، فالكتاب أساس الدين، والطيّبون من العترة حملته و حرسته؛ لأنّهم ورثة سيّد المرسلين صلوات اللّه عليهم أجمعين.

و نحن إذ نحاول انتهاج منهج السلف الصالح: الصحابة الأخيار، والتابعين الكبار، والسادة الأطهار، نتتبّع طرائقهم في فهم كلام اللّه و استنباط معانيه والوقوف على مبانيه، وَفق ما رسمه لنا العلماء الأعلام والأئمّة العظام، سائلين المولى تعالى التوفيق على ذلك والتسديد، إنّه ولي ذلك و هو المستعان.

قم ـ محمدهادي معرفة

١٢/ع١/١٤١١

التفسير

التعريف بالتفسير

التفسير من فَسَرَ، بمعنى أبان و كشف.

قال الراغب: الفَسْر والسَفْر متقاربا المعنى كتقارب لفظيهما، لكن جُعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، والسفر لإبراز الأعيان للأبصار. يقال: سفرت المرأة عن وجهها و أسفرت و أسفر الصبح، و قال تعالى: **﴿وَ لاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾**[1] أي بياناً و تفصيلاً.[2]

و اصطلحوا على أن التفسير، هو: إزاحة الإبهام عن اللفظ المشكل، أي المشكل في إفادة المعنى المقصود.

و كانت صياغته من باب «التفعيل» نظراً للمبالغة في محاولة استنباط المعنى، كما في كشف و اكتشف، فإن في الثاني إفادة زيادة المحاولة في الكشف، فكان أخصّ من المجرّد؛ و ذلك بناءً على أن زيادة المباني تدل على زيادة المعاني.

---

١. الفرقان/ ٣٣.

٢. ذكر ذلك في مقدمته للتفسير، ص٤٧.

فالتفسير ليس مجرد كشف القناع عن اللفظ المشكل، بل هو محاولة إزالة الخفاء في دلالة الكلام، فلا بدّ أن يكون هناك إبهام في وجه اللفظ؛ بحيث ستر وجه المعنى، و يحتاج إلى محاولة و اجتهاد بالغ حتى يزول الخفاء و يرتفع الإشكال.

و هذا هو الفارق بين التفسير والترجمة؛ لأنها حيث كان الجهل باللغة و عدم معرفة الوضع الذي يرتفع بمراجعة كتب اللغة المعروفة، و ليس في ذلك كثير جُهد و عناء.

الحاجة إلى التفسير

ما وجه الحاجة إلى تفسير القرآن، و قد أنزله اللّه نوراً و هدىً و بصائر للناس و تبياناً لكل شيء،[١] كما أنّه جاء ليكون بنفسه أحسن تفسيراً[٢]، فهل هناك حاجة إلى تفسير؟

نعم أنزل اللّه الكتاب ليكون بذاته بياناً للناس عامة و تفصيلا لكلّ شيء،[٣] غير أن بواعث الإبهام أمر عارض، و لعله كان من طبيعة البيان القرآني، جاء

---

١. قال تعالى: ﴿يا أيّها النّاس قد جاءكم برهان من ربّكم و أنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ النساء/ ١٧٤.
﴿هذا بيان للنّاس و هدىً و موعظة للمتّقين﴾ آل عمران/ ١٣٨.
﴿هذا بصائر للنّاس و هدىً و رحمة لقوم يوقنون﴾ الجاثية/ ٢٠.
﴿و نزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء﴾ النحل/ ٨٩.

٢. ﴿و لا يأتونك بمثل إلاّ جئناك بالحقّ و أحسن تفسيراً﴾ الفرقان/ ٣٣، أي أحسن بياناً وتوضيحاً.

٣. ﴿و هو الذي انزل إليكم الكتاب مفصّلاً﴾ الأنعام/ ١١٤، ﴿و تفصيل الكتاب لاريب فيه﴾ يونس/ ٣٧.

تشريعاً للأصول والمباني، و أجمل في البيان إيكالاً إلى تبيين النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ليبيّن للناس تفاصيل ما نُزّل إليهم[١].

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ لهم ثلاثاً و لا أربعاً، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هوالذي فسّر لهم ذلك»[٢].

هذا جانب من الإجمال (الإبهام) الحاصل في وجه لفيف من آيات الأحكام، و لعله طبيعي في مثل البيان القرآني، كما نبّهنا.

* * *

و جانب آخر أهمّ: احتواء القرآن على معان دقيقة و مفاهيم رقيقة، تنبؤك عن كُمون الخليقة و أسرار الوجود، هي تعاليم و حكم راقية جاء بها القرآن، و كانت فوق مستوى البشرية آنذاك؛ ليقوم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بتبيينها و شرح تفاصيلها، و كذا صحابته العلماء **﴿هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾**[٣].

و ذلك في مثل صفاته تعالى ـ الجلال و الجمال ـ و معرفة وجود الإنسان، و سرّ خلقته، و مقدار تصرّفه في الحياة، و الهدف من الخلق و الإيجاد، و مسائل المبدإ والمعاد.

كل ذلك جاء في القرآن في إشارات عابرة، و في ألفاظ و تعابير كنائية، واستعارة و مجاز؛ فكان حلّها و الكشف عن معانيها بحاجة إلى فقه و دراسة وتدبّر، و إمعان نظر و تفكير.

---

١. ﴿و أنزلنا إليك الذكر لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم و لعلّهم يتفكّرون﴾ النحل/ ٤٤.

٢. الكافي الشريف، ج ١، ص٢٨٦.

٣. الجمعة/ ٢.

و أيضاً فإنّ في القرآن إلماعات إلى حوادث غابرة و أمم خالية، جاء ذكرها لأجل العظة و الاعتبار، إلى جنب عادات جاهلية كانت معاصرة، عارضها و شدّد النكير عليها، في مثل مسألة النسيء، و أنّها زيادة في الكفر،[١] و نهيه عن دخول البيوت من ظهورها.[٢] و نحو ذلك، فاستنكرها عليهم و عنّفهم عليها حتى أبادها، و قطع من جذورها. فلم يبق منها سوى إشارات عابرة، لولا الوقوف عليها، لما أمكن فهم معاني تلكم الآيات.

كما تعرّض لأمور أتى عليها من وجه كلّيّها و أهمل جانب تعيينها، فجاءت مجملة هي بحاجة إلى شرح و بيان، في مثل الدابّة التي تخرج من الأرض فتكلّم الناس،[٣] و البرهان الذي عصم يوسف من ارتكاب الإثم.[٤]

هذا مضافاً إلى غرائب اللغة التي جاءت في القرآن على أفصحها و أبلغها، وإن كان صعباً فهمُها على عامة الناس، لولا الشرح والبيان.

قال الراغب: فالتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ، نحو «البحيرة» و«السائبة» و «الوصيلة» أو في وجيز كلام يبيّن و يشرح، كقوله: ﴿**وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكٰوةَ**﴾[٥] أو في كلام مضمّن بقصّة لا يمكن تصوّره إلاّ بمعرفتها، نحو

---

١. التوبة/ ٣٧.

٢. البقرة/ ١٨٩.

٣. النمل/ ٨٢.

٤. يوسف/ ٢٤.

٥. المائدة/ ١٠٣. قال الراغب: البحيرة هي الناقة إذا ولدت عشرة أبطن، شقّوا أذنها و تركوها، فلا تركب و لايحمل عليها. والسائبة، إذا ولدت خمسة أبطن، تسيّبت في المرعى، فلا تردّ عن حوض و لا كلاء. والوصيلة، إذا ولدت الشاة توأمين ذكراً و أُنثى، فلا يذبح الذكر، ويقال: وصلت أخاها، فيتركونه لأجلها. والحام: الفحل إذا ضرب عشرة أبطن، كان يقال: حمي ظهره فلا يركب.

قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾[١] و قوله: ﴿وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾[٢].

* * *

قال الإمام بدر الدين الزركشي: التفسير علم يُعرف به فهم كتاب اللّه، و بيان معانيه، واستخراج أحكامه و حكمه، و أن اللّه إنما خاطب خلقه بما يفهمونه؛ ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه، و أنزل كتابه على لغتهم..

والقرآن إنّما أُنزل بلسان عربيّ مبين في زمن أفصح العرب، و كانوا يعلمون ظواهره و أحكامه، و إنّما أحتيج إلى التفسير، لما فيه من دقائق باطنة لا تظهر إلاّ بعد البحث والنظر، مع سؤال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عنها في الأكثر، كسؤالهم لما نزل: ﴿وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾[٣]، فقالوا: أيّنا لم يظلم نفسه! ففسّره النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالشرك، واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٤]، و كسؤال عائشة عن الحساب اليسير[٥]، فقال: «ذلك العرض، و من نوقش الحساب عُذّب»[٦]، و كقصة عدي بن حاتم في الخيط الذي وضعه تحت رأسه،[٧] و غير ذلك مما سألوه عن آحاد منه.[٨]

---

١. التوبة/ ٣٧.

٢. التوبة/ ٣٧. راجع: مقدمته للتفسير ص٤٧ـ ٤٨.

٣. الأنعام/ ٨٢.

٤. لقمان/ ١٣.

٥. في قوله تعالى: ﴿فأمّا من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ الانشقاق/ ٧ـ ٨.

٦. تفسير الطبري، ج ٣٠، ص ٧٤.

٧. تفسير الطبري، ج ٢، ص ١٠٠.

٨. سوف نذكر نماذج من تفاسير مأثورة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عند الكلام عن التفسير في عهد الرسالة.

قال: ولم يُنقل إلينا عنهم تفسير القرآن و تأويله بجملته، فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه و زيادة؛ لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلّم، فنحن أشد الناس احتياجاً إلى التفسير.

قال: و معلوم أن تفسير القرآن يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، و بعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض؛ لبلاغته ولطف معانيه؛ و لهذا لايستغنى عن قانون عام يُعوّل في تفسيره عليه، و يُرجع في تفسيره إليه، من معرفة مفردات ألفاظه و مركّباتها، و سياقه، و ظاهره و باطنه، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم، و يدقّ عنه الفهم.

بين أقداحهم حديث قصير هو سحر، و ما سواه كلام

و في هذا تتفاوت الأذهان، و تتسابق في النظر إليه مسابقة الرّهان. فَمِنْ سابقٍ بفهمه، و راشقٍ كبدِ الرمية بسهمه، و آخر رمى فأشوى [١] و خبط في النظر خبط عشواء، كما قيل: و أين الرقيق من الركيك، و أين الزلال من الزعاق.[٢]

الفرق بين التفسير و التأويل

كان التأويل في استعمال السلف مترادفاً مع التفسير، و قد دأب عليه أبو جعفر الطبري في جامع البيان. لكنه في مصطلح المتأخرين جاء متغايراً مع التفسير، و ربما أخصّ منه.

التفسير ـ كما عرفت ـ: رفع الإبهام عن اللفظ المشكل، فمورده: إبهام المعنى

---

١. يقال: أشوى الرّجل، إذا أصاب شواه، و لم يصب مقتله. والشوى: قحف الرأس و جلدته. و أشوى السهم: أخطأ الغرض.

٢. البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٣ ـ ١٥. والزعاق: الماء المرّ، لايطاق شربه.

بسبب تعقيد[1] حاصل في اللفظ.

و أما التأويل فهو دفع الشبهة عن المتشابه من الأقوال و الأفعال، فمورده حصول شبهة في قول أو عمل، أوجبت خفاء الحقيقة (الهدف الأقصى أو المعنى المراد) فالتأويل إزاحة هذا الخفاء.

فالتأويل ـ مضافاً إلى أنه رفع إبهام ـ فهو دفع شبهة أيضاً، فحيث كان تشابهٌ في اللفظ كان إبهامٌ في وجه المعنى أيضاً، فهو دفع و رفع معاً.

و لنتكلم شيئاً في التأويل، في حقيقته و المعاني التي جاء استعمالها في القرآن و الحديث، و ما قيل أو قد يُقال فيه.

* * *

التأويل: من الأَوْل، و هو الرجوع إلى حيث المبدأ؛ فتأويل الشيء إرجاعه إلى أصله و حقيقته، فكان تأويل المتشابه توجيه ظاهره إلى حيث مستقر واقعه الأصيل.

والتشابه قد يكون في كلام إذا أوجب ظاهر تعبيره شبهةً في نفس السامع، أو كان مثاراً للشبهة، ـ كما في متشابهات القرآن ـ ، كان يتّبعها أهل الزيغ ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلها، إلى حيث أهدافهم الخبيثة.

و قد يكون التشابه في عمل كان ظاهره مريباً، كما في أعمال قام بها صاحب موسى؛ بحيث لم يستطع موسى الصبر عليها دون استجوابه، والسؤال عن تصرفاته تلك المريبة!

و قد بحثنا عن المتشابهات و أنواعها، و الأسباب الموجبة لوقوع التشابه في القرآن، في الجزء الثالث من التمهيد.

---

١. و للتعقيد أسباب لفظيّة و معنويّة مرّ شرحها.

والآن فلنذكر المعاني التي يحملها لفظ «التأويل» في عرف القرآن و استعمال السلف.

معاني التأويل

جاء استعمال لفظ «التأويل» في القرآن على ثلاثة وجوه:

١ـ تأويل المتشابه، بمعنى توجيهه حيث يصحّ و يقبله العقل و النقل،إمّا في متشابه القول، كما في قوله تعالى : **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ و ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ..﴾**[١]، أو في متشابه الفعل، كما في قوله: **﴿سَأُنَبِّؤُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾**، **﴿ذٰلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾**[٢].

٢ـ تعبير الرؤيا، و قد جاء مكرراً في سورة يوسف في ثمانية مواضع: (٦و٢١و٣٦و٣٧و٤٤و٤٥و١٠٠و١٠١).

٣ـ مآل الأمر و عاقبته، و ما ينتهي إليه الأمر في نهاية المطاف، قال تعالى: **﴿وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾**[٣]، أي أعْوَدُ نفعاً و أحسن عاقبة.

ولعلّ منه قوله: **﴿.. فَإِنْ تَنازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّه وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ، ذٰلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾**[٤]، أي أنتج فائدة و أفضل مآلاً.

و يحتمل أَوْجَه تفسيراً و أَتْقَن تخريجاً للمعنى المراد، نظير قوله تعالى: **﴿وَ**

---

١. آل عمران/ ٧.

٢. الكهف/ ٧٨، ٨٢.

٣. الإسراء/ ٣٥.

٤. النساء/ ٥٩.

لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[١]، و قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾[٢]، أي هل ينتظرون ماذا يؤول إليه أمر الشريعة والقرآن، لكن لا يطول بهم الانتظار ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاٰئِكَةَ لاٰ بُشْرىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾[٣]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهارٍ﴾[٤]، ﴿وَ لاٰتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[٥].

٤ـ والمعنى الرابع ـ للتأويل ـ جاء استعماله في كلام السلف: مفهوم عام، منتزع من فحوى الآية الواردة بشأن خاص؛ حيث العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد.

و قد عبّر عنه بالبطن المنطوي عليه دلالة الآية في واقع المراد، في مقابلة الظهر المدلول عليه بالوضع و الاستعمال، حسب ظاهر الكلام. قال رسول الله ﷺ: «ما في القرآن آية إلاّ و لها ظهر و بطن».

سئل الإمام أبوجعفر الباقر عليه السلام عن هذا الحديث المأثور عن رسول الله ﷺ، فقال: «ظهره تنزيله و بطنه تأويله، منه ما قد مضى و منه ما لم يكن، يجري كما تجري الشمس والقمر»[٦].

و قال عليه السلام: «و لو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم، ماتت الآية ولما بقي من القرآن شيء. و لكن القرآن يجري أوّله على آخره، ما دامت

---

١. النساء/ ٨٣.

٢. الأعراف/ ٥٣.

٣. الفرقان/ ٢٢.

٤. الاحقاف/ ٣٥.

٥. ص/ ٣.

٦. بصائر الدرجات، الصفار، ص١٩٥.

السماوات و الأرض، و لكل قوم آية يتلونها، هم منها من خير أو شر»[١].

و في الحديث عنه ﷺ: «إنّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلتُ على تنزيله، و هو عليّ بن أبي طالب»[٢].

و فإنّه ﷺ قاتل على تنزيل القرآن؛ حيث كان ينزل بشأن قريش و مشركي العرب ممن عاند الحق و عارض ظهور الإسلام. أمّا عليّ عليه السلام فقد قاتل أشباه القوم ممّن عارضوا بقاء الإسلام، على نمط معارضة أسلافهم في البدء.

و لهذا المعنى عرض عريض، و لعلّه هو الكافل لشمول القرآن و عمومه لكل الأزمان والأحيان. فلولا تلك المفاهيم العامة، المنتزعة من موارد خاصة ـ وردت الآية بشأنها بالذات ـ لما بقيت لأكثر الآيات كثير فائدة، سوى تلاوتها و ترتيلها ليل نهار.

و إليك بعض الأمثلة على ذلك:

مفاهيم عامة منتزعة من الآيات

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبىٰ﴾[٣].

نزلت بشأن غنائم بدر، و غاية ما هناك أن عمّت غنائم جميع الحروب، على شرائطها.

لكنّ الإمام أبا جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام نراه يأخذ بعموم الموصول، و يفسّر «الغنيمة» بمطلق الفائدة، و أرباح المكاسب و التجارات، يربحها أرباب

---

١. تفسير العياشي، ج ١، ص ١٠، رقم ٧.

٢. المصدر نفسه، ص ١٥، رقم ٦.

٣. الأنفال/ ٤١.

الصناعات و التجارات و غيرهم طول عامهم، في كل سنة بشكل عام.

قال عليه السلام: «فأمّا الغنائم و الفوائد فهي واجبة عليهم في كل عام، قال اللّه تعالى: ﴿وَ اعْلَموا أَنَّ ما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبىٰ﴾.

و هكذا عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: «الخمس في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير»[١].

* * *

و قال تعالى: ﴿وَ أَنْفِقُوا في سَبِيلِ اللّٰهِ وَ لاٰ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلىَ التَّهْلُكَةِ﴾[٢].

نزلت بشأن الإعداد للجهاد، دفاعاً عن حريم الإسلام، فكان مفروضاً على أصحاب الثروات القيام بنفقات الجهاد، دون سيطرة العدوّ الذي لا يُبقي و لا يَذَر.

لكن «السبيل» لا يعني القتال فحسب، فهو يعمّ سبيل إعلاء كلمة الدين و تحكيم كلمة اللّه في الأرض، و يتلخص في تثبيت أركان الحكم الإسلامي في البلاد، في جميع أبعاده: الإداري و الاجتماعي و التربوي و السياسي و العسكري، و ما شابه. و هذا إنما يقوم بالمال؛ حيث المال طاقة يمكن تبديلها إلى أيّ طاقة شئت، و من ثَمّ قالوا: قوام الملك بالمال.. فالدولة القائمة بذاتها إنما تكون قائمة إذا كانت تملك الثروة اللازمة لإدارة البلاد في جميع مناحيها.

و هذا المال يجب توفّره على أيدي العائشين تحت لواء الدولة الحاكمة، و يكون مفروضاً عليهم دفع الضرائب و الجبايات، كلٌّ حسب مكنته و ثروته، الأمر الذي يكون شيئاً وراء الأخماس و الزكوات التي لها مصارف خاصة، لاتعني شؤون الدولة فحسب.

---

١. وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج٦، ص ٣٥٠، كتاب الخمس، باب٨، رقم ٥ و ٦.

٢. البقرة/ ١٩٥.

و هذه هي (الماليّة) التي يكون تقديرها و توزيعها على الأموال والممتلكات، حسب حاجة الدولة و تقديرها، و من ثمّ لم يتعين جانب تقديرها في الشريعة، على خلاف الزكوات والأخماس؛ حيث تعيّن المقدار والمصرف و المورد فيها بالنص.

فقد فرض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على الخيل العتاق في كل فرس في كل عام دينارين، و على البراذين ديناراً.[1]

ضابطة التأويل

و مما يجدر التنبّه له أن للأخذ بدلائل الكلام ـ سواء أكانت جليّة أم خفيّة ـ شرائط و معايير، لا بدّ من مراعاتها للحصول على الفهم الدقيق. فكما أن لتفسير الكلام ـ و هو الكشف عن المعاني الظاهرية للقرآن ـ قواعد و أُصول مقرّرة في علم الأُصول و المنطق، كذلك كانت لتأويل الكلام ـ و هو الحصول على المعاني الباطنيّة للقرآن ـ شرائط و معايير، لاينبغي إعفاؤها و إلاّ كان تأويلا بغير مقياس، بل كان من التفسير بالرأي الممقوت.

وليُعلم أن التأويل ـ و هو من الدلالات الباطنية للكلام ـ داخل في قسم الدلالات الالتزامية غير البيّنة، فهو من دلالة الألفاظ لكنها غير البيّنة، و دلالة الألفاظ جميعاً مبتنية على معايير يشرحها علم الميزان؛ فكان التأويل ـ و هو دلالة باطنة ـ بحاجة إلى معيار معروف كي يخرجه عن كونه تفسيراً بالرأي.

فمن شرائط التأويل الصحيح ـ أي التأويل المقبول في مقابلة التأويل المرفوض ـ **أوّلاً**: رعاية المناسبة القريبة بين ظهر الكلام و بطنه، أي بين الدلالة

---

١. الوسائل، ج٦، ص٥١.

الظاهرية و هذه الدلالة الباطنية للكلام، فلا تكون أجنبيّة، لا مناسبة بينها و بين اللفظ أبداً. فإذا كان التأويل ـ كما عرفناه ـ هو المفهوم العام المنتزع من فحوى الكلام، كان لا بدّ أنّ هناك مناسبة لفظية أو معنوية استدعت هذا الانتزاع.

مثلا: لفظة «الميزان» وضعت لآلة الوزن المعروفة ذات الكفّتين، وقد جاء الأمر بإقامتها و عدم البخس فيها، في قوله تعالى: **﴿وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لاٰ تُخْسِرُوا الْمِيزٰانَ﴾**[١].

لكنا إذا جرّدنا اللفظ من قرائن الوضع و غيره و أخلصناه من ملابسات الأُنس الذهني، فقد أخذنا بمفهومه العام: كل ما يوزن به الشيء، أيُّ شيء كان مادياً أم معنوياً، فإنه يشمل كل مقياس أو معيار كان يقاس به أو يوزن به في جميع شؤون الحياة، و لا يختص بهذه الآلة المادية فحسب.

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي: فالميزان آلة التعديل في النقصان و الرجحان، والوزن يعدل في ذلك. و لولا الميزان لتعذّر الوصول إلى كثير من الحقوق؛ فلذلك نبّه تعالى على النعمة فيه و الهداية إليه. و قيل: المراد بالميزان: العدل؛ لأَنّ المعادلة موازنة الأسباب[٢].

وروى محمد بن العباس المعروف بماهيار(ت ح ٣٣٠) ـ في كتابه الذي وضعه لبيان تأويل الآيات ـ بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: الميزان الذي وضعه اللّه للأنام، هو الإمام العادل الذي يحكم بالعدل، و بالعدل تقوم السماوات والأرض، و قد أمر الناس أن لا يطغوا عليه و يطيعوه بالقسط و العدل، و لا يبخسوا من حقه،

---

١. الرحمن / ٩.

٢. التبيان، ج ٩، ص ٤٦٣.

أو يتوانوا في امتثال أوامره.[١]

* * *

و هكذا قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾[٢] كانت دلالة الآية في ظاهر تعبيرها واضحة؛ إنّ نعمة الوجود و وسائل العيش و التداوم في الحياة، كلها مرهونة بإرادته تعالى وَفق تدبيره الشامل لكافة أنحاء الوجود.

واللّه تعالى هو الذي مهّد هذه البسيطة لإمكان الحياة عليها، و لولا فضل اللّه و رحمته لعباده لضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

هذا هو ظاهر الآية الكريمة، حسب دلالة الوضع والمتفاهم العام.

و للإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام بيان يمسّ جانب باطن الآية و دلالة فحواها العام، قال: «إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون».

و قال الإمام عليّ الرضا عليه السلام: «ماؤكم: أبوابكم الأئمّة، والأئمّة: أبواب اللّه. فمن يأتيكم بماءٍ معين، أي يأتيكم بعلم الإمام»[٣].

لا شكّ أنّ استعارة «الماء المعين» للعلم النافع، و لا سيّما المستند إلى وحي السماء ـ من نبيّ أو وصيّ نبيّ ـ أمر معروف و متناسب لا غبار عليه.

فكما أن الماء أصل الحياة المادّيّة و المنشأ الأوّل لإمكان المعيشة على الأرض، كذلك العلم النافع. و علم الشريعة بالذات، هو الأساس لإمكان الحياة

---

١. نقلا بالمعنى، راجع: تأويل الآيات الظاهرة للسيد شرف الدين الاسترابادي، ج٢، ص٦٣٢ـ٦٣٣.

٢. الملك/ ٣٠.

٣. تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج٢، ص٧٢٧، و راجع: تأويل الآيات الظاهرة، ج٢، ص٧٠٨.

المعنويّة التي هي سعادة الوجود و البقاء مع الخلود.

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اسْتَجيبُوا لِلّهِ و لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْييكُمْ﴾[١].

﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤْمِنينَ إِذْ بَعَثَ فيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ﴾[٢].

فهنا قد لوحظ الماء ـ وهو أصل الحياة ـ في مفهومه العام المنتزع منه الشامل للعلم، فيعم الحياة المادية و المعنوية.

* * *

و أيضاً قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلىٰ طَعامِهِ...﴾[٣]، أي فليُمعِنِ النظر في طعامه، كيف عملت الطبيعة في تهيئته و تمهيد إمكان الحصول عليه، و لم يأته عفواً، و من غير سابقة مقدمات و تمهيدات. لو أمعن النظر فيها؛ لعرف مقدار فضله تعالى عليه، و لطفه و رحمته؛ و بذلك يكون تناول الطعام له سائغاً، و مستدعياً للقيام بالشكر الواجب.

هذا، و قد روى ثقة الإسلام الكليني بإسناده إلى زيد الشحّام، قال: سألت الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قلت: ما طعامه؟ قال: «علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه»[٤].

والمناسبة هنا ـ أيضاً ـ ظاهرة؛ لأن العلم غذاء الرّوح، و لا بدّ من الاحتياط في الأخذ من منابعه الأصيلة، و لا سيّما علم الشريعة و أحكام الدين الحنيف.

---

١. الأنفال/ ٢٤.

٢. آل عمران/ ١٦٤.

٣. عبس/ ٢٤.

٤. تفسير البرهان، ج ٤، ص ٤٢٩.

و **ثانياً**: مراعاة النظم و الدقة في إلغاء الخصوصيات المكتنفة بالكلام؛ ليخلص صفوه و يجلو لبابه في مفهومه العام، الأمر الذي يكفله قانون «السبر و التقسيم» من قوانين علم الميزان (علم المنطق) و المعبّر عنه في علم الأُصول: بتنقيح المناط، الذي يستعمله الفقهاء للوقوف على الملاك القطعي لحكم شرعي؛ ليدور التكليف أو الوضع معه نفياً و إثباتاً، و لتكون العبرة بعموم الفحوى المستفاد، لا بخصوص العنوان الوارد في لسان الدليل. و هذا أمر معروف في الفقه، و له شرائط معروفة.

و مثال تطبيقه على معنى قرآني، قوله تعالى ـ حكاية عن موسى عليه السلام ـ: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ**﴾[١].

هذه قولة نبيّ اللّه موسى عليه السلام قالها تعهّداً منه لله تعالى، تجاه ما أنعم عليه من البسطة في العلم و الجسم: ﴿**وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوىٰ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾[٢] قضى على عدوٍ له بوكزة وكزه بها، فحسب أنه قد فرط منه ما لا ينبغي له، فاستغفر ربّه فغفر له. فقال ذلك تعهداً منه للّه، أن لا يستخدم قواه و قُدره الذاتيّة، والتي منحه اللّه بها، في سبيل الفساد في الأرض، و لا يجعل ما آتاه اللّه من إمكانات معنوية و ماديّة في خدمة أهل الإجرام.

هذا ما يخصّ الآية في ظاهر تعبيرها بالذات.

و هل هذا أمر يخصّ موسى عليه السلام لكونه نبيّاً و من الصالحين، أم هو حكم عقلي بات يشمل عامة أصحاب القدرات، من علماء و أدباء و حكماء و أرباب صنائع و فنون، و كل من آتاه اللّه العلم و الحكمة و فصل الخطاب؟ لا ينبغي في

---

١. القصص / ١٧.

٢. القصص / ١٤.

شريعة العقل أن يجعل ذلك ذريعة سهلة في متناول أهل العبث و الاستكبار في الأرض، بل يجعلها وسيلة ناجحة في سبيل إسعاد العباد و إحياء البلاد ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهٰا﴾[١].

و هذا الفحوى العام للآية الكريمة إنما يُعرف وَفق قانون «السبر و التقسيم» وإلغاء الخصوصيات المكتنفة بالموضوع، فيتنقّح ملاك الحكم العام.

وفي القرآن كثير من هذا القبيل، إنما الشأن في إمعان النظر و التّدبّر في الذكر الحكيم؛ و بذلك يبدو وجه استفادة فرض الأخماس من آية الغنيمة، و دفع الضرائب من آية الإنفاق في سبيل اللّه.

مزاعم في التأويل

هناك من حسب من تأويل القرآن شيئاً وراء المفاهيم الذهنيّة أو التعابير الكلاميّة، و كان من نمط الأعيان الخارجية، و كان ما ورد في القرآن من حكم وآداب و تكاليف و أحكام كلها تعود إليه؛ إذ تنتزع منه و تنتهي إليه في نهاية المطاف، فكان ذلك تأويلاً للقرآن في جميع آياته الكريمة.

و قد اختلفوا في تبيين تلك الحقيقة التي تعود إليها جميع الحقائق القرآنية في أصول معارفه والأحكام:

ذكر ابن تيميّة ـ في رسالة وضعها بشأن المتشابه و التأويل ـ: أن التأويل في عرف المتأخّرين صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معنى مرجوح؛ لدليل يقترن به. فالتأويل ـ على هذا ـ يحتاج إلى دليل، والمتأوّل عليه وظيفتان: بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي يدّعيه، و بيان الدليل الموجب للصرف إليه عن المعنى الظاهر.

---

١. هود/ ٦١.

قال: و أما التأويل ـ في عرف السلف ـ فله معينان: أحدهما: ما يرادف التفسير و البيان، و هو الذي عناه مجاهد بقوله: إن العلماء يعلمون تأويل القرآن، أي تفسيره و تبيينه.

و الثاني: نفس المراد بالكلام، إن كان طلبا فتأويله نفس العمل المطلوب، و إن كان خبراً فتأويله نفس الشيء المخبر به.

قال: و بين هذا المعنى ـ الأخير ـ والذي قبله ـ الذي جاء أوّلاً في عرف السلف، والذي جاء في عرف المتأخرين ـ بون؛ فإن الذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم و الكلام كالتفسير و الشرح و الإيضاح و يكون وجود التأويل في القلب و اللسان، له الوجود الذهني و اللفظي و الرسمي.

و أما هذا ـ المعنى الثاني في عرف السلف ـ فالتأويل فيه نفس الأُمور الموجودة في الخارج، سواء كانت ماضية أو مستقبلة. فإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل هذا نفس طلوعها.

قال: و هذا الوضع و العرف الثالث ـ الذي جاء ثانياً في عرف السلف ـ هو لغة القرآن التي نزل بها[1].

* * *

و قال في تفسير سورة الإخلاص ـ بعد كلام تفصيلي له عن تأويل المتشابه من الآيات، و أن الراسخين في العلم يعلمون تأويله، و استعظام أن يكون جبرائيل و محمد صلى الله عليه وآله وسلم و الصحابة و التابعون لهم بإحسان و أئمة المسلمين لا يعرفون تأويل متشابه القرآن، و يكون اللّه تعالى قد استأثر بعلم معاني هذه الآيات كما استأثر بعلم الساعة، و أنهم جميعاً كانوا يقرأون ألفاظاً لا يفهمون لها معنى، كما

١. رسالة الإكليل، مطبوعة ضمن المجموعة الثانية من رسائله ص ١٠ و ١٧ ـ ١٨.

يقرأ أحدنا كلاماً ليس من لغته فلا يعرف معناه، من قال ذلك فقد كذب على القوم، و المأثور عنهم متواتراً يناقض هذا الزعم، و أنهم يفهمون معنى المتشابه كما يفهمون معنى المحكم ـ قال بعد ذلك:

فإن قيل: هذا يقدح فيما ذكرتم من الفرق بين التأويل الذي يراد به التفسير، و بين التأويل الذي في كتاب اللّه.

قيل: لا يقدح في ذلك، فإن معرفة تفسير اللفظ و معناه و تصوّره في القلب، غير معرفة الحقيقة الموجودة في الخارج، المرادة بذلك الكلام.

فإن الشيء له وجود في الأعيان، و وجود في الأذهان، و وجود في اللّسان، و وجود في البيان. فالكلام لفظ له معنى في القلب، و يكتب ذلك اللفظ بالخطّ. فإذا عرف الكلام و تصوّر معناه في القلب و عبّر عنه باللّسان، فهذا غير الحقيقة الموجودة في الخارج، و ليس كل من عرف الأول عرف عين الثاني.

مثال ذلك: أن أهل الكتاب يعلمون ما في كتبهم من صفة النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خبره و نعته، و هذا معرفة الكلام و معناه و تفسيره، و تأويل ذلك هو نفس محمّد المبعوث؛ فالمعرفة بعينه معرفة تأويل ذلك الكلام.

و كذلك الإنسان قد يعرف الحجّ و المشاعر، كالبيت و المساجد و منى و عرفة و مزدلفة، و يفهم معنى ذلك و لايعرف الأمكنة حتى يشاهدها، فيعرف أن الكعبة المشاهدة هي المذكورة في قوله: **﴿وَ لِلّٰهِ عَلَى النّٰاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾** و كذلك أرض عرفات و غيرها.

و كذلك الرؤيا يراها الرجل، و يذكر له العابر تأويلها فيفهمه و يتصوره، ثم إذا كان ذلك فهو تأويل الرؤيا، ليس تأويلها نفس علمه و تصوره و كلامه؛ و لهذا قال يوسف الصدّيق: **﴿هٰذٰا تَأْوِيلُ رُؤْيٰايَ مِنْ قَبْلُ﴾** و قال: **﴿لاٰ يَأْتِيكُمٰا طَعٰامٌ تُرْزَقٰانِهِ إِلاّٰ نَبَّأْتُكُمٰا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمٰا﴾** فقد أنبأهما بالتأويل قبل أن يأتي التأويل،

فنحن نعلم تأويل ما ذكر اللّه في القرآن من الوعد و الوعيد، و إن كنّا لا نعرف متى يقع هذا التأويل المذكور في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾[۱].

* * *

و قد أشاد السيد محمد رشيد رضا (منشئ مجلة المنار المصرية) من هذه النظرة التيميّة بشأن تأويل القرآن، و أعجبته غاية الإعجاب. قال ـ بعد أن نقل عن شيخه الأُستاذ محمد عبده، أن التأويل بمعنى ما يؤول إليه الشيء و ينطبق عليه، لا بمعنى ما يُفسّر به[۲] ـ: ليس في كتب التفسير المتداولة ما يروي الغليل في هذه المسألة، و ما ذكرناه آنفاً هو صفوة ما قالوه، و خيرة كلام الأُستاذ الإمام. و قد رأينا أن نرجع بعد كتابته إلى كلام في المتشابه و التأويل، لشيخ الإسلام أحمد بن تيميّة، فرجعنا إليه و قرأناه بإمعان، فإذا هو منتهى التحقيق و العرفان، و البيان الذي ليس وراءه بيان، أثبت فيه أنه ليس في القرآن كلام لايُفهم معناه، و أن المتشابه إضافي إذا اشتبه فيه الضعيف لا يشتبه فيه الراسخ، و أن التأويل الذي لا يعلمه إلاّ اللّه تعالى هو ما تؤول إليه تلك الآيات في الواقع، ككيفية صفاته تعالى، و كيفية عالم الغيب، و كيفية قدرته تعالى و تعلقها بالإيجاد والإعدام، و كيفية استوائه على

---

۱. راجع: رسالته في تفسير سورة الإخلاص، ص۱۰۲ ـ ۱۰۳. و نقله محمد رشيد رضا في تفسير المنار، ج۳، ص۱۹۵ ـ ۱۹٦.

۲. يرى الأُستاذ عبده من متشابهات القرآن، الأمور الأخروية التي ورد ذكرها في القرآن، لأنها من ضرورة الدين و من مقاصد الوحي؛ حيث العقيدة بأحوال الآخرة من أركان الدين، فيجب الإيمان بها، الأمر الذي لا يمكن الوقوف على حقيقتها إلاّ بعد مشاهدتها في الآخرة، فهي تأويلها ذلك اليوم، كما قال تعالى: ﴿يوم يأتي تأويله، يقول الّذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربّنا بالحقّ﴾ الأعراف/٥۳ (المنار، ج۳، ص۱٦۷).

العرش. و لا كيفية عذاب أهل النار، و لا نعيم أهل الجنة، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[1] فليست نار الآخرة كنار الدنيا، و إنما هي شيء آخر. و ليست ثمرات الجنة و لبنها و عسلها من جنس المعهود لنا في هذا العالم، وإنما هو شيء آخر يليق بذلك العالم و يناسبه.

قال: و إننا نبيّن ذلك بالإطناب الذي يحتمله المقام، مستمدّين من كلام هذا الحبر العظيم، ناقلين بعض ما كتبه[2]. و جعل ينقل ما سرده ابن تيميّة بإسهاب.

* * *

و هذا الذي ذكره ابن تيميّة و أشاد به رشيدرضا، لا يعدو ما يعود إليه أمر الشيء، أخذاً بالمفهوم اللغوي لمادة التأويل. أما العين الخارجية بالذات فلعلّه من اشتباه المصداق بالمفهوم، فإن الوجود العيني للأشياء هي عين تشخّصاتها المعبّر عنها بالمصاديق الخارجية، و لم يعهد إطلاق لفظ «التأويل» على المصداق في متعارف الاستعمال إلاّ أن يكون من عرفهما الخاص، و لا مشاحّة في الاصطلاح.

و على أيّ تقدير، فإنهما لم يأتيا بشيء جديد، فإن مسألة الوجودات الأربعة للأشياء (الذهني و اللفظي و الكتبي و العيني) أمر تعارف عليه أرباب المنطق منذ عهد قديم، إلاّ أن الشيء الذي لم يُتعارَف عليه هو إطلاق اسم «التأويل» على العين الخارجية، باعتبارها مصداقاً للوجودات الثلاثة المنتزعة عنها، سوى كونه مصطلحا جديداً غير معروف.

* * *

و لسيدنا العلامة الطباطبائي كلام تحقيقي لطيف حول مسألة التأويل، يراه

---

١. السجدة / ١٧.

٢. تفسير المنار، ج٣، ص١٧٢ ـ ١٩٦.

متغايراً مع المفاهيم، بعيداً عن جنس الألفاظ و المعاني و التعابير، و إنما هي حقائق راهنة، موطنها خارج الأذهان و العبارات.

إنّه‌رحمه‌الله تعرّض لكلام ابن تيميّة، فصحّحه من جهة، و خطّأه من جهة أُخرى؛ صحّحه من جهة قوله: بشمول التأويل لجميع آي القرآن، محكمه و متشابهه، وقوله: بأنه خارج الأذهان و العبارات. لكن خطّأه في حصره للتأويل في العين الخارجية البحت، فإنه مصداق و ليس بتأويل. إنما التأويل حقائق راهنة، هي مصالح واقعية و أهداف و غايات مقصودة من وراء التكاليف والأحكام، و كذا الحِكَم و المواعظ والآداب، و حتى القصص و الأخبار والآثار التي جاءت في القرآن.

قال ـ مناقشاً لرأي ابن تيميّة ـ:

«إنه و إن أصاب في بعض كلامه، لكنه أخطأ في بعضه الآخر. إنّه أصاب في القول: بأنّ التأويل لا يختص بالمتشابه، بل هو عام لجميع القرآن، و كذا القول: بأنّ التأويل ليس من سنخ المدلول اللفظي، بل هو أمر خارجي يُبتنى عليه الكلام. لكنه أخطأ في عدّ كل أمر خارجي مرتبط بمضمون الكلام ـ حتى مصاديق الأخبار الحاكية عن الحوادث الماضية والمستقبلة ـ تأويلاً للكلام»[1].

ثم قال: «الحقّ في تفسير التأويل أنّه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية، من حُكم أو موعظة أو حِكمة، و أنه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها و متشابهها، و أنه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هي من الأُمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ. و إنما قيّدها اللّه سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب، فهي كالأمثال تُضرب

---

١. الميزان، ج٣، ص٤٨.

ليقرِّب بها المقاصد و تُوضِّح، بحسب ما يناسب فهم السامع، كما قال تعالى: **﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾**[١].

و قال ـ في شرح الآية ـ:

«إن هناك كتاباً مبيناً عرض عليه جعله مقروّاً عربيّاً، و إنما أُلبس لباس القراءة و العربية ليعقله الناس، و إلاّ فإنه ـ وهو في أمّ الكتاب ـ عند اللّه عليٌّ لا تصعد إليه العقول، حكيمٌ لا يُوجد فيه فصل و فصل. فالكتاب المبين ـ في الآية ـ هو أصل القرآن العربي المبين، و للقرآن موقع هو في الكتاب المكنون، و أن التنزيل حصل بعده، و هو الذي عبّر عنه بأُم الكتاب و باللوح المحفوظ. فالكتاب المبين الذي هو أصل القرآن و حكمه الخالي عن التفصيل، أمر وراء هذا المنزل، و إنما هذا بمنزلة اللباس لذاك. إنّ هذا المعنى، أعني كون القرآن في مرتبة التنزيل بالنسبة إلى الكتاب المبين، و نحن نسمّيه بحقيقة الكتاب، بمنزلة اللباس من المتلبّس، و بمنزلة المثال من الحقيقة، و بمنزلة المَثَل من الغرض المقصود بالكلام...»[٢].

و أضاف: « فالحقيقة الخارجية التي توجب تشريع حكم من الأحكام أو بيان معرفة من المعارف الإلهية أو وقوع حادثة هي مضمون قصّة من القصص القرآنية، و إن لم تكن أمراً يدل عليه بالمطابقة نفس الأمر و النهي أو البيان أو الواقعة الكذائية، إلا أن الحكم أو البيان أو الحادثة، لمّا كان كلٌّ منها يَنشَأ منها و يظهر منها، فهو أثرها الحاكي لها بنحو من الحكاية والإشارة»[٣].

---

١. الميزان، ج٣، ص٤٩، الزخرف/ ٤.

٢. الميزان، ج٢، ص١٤ـ١٦.

٣. المصدر نفسه، ج٣، ص٥٣.

و أخيراً لخّص كلامه في بيان التأويل بما يلي:

«التأويل في عرف القرآن هو الحقيقة التي يتضمّنها الشيء و يؤول إليها و يبتنى عليها، كتأويل الرؤيا، و هو تعبيرها، و تأويل الحكم، و هو ملاكه، و تأويل الفعل، و هو مصلحته و غايته الحقيقيّة، و تأويل الواقعة، و هو علّتها الواقعية، و هكذا»[١]

* * *

غير أن وقفة فاحصة عند كلام هذا المحقق العلامة، تجعلنا نتردد في التوافق معه، إنه رحمه الله لو كان اقتصر على ما لخّصه أخيراً، من جعل ملاكات الأحكام والمصالح و الغايات الملحوظة في التشريعات و التكاليف تأويلاً، أي أصلاً لها ومرجعها الأساسي لكل ذلك المذكور؛ لأمكننا مرافقته.

لكنه توسّع في ذلك، و فرض من تأويل آي القرآن كلها أمراً بسيطا ذا إحكام رصين، ليس فيه شيء من هذه التجزئة و التفصيل الموجود في القرآن الحاضر الذي يتداوله المسلمون منذ أول يومهم فإلى ما لا نهاية، فإن ذاك عارٍ عن كونه آية آية و سورة سورة، وجوداً واحداً بسيطا صرفاً، مستقراً في محل أرفع، في كتابٍ مكنونٍ لا يمسّه إلاّ المطهّرون.

و فرض من القرآن ذا وجودين: وجوداً ظاهرياً يتشكل في ألفاظ و عبارات ذوات مفاهيم معروفة، و هو الذي يُتلى و يُقرأ و يُدرس، و يتداوله الناس حسبما ألفوه طوال عهد الإسلام.

و وجوداً آخر باطنياً، هو وجوده الحقيقي الأصيل، المترفع عن أن تناله العقول والأحلام، فضلاً عن الأوهام، و ذلك الوجود الحقيقي الرفيع هو تأويل

---

١. الميزان، ج١٣، ص٣٧٦.

القرآن، أي أصله و مرجعه الأصيل.

قال ـ بصدد بيان نزول القرآن دفعة واحدة في ليلة القدر من شهر رمضان، و أنه لم يكن هذا القرآن المتلوّ الذي بأيدي الناس، فإنه نزل تدريجاً بلا ريب ـ:

«و الذي يُعطيه التدبّر في آيات الكتاب أمر آخر، فإن الآيات الناطقة بنزول القرآن في شهر رمضان أو في ليلة القدر إنما عبّرت عن ذلك بلفظ الإنزال الدال على الدفعة، دون التنزيل، و اعتبار الدفعة إما بلحاظ المجموع أو البعض، و إما لكون الكتاب ذا حقيقة أُخرى وراء ما نفهمه بالفهم العادي، الذي يقضي فيه بالتفرق و التفصيل و الانبساط و التدريج، هو المصحّح لكونه واحداً غير تدريجي و نازلاً بالإنزال دون التنزيل؛ و هذا هو اللائح من الآيات الكريمة: ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ**﴾[1] فإن هذا الإحكام مقابل التفصيل، و التفصيل هو جعله فصلاً فصلاً و قطعة قطعة؛ فالإحكام كونه بحيث لا يتفصّل فيه جزء من جزء، و لا يتميّز بعض من بعض؛ لرجوعه إلى معنى واحد لا أجزاء فيه و لا فصول. و الآية ناطقة بأن هذا التفصيل المشاهد في القرآن، إنما طرأ عليه بعد كونه محكما غير مفصّل، و أوضح منه قوله تعالى: ﴿**حٰم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾[2] فإنه ظاهر في أن هناك كتاباً مبيناً عرض عليه جَعله مقروّاً عربيّاً، و إنما أُلبس لباس القراءة و العربية ليعقله الناس، و إلاّ فإنه في أُم الكتاب عند اللّه عليٌّ لا يصعد إليه العقول، حكيم لا يوجد فيه فصل فصل. فالكتاب المبين الذي هو أصل القرآن و حكمه

---

١. هود/ ١.

٢. الزخرف/ ٤.

الخالي عن التفصيل أمر وراء هذا المنزل و إنما هذا بمنزلة اللباس لذاك.[١]

ثم أحال تمام الكلام إلى بيانه الآتي حول آية المتشابهات، قال هناك:

«الحق في تفسير التأويل أنّه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية، و أنه موجود لجميع الآيات، و أنّه ليس من قبيل المفاهيم بل من الأُمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ، و إنّما قيّدها اللّه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا، قال تعالى: **﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾**[٢] و في القرآن تصريحات و تلويحات بهذا المعنى[٣].

* * *

و بعد، فلنتساءل: ما هو السبب الداعي لفرض وجودين للقرآن الكريم: وجوداً لديه تعالى في كتاب مكنون، لا يمسّه إلا المطهرون، عارياً عن التجزئة والتفصيل، متعالياً عن شبكات الألفاظ و العبارات؛ و وجوداً أرضيّاً نزل تدريجاً لهداية الناس، و أُلبس لباس العربية لعلهم يعقلونه؟!

و لعله للنظر إلى قوله تعالى: **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ...﴾**[٤] و قوله: **﴿حم وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا﴾**[٥] و قوله: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ...﴾**[٦].

و قد ورد في الحديث ـ من طرق الفريقين ـ: أن القرآن نزل جملة واحدة في

---

١. الميزان، ج٢، ص١٤ـ١٦.

٢. الزخرف/ ٤.

٣. الميزان، ج٣، ص٤٩.

٤. البقرة/ ١٨٥.

٥. الدخان/ ٥.

٦. القدر/ ١.

ليلة القدر، ثم نزل تدريجاً طوال عشرين عاماً»[١].

و لذلك فرض علاّمتنا الطباطبائي وجودين للقرآن الكريم و نزولين. و كان نزوله الدفعي بوجوده البسيط الذي كان بمنزلة الروح لهذا القرآن، النازل تدريجاً بوجوده التفصيلي.

و بذلك نراه قد جمع بين ظواهر الآيات و دلالة الروايات، و أيّد ذلك بالفارق اللغوي بين لفظتي «الإنزال» و «التنزيل».

* * *

لكن تشريف شهر رمضان إنما كان بنزول هذا القرآن المعهود لدى المخاطبين بهذا الخطاب، لا بأمرٍ لا يعرفونه!

على أنّ القرآن النازل في هذا الشهر، قد وُصف بكونه **﴿هُدَىً لِلنّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدىٰ وَ الْفُرْقانِ﴾**[٢] و معلوم أنّ الهداية و البيّنات، إنما هي بهذا الكتاب الذي يتداولونه، لا بكتاب مكنونٍ عند اللّه محفوظٍ لديه في مكانٍ عليٍّ لا تناله الأيدي و الأبصار.

كما أن الذي يبتغيه أهل الزيغ لأجل الفساد في الأرض، هو تفسير الآيات على غير وجهها، لا وجوداً آخر للقرآن، هو في أعلى علّيين.

فقوله ﷺ :«و أنه موجود لجميع الآيات محكمها و متشابهها، و أنه ليس من قبيل المفاهيم بل من الأُمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ...» غير مفهوم لنا.

* * *

---

١. بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ١٤، رقم ٢٣.

٢. البقرة/ ١٨٥.

والفرق بين «الإنزال» و «التنزيل» أمر أبدعه الراغب الأصبهاني، و لا شاهد له.

قال: و إنما خصّ لفظ الإنزال دون التنزيل؛ لما روي أن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نَزَلَ نجماً فنجماً. و لفظ الإنزال أعمّ من التنزيل، قال: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ﴾[1] و لم يقل: لو نزّلنا، تنبيهاً إنا لو خوّلناه مرّةً ما خوّلناك مراراً.

وَ يَرِدُ عليه ما حكاه اللّه عن قولة العرب: ﴿لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وٰاحِدَةً﴾[2].

و كذلك قوله تعالى: ﴿وَ قٰالُوا لَوْلاٰ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾[3].

و قوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلاٰ نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾[4].

و قوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنٰا عَلَيْكَ كِتٰاباً في قِرْطٰاسٍ فَلَمَسُوهُ...﴾[5].

و قوله: ﴿لَنَزَّلْنٰا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمٰاءِ مَلَكاً رَسُولاً﴾[6].

كما جمع بين التعبيرين بشأن أمر واحد في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّٰاسِ مٰا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[7].

كما جاء استعمال «الإنزال» بشأن التدريجيات أيضاً:

---

١. الحشر/ ٢١.

٢. الفرقان/ ٣٢.

٣. الأنعام/ ٣٧.

٤. محمد/ ٢٠.

٥. الأنعام/ ٧.

٦. الإسراء/ ٩٥.

٧. النحل/ ٤٤.

﴿أَنْزَلَ مِنَ‌السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزْقاً لَكُمْ﴾[١].
﴿هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ﴾[٢].
لأن الكتاب الذي منه محكم و متشابه، هو هذا الكتاب الذي نزل تدريجاً.
﴿أَفَغَيْرَ اللّٰهِ أَبْتَغي حَكَماً وَ هُوَ الَّذي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتابَ مُفَصَّلاً﴾[٣]؛ إذ الذي نزل مفصّلا هو هذا القرآن الذي نزل منجماً.

* * *

و أخيراً فما هي الفائدة المتوخّاة من وراء نزول القرآن دفعة واحدة إلى السماء الدنيا أو إلى السماء الرابعة، في البيت المعمور أو بيت العزة ـ على الاختلاف في ألفاظ الروايات ـ، ثم نزوله بعد ذلك تدريجاً في طول عهد الرسالة؟

و هل لوجود القرآن بوجوده البسيط الروحاني ـ في ذلك المكان الرفيع ـ فائدة تعود على أهل السماوات أو سكان الأرضين؟

و أجاب الفخر الرازي عن ذلك، و علل وجود القرآن هناك، في مكان أُنزل من العرش و أقرب إلى الأرض؛ ليسهل التناول منه لجبرائيل عند مسيس الحاجة.[٤]

و علّل بعضُ الأساتذة المعاصرين ذلك، بأنّ الرابط بين ذلك القرآن المحفوظ لديه تعالى، و هذا القرآن المعروض على الناس، هو «رابط العليّة» فكل ما في هذا القرآن من حِكم و مواعظ و آداب، و تعاليم و معارف و أحكام، إنما تنشأ مما حواه

---

١. البقرة/ ٢٢.
٢. آل عمران/ ٧.
٣. الأنعام/ ١١٤.
٤. التفسير الكبير، ج ٥، ص ٨٥.

ذلك القرآن، على بساطته و علوّ رفعته؛ فهذا إشعاع من ذلك النور الساطع، و إفاضة من ذلك المقام الرفيع.[١]

غير أن هذا كله تكلّف في التأويل، و تمحّل في القول بلا دليل، و لعلّنا في غنىً عن البسط فيه و التذييل.

و أما الآيات التي استندوا إليها لإثبات وجود آخر للقرآن محفوظ عندالله، في كتاب مكنون لا يمسّه إلاّ المطهرون... فهي تعني أمراً آخر غير ما راموه.

و ليُعلم أن المقصود من الكتاب المكنون، هو: علم اللّه المخزون، المعبّر عنه بـ(اللوح المحفوظ) أيضاً، و هكذا التعبير بـ(أمّ الكتاب) كناية عن علمه تعالى الذاتي الأزلي، بما يكون مع الأبد.

و قد ذكر العلامة الطباطبائي ـ في تفسير سورة الرعد حديثاً عن الإمام الصادقعليه‌السلام قال: «كل أمر يريده اللّه، فهو في علمه قبل أن يضعه، و ليس شيء يبدو له إلاّ و قد كان في علمه» قال ذلك تفسيراً لقوله تعالى: **﴿يَمْحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ﴾**[٢].

فقوله تعالى: **﴿وَ إِنَّهُ في أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكيمٌ﴾**[٣] يعني قضى اللّه في علمه الأزلي الحتم أن القرآن ـ في مسيرته الخالدة ـ سوف يشغل مقاماً عليّاً، مترفعاً عن أن تناله أيدي السفهاء، حكيماً مستحكما قوائمه، لا يتضعضع و لا يتزلزل، يشق طريقه إلى الأمام بسلام[٤].

---

١. مباني و روشهاي تفسير، ص٧٣.

٢. تفسير الميزان، ج١١، ص٤٢٠، الرعد/ ٣٩.

٣. الزخرف/ ٤.

٤. راجع: الطبرسي، مجمع البيان، ج٩، ص٣٩. و الطوسي، التبيان، ج٩، ص١٧٩. و أبا الفتوح الرازي، ج١٠، ص٧٤. و الفخر الرازي، ج٢٧، ص١٩٤.

و كذا قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجيدٌ في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[١] أي هكذا قدر في علمه تعالى المكنون[٢].

و هكذا ذكر الطبرسي و غيره في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[٣] أنه إشارة إلى مقامه الرفيع عند اللّه، و قد جرى في علمه تعالى أنه محفوظ عن مناوشة المناوئين.

قال سيد قطب: «أنه لقرآن كريم: كريم بمصدره، و كريم بذاته، و كريم باتجاهاته. في كتاب مكنون: مصون، و تفسير ذلك في قوله تعالى بعده: لا يمسّه إلاّ المطهرون. فقد زعم المشركون أن الشياطين تنزّلت به، فهذا نفي لهذا الزعم. فالشيطان لا يمسّ هذا الكتاب المكنون في علم اللّه و حفظه، إنما تنزل به الملائكة المطهرون؛ و لذلك قال ـ بعدها ـ: تنزيل من ربّ العالمين، أي لا تنزيل من الشياطين»[٤].

هل يعلم التأويل غير اللّه؟

سؤال أثارته ظاهرة الوقف على ﴿ إِلاَّ اللّهُ﴾ من قوله تعالى: ﴿و ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ﴾ ثم الاستئناف لقوله: ﴿وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا﴾[٥]

و ما ورد في بعض الأحاديث من اختصاص علم التأويل باللّه تعالى، و أنّ

---

١. البروج، ٢٢.

٢. راجع: تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد، ص٢٩. والفخر الرازي، ج٢٣، ص٦٦ و ج٢٨، ص١٥٢.

٣. الواقعة/ ٨٠.

٤. في ظلال القرآن، ج٧، ص٧٠٦. و راجع: المجمع، ج٩، ص٢٢٦.

٥. آل عمران/ ٧.

الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله، و إنما يكلون علمه إلى اللّه سبحانه؛ من ذلك ما ورد في خطبة الأشباح من كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

«فانظر أيّها السائل، فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به واستضِئ بنور هدايته، و ما كلَّفَك الشيطانُ عِلْمَه مما ليس في الكتاب عليك فَرْضُه، و لا في سُنّةِ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و أئمة الهدى أثره، فَكِلْ عِلمَه إلى اللّه سبحانه. فإن ذلك مُنْتَهى حقّ اللّه عليك»

«و اعْلَم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهُمْ عن اقْتِحام السُّدَدِ المضروبة دون الغُيُوب، الإقرارُ بِجُملة ما جَهِلوا تفسيره من الغيب المحجوب. فمدَح اللّه تعالى اعترافَهُم بالعَجْز عن تناوُل ما لَم يُحيطوا به عِلماً، و سَمّى تَرْكَهُم التعمُّق فيما لم يُكَلِّفْهُم البَحثَ عن كُنهه رُسوخاً، فاقتصِرْ على ذلك، و لا تُقدِّر عَظَمة اللّه سبحانه على قَدْر عقلِك فتكونَ من الهالكين»[1]

هذه الخطبة من جلائل الخُطب و أعلاها سنداً، فلا مغمز في صحّة إسنادها، وإنما الكلام في فحوى المراد منها.

و قد أجمع شرّاح النهج[2] على أنّ مراده عليه السلام بهذا الكلام هو الصفات، و أنّ صفاته تعالى إنما يجب التعبّد بها و التوقف فيها دون الولوج في معرفة كنهها؛ إذ لا سبيل إلى معرفة حقيقة الصفات، كما لا سبيل إلى معرفة حقيقة الذات.

حيث قوله عليه السلام : «فما دلّك القرآن من صفته فائتمّ به، و ما كلّفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه».

---

١. الخطبة رقم ٩١ نهج البلاغة. و بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٧٧.

٢. راجع: منهاج البراعة للراوندي، ج ١، ص ٣٨٢. و ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٤٠٤. و ابن ميثم البحراني، ج ٢، ص ٣٣٠، شرح الخطبة. و المنهاج للخوئي، ج ٦، ص ٣١٠.

إذ من وظيفتنا أن نصفه تعالى بما وصف به نفسه فيكلامه: سميع بصير، حكيم عليم، حيّ قيوم... و لم نكلّف الولوج في معرفة حقائق هذه الصفات منسوبةً إلى اللّه تعالى؛ إذ ضربت دون معرفتها السُّدد و الحجب، فلا سبيل إلى بلوغها؛ فيجب التوقف دونها.

إذن فلا مساس لكلامه عليه السلام هنا، مع متشابهات الآيات التي لا ينبغي الجهل بها للراسخين في العلم؛ حيث تحلّيهم بحلية العلم هي التي مكّنتهم من معرفة التنزيل و التأويل جميعاً.

نعم لا نتحاشا القول بأنهم في بدء مجابهتهم للمتشابهات يقفون لديها، وقفة المتأمّل فيها؛ حيث المتشابه متشابه على الجميع على سواء، لولا أنهم بفضل جهودهم في سبيل كشفها و إرجاعها إلى محكمات الآيات صاروا يعرفونها في نهاية المطاف. فعجزهم البادئ كان من فضل رسوخهم في العلم، بأنّ المتشابه كلام صادر ممن صدر عنه المحكم، فزادت رغبتهم في معرفتها بالتأمّل فيها والاستمداد من اللّه في العلم بها، و مَن جدّ في أمرٍ وجده بعون اللّه.

فوجه تناسب استشهاده عليه السلام بهذه الآية بشأن الصفات محضاً، هو العجز البادئ لدى المتشابهات، يُقرّبه الراسخون في أوّل مجابهتهم للمتشابهات، و إن كان الأمر يفترق فينهاية المطاف.

قال ابن أبي الحديد: إن من الناس من وقف على قوله: ﴿إِلاَّ اللَّهُ﴾. و منهم من لم يقف. و هذا القول أقوى من الأوّل؛ لأنه إذا كان لا يعلم تأويل المتشابه إلاّ اللّه لم يكن في إنزاله و مخاطبة المكلّفين به فائدة، بل يكون كخطاب العربي بالزنجيّة، و معلوم أن ذلك عيب قبيح.

و أما موضع ﴿يَقُولُونَ﴾ من الإعراب، فيمكن أن يكون نصباً على أنه حال من الراسخين، و يمكن أن يكون كلاماً مستأنفاً، أي هؤلاء العالمون بالتأويل، يقولون:

آمنّا به.

و قد روي عن ابن عباس أنه تأوّل آية، فقال قائل من الصحابة: ﴿وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّٰهُ﴾ فقال ابن عباس: ﴿وَ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ و أنا من جملة الراسخين.[1]

و نحن قد تكلمنا عن هذه الآية بتفصيل و توضيح، عند الكلام عن متشابهات القرآن، فراجع[2].

هل التفسير توقيف؟

ربما كان بعض السلف يحتشم عن القول في القرآن، خشية أن يكون قولاً على اللّه بغير علم، أو تفسيراً برأيه الممنوع شرعاً. و تبعهم على ذلك بعض الخلف، فأمسكوا عن تفسير القرآن، سوى ما ورد فيه أثر صحيح و نقل صريح.

فقد أخرج الطبري بإسناده إلى أبي معمر، قال: قال أبوبكر: «أيّ أرض تقلّني و أيّ سماء تظلّني إذا قلت في القرآن ما لا أعلم»، و في رواية أُخرى أيضاً عنه: «إذا قلت في القرآن برأيي»[3].

و هذا عند ما سئل عن «الأبّ» في قوله تعالى: ﴿وَ فٰاكِهَةً وَ أَبًّا، مَتٰاعاً لَكُمْ وَلأَنْعٰامِكُمْ﴾[4]، فقد أخرج السيوطي بإسناده إلى إبراهيم التيمي، قال: سئل أبوبكر عن قوله تعالى: ﴿و أبّا﴾، فقال: «أيّ سماء تظلّني و أيّ أرض تقلّني إذا

---

١. شرح النهج لابن أبي الحديد، ج٦، ص٤٠٤ ـ ٤٠٥.

٢. التمهيد، ج٣، ص٣٥ ـ ٤٩.

٣. تفسير الطبري، ج١، ص٢٧.

٤. سورة عبس، ٣١ و ٣٢.

قلت في كتاب اللّه ما لا أعلم»[١].

و هكذا روي عن عمر أنه جعل التكلم في الآية تكلّفاً يجب تركه و إيكاله إلى اللّه، أخرج السيوطي بعدّة أسانيد أن عمر قرأ على المنبر: **﴿فَأَنْبَتْنا فيها حَبّاً و عِنَباً وَ قَضْباً ـ إلى قوله ـ وَ أَبّاً﴾** قال: كل هذا قد عرفناه، فما الأبّ؟ ثم رفض عصاً كانت في يده، فقال: هذا لعمرو اللّه هو التكلّف، فما عليك أن لا تدري ما الأبّ، اتّبعوا مابُيّن لكم هُداه من الكتاب فاعملوا به، و ما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه[٢].

و عن عبيد اللّه بن عمر قال: لقد أدركت فقهاء المدينة، و أنّهم ليعظّمون القول في التفسير، منهم سالم بن عبد اللّه، و القاسم بن محمد، و سعيد بن المسيّب، و نافع. و عن يحيى بن سعيد، قال: سمعت رجلاً يسأل سعيد بن المسيّب عن آية من القرآن، فقال: لا أقول في القرآن شيئاً. و في رواية أخرى: أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال: أنا لا أقول في القرآن شيئاً، و كان لا يتكلم إلاّ في المعلوم من القرآن. قال يزيد: و إذا سألنا سعيداً عن تفسير آية من القرآن، سكت كأن لم يسمع..

و عن ابن سيرين، قال: سألت عبيدة السلماني عن آيةٍ، قال: عليك بالسّداد، فقد ذهب الذين علموا فيمَ أُنزل القرآن.

و جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد اللّه، فسأله عن آية من القرآن، فقال له: أحْرِجْ عليك إن كنت مسلماً، لمّا قمت عنّي، أو قال: أن تجالسني.

و روي عن الشعبي، قال: ثلاث لا أقول فيهنّ حتى أموت: القرآن، و الرّوح، و الرأي، و كان يقول: و اللّه ما من آية إلاّ قد سألت عنها، و لكنها الرواية عن اللّه.

---

١. الدر المنثور، ج٦، ص٣١٧.

٢. المصدر نفسه، والطبري، ج ٣٠، ص٣٨ ـ ٣٩.

و روي عنه أنه قال: أدركتهم ـ أي الأوائل ـ و ما شيء أبغض إليهم أن يُسألوا عنه و لا هم له أهيب، من القرآن. ذكره صاحب كتاب المباني.

و رووا في ذلك بطريق ضعيف عن عائشة، قالت: ما كان النبيّ ﷺ يفسّر شيئا من القرآن إلاّ آياً تُعَدُّ، علّمهنّ إياه جبريل[١]، أي أنه ﷺ لم يكن يفسّر إلا القلائل من الآيات، تلك القلائل أيضاً كان بوحي و توقيف، و لم يكن عن فهمه.

و روي عن إبراهيم، قال: كان أصحابنا يتّقون التفسير و يهابونه.

* * *

قال ابن كثير: فهذه الآثار الصحيحة و ما شاكلها عن أئمة السلف، محمولة على تحرّجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه. فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغةً و شرعاً فلا حرج عليه؛ و لهذا روي عن هؤلاء و غيرهم أقوال في التفسير، و لا منافاة؛ لأنهم تكلموا فيما علموه و سكتوا عما جهلوه. و هذا هو الواجب على كل واحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه؛ لقوله تعالى: ﴿**لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لاٰ تَكْتُمُونَهُ**﴾[٢].

و بعين ذلك ذكر ابن تيميّة في مقدمته[٣].

و قال ابن جرير الطبري: إن معنى «إحجام» مَن أحجم عن القيل في تأويل القرآن و تفسيره من علماء السلف، إنما كان إحجامه عنه حذراً أن لا يبلغ أداء ما كلّف من إصابة صواب القول فيه، لا على أن تأويل ذلك محجوب عن علماء

---

١. الطبري، في التفسير، ج ١، ص ٢٩. و مقدمة كتاب المباني في نظم المعاني، ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

٢. تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٦. و آل عمران / ١٨٧.

٣. مقدمته في أُصول التفسير، ص ٥٥.

الأُمّة، غير موجود بين أظهرهم.[١]

قلت: و الدليل على صحة ذلك أنّ من تحرّج من القول في معاني القرآن من السلف، كانوا هم القلة القليلة من الأصحاب و التابعين، أما الأكثرية الساحقة من علماء الأُمة و نبهاء الصحابة فقد عنوا بتفسير القرآن و تأويله عناية بالغة، كانت الوفرة الوفيرة من رصيدنا اليوم في التفسير.

قال ابن عطيّة: و كان جلّة من السلف كثير عددهم يفسرونه، و هم أبقى على المسلمين في ذلك.

فأما صدر المفسّرينَ و المؤيّد فيهم فعلي بن أبي طالب عليه السلام، و يتلوه عبد اللّه ابن عباس، و هو تجرّد للأمر و كمّله، و تبعه العلماء عليه، كمجاهد، و سعيد بن جبير، و غيرهما. و المحفوظ عنه في ذلك أكثر من المحفوظ عن عليّ بن أبي طالب.

و قال ابن عباس: ما أخذت من تفسير القرآن فعن عليّ بن أبي طالب.

و كان عليّ بن أبي طالب يُثني على تفسير ابن عباس، و يحضّ على الأخذ عنه. و كان عبد اللّه بن مسعود يقول: نعم ترجمان القرآن عبد اللّه بن عباس.

و هو الذي قال فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «اللهمّ فقّهه في الدين»، و حسبك بهذه الدعوة. و قال عنه عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق».

و يتلوه عبد اللّه بن مسعود، و أُبيّ بن كعب، و زيد بن ثابت، و عبد اللّه بن عمرو بن العاص.

---

١. الطبري ـ التفسير ـ ج ١، ص ٣٠.

قال: و كلّ ما أخذ عن الصحابة فحسن متقدم.[١]

* * *

و أما حديث عائشة ـ فضلاً عن تكلم ابن جرير و ابن عطية و غيرهما في تأويله و ضعف سنده ـ فالأرجح في تأويله: أنهصلّی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلّم كان يفسّر لهم القرآن أعداداً فأعداداً، كل فترةٍ عدداً خاصاً حسبما كان جبرئيل يعلّمه عن اللّه ـ جلّ جلاله ـ و لم يكن التعليم فوضى من غير انتظام. و سيوافيك حديث ابن مسعود في ذلك: كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات، لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ.

قال صاحب كتاب المباني: و أما ما روي عن عائشة، فإن ذلك يدل على أنهعليه‌السلام كان يحتاج مع ما أُنزل عليه من القرآن إلى تفسير آيات يعلّمهن إياه جبريلعليه‌السلام و تلك آيات معدودة قد أُجْملت فيها أحكام الشريعة؛ بحيث لا يوقف عليه إلاّ ببيان الرسول عن اللّه تعالى.

و أما ما ذكروه من امتناع من امتنع من القول في التفسير، فإن ذلك بمنزلة من امتنع منهم عن الرواية عن رسول اللّهصلّی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلّم إلاّ فيما لم يجد فيه بدّاً.

و لذلك قلّت روايات رجال من أكابر الصحابة، مثل عثمان و طلحة و الزبير وغيرهم. روى عامر بن عبد اللّه بن الزبير عن أبيه قال: قلت للزبير: ما لي لا أسمعك تحدّث عن رسول اللّه، كما أسمع ابن مسعود و فلاناً و فلاناً؟ فقال: أما إنّي لم أُفارقه منذ أسلمت، و لكنّي سمعت رسول اللّهصلّی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلّم يقول: «من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار».

و قيل لربيعة: إنا لنجد عند غيرك من الحديث ما لا نجد عندك! فقال: ما عندهم شيء إلاّ و قد سمعت منه، و لكني سمعت رجلاً من آل الهدير يقول:

---

١. مقدمة ابن عطية لتفسيره الجامع المحرّر، المطبوعة مع مقدمة المباني، ص٢٦٢ ـ ٢٦٣.

صحبت طلحة و ما سمعته يُحدّث عن رسول اللهﷺ إلاّ حديثاً واحداً.

قال: و هذا عبد اللّه بن عباس، لم يدع آية في القرآن إلاّ و قد ذكر من تفسيرها، على ما روت عنه الرواة؛ و لذلك قيل: ابن عباس ترجمان القرآن.

و روي عن أبي مليكة قال: رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس في تفسير القرآن و معه ألواحه، فيقول ابن عباس: اكتبه، حتى سأله عن التفسير كلّه.

و روي عن سعيد بن جبير أنه قال: من قرأ القرآن و لم يفسّره كان كالأعمى أو كالأعرابي.

و روى مسلم عن مسروق بن الأجدع قال: كان عبد اللّه يقرأ علينا السورة ثمّ يحدّثنا فيها، و يفسّرها عامة النهار.

و عن أبي عبد الرحمان قال: حدّ ثونا الذين كانوا يُقرئوننا: أنهم كانوا يستقرئون من النبيّ، فكانوا إذا تعلّموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا ما فيها من العمل، فيعلموا القرآن والعمل جميعاً.

و عن ابن مسعود: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ.[١]

* * *

و بعد، فقد ذكر الراغب الأصبهاني هنا شرائط يجب توفّرها في المفسّر، حتى لايكون تفسيره تفسيراً بالرأي الممنوع شرعاً و المقبوح عقلاً، نذكره بتفصيله، فإنّ فيه الفائدة المتوخّاة في هذا الباب.

* * *

١. مقدمة كتاب المباني، ص١٩١ ـ ١٩٣.

صلاحية المفسّر

قال الراغب: اختلف الناس في تفسير القرآن، هل يجوزُ لكلّ ذي علم الخوضُ فيه؟ فبعضٌ تشدّد في ذلك، و قال: لايجوز لأحد تفسير شيء من القرآن، و إن كان عالماً أديباً، متّسعاً في معرفة الأدلة والفقه و النحو والأخبار والآثار. و إنما له أن ينتهي إلى ما رُوي عن النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌و‌آله‌وسلم، و عن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة، و الذين أخذوا عنهم من التابعين. و احتجّوا في ذلك بما روي عنه عليه‌السلام: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار»، و قوله: «من فسّر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ». و في خبر: «من قال في القرآن برأيه فقد كفر».

قال: و ذكر آخرون أن من كان ذا أدب وسيع، فموسّع له أن يفسّره، فالعقلاء الأدباء فوضى فَضَاً في معرفة الأغراض. و احتجوا في ذلك بقوله تعالى: **﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾**[1].

و ذكر بعض المحققين أنّ المذهبين هما: الغلوّ و التقصير، فمن اقتصر على المنقول إليه فقد ترك كثيراً مما يحتاج إليه، و من أجاز لكل أحد الخوض فيه فقد عرضه للتخليط، و لم يعتبر حقيقة قوله تعالى: **﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾**.

قال: و الواجب أن يبيّن أوّلاً ما ينطوي عليه القرآن، و ما يحتاج إليه من العلوم، فنقول و باللّه التوفيق:

إن جميع شرائط الإيمان و الإسلام التي دعينا إليها و اشتمل القرآن عليها ضربان: علم غايته الاعتقاد، و هو الإيمان باللّه و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر. و علم غايته العمل، و هو معرفة أحكام الدين و العمل بها.

---

١. ص/ ٢٩.

و العلم مبدأ، و العمل تمام. و لا يتم العلم من دون عمل، و لا يخلص العمل دون العلم؛ و لذلك لم يفرد تعالى أحدهما من الآخر في عامة القرآن، نحو قوله: **﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّه وَ يَعْمَلْ صٰالِحاً﴾**(١)، **﴿وَ مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ﴾**(٢). **﴿أَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ طُوبىٰ لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ﴾**(٣).

و لا يمكن تحصيل هذين (العلم و العمل) إلاّ بعلوم لفظية، وعقلية، و موهبيّة:

فالأول: معرفة الألفاظ، و هو علم اللغة.

والثاني: مناسبة بعض الألفاظ إلى بعض، و هو علم الاشتقاق.

والثالث: معرفة أحكام ما يعرض الألفاظ من الأبنية و التصاريف و الإعراب، و هو النحو..

والرابع: ما يتعلق بذات التنزيل، و هو معرفة القراءات.

والخامس: ما يتعلق بالأسباب التي نزلت عندها الآيات، و شرح الأقاصيص التي تنطوي عليها السور، من ذكر الأنبياء عليهم السلام و القرون الماضية، و هو علم الآثار و الأخبار.

والسادس: ذكر السنن المنقولة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و عمّن شهد الوحي، و ما اتّفقوا عليه و ما اختلفوا فيه، مما هو بيان لمجمل، أو تفسير لمبهم المنبأ عنه بقوله تعالى: **﴿وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّٰاسِ مٰا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾**(٤) و بقوله: **﴿أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ فَبِهُدٰاهُمْ إِقْتَدِهْ﴾**(٥)، و ذلك علم السنن.

---

١. التغابن/ ٩.

٢. غافر/ ٤٠.

٣. الرعد/ ٢٩.

٤. النحل/ ٤٤.

٥. الأنعام/ ٩٠.

والسابع: معرفة الناسخ و المنسوخ، و العموم و الخصوص، و الإجماع والاختلاف، و المجمل و المفسّر، و القياسات الشرعيّة، و المواضع التي يصحّ فيها القياس، و التي لا يصحّ، و هو علم أُصول الفقه.

والثامن: أحكام الدين و آدابه، و آداب السياسات الثلاث التي هي سياسة النفس والأقارب و الرعيّة؛ مع التمسّك بالعدالة فيها، و هو علم الفقه و الزهد.

والتاسع: معرفة الأدلّة العقلية، و البراهين الحقيقية، و التقسيم و التحديد، و الفرق بين المعقولات و المظنونات و غير ذلك، و هو علم الكلام.

و العاشر: و هو علم الموهبة، و ذلك علم يورثه اللّه مَن عمل بما علم. قال أمير المؤمنين عليه السلام: قالت الحكمة: من أرادني فليعمل بأحسن ما علم، ثم تلا **﴿أَلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾**[١]. و روي عنه عليه السلام حيث سئل: هل عندك علم عن النبي لم يقع إلى غيرك؟ قال: «لا، إلاّ كتاب اللّه، و ما في صحيفتي، و فَهْم يؤتيه اللّه من يشاء».

و هذا هو التذكر الذي رجّانا اللّه تعالى إدراكه بفعل الصالحات؛ حيث قال: **﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْاحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبىٰ ـ**إلى قوله ـ **لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[٢]، و هو الهداية المزيدة للمهتدي في قوله: **﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدًىً﴾**[٣]، و هو الطيّب من القول المذكور: **﴿وَ هُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ، وَ هُدُوا إِلىٰ صِراطِ الْحَمِيدِ﴾**[٤].

---

١. الزمر / ١٨.

٢. النحل / ٩٠.

٣. محمد / ١٧.

٤. الحج / ٢٤.

فجملة العلوم التي هي كالآلة للمفسّر، و لاتتمّ صناعته إلاّ بها، هي هذه العشرة: علم اللغة، و الاشتقاق، و النحو، و القراءات، و السير، و الحديث، و أُصول الفقه، وعلم الأحكام، و علم الكلام، و علم الموهبة.

فمن تكاملت فيه هذه العشرة و استعملها، خرج عن كونه مفسّراً للقرآن برأيه. و من نقص عن بعض ذلك ممّا ليس بواجب معرفته في تفسير القرآن، وأحسّ من نفسه في ذلك بنقصه، و استعان بأربابه، و اقتبس منهم، و استضاء بأقوالهم، لم يكن ـ إن شاء اللّه ـ من المفسّرين برأيهم.

و أخيراً قال: و من حقّ مَن تصدّى للتفسير أن يكون مستشعراً لتقوى اللّه، مستعيذاً من شرور نفسه و الإعجاب بها، فالإعجاب أسّ كل فساد. و أن يكون اتّهامه لفهمه أكثر من اتّهامه لفهم أسلافه الذين عاشروا الرسول و شاهدوا التنزيل و باللّه التوفيق[1].

و لقد أحسن و أجاد فيما أفاد، وأدّى الكلام حقّه في بيان الشرائط التي يجب توفّرها في كل مفسّر، حتى يخرج عن كونه مفسّراً برأيه، و بشرط أن يراعي تقوى اللّه، فلا يقول في شيء بغير علم و لا كتاب منير.

* * *

قال جلال الدين السيوطي: و لعلك تستشكل علم الموهبة، و تقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان. و ليس كما ظننت من الإشكال، و الطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل و الزهد. قال الإمام بدر الدين الزركشي: اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، و لا يظهر له أسراره، و في قلبه بدعة أو كبر أو هوىً أو حبّ الدنيا، أو هو مصرّ على ذنب، أو غير متحقّق

---

١. مقدمته في التفسير، ص٩٣ ـ ٩٧.

بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسّر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله و هذه كلها حُجُب و موانع بعضها آكد من البعض. قال السيوطي: و في هذا المعنى قوله تعالى: **﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾**(١). قال سفيان بن عيينة: يقول تعالى: أنزع عنهم فهم القرآن(٢).

قلت: و هكذا قوله تعالى: **﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾**(٣)فلا تتجلّى حقائق القرآن و معارفه الرشيدة إلاّ لمن خلص باطنه و زكت نفسه عن الأدناس و الأرجاس.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ـ في خطبة خطبها بذي قار ـ: «إنّ علم القرآن ليس يعلم ما هو إلاّ من ذاق طعمه، فعلم بالعلم جهله، و بصر به عماه، و سمع به صممه، و أدرك به علم ما فات، وحيي به بعد إذ مات، و أثبت به عند اللّه الحسنات، و محا به السيّئات، و أدرك به رضواناً من اللّه تبارك و تعالى، فاطلبوا ذلك من عند أهله خاصّة»(٤)

و قال ـ في حديث آخر ـ: «إنّ اللّه قسّم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه يعرفه العالم و الجاهل، و قسماً لا يعرفه إلاّ من صفا ذهنه و لطف حسُّه و صحّ تمييزه، ممن شرح اللّه صدره للإسلام، و قسماً لا يعلمه إلاّ اللّه و أمناؤه و الراسخون في العلم»(٥).

---

١. الأعراف/ ١٤٦.

٢. أخرجه ابن أبي حاتم، الإتقان، ج ٤، ص١٨٨.

٣. الواقعة/ ٧٧ ـ ٧٩.

٤. الوسائل، ج١٨، ص١٣٧، رقم ٢٦. عن روضة الكافي، ج٨، ص ٣٩٠ ـ ٣٩١، رقم٥٨٦.

٥. الوسائل، ج١٨، ص١٤٣، رقم ٤٤. عن كتاب الاحتجاج، ج ١، ص٣٧٦.

قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إنْ تَتَّقُوا اللّٰهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً﴾[١]، و قال: ﴿وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللّٰهُ﴾[٢].

أوجُهُ التفسير

أخرج الطبري بعدّة أسانيد إلى ابن عباس، قال: التفسير أربعة أوجه: وجهٌ تعرفه العرب من كلامها، و تفسير لا يُعذَر أحد بجهالته، و تفسير يعلمه العلماء، و تفسير لا يعلمه إلاّ اللّه تعالى[٣].

قال الزركشي ـ في شرح هذا الكلام ـ: و هذا تقسيم صحيح:

فأما الذي تعرفه العرب، فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم؛ و ذلك شأن اللغة و الإعراب.

فأما اللغة، فعلى المفسّر معرفة معانيها، و مسمّيات أسمائها، و لايلزم ذلك القارئ. ثم إن كان ما تتضمّنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم، كفى فيه خبر الواحد و الاثنين، و الاستشهاد بالبيت و البيتين. و إن كان مما يوجب العلم، لم يكفِ ذلك، بل لا بدّ أن يستفيض ذلك اللفظ، و تكثر شواهده من الشعر.

و أما الإعراب، فما كان اختلافه مُحيلا للمعنى،وجب على المفسّر و القارئ تعلّمه، ليتوصّل المفسّر إلى معرفة الحكم و ليسلم القارئ من اللّحن. و إن لم يكن محيلا للمعنى، وجب تعلّمه على القارئ ليسلم من اللحن، و لا يجب على المفسّر؛ لوصوله إلى المقصود دونه، على أن جهله نقص في حقّ الجميع.

إذا تقرّر ذلك، فما كان من التفسير راجعاً إلى هذا القسم، فسبيل المفسّر

---

١. الأنفال/ ٢٩.

٢. البقرة/ ٢٨٢.

٣. تفسير الطبري، ج١، ص٢٦.

التوقّف فيه على ما ورد في لسان العرب، و ليس لغير العالم بحقائق اللغة و مفاهيمها تفسير شيء من الكتاب العزيز، و لا يكفي في حقّه تعلّم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً، و هو يعلم أحد المعنيين.

* * *

الثاني: ما لا يعذر أحد بجهله، و هو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمّنة شرائع الأحكام و دلائل التوحيد. و كل لفظ أفاد معنىً واحداً جليّاً لا سواه، يعلم أنه مراد اللّه تعالى.

فهذا القسم لا يختلف حكمه، ولا يلتبس تأويله؛ إذ كل أحد يُدرك معنى التوحيد، من قوله تعالى: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ﴾**[١] و أنه لا شريك له في إلٰهيّته، و إن لم يعلم أنّ «لا» موضوعة في اللغة للنفي و «إلاّ» للإثبات، و أنّ مقتضى هذه الكلمة الحصر. و يعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى قوله تعالى: **﴿وَ أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ آتُوا الزَّكٰاةَ﴾**[٢] و نحوها من الأوامر، طلب إدخال ماهية المأمور به في الوجود، و إن لم يعلم أن صيغة «أفعل» مقتضاها الترجيح وجوباً أو ندباً. فما كان من هذا القسم لا يقدر أحد أن يدّعي الجهل بمعاني ألفاظه؛ لأنها معلومة لكل أحد بالضرورة.

الثالث: ما لا يعلمه إلاّ اللّه تعالى، فهو يجري مجرى الغيوب، نحو الآي المتضمنة قيام الساعة، و نزول الغيث، و ما في الأرحام، و تفسير الروح، و الحروف المقطّعة.

و كل متشابه في القرآن عند أهل الحق، فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره،

---

١. محمد/ ١٩.

٢. البقرة/ ٤٣.

و لاطريق إلى ذلك إلاّ بالتوقيف، من أحد ثلاثة أوجه:

إما نصّ من التنزيل، أو بيان من النبيّ ﷺ، أو إجماع الأُمّة على تأويله.

فإذا لم يرد فيه توقيف من هذه الجهات، علمنا أنه مما استأثر اللّه تعالى بعلمه.

قلت: و هذا إنّما يصدق بشأن الحروف المقطّعة، فإنها رموز بين اللّه و رسوله، لا يعلم تأويلها إلاّ اللّه و الرسول، و من علّمه الرسول بالخصوص.

* * *

والرابع: ما يرجع إلى اجتهاد العلماء، و هو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل، و هو صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه. فالمفسّر ناقل، و المؤوِّل مستنبط؛ و ذلك استنباط الأحكام، و بيان المجمل، و تخصيص العموم.

و كل لفظ احتمل معنيين فصاعداً، فهو الذي لايجوز لغير العلماء الاجتهادُ فيه؛ و على العلماء اعتمادُ الشواهد و الدلائل، و ليس لهم أن يعتمدوا مجرَّدَ رأيهم فيه.

ثم أخذ في بيان كيفية الاجتهاد و استنباط الأحكام من ظواهر القرآن، عند اختلاف اللفظ أو تعارض ظاهرَين، بحمل الظاهر على الأظهر، و ترجيح أحد معنيي المشترك، و ما إلى ذلك مما يرجع إلى قواعد (علم الأُصول).

ثُمَّ قال: فهذا أصل نافع معتبر في وجوه التفسير في اللفظ المحتمل، و اللّه العالم.

* * *

و أخيراً قال: إذا تقرّر ذلك فينزّل قوله ﷺ: «من تكلّم في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار» على قسمين من هذه الأربعة: أحدهما: تفسير اللفظ؛ لاحتياج المفسر له إلى التبحّر في معرفة لسان العرب، الثاني: حمل اللفظ المحتمل

على أحد معنييه؛ لاحتياج ذلك إلى معرفة أنواع من العلوم:

علم العربية و اللغة و التبحّر فيهما.

و من علم الأصول ما يُدرك به حدود الأشياء، و صيغُ الأمر و النهي، و الخبر، والمجمل و المبيّن، و العموم و الخصوص، و الظاهر و المضمر، و المحكم و المتشابه، و المؤوّل، و الحقيقة و المجاز، و الصريح و الكناية، و المطلق و المقيّد.

و من علوم الفروع ما يدرك به استنباطاً، و الاستدلال على هذا أقلّ ما يحتاج إليه، و مع ذلك فهو على خطر. فعليه أن يقول: يحتمل كذا، و لا يجزم إلا في حكم اضطرّ إلى الفتوى به[١].

التفسير بالرأي

و أما الذي هابه أهل الظاهر، و زعموا من التكلّم في معاني القرآن تفسيراً بالرأي، فيجب الاحتراز منه؛ فهو مما اشتبه عليهم أمره، و لم يُمعنوا النظر في فحواه إمعاناً.

و لا بدّ أن نذكر نصّ الحديث أوّلاً، ثم النظر في محتواه:[٢]

١ـ روى أبو جعفر الصدوق بإسناده عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله ـ جلّ جلاله ـ: «ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي»[٣].

٢ـ و أيضاً روي عنه عليه السلام قال ـ لمدّعي التناقض في القرآن ـ: «إيّاك أن تفسّر

---

١. البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٦٤ ـ ١٦٨.

٢. ممّا أورده العلامة المجلسي في بحار الأنوار، كتاب القرآن، باب/١٠، ج ٨٩، ص ١٠٧ ـ ١١٢، (ط بيروت).

٣. الأمالي للصدوق (ط نجف)، ص ٦، المجلس الثاني.

القرآن برأيك، حتى تفقهه عن العلماء. فإنه ربّ تنزيل يشبه بكلام البشر، و هو كلام اللّه، و تأويله لا يشبه كلام البشر»[١].

٣ـ و أيضاً عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال لعلي بن محمد بن الجهم: «لا تُؤوّل كتاب اللّه ـ عزّ و جلّ ـ برأيك، فإنّ اللّه ـ عزّ و جلّ ـ يقول: **﴿وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّٰهُ وَ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾**[٢].

٤ـ و روى أبو النضر محمد بن مسعود العياشي بإسناده عن الإمام أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام قال: «من فسّر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر، و إن أخطأ كان إثمه عليه»، و في رواية أُخرى: «و إن أخطأ فهو أبعد من السماء»[٣].

٥ـ و روى الشهيد السعيد زين الدين العاملي، مرفوعاً إلى النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار»، و قال: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد اخطأ»، و قال: «من قال في القرآن بغير ما علم، جاء يوم القيامة مُلجَماً بلجام من نار»، و قال: «أكثر ما أخاف على أُمّتي من بعدي، رجل يناول القرآن، يضعه على غير مواضعه»[٤].

* * *

و أخرج أبوجعفر محمد بن جرير الطبري بإسناده عن ابن عباس عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: «من قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار».

و في رواية أُخرى: «من قال في القرآن برأيه أو بما لايعلم...».

---

١. كتاب التوحيد، للصدوق، باب٣٦، الردّ على الثنوية و الزنادقة، ص٢٦٤، (ط بيروت).

٢. عيون الأخبار، للصدوق، (ط نجف) ج ١، ص١٥٣، باب ١٤، ج ١، آل عِمران/ ٧.

٣. مقدمة تفسير العياشي، ج ١، ص١٧، رقم ٢ و ٤.

٤. بحار الأنوار، ج٨٩، ص١١١ ـ ١١٢، رقم ٢٠ عن آداب المتعلمين، للشهيد، ص٢١٦ ـ ٢١٧.

و أيضاً عنه: «من قال في القرآن بِغَيْر علم فَليتبوّأ مقعده من النار».

و أيضاً: «من تكلَّم في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار».

و بإسناده عن جندب عنه ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[١].

* * *

و خصّ الطبري هذه الأحاديث بالآي التي لا سبيل إلى العلم بتأويلها إلاّ ببيان الرسول ﷺ، مثل تأويل ما فيه من وجوه أمره: واجبه و ندبه و إرشاده، و صنوف نهيه، و وظائف حقوقه و حدوده، و مبالغ فرائضه، و مقادير اللازم بعض خلقه لبعض، و ما أشبه ذلك من أحكام آيه التي لم يدرك علمها إلاّ ببيان الرسول لأمّته، و هذا وجه لايجوز لأحد القول فيه إلاّ ببيان الرسول له بتأويله، بنصّ منه عليه، أو بدلالة نصبها دالّة أمّته على تأويله.

قال: و هذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا: من أنّ ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلاّ بنص بيان الرسول أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه و إن أصاب الحق فيه فمخطئ فيما كان من فعله، بقيله فيه برأيه؛ لأن إصابته ليست إصابة موقن أنه مُحقّ، و إنما هو إصابة خارص و ظانّ، و القائل في دين اللّه بالظنّ قائل على اللّه ما لم يعلم؛ لأن قيله فيه برأيه ليس بقيل عالم، أن الذي قال فيه من قول حق و صواب، فهو قائل على اللّه ما لا يعلم، آثم بفعله ما قد نهىٰ عنه و حظر عليه.[٢]

* * *

---

١. تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٧.

٢. تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٥ ـ ٢٦ و ٢٧.

قلت: و هذا يعني العمومات الواردة في القرآن، الوارد تخصيصاتها في السنّة ببيان الرسول، مثل قوله: ﴿**أقيموا الصلاة**﴾ و ﴿**آتوا الزكاة**﴾ و ﴿**للّه على الناس حجّ البيت**﴾ و نحو ذلك مما ورد في القرآن عامّاً، و أوكل بيان تفاصيلها و شرائطها و أحكامها إلى بيان رسول اللّه ﷺ فلا يجوز شرح تفاصيلها إلاّ عن أثر صحيح. و هذا حق، غير أنّ حديث المنع غير ناظر إلى خصوص ذلك.

* * *

و روى الترمذي بإسناده إلى ابن عباس عن النبيّ ﷺ قال: «اتّقوا الحديث عَلَيَّ إلاّ ما علمتم، فمن كذب عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار، و من قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار»[1].

قال ابن الأنباري: فُسّر حديث ابن عباس تفسيرين:

أحدهما: من قال في مشكل القرآن بما لايعرف من مذهب الأوائل من الصحابة و التابعين، فهو متعرّض لسخط اللّه.

و الآخر: ـ و هو أثبت القولين و أصحهما معنىً ـ من قال في القرآن قولاً يعلم أنّ الحق غيره، فليتبوّأ مقعده من النار.

و قال: و أما حديث جُندَب عن رسول اللّه ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[2]، فحمل بعض أهل العلم هذا الحديث على أنّ الرأي معنيّ به الهوى. من قال في القرآن قولاً يوافق هواه، لم يأخذه عن أئمّة السلف، فأصاب فقد أخطأ، لحُكمه على القرآن بما لايعرف أصله، و لا يقف على مذاهب أهل

---

١. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن. الجامع، ج ٥، ص ١٩٩، كتاب التفسير، باب ١، رقم ٢٩٥١.

٢. جامع الترمذي، ج ٥، ص ٢٠٠، رقم ٢٩٥٢.

الأثر و النقل فيه.

و قال ابن عطيّة: «و معنى هذا أن يُسأَل الرجل عن معنىً في كتاب اللّه عزّوجلّ، فيتسوّر عليه برأيه[1] دون نظر فيما قال العلماء، و اقتضته قوانين العلم كالنحو و الأصول. و ليس يدخل في هذا الحديث، أن يفسّر اللغويّون لغته، والنحويّون نحوه، و الفقهاء معانيه، و يقول كل واحد باجتهاده المبنيّ على قوانين علم و نظر، فإنّ القائل على هذه الصّفة ليس قائلاً بمجرّد رأيه».

قال القرطبي ـ تعقيباً على هذا الكلام ـ: هذا صحيح، و هوالذي اختاره غير واحد من العلماء، فإنّ من قال في القرآن بما سنح في وهمه و خطر على باله من غير استدلال عليه بالأُصول فهو مُخطئ، و إنّ من استنبط معناه بحمله على الأُصول المحكمة المتّفق على معناها، فهو ممدوح.

و قال بعض العلماء: إنّ التفسير موقوف على السماع، للأمر بردّه إلى اللّه و الرسول[2].

قال: و هذا فاسد؛ لانّ النهي عن تفسير القرآن لايخلو: إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل و السماع و ترك الاستنباط، أو المراد به أمراً آخر. و باطلٌ أن يكون المراد به أن لا يتكلّم أحدٌ في القرآن إلاّ بما سمعه، فإنّ الصحابة قد قرأوا القرآن و اختلفوا في تفسيره على وجوه، و ليس كل ما قالوه سمعوه من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، و قد دعا لابن عباس: «اللهمّ فقّهه في الدين و علّمه التأويل». فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل، فما فائدة تخصيصه بذلك، و هذا بيّن لا إشكال فيه.

---

١. تسوّر الحائط: هجم عليه هجوم اللّص و تسلّقه. و يعني به هنا: التهجم والإقدام بغير بصيرة و لا وعي.

٢. في الآية رقم ٥٩ من سورة النساء.

و إنّما النهي يُحمل على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي، و إليه ميل من طبعه و هواه، فيتأوّل القرآن على وَفْق رأيه و هواه، ليحتجّ على تصحيح غرضه. و لو لم يكن له ذلك الرأي و الهوى؛ لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى.

و هذا النوع يكون تارةً مع العلم، كالذي يحتجّ ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته، و هو يعلم أن ليس المراد بالآية ذلك، و لكن مقصوده أن يلبّس على خصمه.

و تارةً يكون مع الجهل؛ و ذلك إذا كانت الآية محتملة، فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه، و يرجّح ذلك الجانب برأيه و هواه، فيكون قد فسّر برأيه، أي رأيُه حَمَله على ذلك التفسير، و لولا رأيه لما كان يترجّح عنده ذلك الوجه.

و تارةً يكون له غرض صحيح، فيطلب له دليلاً من القرآن، و يستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به، كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي، فيقول: قال اللّه تعالى: **﴿إذْهَبْ اِلَى فِرْعَوْنَ إنَّه طَغىٰ﴾**[1] و يشير إلى قلبه، و يومئ إلى أنه المراد بفرعون. و هذا الجنس قد يستعمله بعض الوعّاظ في المقاصد الصحيحة، تحسيناً للكلام و ترغيباً للمستمع، و هو ممنوع لأنه قياس في اللّغة، و ذلك غير جائز. و قد تستعمله الباطنية[2] في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس و دعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة، فينزّلون القرآن على وَفْق رأيهم و مذهبهم، على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة.

فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي.

---

١. سورة طه/ ٢٤.

٢. من أهل التصوّف.

الوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربيّة، من غير استظهار بالسماع و النقل، فيما يتعلق بغرائب القرآن، و ما فيه من الألفاظ المبهمة و المبدلة، و ما فيه من الاختصار والحذف والإضمار و التقديم و التأخير. فمن لم يُحكم ظاهر التفسير، و بادر إلى استنباط المعاني بمجرّد فهم العربية كثر غلطه، و دخل في زمرة مَن فسّر القرآن بالرأي. والنقل و السماع لا بدّ له منهما في ظاهر التفسير، أوّلاً ليتّقي بهما مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتّسع الفهم و الاستنباط. و الغرائب التي لا تفهم إلاّ بالسماع كثيرة، و لا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿**وَ آتَيْنا ثَمُودَ النّاقَةَ مُبْصِرَةً فظَلَمُوا بِها**﴾[1] معناه: آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها. فالناظر إلى الظاهر يظنّ أن الناقة كانت مبصرة، فهذا في الحذف و الإضمار، و أمثاله في القرآن كثير[2].

* * *

و هذا الذي ذكره القرطبي و شرحه شرحاً وافياً، هو الصحيح في معنى الحديث، و أكثر العلماء عليه، بل و في لحن الروايات الواردة عن الرسول ﷺ ما يؤيد إرادة هذا المعنى، نظراً للإضافة في «رأيه»، أي رأيه الخاص، يحاول توجيهه بما يمكن من ظواهر القرآن حتى و لو استلزم تحريفاً في كلامه تعالى. فهذا لا يهمّه القرآن، إنما يهمّه تبرير موقفه الخاص باتخاذ هذا الرأي الذي يحاول إثباته بأيّة وسيلة ممكنة. فهذا في الأكثر مُفترٍ على اللّه، مجادل في آيات اللّه.

فقد روى أبوجعفر محمد بن عليّ بن بابويه الصدوق بإسناده إلى سعيد بن المسيب عن عبد الرحمان بن سمرة، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لعن اللّه

---

١. الإسراء/ ٥٩.

٢. راجع: تفسير القرطبي، ج ١، ص ٣٢ ـ ٣٤.

المجادلين في دين اللّه على لسان سبعين نبيّاً، و من جادل في آيات اللّه فقد كفر، و من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على اللّه الكذب، و من أفتى الناس بغير علم فلعنته ملائكة السماوات والأرض، و كل بدعة ضلالة، و كل ضلالة سبيلها إلى النار...»[١].

و روى ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني بإسناده إلى الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «ما علمتم فقولوا، و ما لم تعلموا فقولوا: اللّه أعلم. إنّ الرجل لينتزع بالآية فيخرّ بها أبعد ما بين السماء و الأرض»[٢]

و كذا إذا استبدّ برأيه ولم يهتمّ بأقوال السلف و المأثور من أحاديث كبار الأئمّة و العلماء من أهل البيت عليهم السلام. و كذا سائر المراجع التفسيرية المعهودة، فإن من استبدّ برأيه هلك، و من ثمّ فإنه إن أصاب أحياناً فقد أخطأ الطريق، و لم يؤجر.

روى أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش بإسناده إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «من فسّر القرآن برأيه، إن أصاب لم يؤجر، و إن أخطأ فهو أبعد من السماء»[٣]، إلى غيرها من أحاديث يُستشف منها أن السرّ في منع التفسير بالرأي أمران:

أحدهما: التفسير لغرض المراء و الغلبة و الجدال. و هذا إنما يعمد إلى دعم نظرته و تحكيم رأيه الخاص، بما يجده من آيات متشابهة صالحة للتأويل إلى

---

١. كمال الدين للصدوق، ج ١، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧، ب ٢٤، رقم ١. و عبد الرحمان بن سمرة بن حبيب العبشمي صحابي جليل، أسلم يوم الفتح و شهد غزوة تبوك مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثم شهد فتوح العراق، و هو الذي افتتح سجستان و غيرها في خلافة عثمان. ثم نزل البصرة و كان يحدّث بها. روى عنه خلق كثير من التابعين. تُوفّي سنة (٥٠). (الإصابة، ج ٢، ص ٤٠١، رقم ٥١٣٤).

٢. الكافي الشريف، ج ١، (الأصول)، ص ٢٤، رقم ٤.

٣. تفسير العياشي، ج ١، ص ١٧، رقم ٤.

مطلوبه، إن صحيحاً أو فاسداً، غير أن الآية لا تهدف ذلك لولا الالتواء بها في ذلك الاتجاه؛ و لذلك فإنه حتى لو أصاب في المعنى لم يؤجر؛ لأنه لم يقصد تفسير القرآن، و إنما استهدف نصرة مذهبه أيّاً كانت الوسيلة.

و هذا ناظر في الأكثر إلى الآيات المتشابهة لغرض تأويلها، فالنهي إنما عنى التأويل غير المستند إلى دليل قاطع **﴿فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ﴾**[١].

ثانيهما: التفسير من غير استناد إلى أصل ركين، اعتماداً على ظاهر التعبير محضاً، فإن هذا هو من القول بلا علم، و هو ممقوت لا محالة، و لا سيما في مثل كتاب اللّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه. و من ثمّ فإنّه أيضاً غير مأجور على عمله حتى و لو أصاب المعنى؛ لأنه أورد أمراً خطيراً من غير مورده، و الأكثر الغالب في مثله الخطأ و الضلال، و افتراء على اللّه، و هو عظيم.

و قد أسلفنا كلام الراغب و شرحه بهذا الشأن[٢]، و كذا ما ذكره الزركشي في هذا الباب[٣]، و قد كان كلامهما وافياً بجوانب الموضوع، لم يختلف عما ذكرناه هنا، فراجع.

* * *

و لكن نقل جلال الدين السيوطي عن ابن النقيب محمد بن سليمان البلخي[٤]. في مقدمة تفسيره:

---

١. آل عمران/ ٧.

٢. ص٤٩. و راجع: مقدمته في التفسير، ص٩٣.

٣. ص٥٤. و راجع: البرهان، ج ٢، ص١٦٤ ـ ١٦٨.

٤. توفي سنة ٦٩٨.

أن جملة ما تحصّل في معنى الحديث خمسة أقوال:

أحدها: التفسير من غير حصول العلوم، التي يجوز معها التفسير.

ثانيها: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلاّ اللّه.

ثالثها: التفسير المُقرِّر للمذهب الفاسد، بأن يجعل المذهب أصلاً و التفسير تابعاً، فيردّ إليه بأيّ طريق أمكن، و إن كان ضعيفاً.

رابعها: التفسير بأنّ مراد اللّه كذا على القطع من غير دليل.

خامسها: التفسير بالاستحسان و الهوى.[١]

قلت: و يمكن إرجاع هذه الوجوه الخمسة إلى نفس الوجهين اللّذين ذكرناهما؛ إذ الخامس يرجع إلى الثالث، و الرابع و الثاني يرجعان إلى الأول، فتدبّر.

* * *

خلاصة القول في التفسير بالرأي

يتلخص القول في تفسير حديث «من فسّر القرآن برأيه...»: أن الشيء المذموم أو الممنوع شرعاً، الذي استهدفه هذا الحديث، أمران:

أحدهما: أن يعمد قوم إلى آية قرآنية، فيحاولوا تطبيقها على ما قصدوه من رأي أو عقيدة، أو مذهب أو مسلك، تبريراً لما اختاروه في هذا السبيل، أو تمويهاً على العامة في تحميل مذاهبهم أو عقائدهم، تعبيراً على البسطاء الضعفاء.

و هذا قد جعل القرآن وسيلة لإنجاح مقصوده بالذات، و لم يهدف تفسير القرآن في شيء. و هذا هو الذي عُنِيَ بقوله عليه السلام: **فقد خرّ بوجهه أبعد من السماء، أو فليتبوّأ مقعده من النار.**

---

١. الإتقان في علوم القرآن، ج ٤، ص ١٩١.

و ثانيهما: الاستبداد بالرأي في تفسير القرآن، محايداً طريقة العقلاء في فهم معاني الكلام، و لا سيما كلامه تعالى. فإنّ للوصول إلى مراده تعالى من كلامه وسائل و طرقاً، منها: مراجعة كلام السلف، و الوقوف على الآثار الواردة حول الآيات، و ملاحظة أسباب النزول، و غير ذلك من شرائط يجب توفّرها في مفسّر القرآن الكريم. فإغفال ذلك كله، و الاعتماد على الفهم الخاص، مخالف لطريقة السلف و الخلف في هذا الباب. و من استبد برأيه هلك، و من قال على اللّه بغير علم فقد ضلّ سواء السبيل، و من ثم فإنه قد أخطأ و إن أصاب الواقع ـ فرضاً أو صدفةً ـ لأنه أخطأ الطريق، و سلك غير مسلكه المستقيم.

* * *

قال سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي ـ دام ظله ـ: إن الأخذ بظاهر اللفظ، مستنداً إلى قواعد و أصول يتداولها العرف في محاوراتهم، ليس من التفسير بالرأي، و إنما هو تفسير بحسب ما يفهمه العرف، و بحسب ما تدل عليه القرائن المتصلة و المنفصلة، و إلى ذلك أشار الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بقوله: «إنما هلك الناس في المتشابه؛ لأنهم لم يقفوا على معناه، و لم يعرفوا حقيقته، فوضعوا له تأويلاً من عند أنفسهم بآرائهم، و استغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء فيعرّفونهم».

قال: و يحتمل أن معنى التفسير بالرأي، الاستقلال في الفتوى من غير مراجعة الأئمّة عليهم السلام مع أنهم قرناءُ الكتاب في وجوب التمسّك، و لزوم الانتهاء إليهم. فإذا عمل الإنسان بالعموم أو الإطلاق الوارد في الكتاب، و لم يأخذ التخصيص أو التقييد الوارد عن الأئمّة عليهم السلام كان هذا من التفسير بالرأي.

و على الجملة، حمل اللفظ على ظاهره بعد الفحص عن القرائن المتصلة و المنفصلة، من الكتاب و السنّة أو الدليل العقلي، لا يُعدّ من التفسير بالرأي، بل و

لا من التفسير نفسه[١].

قلت: و عبارته الأخيرة إشارة إلى أن الأخذ بظاهر اللفظ، مستنداً إلى دليل الوضع أو العموم أو الإطلاق، أو قرائن حالية أو مقالية و نحو ذلك، لا يكون تفسيراً؛ إذ لا تعقيد في اللفظ حتى يكون حلّه تفسيراً، و إنما هو جري على المتعارف المعهود، في متفاهم الأعراف.

إذ قد عرفت أن التفسير، هو: كشف القناع عن اللفظ المشكل، و لا إشكال حيث وجود أصالة الحقيقة أو أصالة الإطلاق أو العموم، أو غيرها من أُصول لفظية معهودة.

نعم إذا وقع هناك إشكال في اللفظ؛ بحيث أبهم المعنى إبهاماً، و ذلك لأسباب و عوامل قد تدعو إبهاماً أو إجمالاً في لفظ القرآن، فيخفى المراد خفاءً في ظاهر التعبير، فعند ذلك تقع الحاجة إلى التفسير و رفع هذا التعقيد.

و التفسير ـ في هكذا موارد ـ لا يمكن بمجرد اللجوء إلى تلكم الأُصول المقررة لكشف مرادات المتكلمين حسب المتعارف؛ إذ له طرق و وسائل خاصة غير ما يتعارفه العقلاء في فهم معاني الكلام العادي، على ما يأتي في كلام السيد الطباطبائي.

و التفسير بالرأي المذموم عقلاً و الممنوع شرعاً، إنما يعني هكذا موارد متشابهة أو متوغّلة في الإبهام، فلا رابط ـ ظاهراً ـ لما ذكره سيدنا الأستاذ، مع موضوع البحث، و عبارته الأخيرة ربما تشي بذلك.

* * *

و قال سيدنا العلامة الطباطبائي: «الإضافة ـ في قوله: برأيه ـ تفيد معنى

---

١. البيان، ص٢٨٧ ـ ٢٨٨.

الاختصاص و الانفراد و الاستقلال، بأن يستقل المفسّر في تفسير القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي، فيقيس كلامه تعالى بكلام الناس، فإن قطعة من الكلام من أيّ متكلم إذا ورد علينا، لم نلبث دون أن نعمل فيه القواعد المعمولة في كشف المراد الكلامي، و نحكم بذلك أنه أراد كذا، كما نجري عليه في الأقارير و الشهادات و غيرهما. كل ذلك لكون بياننا مبنيّاً على ما نعلمه من اللغة، و نعهده من مصاديق الكلمات، حقيقة و مجازاً.

و البيان القرآني غير جارٍ هذا المجرى، بل هو كلام موصول بعضها ببعض، في حين أنه مفصول، ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض، كما قاله علي عليه السلام.

فلا يكفي ما يتحصّل من آية واحدة بإعمال القواعد المقررة، دون أن يتعاهد جميع الآيات المناسبة لها، و يجتهد في التدبّر فيها.

فالتفسير بالرأي المنهيّ عنه أمر راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف. فالنهي إنما هو عن تفهّم كلامه تعالى على نحو ما يتفهّم به كلام غيره، حتى ولو صادف الواقع؛ إذ على فرض الإصابة يكون الخطأ في الطريق.

قال: و يؤيّد هذا المعنى، ما كان عليه الأمر في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فإن القرآن لم يكن مؤلّفاً بعدُ، و لم يكن منه إلاّ سور أو آيات متفرقة في أيدي الناس، فكان في تفسير كلّ قطعة قطعة منه خطر الوقوع في خلاف المراد.

قال: و المحصّل أن المنهي عنه إنما هو الاستقلال في تفسير القرآن، و اعتماد المفسّر على نفسه من غير رجوع إلى غيره، و لازمه وجوب الاستمداد من الغير بالرجوع إليه.

قال: و هذا الغير ـ لا محالة ـ إما هو الكتاب أو السنّة. و كونه هي السنّة، ينافي كون القرآن هو المرجع في تبيان كل شيء، و كذا السنّة الآمرة بالرجوع إلى القرآن

عند التباس الأُمور، و عرض الحديث عليه لتمييز صحيحه عن سقيمه، فلم يبق للمراجعة و الاستمداد في تفسير القرآن سوى نفس القرآن. فإن القرآن يفسر بعضه بعضاً، و ينطق بعضُه ببعض، و يشهد بعضُه على بعض[١].

* * *

و هذا الذي ذكره سيدنا العلامة ـ هنا ـ تحقيق عريق بشأن طريقة فهم معاني كلامه تعالى.

قال ـ في مقدمة التفسير ـ:

إنّ الاتّكاء و الاعتماد على الأنس و العادة في فهم معاني الآيات، يشوّش على الفاهم سبيله إلى إدراك مقاصد القرآن؛ إذ كلامه تعالى ناشئ من ذاته المقدسة، التي لا مثيل لها و لا نظير **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾**،[٢]**﴿ لاٰ تُدْرِكُهُ الْأَبْصٰارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصٰارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾**[٣]، **﴿سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا يَصِفُونَ﴾**.[٤]

و هذا هو الذي دعا بالنابهين أن لا يقتصروا على الفهم المتعارف لمعاني الآيات الكريمة، و أجازوا لأنفسهم الاعتماد ـ لإدراك حقائق القرآن ـ على البحث والنظر و الاجتهاد.

و ذلك على وجهين: إما بحثاً علميّاً أو فلسفياً أو غيرهما، للوصول إلى مراده تعالى في آية من الآيات؛ و ذلك بعرض الآية على ما توصل إليه العلم أو الفلسفة من نظريات أو فرضيات مقطوع بها، و ربما المظنون منها ظنّاً راجحاً، و هذه

---

١. تفسير الميزان، ج٣، ص٧٧ ـ ٧٩، و راجع: ج١، ص١٠ أيضاً.

٢. الشورى/ ١١.

٣. الأنعام/ ١٠٣.

٤. الصّافّات/ ١٥٩.

طريقة يرفضها ملامح القرآن الكريم.

و إمّا بمراجعة ذات القرآن، و استيضاح فحوى آية من نظيرتها، و بالتدبّر في نفس القرآن الكريم؛ فإن القرآن ينطق بعضُه ببعض، و يشهد بعضُه على بعض، كما قال عليّ عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[1]، و حاشا القرآن أن يكون تبياناً لكلّ شيء و لا يكون تبياناً لنفسه، و قد نزل القرآن ليكون هدىً للناس و نوراً مبيناً و بيّنة و فرقاناً، فكيف لا يكون هادياً للناس إلى معالمه و مرشداً لهم على دلائله؟! و قد قال تعالى: ﴿وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾[2]، و أيّ جهاد أعظم من بذل الجهد في سبيل فهم كتاب اللّه، و استنباط معانيه و استخراج لآلئه. نعم، القرآن هو أهدى سبيل إلى نفسه، لا شيء أهدى منه إليه.

و هذه هي الطريقة التي سلكها النبي و عترته الأطهار ـ صلوات اللّه عليهم ـ في تفسير القرآن و الكشف عن حقائقه ـ على ما وصل إلينا من دلائلهم في التفسير ـ و لا يوجد مورد واحد استعانوا لفهم آية، على حجة نظريّه عقلية أو فرضيّة علمية، و نحو ذلك[3].

* * *

و توضيحاً لما أفاده سيدنا العلاّمة في هذا المجال، نعرض ما يلي:

كان للبيان القرآني أُسلوبه الخاص في التعبير و الأداء، ممتازاً على سائر الأساليب، و مختلفاً عن سائر البيان؛ مما يبدو طبيعيّاً، شأن كل صاحب فنّ جديد

---

١. النحل/ ٨٩.

٢. العنكبوت/ ٦٩.

٣. الميزان، ج ١، ص ٩ ـ ١٠.

كان قد أتى بشيء جديد.

و من ثمّ كان للقرآن لغته الخاصّة به، و لسانه الذي يتكلّم به، و لهجته التي يلهج بها، ممتازةً عن سائر اللهجات.

نعم، إنّ للقرآن مصطلحات في تعابيره عن مقاصده و مراميه، كانت تخصّه، ولا تُعرف مصطلحاته إلاّ من قبل نفسه، شأن كل صاحب اصطلاح.

و من المعلوم أنّ الوقوف على مصطلحات أيّ فنّ من الفنون، لا يمكن بالرجوع إلى اللغة و قواعدها، و لا إلى الأُصول المقرّرة لفهم الكلام في الأعراف؛ لأنها أعراف عامّة، و هذا عرف خاص. فمن رام الوقوف على مصطلحات علم النحو ـ مثلاً ـ فلا بد من الرجوع إلى النحاة أنفسهم لا غيرهم، و هكذا سائر العلوم والفنون من ذوي المصطلحات.

و من ثَمَّ فإن القرآن هو الذي يُفسّر بعضُه بعضاً، و يَنْطِقُ بعضُه ببعضٍ، و يَشْهَدُ بعضُه على بعضٍ.

* * *

نعم يختص ذلك بالتعابير ذوات الاصطلاح، و ليس في مطلق تعابيره التي جاءت وَفق العرف العامّ.

و بعبارة أخرى: ليس كل تعابير القرآن مما لا يُفهم إلاّ من قِبَله، إنّما تلك التعابير التي جاءت وَفق مصطلحه الخاصّ، و كانت تحمل معاني غير معاني سائر الكلام. أمّا التي جاءت وَفق اللغة أو العرف العام، فطريق فهمها هي اللغة والأُصول المقررة عرفيّاً لفهم الكلام.

و بعبارة ثالثة: الحاجة إلى عرفان مصطلحات القرآن، إنّما تكون في موارد التفسير؛ حيث الغموض و الإبهام في ظاهر التعبير، دون ترجمة الألفاظ والكلمات، و إدراك مفاهيم الكلام وَفق الأعراف العامّة، مما يعود إلى البحث عن

حجيّة الظواهر، فإنّها حجّة بلا كلام، سواء في القرآن أم في غيره، سواء بسواء.

و هذا غير المبحوث عنه هنا، حيث خفاء المراد وراء ستار اللفظ، المعبّر عنه بالبطن المختفي خلف الظهر. فالظهر لعامة الناس حيث متفاهمهم، و يكون حجّة لهم و مستنداً يستندون إليه في التكليف، أمّا البطن فللخاصّة ممن يتعمقون في خفايا الأسرار، و يستخرجون الخبايا من وراء الستار.

و من ثم كان المطلوب من الأمّة (العلماء و الأئمّة) التفكّر في الآيات و التدبّر فيها، و تعقّلها و معرفتها حقّ المعرفة.

قال تعالى: ﴿وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

قال : ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾[٢].

و قال: ﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبابِ﴾[٣].

و قال رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «له ظهر و بطن، فظاهره حكمةٌ و باطنه علم، ظاهره أنيق و باطنه عميق، لا تحصى عجائبه و لا تُبلى غرائبه، فليجل جالٍ بَصَرَهُ، و ليبلغ الصفة نظره، فإنّ التفكّر حياة قلب البصير»[٤].

قال العلامة الفيلسوف ابن رشد الأندلسي: «و قد سلك الشرع في تعاليمه و برامجه الناجحة مسلكاً ينتفع به الجمهور، و يخضع له العلماء. و من ثم جاء بتعابير يفهمها كل من الصنفين: الجمهور يأخذون بظاهر المثال، فيتصورون عن

---

١. النحل / ٤٤.

٢. محمد / ٢٤.

٣. ص / ٢٩.

٤. مقدمة تفسير الميزان، ج ١، ص ١٠. و الكافي الشريف، ج ٢، ص ٥٩٩.

الممثَّل له مايشاكل الممثَّل به، و يقتنعون بذلك. والعلماء يعرفون الحقيقة التي جاءت في طيّ المثال»[١].

و سنبحث عن منهج القرآن و أساليب بيانه في فصل قادم، إن شاء اللّه.

* * *

و إليك بعض الأمثلة، شاهداً لما ذكره سيّدنا العلامة:

قال تعالى: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذٰا دَعٰاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ. وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**[٢].

هذا خطاب عام يشمل كافة الذين آمنوا، يدعوهم إلى الإيمان الصادق و الاستجابة ـ عقيدةً و عملاً ـ لدعوة الإسلام، و الاستسلام العام للشريعة الغرّاء؛ إذ في ذلك حياة القلب، و الطمأنينة في العيش، و إدراك لذائذ نعمة الوجود.

أمّا الحائد عن طريقة الدين و المخالف لمناهج الشريعة، فإنه في قلق من الحياة، يعيش مضطرباً قد سلبت راحتَه كوارثُ الدهر، يخشى مفاجئتها في كل لحظة و أوان.

و أما المتّكل على اللّه، فهو آمن في الحياة، يداوم مسيرته، فارغ البال في كنفه تعالى **﴿وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللّٰهَ بٰالِغُ أَمْرِهِ﴾**[٣]، **﴿أَلَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ. أَلاٰ بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**[٤].

هذا تفسير الدعوة إلى ما فيه الحياة، و لعله ظاهر لا غبار عليه.

---

١. راجع: رسالته (الكشف عن مناهج الأدلة)، ص٩٧.

٢. الأنفال/ ٢٤.

٣. الطلاق/ ٣.

٤. الرعد/ ٢٨.

و أمّا قوله تعالى ـ بعد ذلك ـ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[١] فيعلوه غبار إبهامٍ؛ إذ يبدو أنه تهديد بأولئك الحائدين عن جادّة الحق، أن سوف يُجازَوْن بحيلولةٍ بينهم و بين أنفسهم.

و السؤال: كيف هذه الحيلولة، و ما وجه كونها عقوبة متقابلة مع نبذ أحكام الشريعة؟

و للإجابة على هذا السؤال وقع اختلاف عنيف بين أهل الجبر و أصحاب القول بالاختيار، كما تناوشها كل من الأشاعرة و أهل الاعتزال، كل يجرّ النار إلى قرصه، كما اختلف أرباب التفسير على وجوه أوردناها في الجزء الثالث من التمهيد، عند الكلام عن المتشابهات، ضمن آيات الهداية و الضلال برقم(٨٠).

* * *

و الذي رجّحناه في تأويل الآية، هو معنى غير ما ذكره جلّ المفسرين، استفدناه من مواضع من القرآن نفسه: إنّ هذه الحيلولة كناية عن إماتة القلب، فلا يعي شيئاً بعد فقد الحياة.

لاٰ تُعْجِبَنَّ الجَهُولَ حُلَّتُهُ   فذاك مَيْتٌ وَ ثَوْبُهُ الكَفَنُ

الإسلام دعوة إلى الحياة، و في رفضها رفض للحياة، تلك الحياة المنبعثة عن إدراكات نبيلة، و الملهمة للإنسان شعوراً فيّاضاً يسعد به في الحياة، و يُحظى بكرامته الإنسانية العليا.

أما إذا عاكس فطرته و أطاح بحظّه، فإنه سوف يشقى في الحياة، و لم يزل يسعى في ظلمات غيّه و جهله ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

---

١. الأنفال/ ٢٤.

النُّورِ وَ الَّذينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطّاغُوتُ يُخرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ﴾[١].

فالإنسان التائه في ظلمات غيّه قد فقد شعوره، و افتقد كرامته العليا في الحياة، فهذا قد نسي نفسه و ذُهل عن كونه إنساناً، يحسب من نفسه موجوداً ذا حياة بهيميّة سفلى، إنما يسعى وراء نهمه و شبع بطنه، لا هدف له في الحياة سواه.

و هذا التسافل في الحياة كانت نتيجة تساهله بشأن نفسه و إهمال جانب كرامته، و هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٢]، قال تعالى: ﴿وَ لا تَكُونُوا كَالَّذينَ نَسُوا اللّٰهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾[٣].

فإنّ نسيان النفس كناية عن الابتعاد عن معالم الإنسانية و الشرف التليد﴿وَ لَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَ لٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَواهُ﴾[٤].

* * *

و قال تعالى: ﴿وَ السّارِقُ وَ السّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا﴾[٥].

اختلف الفقهاء في موضع القطع من يد السارق؛ حيث الإبهام في ذات اليد، أنها من الكتف أم من المرفق أم الساعد أم الكرسوع (طرف الزند) أم الأشاجع (أُصول الأصابع)؟

روى أبو النضر العياشي في تفسيره بالإسناد إلى زرقان صاحب ابن أبي داود، قاضي القضاة ببغداد، قال: أُتي بسارق إلى المعتصم و قد أقرّ بالسرقة، فسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ، فجمع الفقهاء يستفتيهم في إقامة حدّ السارق عليه،

---

١. البقرة/ ٢٥٧.

٢. الأنعام/ ١١٠.

٣. الحشر/ ١٩.

٤. الأعراف/ ١٧٦.

٥. المائدة/ ٣٨.

وكان ممن أُحضر محمد بن عليّ الجوادعليه السلام، فسألهم عن موضع القطع.

فقال ابن أبي داود: من الكرسوع، استناداً إلى آية التيمّم؛ حيث المراد من اليد في ضربتيه هو الكف، و وافقه قوم. و قال آخرون: من المرفق، استناداً إلى آية الوضوء.

فالتفت الخليفة إلى الإمام الجواد يستعلم رأيه، فاستعفاه الإمام، فأبى و أقسم عليه أن يخبره برأيه.

فقال‌عليه السلام: أمّا إذا أقسمت عليّ بالله، إنّي أقول: إنّهم أخطأوا فيه السنّة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيُترك الكفّ.

قال المعتصم: و ما الحجّة في ذلك؟

قال الإمام: قول رسول الله‌صلى الله عليه وآله وسلم: السجود على سبعة أعضاء: الوجه و اليدين و الركبتين و الرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق، لم يبق له يدٌ يسجد عليها، و قد قال الله تعالى: **﴿وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾** يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها **﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾**[1]، و ما كان لله لم يُقطع.

فأعجب المعتصم هذا الاستنتاج البديع، و أمر بالقطع من الأشاجع.[2]

انظر إلى هذه الالتفاتة الرقيقة، يجعل من آية المساجد، بتأويل ظاهرها (هي المعابد) إلى باطنها(الشمول لما يُسْجَدُ به، أي يَتَحَقَّقُ به السُّجود)، منضمّةً إلى كلام الرسول في بيان مواضع السجدة، يجعل من ذلك كلّه دليلاً على تفسير آية القطع و تعيين موضعه، بهذا النمط البديع.

و قد استظهرعليه السلام من الآية أنّ راحة الكف، و هي من مواضع السجود، كانت

---

١. الجن/ ١٨.

٢. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠.

للّه، فلا تشملها عقوبة الحدّ التي هي جزاء سيئةٍ، لا تحلّ فيما لا يعود إلى مرتكبها، فإنّ راحة الكف موضع السجود للّه.

* * *

و للأُستاذ الذهبي ـ هنا ـ محاولة غريبة يجعل من التفسير بالرأي قسمين: قسماً جائزاً و ممدوحاً، و آخر مذموماً غير جائز. و حاول تأويل حديث المنع إلى القسم المذموم.

قال: و المراد بالرأي هنا الاجتهاد، و عليه فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسّر لكلام العرب و مناحيهم في القول، و معرفته للألفاظ العربية و وجوه دلالتها، و استعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، و وقوفه على أسباب النزول، و معرفته بالناسخ و المنسوخ من آيات القرآن، و غير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسّر.

قال: و اختلف العلماء قديماً في جواز تفسير القرآن بالرأي، فقوم تشدّدوا في ذلك و لم يجيزوه، و قوم كان موقفهم على العكس فلم يروا بأساً من أن يُفسّروا القرآن باجتهادهم، والفريقان على طرفي نقيض فيما يبدو، و كل يعزّز رأيه بالأدلة و البراهين.

ثم جعل يسرد أدلّة لكل من الفريقين، و يجيب عليها واحدة واحدة بإسهاب، و أخيراً قال: و لكن لو رجعنا إلى أدلّة الفريقين و حلّلنا أدلتهم تحليلاً دقيقاً؛ لظهر لنا أن الخلاف لفظي، و أن الرأي قسمان:

قسمٌ جارٍ على موافقة كلام العرب و مناحيهم في القول، مع موافقة الكتاب والسنّة، و مراعاة سائر شروط التفسير، و هذا القسم جائز لا شكّ فيه.

و قسمٌ غير جارٍ على قوانين العربيّة، و لا موافقة للأدلة الشرعيّة، و لا مستوف

لشرائط التفسير، و هذا هو مورد النهي و محطّ الذمّ.(١)

قلت: أما تورّع بعض السلف عن القول في القرآن، فلعدم ثقته بذات نفسه وضآلة معرفته بمعاني كلام اللّه. أما العلماء العارفون بمرامي الشريعة، فكانوا يتصدّون التفسير عن جرأة علمية و إحاطة شاملة لجوانب معاني القرآن.

و أما التفسير بالرأي فأمر وقع المنع منه على إطلاقه، و ليس على قسم منه، كما زعمه هذا الاستاذ.

والذي أوقعه في هذا الوهم، أنه حسب التفسير بالرأي هنا بمعنى الاجتهاد، في مقابلة التفسير بالمأثور، و لا شك من جواز الاجتهاد في استنباط معاني الآيات الكريمة إن وقع عن طريقه المألوف.

حجّية ظواهر الكتاب

قد يزعم البعض أن هناك من يرى عدم جواز الأخذ بظواهر كلام اللّه تعالى؛ حيث ظاهره أنيق و باطنه عميق، لا يُسبر غوره و لا يُبلغ أقصاه، و لا سيّما بعد كثرة الصوارف عن هذه الظواهر، من تخصيص و تقييد و نسخ و تأويل.

غيرأنّ هذا يتنافى و الأمر بالتدبّر في آياته، و الحثّ على التعمّق فيها و استخراج لآلئها.

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(٢).

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(٣).

---

١. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢٥٥ وص ٢٦٤.

٢. محمد/ ٢٤.

٣. الدخان/ ٥٨.

﴿وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[١].
﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢].
﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[٣].
﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٤].

و قد رغّب النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم في الرجوع إلى القرآن عند مدلهمّات الأُمور و عرض مشتبهات الأحاديث عليه، و هكذا ندب الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام إلى فهم الأحكام من نصوص الكتاب، و الوقوف على رموزه و دقائقه في التعبير و البيان.

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: «فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفّع و ما حلّ مصدَّق.[٥] و من جعله أمامه قاده إلى الجنّة، و من جعله خلفه ساقه إلى النار. و هو الدليل يدلّ على خير سبيل، و هو كتاب فيه تفصيل و بيان و تحصيل، و هو الفصل ليس بالهزل.[٦] و له ظهر و بطن، فظاهره حكم و باطنه علم[٧]، ظاهره أنيق و باطنه عميق. له نجوم و على نجومه نجوم،[٨]

---

١. القمر / ١٧.
٢. الزخرف / ٣.
٣. الزمر / ٢٨.
٤. ص / ٢٩.
٥. يعني: إن شفع لأحد قبلت شفاعته، و إن سعى بأحد صُدّق.
٦. أي جاء لبيان الحق و فصله عن الباطل، و ليس مجرد تفنّن في الكلام و الأدب الرفيع.
٧. فإنّ ظواهر القرآن هي بيان الأحكام التكليفية و التشريعات الظاهرة. أما باطنه فملؤه علم و حكمة و حقائق راهنة.
٨. أي دلائل لائحة، بعضها على بعض شاهدة.

لاتُحصى عجائبه و لا تُبلى غرائبه.[١] فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة، و دليلٌ على المعرفة، لمن عرف الصفة.[٢] فليجل جالٍ بصره، و ليبلغ الصفة نظره[٣]، يَنْجُ من عطب، و يتخلص من نَشَب.[٤] فإن التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور. فعليكم بحسن التخلّص و قلّة التربُّص.[٥]

و بهذا المعنى قال الإمام أبو عبد اللّه الصادق عليه السلام: «إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى و مصابيح الدجى. فليجل جالٍ بصره، و يفتح للضياء نظره. فإن التفكّر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور».[٦]

و التفكر المندوب إليه هنا هو التعمّق في دلائل القرآن و دقائق تعبيره، قال تعالى: ﴿وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ. وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٧].

فالتفكر فيه ـ بعد التبيين و البيان ـ هو المندوب إليه، و هي الغاية القصوى من

---

١. لأنّه أتى بحديث لايُبلى على مرّ الدهور.

٢. أي دلائله على الهداية واضحة لمن رام الاهتداء به، فمن عرف هذا الوصف للقرآن أمكنه الاستفادة منه، قال العلامة المجلسي: صفة التعرّف و الاستنباط (مرآة العقول، ج١٢، ص٤٧٩).

٣. أي و ليلتفت بنظره إلى هذا الوصف للقرآن، و إنه هداية عامّة لكافة الناس، دلائله واضحة و معالمه لائحة، لمن استهدى أدلاّء.

٤. النشب: ما لا مخلص منه.

٥. الكافي الشريف، ج٢ (كتاب فضل القرآن رقم٢)، ص٥٩٨ ـ ٥٩٩. و المراد بحسن التخلص: الصدق في الاخلاص.. و قلة التربّص: كناية عن سرعة الإقدام و أن لايكف بنفسه عن السعي في الخير.

٦. الكافي الشريف، ج٢، ص ٦٠٠، رقم٥.

٧. النحل / ٤٤.

نزول القرآن.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «لقد تجلّى اللّه لخلقه في كلامه، و لكنهم لا يُبصرون»[١].

و قال: «إنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، و لقوم يتلونه حق تلاوته، و هم الذين يؤمنون به و يعرفونه»[٢].

قال الأمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا لا خير في قراءةٍ لا تدبّر فيها»[٣].

و قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أنعم اللّه على عبد، بعد الإيمان باللّه، أفضل من العلم بكتاب اللّه و المعرفة بتأويله»[٤].

و لما نزلت الآية **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلاٰفِ اللَّيْلِ وَ النَّهٰارِ لَآيٰاتٌ لِأُولِي الْأَلْبٰابِ. أَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّٰهَ قِيٰاماً وَ قُعُوداً وَ عَلىٰ جُنُوبِهِمْ. وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنٰا مٰا خَلَقْتَ هٰذٰا بٰاطِلاً سُبْحٰانَكَ فَقِنٰا عَذٰابَ النّٰارِ﴾**[٥] قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ويل لمن لاكها بين لحييه ثم لم يتدبّرها».[٦]

و بعد، فنقول: ويل لمن نظر في هذه الآيات الكريمة و الأحاديث المأثورة عن أهل بيت الوحي و الرسالة، و لاكها بين لحييه ثُمَّ لم يتدبّرها بإمعان، فأخذها بالهزل و لم يعتبرها الحَكَم الفصل.

* * *

---

١. بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١٠٧.

٢. المحاسن البرقي، ص ٢٦٧.

٣. معاني الأخبار للصدوق، ص ٦٧.

٤. بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١٨٣.

٥. آل عمران/ ١٩١ ـ ١٩٢.

٦. مجمع البيان، ج ٢، ص ٥٥٤.

و أيضاً، فإن أخبار العرض على كتاب اللّه، خير شاهد على إمكان فهم معانيه و الوقوف على مبانيه.

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: «إن على كلّ حقّ حقيقة، و على كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب اللّه فخذوه، و ما خالف كتاب اللّه فدعوه».

و خطب بمنى، و كان من خطبته: « أيّها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب اللّه فأنا قلته، و ما جاءكم يخالف كتاب اللّه فلم أقله».

و قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «كل شيء مردود إلى الكتاب و السنّة، و كل حديث لا يوافق كتاب اللّه فهو زخرف».

و قال: «إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب اللّه، أو من قول رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، و إلاّ فالذي جاءكم به أولى به»[1].

* * *

و في كثير من إرجاعات الأئمّة عليهم السلام أصحابهم إلى القرآن، لفهم المسائل واستنباط الأحكام منه، لدليل ظاهر على حجّية ظواهر القرآن، و ضرورة الرجوع إليه.

قال زرارة بن أعين: قلت لأبي جعفر الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: ألا تخبرني من أين علمت و قلت: إن المسح ببعض الرأس و بعض الرجلين؟

فضحك، و قال: يا زرارة، قاله رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم و نزل به الكتاب من اللّه؛ لأن اللّه عزّ و جلّ قال: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ فعرفنا أن الوجه كله ينبغي أن يغسل، ثم قال: ﴿وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ﴾ فوصل اليدين إلى المرفقين بالوجه، فعرفنا أنه

---

١. الأحاديث مستخرجة من الكافي الشريف، باب الأخذ بالسنة و شواهد الكتاب، ج١، ص٦٩، رقم ١ و ٥ و ٣ و ٢.

ينبغي لهما أن يُغسلا إلى المرفقين، ثـم فـصل بـين الكـلام فـقال: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ فعرفنا حين قال: «برؤوسكم» أن المسح ببعض الرأس، لمكان «الباء». ثم وصل الرجلين بالرأس، كما وصل اليدين بـالوجه، فـقال: ﴿و أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[١] فعرفنا حين وصلهما بالرأس، أنّ المسح على بعضهما.

ثم قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مٰاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾. فأثبت بعض الغسل مسحاً[٢].

فقد نبّه الإمام على أن زيادة «الباء» في مدخول فعل متعدٍّ بنفسه لا بدّ فيها من نكتة لافتةٍ، و ليست سوى إرادة الاكتفاء بمجرد مماسّة الماسح مع الممسوح؛ لأن الباء تدلّ على الربط و الإلصاق، و التكليف يتوجه إلى القيد الملحوظ في الكلام. فإذا وضع الماسح يده على رأسه و أمرّها عليه، فبأوّل الإمرار يحصل التكليف فيسقط، و لا دليل على الإدامة، فالاستيعاب ليس شرطاً في المسح.

هكذا نبّه الإمام على إمكان استفادة مثل هذا الحكم التكليفي الشرعي من الآية، بإمعان النظر في قيود الكلام.

* * *

و عن عبد الأعلى مولى آل سام، قال: قلت لأبي عبد اللّه جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: عثرت فانقطع ظفري، فجعلت على أصبعي مرارة، فكيف أصنع بالوضوء؟

---

١. هذا بناء على قراءة «و أرجلكم» بالخفض، كما هي أيضاً قراءة مشهورة، غير أنّ القراءة بالنصب من العطف على المحلّ كما رجّحناه في مجاله المناسب، غير أنّ خصوصيّة البعضيّة مفقودة فيها، حسبما نبهنا عليه.

٢. من لا يحضره الفقيه ـ أبو جعفر الصدوق، ج ١، ص٥٦ ـ ٥٧، بـاب ٢١، التـيمم، رقـم ١/ ٢١٢. والكافي الشريف، ج٣، ص ٣٠. و الوسائل، ج ١، ص ٢٩١(إسلامية).

قال: يعرف هذا و أشباهه من كتاب اللّه عزّ و جلّ، قال اللّه تعالى: ﴿**مٰا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[1] إمسح عليه[2].

يعني: أنّ آية نفي الحَرج تدل على رفع التكليف؛ حيث وجود ضرر أو حرج على المكلّف، فيجب أن يفهم ذلك كلُّ مسلمٍ من القرآن ذاته.

* * *

و كذلك استدلالات الأئمّة عليهم السلام في كثير من الموارد، بآيات قرآنية، لإثبات مطلوبهم لدى المخاطبين، ففي ذلك عرض مباشر لشمول فهم القرآن للعموم. و قد أتى سيدنا الأُستاذ الإمام الخوئي ـ حفظه اللّه ـ بأمثلةٍ على ذلك كثيرة، فليراجع[3].

نسبة خاطئة

نعم نسب إلى جماعة الأخباريين ـ في عصر متأخّر ـ ذهابهم إلى رفض حجّية الكتاب، فلا يصح الاستناد إليه و لا استنباط الأحكام منه، و هي نسبة غير صحيحة على إطلاقها؛ إذ لم يذهب إلى هذا المذهب الغريب أحد من الفقهاء، لا في القديم و لا في الحديث، و لا لمسنا في شيء من استناداتهم الفقهية ما يشي بذلك، بل الأمر بالعكس.

و لعلّ فيما فرط من بعض المتطرّفين منهم بصدد المغالاة بشأن أهل البيت ـ و موضعهم القريب من القرآن المجيد ـ بعض تعابير أوجبت هذا الوهم، و مع ذلك فإن له تأويلاً، و ليس على ظاهره المريب.

---

١. الحجّ/ ٧٨.

٢. الوسائل، ج ١، ص ٣٢٧، رقم ٥.

٣. البيان، لسيدنا الإمام الخوئي ـ حفظه اللّه ـ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

قال المولى محمد أمين الاسترابادي(ت١٠٣٣):

«الصواب عندي مذهب قدمائنا الأخباريين و طريقتهم. أما مذهبهم فهو أن كلّ ما يحتاج إليه الأُمّة إلى يوم القيامة، عليه دلالة قطعية من قبله تعالى حتى أرش الخدش. و أن كثيراً ممّا جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من الأحكام، و مما يتعلق بكتاب اللّه وسنة نبيه، من نسخ و تقييد و تخصيص و تأويل، مخزون عند العترة الطاهرة، و أن القرآن في الأكثر ورد على وجه التعمية بالنسبة إلى أذهان الرعيّة[1]، و كذلك كثير من السنن النبويّة. و أنه لا سبيل لنا في ما لا نعلمه من الأحكام النظريّة[2] الشرعية، أصليّة كانت أو فرعيّة، إلا السماع من الصادقين عليهم السلام و أنه لا يجوز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر الكتاب و لا ظواهر السنن النبوية، ما لم يعلم أحوالهما من جهة أهل الذكر عليهم السلام، بل يجب التوقف و الاحتياط فيهما»[3].

و قال بصدد بيان انحصار مدرك ما ليس من ضروريات الدين من المسائل الشرعية، أصليّةً كانت أو فرعيّة، في السماع عن الصادقين عليهم السلام:

«الدليل الثاني: حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين؛ إذ معناه: أنه يجب التمسّك بكلامهم عليهم السلام ليتحقّق التمسّك بالأمرين. و السرّ فيه أنه لا سبيل إلى فهم مراد اللّه[4] إلاّ من جهتهم؛ لأنهم عارفون بناسخه و منسوخه، و الباقي على إطلاقه،

---

١. أي على وجه الإجمال و الإبهام من غير بيان التفصيل و ذكر القيود و الشرائط، فإنها خافية على أذهان العامة غير المطلعين على الشرح و التبيين الذي جاء في كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. مقصوده من الأحكام النظرية، المسائل غير الضرورية التي هي بحاجة إلى اجتهاد و إعمال نظر.

٣. الفوائد المدنية، ص٤٧.

٤. أي المراد الجدّي ـ الذي لا يعرف إلاّ بعد الفحص و اليأس عن الصوارف من تخصيص أو تقييد أو

←

و المؤوّل و غير ذلك، دون غيرهم، خصّهم اللّه و النبي بذلك»[١].

قلت: ليس في كلامه ـ و لا في كلام من تبعه من الأخباريين المتأخّرين ـ ما يشي بترك كتاب اللّه و إبعاده عن مجال الفقه و الاستنباط. نعم سوى عدم إفراده في الاستناد، و لزوم مقارنته بالمأثور من صحاح الأحاديث الصادرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

و لا شك أنّ في القرآن أصول التشريع و كلياته، و إيكال التفاصيل إلى بيان النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذي أودع الكثير من بيانه بشأن التشريع إلى خلفائه المرضيّين، فعندهم ودائع النبوّة، و هم ورثة الكتاب و حملته إلى الخلائق.

فلا يجوز إفراد الكتاب عن العترة، و لا يفترقان حتى يردا على النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عندالحوض.

و هذا هو مراد الاسترابادي «لا يجوز استنباط الأحكام من الكتاب والسنّة النبوية ما لم يعلم أحوالهما من جهة أهل الذكر»، أي بعد الفحص عن الدلائل في كلامهم بشأنهما، إمّا العثور على بيانٍ منهم، أو اليأس من التخصيص أو التقييد، فعند ذلك يجوز.

* * *

و للمولى الكبير محمد بن الحسن الحرّ العاملي (١٠٣٣ ـ ١١٠٤) بيان مسهب بشأن مواضع آل البيت من القرآن الكريم، و أن لتفسيرهم بالذات مدخلية تامّة في

← قرينة مجاز، دون المراد الاستعمالي المفهوم من ظاهر اللفظ لمجرد العلم بالوضع. و من الواضح أن التسرّع في الأخذ بظاهر الاستعمال، في نصوص الشريعة، غير جائز، إلاّ بعد التريّث و الفحص التام.

١. الفوائد المدنية، ص١٢٨.

فهم معاني الآيات، و لا سيما آيات الأحكام.

و قد توسّع في الكلام حول ذلك في فوائده الطوسيّة (فائدة٤٨)، كما عقد لذلك أبواباً في كتاب القضاء من كتابه وسائل الشيعة، ذكر فيها ما يقرب من مئتين و عشرين حديثاً، قال بشأنها:

«أوردنا منها ما تجاوز حدّ التواتر، و هي لا تقصر سنداً و لا دلالة عن النصوص على كل واحد من الأئمّة، و قد تضمّنت أنه لا يعلم المحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و العام و الخاص، و غير ذلك إلاّ الأئمّة، و أنه يجب الرجوع إليهم في ذلك، و أنه لا يعلم تفسيره و لا تأويله، و لا ظاهره و لا باطنه غيرهم، و لا يعلم القرآن كما أنزل غيرهم، و أن الناس غير مشتركين فيه كاشتراكهم في غيره، و أنّ اللّه إنما أراد بتعميته (أي الإجمال و الإبهام في لفظه) أن يرجع الناس في تفسيره إلى الإمام، و أنه كتاب اللّه الصامت، و الإمام كتاب اللّه الناطق. و لا يكون حجة إلاّ بقيّم (أي من يقوم بتبيينه و تفسيره) و هو الإمام، و أنه ما ورث علمه إلاّ الأئمّة، و لا يعرف ألفاظه و معانيه غيرهم، و أنه لاحتماله للوجوه الكثيرة، يحتج به كل محقّ و مبطل، و أنه إنما يعرف القرآن مَن خوطب به»[1].

و ظاهر كلامه هو ظاهر عنوان الباب الذي عقده أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، في كتاب الحجة من الكافي الشريف، لبيان: «أنه لم يجمع القرآن كله ولم يحط به علماً، ظاهره و باطنه، سوى الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، و أن علم المحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و العام و الخاص علماً كاملاً، مودع

---

١. الفوائد الطوسية، ص١٩١ ـ ١٩٢. و راجع: صفحات: ١٦٣ ـ ١٩٦. و الوسائل، ج١٨، باب ٤ و ٥ و ٦ و ٧ من كتاب القضاء أبواب صفات القاضي. صفحات: ٩ ـ ٤١(ط إسلاميه).

عندهم، ورثوه من جدهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

و هذا شيء لا ينكر، و لا يجوز الأخذ بظاهر الكتاب، ما لم يرجع إلى ما ورد عن الرسول و خلفائه العلماء، فإن في كلامهم التبيين و التفصيل لما جاء في القرآن من الإجمال و الإبهام، في التكليف و التشريع.

* * *

و هكذا فهم معاصره السيد نعمة اللّه الجزائري(١٠٥٠ ـ ١١١٢) من ظاهر الروايات، و بذلك جمع بين متعارضاتها.

قال: «ذهب المجتهدون ـ رضوان اللّه عليهم ـ إلى جواز أخذ الأحكام من القرآن، و بالفعل قد أخذوا الأحكام منه، و طرحوا ما ظاهره المنافاة أو أوّلوه، و من ثم دوّنوا كتباً بشأن «آيات الأحكام» و استنبطوا منها ما هداهم إليه أمارات الاستنباط.

و أما الأخباريّون ـ قدّس اللّه ضرائحهم ـ فذهبوا إلى أن القرآن كله متشابه بالنسبة إلينا، و أنه لايجوز لنا أخذ حكم منه، إلاّ من دلالة الأخبار على بيانه.

قال: حتى أنّي كنت حاضراً في المسجد الجامع من شيراز، و كان أُستاذي المجتهد الشيخ جعفر البحراني، و شيخي المحدّث صاحب جوامع الكلم ـ قدّس اللّه روحيهما ـ يتناظران في هذه المسألة. فانجرّ الكلام بينهما حتى قال له الفاضل المجتهد: ما تقول في معنى ﴿**قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ**﴾ فهل يحتاج في فهم معناها إلى الحديث؟ فقال: نعم، لا نعرف معنى «الأحديّة» و لا الفرق بين الأحد و الواحد و نحو ذلك.

ثم عقّبه بكلام الشيخ في التبيان ـ على ما سنذكر ـ و اردفه بتحقيق عن المولى

---

١. الكافي الشريف(الأُصول)، ج ١، ص٢٢٨.

كمال الدين ميثم البحراني، بشأن حديث التفسير بالرأي. و أخيراً قال: و كلام الشيخ أقرب من هذا، بالنظر إلى تتبع الأخبار، و الجمع بين متعارضات الأحاديث. و حاصل هذه المقالة: أن أخذ الأحكام من نصّ القرآن أو ظاهره أو فحواه و نحو ذلك، جائز كما فعله المجتهدون.

قال: يرشد إلى ذلك ما رواه أمين الإسلام الطبرسي ـ في كتاب الاحتجاج ـ من جملة حديث طويل عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال فيه:

«إنّ اللّه قسّم كلامه ثلاثة أقسام: فجعل قسماً منه يعرفه العالم و الجاهل، و قسماً لا يعرفه إلاّ من صفا ذهنه و لطف حسّه و صحّ تمييزه و شرح صدره للإسلام، و قسماً لا يعرفه إلا اللّه و أمناؤه و الراسخون في العلم»[1].

* * *

و أصْرح من الجميع كلام الفقيه البارع الشيخ يوسف البحراني (١١٠٧ ـ ١١٨٦) في موسوعته الفقهية الكبرى (الحدائق الناضرة) ذكر أوّلاً الأخبار من الطرفين، ثم عقّبها بما حقّقه شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠) في المقام، و جعله (القول الفصل و المذهب الجزل) الذي تلقّاه العلماء بالقبول، قال: قال الشيخ أبو جعفر الطوسي ـ بعد نقل الروايات المتعارضة و الدلائل المتناقضة ـ ما ملخّصه: «أن معاني القرآن على أربعة أقسام:

أحدها: ما اختص اللّه تعالى بعلمه فلا يجوز لأحدٍ التكلّف فيه. و لعل منه الحروف المقطعة في أوائل السور.

ثانيها: ما يكون ظاهره متطابقاً مع معناه، معروفاً من اللغة و العرف، لا غبار عليه. فهذا حجة على الجميع، لا يعذر أحد الجهل به، مثل قوله تعالى: ﴿وَ لاٰ

---

١. رسالة (منبع الحياة)، ص٤٨ ـ ٥٢ م٥.

تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ..﴾[١].

ثالثها: ما أُجمل في تعبيره و أوكل التفصيل فيه إلى بيان الرسول، كالأوامر بالصلاة و الزكاة و الحج و الصيام، فتكلُّف القول فيه ـ من دون مراجعة دلائل الشرع ـ محظور منه.

رابعها: ما جاء مشتركاً محتملا لوجوه فلايجوز البتّ في تبيين مراده تعالى بالذات، إلاّ بدليل قاطع من نصّ معصوم أو حديث متواتر»[٢].

و بذلك قد جمع الشيخ بين روايات المنع و دلائل الترخيص، باختلاف الموارد.

قال المحدّث البحراني ـ تعقيبا على كلام الشيخ ـ: «و عليه تجتمع الأخبار على وجه واضح المنار»[٣].

قلت: فهذا شيخ المحدثين و رائد الأخباريين في العصور المتأخرة نراه قد وافق القول مع شيخ الطائفة و رأس الأُصوليين بشأن التفسير، و الخوض في فهم معاني كلام اللّه العزيز الحميد.

فيا ترى، ما الذي يدعو إلى فرض الافتراق في هذا المجال العصيب!!

و الحمد لله على ما أنعم علينا من لمس نعومة الوفاق و ذوق حلاوة الاتفاق.

* * *

---

١. الأنعام/ ١٥١.

٢. الحدائق الناضرة، ج١، ص٣٢. و راجع: التبيان، ج١، ص٥ ـ ٦. و رسالة (منبع الحياة). للسيد نعمة اللّه الجزائري، ص٤٨ ـ ٥١ (طبيروت).

٣. الحدائق الناضرة، ج١، ص٣٢.

دلائل مزعومة

لم نجد في كلام من يُعَتّدُ به من المنتسبين إلى الأخباريّة احتجاجاً يرفض حجيّة الكتاب، سوى ماجاء في كلام غيرهم من حجج مفروضة، و لعله تطوّع لهم في تدليل أو حدس وهموه بشأنهم، و إليك أهم ما ذكروه:

١ـ اختصاص فهم معاني القرآن بمن خوطب به.

٢ـ احتواؤه على مطالب غامضة، لا تصل إليها أفكار ذوي الأنظار.

٣ـ النهي عن الأخذ بالمتشابه، الشامل للظواهر أيضاً؛ لوجود احتمال الخلاف.

٤ـ النهي عن التفسير بالرأي، الشامل لحمل اللفظ على ظاهره.

٥ـ العلم إجمالاً بطروء التخصيص و التقييد و المجاز، في كثير من ظواهر القرآن.

٦ـ احتمال التحريف و لو بتغيير حرفٍ عن موضعه.

قالوا: إنها حجج احتج بها نافو حجية ظواهر القرآن[١].

لكن المُراجع يجد كلمات من نوّهنا عنهم خلواً عن مثل هذا الترصيف الغريب، و لا سيّما مسألة التحريف لا تجدها في كلامهم البتة، و إنما أوردها صاحب الكفاية تبعاً للشيخ في الرسائل، احتمالاً في المقام، من غير نسبته إلى الأخبارية أو غيرهم[٢].

---

١. راجع: كفاية الأُصول للمحقق الخراساني(آل البيت) ص٢٨١ ـ ٢٨٢. و البيان للإمام الخوئي، ص٢٩١.

٢. راجع: رسائل الشيخ (ط رحمة اللّه) ص٤٠. و الكفاية، ص٢٨٤ ـ ٢٨٥. و قد حققنا عن مسألة التحريف في رسالة (صيانة القرآن).

و العمدة: أن نظر القوم في مسألة حجّية الكتاب، إنما يعود إلى جانب آيات الأحكام التي اكتنفها لفيف ـ في حجم ضخم ـ من الأحاديث المأثورة بوفرة؛ حيث جاءت أُصول الأحكام في الكتاب و فروعها في الأحاديث، فلا تخلو آية من تلكم الآيات إلاّ و حولها روايات عدّة.

و في ذلك ـ بالذات ـ يقول الأخباريون، كسائر الفقهاء الأُصوليين: لا يجوز إفراد الكتاب بالاستنباط، بعيداً عن ملاحظة الروايات الواردة بشأنها.

و هذا هو مقتضى التمسّك بالثقلين: الكتاب و العترة، لا يفترقان بعضهما عن بعض.

نعم لا يتضايقون القول بجواز مراجعة سائر الآيات، بشأن فهم معارف الدين و الحكم و الآداب مراجعة ذاتية[1]، اللهمّ إلاّ إذا وجدت رواية صحيحة صريحة المفاد، فيجب ملاحظتها أيضاً، كما هي العادة المتعارفة عند المفسرين.

❁ ❁ ❁

١. راجع: الفوائد الطوسيّة للحرّ العاملي، ص ١٩٤.

منهج القرآن في الإفادة و البيان

إن للقرآن في إفادة معانيه منهجاً يخصّه، لا هو في مرونة أساليب كلام العامّة، و لا هو في صعوبة تعابير الخاصّة، جمع بين السهولة و الامتناع، وسطاً بين المسلكين، سهلاً في التعبير و الأداء؛ بحيث يفهمه كل قريب و بعيد، و يستسيغه كل وضيع و رفيع، و هو في نفس الوقت ممتنع في الإفادة بمبانيه الشامخة، و الإدلاء بمراميه الشاسعة، ذلك أنه جمع بين دلالة الظاهر و خفاء الباطن، في ظاهر أنيق و باطن عميق.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «و هو الدليل يدلّ على خير سبيل، و هو كتاب فيه تفصيل و بيان و تحصيل، و هو الفصل ليس بالهزل، و له ظهر و بطن، فظاهره حكم و باطنه علم، ظاهره أنيق و باطنه عميق. له نجوم و على نجومه نجوم، لا تُحصى عجائبه و لا تُبلى غرائبه. فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة، و دليل على المعرفة لمن عرف الصفة»[١].

«فما من آية إلاّ و لها ظهر و بطن»، كما في حديث آخر مستفيض[٢]، فهناك

---

١. الكافي الشريف، ج ٢، ص ٥٩٩.

٢. رواه الفريقان. راجع: تفسير العياشي، ج ١، ص ١١. و بحارالأنوار، ج ٨٩ (ط بيروت)، ص ٨٨ـ ←

عبارات لائحة يستجيد فهمها العامّة فهما كانت لهم فيه قناعة نفسيّة كاملة، و لكنّها إلى جنب إشارات غامضة كانت للخاصة، فيحلّوا من عقدها، و يكشفوا من معضلها، حسبما أوتوا من مهارة علمية فائقة.

و بذلك قد وفّق القرآن في استعمالاته للجمع بين معانٍ ظاهرة و أُخرى باطنة؛ لتفيد كل لفظة معنيين أو معاني متراصّة، و ربما مترامية حسب ترامي الأجيال و الأزمان، الأمر الذي كان قد امتنع حسب المتعارف العام، فيما قال الأُصوليون: من امتناع استعمال لفظةٍ واحدةٍ و إرادة معانٍ مستقلة. لكن القرآن رغم هذا الامتناع نراه قد استسهله، و أصبح منهجاً له في الاستعمال.

* * *

كان ممن سلف من الأُصوليين مَن يرى امتناع استعمال اللفظ و إرادة معنيين امتناعاً عقليّاً، نظراً إلى أن حقيقة الاستعمال ليس مجرّد جعل اللّفظ علامة لإرادة المعنى، بل جعله وجهاً و عنواناً له، بل بوجهٍ نفسه كأنّه المُلقى؛ و لذا يسري إليه قبحه و حسنه. و عليه فلايمكن جعل اللفظ كذلك إلاّ لمعنى واحد، ضرورة أن لحاظه كذلك لا يكاد يمكن إلاّ بتبع لحاظ المعنى، فانياً فيه فناءَ الوجه في ذي الوجه، و العنوان في المُعَنْوَن، و معه كيف يمكن إرادة معنى آخر كذلك في استعمال واحد، مع استلزامه للحاظ آخر غير لحاظه الأوّل في نفس الوقت. هكذا جاء في تقرير كلام العلاّمة الأصولي الكبير المحقق الخراساني[1].

و جاء الخلف ليجعلوا من هذا الامتناع العقلي ممكناً في ذاته، و ممتنعاً في

← ٩٥.

١. هو المولى محمد كاظم الخراساني صاحب كفاية الأُصول. (راجع: حقائق الأُصول للإمام الحكيم، ج ١، ص٨٩_ ٩٠).

العادة؛ حيث لم يتعارف ذلك و لم يعهد استعمال لفظةٍ و إرادة معنيين مستقلّين في المتعارف العام، فالاستعمال كذلك كان خلاف المتعارف حتى و لو كان ممكناً في ذاته، نظراً لأن الاستعمال (إستعمال اللفظة و إرادة المعنى) إنّما هو بمثابة جعل العلامة من قبيل الإشارات و العلائم الإخطاريّة، فلا مانع عقلاً من استعمال علامة لغرض الإخطار إلى معنيين أو أكثر؛ إذا كان اللفظ صالحاً له بالذات، فيما إذا كان قد وُضع لكلا المعنيين مشتركاً لفظياً، أو أمكن انتزاع مفهوم عام. نعم لم يعهد ذلك في الاستعمالات المتعارفة.

الأمر الذي استسهله القرآن و خرج على المتعارف، و جعله جائزاً و واقعاً في استعمالاته.[1] فقد استعمل اللفظة و أراد معناها الظاهري، حسب دلالته الأوّلى، لكنه في نفس الوقت صاغ منه مفهوماً عاماً و شاملاً ثانياً، يشمل موارد أُخر ليكون هذا المفهوم العام الثانوي هو الأصل المقصود بالبيان، و الضامن لبقاء المفاهيم القرآنية عامة و شاملة عبر الأيام، و ليست بالمقتصرة على موارد النزول الخاصة.

و كان المفهوم البدائي للآية، و الذي كان حسب مورد نزولها الخاص، هو معناها الظاهر، و يُسمّى بـ«التنزيل». أما المفهوم العام المنتزع من الآية الصالح للانطباق على الموارد المشابهة، فهو معناها الباطن، المعبّر عنه بـ«التأويل»، و هذا المفهوم الثانوي العام للآية هو الذي ضمن لها البقاء عبر الأيام.

سُئل الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عن الحديث المتواتر عن

١. و ذلك نظراً لإحاطته تعالى و شمول عنايته لجميع عباده. و لايخفى أن المفهوم العام المنتزع من الآية، هو بنفسه معنى آخر مقصود مستقلاً وراء إرادة المعنى الظاهري الأوّلي، فكل من المعنيين الظاهر و الباطن مقصود بذاته، و ليس مندرجاً تحت الآخر، فهو من موضوع البحث و ليس خارجاً عنه، كما زعم.

رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من آية إلاّ و لها ظهر و بطن ...»، فقال: «ظهره تنزيله، و بطنه تأويله، منه ما قد مضى و منه ما لم يجئ، يجري كما تجري الشمس و القمر، كلّما جاء شيء منه وقع ...»[١].

و قال: «ظهرالقرآن: الذين نزل فيهم، و بطنه: الذين عملوا بمثل أعمالهم»[٢].

و أضاف عليه السلام: «و لو أنّ الآية إذا نزلت في قوم، ثم مات أولئك القوم، ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء، و لكنّ القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السماواتُ و الأرض، و لكل قوم آيةٌ يتلونها هم منها من خير أو شرّ»[٣].

نعم كان العلم بباطن الآية، أي القدرة على انتزاع مفهوم عام صالح للانطباق على موارد مشابهة، خاصاً بالراسخين في العلم، و ليس يفهمه كل أحد حسب دلالة الآية في ظاهرها البدائي.

و الخلاصة: أنّ لتعابير القرآن دلالتين: دلالة بالتنزيل؛ و هو ما يستفاد من ظاهر التعبير، و دلالة أُخرى بالتأويل؛ و هو المستفاد من باطن فحواها، و ذلك بانتزاع مفهوم عام صالح للانطباق على الموارد المشابهة عبر الأيام. إذن أصبح القرآن ذا دلالتين: ظاهرة و باطنة، الأمر الذي امتاز به على سائر الكلام.

مثلاً آية الإنفاق في سبيل اللّه، نزلت بشأن الدفاع عن حريم الإسلام، فكان واجباً على المسلمين القيام بهذا الواجب الديني؛ ليأخذوا بأُهبة الأمر و يعدّوا له عدّته، و منها بذل الأموال فضلاً عن بذل النفوس. هذا شيء كان واجباً على عامّة المكلّفين أنفسهم كلّ حسب إمكانه، هذا ما يفهم من ظاهر الآية البدائي.

---

١. بحارالأنوار، ج ٨٩ (ط بيروت)، ص ٩٤، رقم ٤٧ و ٤٦.

٢. المصدر نفسه، ص ٩٧، رقم ٦٤.

٣. تفسير العياشي، ج ١، ص ١٠ رقم ٧.

أما الفقيه النابه فيستفيد من الآية شيئاً أوسع، يشمل كل ضرورات الدولة القائمة على أساس العدل، و إحياء كلمة اللّه في الأرض؛ فيجب بذل المال في سبيل تثبيت دعائم الحكم العادل و التشييد من مبانيه، فيجب دفع الضرائب الماليّة حسبما يقرّره النظام، مستفاداً من الآية الكريمة في باطن فحواها، أخذاً بالتأويل حسب المصطلح.

و هكذا المستفاد من آية خمس الغنائم، وجوب دفع الخمس في مطلق الفوائد و أرباح المكاسب، حسبما فهمه الإمام الصادق عليه السلام من الآية، أخذاً بعموم الموصول، و إطلاق الغنيمة على مطلق الفائدة.

و في القرآن من هذا القبيل الشيء الكثير، الأمر الذي ضمن للقرآن بقاءه مع الخلود.

* * *

و جهة أُخرى: إنّ للقرآن لغته الخاصة به، شأن كل صاحب اصطلاح، فللقرآن اصطلاحه الخاص، يستعمل ألفاظاً و تعابير في معانٍ أرادها بالذات، من غير أن يكون في اللغة أو في سائر الأعراف دليل يدلّ عليه؛ لأنه من اصطلاحه الخاص ولا يُعرف إلاّ من قبله. و من ثمّ كان القرآن ينطق بعضُه ببعض، و يشهد بعضُه على بعض، كما جاء في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[1].

إنّ في القرآن تعابير كثيرة لاتكاد تُدرك معانيها إلاّ إذا سبرتَ القرآن سبراً و فحصتَه فحصاً، لتعرفَ مفاهيمها التي اصطلح عليها القرآن من القرآن ذاته، و ليس من غيره إطلاقاً.

هكذا ذهب سيدنا العلاّمة الطباطبائي رحمه الله إلى أنّ الدلالة على مفاهيم القرآن،

---

١. نهج البلاغة الخطبة رقم ١٣٣.

إنما هي من ذات القرآن، و ليس من خارجه أبداً، لأنه تبيان لكل شيء، و حاشاه أن لا يكون تبياناً لنفسه، فإن القرآن يفسّر بعضُه بعضاً. و هذا هو أصل التفسير المُعتمَد، و قد بنى تفسيره في الميزان على هذا الأساس[١].

مثلاً: لفظة «الإذن» في الاستعمال القرآني، جاء بمعنى: إمكان التداوم في التأثير الحاصل وفق مشيئة اللّه و إرادته الخاصّة، أي تداوم الإفاضة من قبله تعالى؛ حيث التأثير في عالم التكوين، موقوف على إذنه تعالى، بأن يفيض على عامل التأثير خاصيّته التأثيرية، حالة التأثير، أي يديمها و لا يقطع إفاضته عليه حينذاك، وإلاّ لما أمكن لعامل التأثير أن يُؤثّر شيئاً﴿وَ مٰا تَشٰاؤُونَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اللّٰهُ رَبُّ الْعٰالَمِينَ﴾[٢] تلك إرادته تعالى الحادثة، هي التي أمكنت للأشياء تأثيرها و تأثّرها في عالم الطبيعة، و لولاها لماأمكن لعامل طبيعي أن يُؤثر شيئاً في عالم الوجود، و هذا هو المراد من تداوم إفاضته تعالى في عالم التكوين.

قال تعالى: ﴿وَ مٰا هُمْ بِضٰارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ﴾[٣] فلولا إذنه تعالى، أي تداوم إفاضة ـ إمكان التأثير من قبله تعالى ـ لما أمكن لسحرهم أن يُؤثر شيئاً.

و ذلك نظراً لأن عوامل التأثير في عالم الوجود، إنما هي متأثّرة ـ في إمكان تأثيرها ـ بتأثيره تعالى؛ إذ لا مؤثّر في الوجود إلاّ اللّه؛ حيث الممكنات بأسرها فقيرات في ذوات أنفسها، فكما أنها بذاتها محتاجة إلى إفاضة الوجود عليها، كذلك أثرها في عالم الطبيعة أمر ممكن، و محتاج لإفاضة الوجود عليه. ففور إرادة التأثير يجب تداوم إفاضة إمكان التأثير عليه حتى يتمكّن من التأثير﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ

---

١. راجع: مقدمة التفسير، ج ١، ص ٩.

٢. التكوير / ٢٩.

٣. البقرة / ١٠٢.

﴿يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾[١] أي بإمكان التأثير الحاصل من قبله تعالى.

و هذا هو معنى «الإذن» في التكوين، حسب المصطلح القرآني، مستفاداً من قوله تعالى: ﴿وَ ما تَشاؤُونَ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّٰهُ﴾[٢].

* * *

و قد دأب القرآن على إسناد الأفعال الصادرة في عالم الوجود كلها إلى الله، سواء أكان فاعلها فاعلاً إرادياً كالإنسان و الحيوان، أم غير إرادي كالشمس و القمر، و ليس ذلك إلاّ من جهة أنه المؤثّر في تحقّق الأفعال مهما كانتْ، اختيارية أم غير اختيارية. إنه تعالى هو الذي أقدر الأشياء على فعل الأفعال، و أمدّهم بالقوى، و أفاض عليهم الإقدار بصورة مستديمة.

قال تعالى: ﴿وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٣] أي انقلبت أهواؤهم و أبصارهم، و هم الذين أوجبوا هذا القلب.

و هكذا قوله: ﴿خَتَمَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلىٰ سَمْعِهِمْ وَ عَلىٰ أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ﴾[٤] بدليل قوله تعالى: ﴿وَ قالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ. بَلْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً ما يُؤْمِنُونَ﴾[٥].

قال تعالى: ﴿وَ نُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَ ذاتَ الشِّمالِ﴾[٦] أي تتقلّب أجسادهم ذات اليمين و ذات الشمال، غير أن هذا التقلّب كان بإذنه تعالى؛ فصّح إسناد الفعل

---

١. الأعراف/ ٥٨.

٢. الإنسان/ ٣٠.

٣. الأنعام/ ١١٠.

٤. البقرة/ ٧.

٥. البقرة/ ٨٨.

٦. الكهف/ ١٨.

إليه.

* * *

و لفظة «القلب» في القرآن الكريم، يعني: شخصيّه الإنسان الباطنة، وراء شخصيّته هذه الظاهرة، و هي التي كانت منبعث إدراكاته النبيلة، و أحاسيسه الكبرى الرفيعة، المتناسبة مع شخصيته الإنسانية الكريمة **﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كٰانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ﴾**[١].

﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذٰا دَعٰاكُمْ لِمٰا يُحْيِيكُمْ. وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٢].

المراد بـ«القلب» في هذه الآية، هي شخصيّة الإنسان الكريمة إذا ما تمرّد الإنسان على قوانين الشريعة، فإنه يُصبح بهيمة لايعرف من الإنسانية شيئاً **﴿نَسُوا اللّٰهَ فَأَنْسٰاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾**[٣].

* * *

و لفظة «المشيئة» في القرآن، مصطلح خاص يراد بها الإرادة الحادثة المنبعثة عن مقام حكمته تعالى، و ليست مطلق الإرادة.

فقوله تعالى: **﴿قُلِ اللّٰهُمَّ مٰالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشٰاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشٰاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشٰاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشٰاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[٤].

كان المقصود: المشيئة وفق الحكمة، فيؤتى الملك من اقتضت حكمته

---

١. ق/ ٣٧.

٢. الأنفال/ ٢٤.

٣. الحشر/ ١٩.

٤. آل عمران/ ٢٦.

تعالى، و ينزع الملك ممن اقتضت حكمته.

و هكذا ﴿نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ﴾[1]، أي مَن تقتضيه حكمتنا أن نرفعه، أي من كانت المقتضيات متوفرة في ذات نفسه، فالاقتضاء إنما هو في ذاته، فهو محل صالح لهذه العناية الربانية، و ليس اعتباطاً أو ترجيحاً من غير مرجّح؛ حيث الحكمة هي وضع الأشياء في مواضعها.

و الدليل على ذلك، تذييل الآية بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فالحكيم لا يشاء شيئاً إلاّ ما كان وفق حكمته، و ليس مطلق المشيئة.

* * *

و التعابير من هذا القبيل كثيرة في القرآن، و إنما هي مصطلحات قرآنية، لا تعرف إلاّ من قبله؛ ليكون القرآن هو الذي يفسّر بعضه بعضاً.

و من المصطلح المتعارف في القرآن، اعتماده المعهود من قرائن حاليّة، ليصدر أحكاماً في صورة قضايا خارجية ـ إشارة إلى المعهود الحاضر حال الخطاب ـ و ليست بقضايا حقيقيّة، حتى تكون الأحكام مترتبة على الموضوعات، متى وُجدت و أين وُجدت. هذه الظاهرة كثيرة الدور في القرآن الكريم، و ربما زعم زاعم أنّها قضايا حقيقية دائمة، و ليست كذلك.

مثلاً قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ. وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا. وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا اِنّا نَصارىٰ. ذٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْباناً وَ أَنَّهُمْ لاٰ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[2].

ليس المراد مطلق اليهود، سواء من عاصر نبيّ الإسلام أم غيرهم، و لا مطلق

---

١. الأنعام/ ٨٣.

٢. المائدة/ ٨٢.

من أشرك، و لا مطلق النصارى بل يهود يثرب ممن عاصر نبي الإسلام، و مشركو قريش، و نصارى نجران، و قيل: وفد النجاشي ذلك العهد؛ لأنها حكاية عن أُمّة ماضية أسلم من أسلم منهم، و عاند من عاند.

فقد جاء تعقيب الآية بقوله: ﴿وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ عَلَى الرَّسُولِ تَرىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ، يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنّا فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ. وَ ما لَنا لا نُؤْمِنُ بِاللّه وَ ما جاءَنا مِنَ الْحَقِّ وَ نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ الْقَوْمِ الصّالِحِينَ. فَأَثابَهُمُ اللّهُ بِما قالُوا جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ ذٰلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ. وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآياتِنا - يعني بهم اليهود و المشركين - أُولٰئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ﴾[١].

و هذا نظير قوله تعالى عن المخلّفين من الأعراب: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرابِ شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَ أَهْلُونا﴾[٢] إشارة إلى خصوص من قعد عن الحرب أيام الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم.

و كذا «الناس» في قوله: ﴿الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إِنَّ النّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾[٣] حيث المراد بالناس الأول: هم المنافقون المرجفون من أهل المدينة، والناس الثاني: هم مشركو قريش رهط أبي‌سفيان، بعد هزيمتهم من أُحد.

و هكذا قوله تعالى: ﴿الأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَ نِفاقاً وَ أَجْدَرُ أَنْ لا يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٤] المراد مَن عاصروا النبي مِن أهل

---

١. المائدة/ ٨٣ـ ٨٦.

٢. الفتح/ ١١.

٣. آل عمران/ ١٧٣.

٤. التوبة/٩٧.

الجفاء و النفاق، كما في قوله: **﴿وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾**[١] و غير ذلك مما وقع هذا التعبير في مواضع من سورة براءة (الآيات: ١٠١/٩٩/٩٨/٩٧/٩٠) حيث المقصود من الجميع: أعراب المدينة و من حولها.

* * *

و جهة ثالثة: إيفاؤه بالوفرة الوفيرة من المطالب و مختلف المسائل، في أقصر تعابير و أيسر كلمات، ربما يكون حجم المطالب أضعاف حجم الكلمات و التعابير. و القرآن ملؤه ذلك، و هو من اختصاصه، أن يُدلي بأوفر المعاني في أوجز الألفاظ.

هذه سورة الحجرات على قصرها، و هي ثماني عشرَة آيةً، تحتوي على أكثر من عشرين مسألة من أمهات المسائل الإسلامية العريقة، نزلت بالمدينة؛ لتنظيم الحياة الاجتماعية العادلة. و قد تعرّض لها المفسرون و لا سيّما المتأخرين بتفصيل، و تعرّضنا لأكثرها في تفسيرنا للسورة.

و مما جاء فيها التعرّض لقاعدة «اللطف» التي هي أساس الشرائع، و مسألة «الحبّ في اللّه و البغض في اللّه» التي هي أساس الإيمان، في أقصر عبارة: **﴿وَلٰكِنَّ اللّٰهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمٰانَ وَ زَيَّنَهُ في قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيٰانَ﴾**[٢]. فمن لطفه تعالى و عنايته بعباده أن مهّد لهم أسباب الطاعة و قرّبها إليهم، ليتمكنوا من طاعة اللّه و يجتنبوا الفسوق و العصيان، و ذلك بأن زيّن الإيمان و الطاعة في قلوبهم، أي أبدى لهم زينة الإيمان، بأن رفع عن أعينهم غشاء

---

١. التوبة/ ١٠١.

٢. الحجرات/ ٧.

التّعامي، كما أنه تعالى كرّه إليهم العصيان بأن أظهر قبحه في أعينهم فكرهوه في ذات أَنفسهم. فالمؤمن إنما يطيع اللّه و هو مُحبّب له الطاعة، و من ثَمَّ فإنّه يُقدم على الطاعة في وداعة و طمأنينة و يسر، كما أنه يجتنب المعاصي في يسر؛ لأنه عن نفرةٍ لها في نفسه.

و هذه هي قاعدة اللطف تمهيد ما يوجب قرب العباد إلى الطاعة و بعدهم عن المعصية، مستفادة من الآية الكريمة.

و شيء آخر: مسألة «الحبّ في اللّه و البغض في اللّه» و هي أساس الإيمان و صلب العقيدة، و الباعث على الجدّ في العمل، و من ثم قال الإمام الصادق عليه السلام: «و هل الإيمان إلاّ الحب و البغض، ثم تلا الآية الكريمة»[١] و قد قال تعالى: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾**[٢].

و أمر ثالث مستفاد من الآية الكريمة: أن هدايته للناس كانت فضلاً من اللّه و رحمة، ناشئة عن مقام فيضه القدوسي، و ليس عن حق عليه سبحانه **﴿فَلَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾**[٣]، **﴿وَ ما كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلاّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾**[٤].

فالإنسان بذاته لا يستحق شيئاً على ربّه، و إنما اللّه هو الذي تفضّل على الإنسان برحمته **﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي هَدانا لِهذا وَ ما كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدانَا اللّهُ﴾**[٥]، و من ثم عقّب سبحانه الآية بقوله: **﴿فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَ نِعْمَةً وَ اللّهُ عَليمٌ**

---

١. الكافي، ج٢، ص١٢٥ رقم ٥.

٢. آل عمران/ ٣١.

٣. البقرة/ ٦٤.

٤. القصص/ ٨٦.

٥. الأعراف/ ٤٣.

حَكِيمٌ﴾[١].

* * *

و في السورة إشارة إلى مسألة التعاون في الحياة الاجتماعية، جاءت في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثىٰ وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ﴾[٢].

و فيها الإشارة إلى مسألة «المساواة» و أن لا شعوبية في الإسلام، و لا عنصريّة، و لا قوميّة، و أن لا فضل لأحد على غيره إطلاقاً، لا حسباً و لا نسباً، إلاّ بفضيلة التقوى، و هو التعهّد في ذات اللّه.

كما فيها الإشارة أيضاً إلى مسألة «الأُخوّة الإسلاميّة» المتطلبة للإيثار و التضحية، فوق قانون العدل و الإنصاف.

* * *

و في القرآن كثير من عبارات يسيرة انطوت على مفاهيم ذات أحجام كبيرة، كقوله تعالى في سورة الانفال: ﴿وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللّهَ رَمىٰ﴾[٣] إشارة إلى مسألة «الأمر بين الأمرين» و أن لا جبر و لا تفويض، و هي من المسائل المذيّلة ذات تفصيل طويل.

و كقوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ اَمْ نَحْنُ الزّارِعُونَ﴾[٤] إشارة إلى مسألة «الاستطاعة» و أن لا استقلال للعباد فيما يتصرّفون

---

١. الحجرات/ ٨.

٢. الحجرات/ ١٣.

٣.الأنفال/ ١٧.

٤. الواقعة/ ٦٣.

من أفعالهم الاختيارية.

و الأمثلة على ذلك كثيرة و منبثّة في القرآن الكريم، غير خفية على الناقد البصير.

* * *

و جهة رابعة: قد سلك القرآن في تعاليمه و برامجه الناجحة مسلكاً، ينتفع به الجمهور، و يخضع له العلماء، و من ثم جاء بتعابير يفهمها كل من الصّنْفين: الجمهور يأخذون بظاهر الكلام و يتصورون له من المعاني ما أَلِفَت بها أذهانهم في الأمور المحسوسة، و يحسبون فيما وراء محسوسهم ما يشاكل المحسوس، و يقتنعون بذلك، و يستريح بالُهم.

و العلماء يعرفون حقيقة الحال التي جاءت في طيّ المقال، و يأخذون بلطائف الإشارات و ظرائف الكنايات التي مثّلت لهم الحقيقة في واقع الأمر، بما يخضعهم له و يطمئنّون إليه.

خذ لذلك مثلاً قوله تعالى ـ تعبيراً عن ذاته المقدّسة في عالم الكون ـ: **﴿اللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ ...﴾** لمّا كان أرفع الموجودات في الحسّ هو النور، ضرب اللّه به المثال، و بهذا النحو من التصور أمكن للجمهور أن يفهموا من الذات المقدسة موجوداً أجلى و أظهر فيما وراء الحسّ، يشبه أن يكون مثل النور في المحسوس شبهاً مّا، و يقتنعون بذلك.

أما العلماء فيرون من هذا التشبيه أقرب ما يكون تصوّراً من ذاته المقدسة، فليس في عالم المحسوس ما يكون على مثاله، و في أخص أوصافه تعالى كالنور الذي هو ظاهر في نفسه، و مُظهر لغيره، و ليس شيء في عالم المحسوس (المبصرات) إلاّ و يكون ظهوره بالنور، أما النور فهو ظاهر بنفسه و ليس بغيره.

و كذا لا يكون ـ في عالم المحسوس ـ شيء أكثر ظهوراً و في نفس الوقت

أشدًّ خفاءً من النور، ظاهر بآثاره، خفّي بكنهه و حقيقته.

و هذه هي نفس صفاته تعالى إذا ما لاحظنا حقيقة وجوده، القائم بذاته، المُظهر لغيره، الذي خفيت حقيقته و ظهرت آثاره، و هو اللّه جلّ جلاله، و عظمت كبرياؤه.

* * *

و هكذا نجد القرآن، في استدلالاته، قد جمع بين أُسلوبين يختلفان في شرائطهما، هما: أُسلوب الخطابة، و أُسلوب البرهان، ذاك إقناع للجمهور بما يتسالمون به من مقبولات القضايا و مظنوناتها، و هذا إخضاع للعلماء بما يتصادقون عليه من أوّليات و يقينيّات. و من الممتنع في العادة أن يقوم المتكلم بإجابة ملتمس كلا الفريقين، ليجمع بين المظنون و المتيقّن، في خطاب واحد، الأمر الذي حقّقه القرآن بعجيب بيانه و غريب أُسلوبه.

و قد بحثنا عن ذلك و أتينا بأمثلة عليه في مباحثنا عن الإعجاز البياني للقرآن[١].

* * *

و جهة خامسة: قد أكثر القرآن من أنواع الاستعارة و أجاد في فنونها، و كان لابدّ منه و هو آخذ في توسّع المعاني توسّع الآفاق، في حين تضايقت الألفاظ عن الإيفاء بمقاصد القرآن، لو قيّدت بمعانيها الموضوعة لها المحدودة النطاق.

جاء القرآن بمعانٍ جديدة على العرب لم تكن تعهدها، و ما وضعت ألفاظها إلاّ لمعان قريبة، حسب حاجاتها في الحياة البسيطة البدائيّة القصيرة المدىٰ. أما التعرّض لشؤون الحياة العليا المترامية الأبعاد، فكان غريباً على العرب الأوائل

---

١. راجع: التمهيد، ج ٥، ص ٤٩٩ فصل (الاستدلال في القرآن).

المتوغّلة في الجاهلية الأُولى.

و من ثمّ لجأ القرآن في إفادة معانيه و الإشادة بمبانيه إلى أحضان الاستعارة والكناية و المجاز، ذوات النطاق الواسع، حسب إبداع المتكلم في تصرّفه بها، والقدرة على الإحاطة في تصريف المباني و الإفادة بما يرومه من المعاني. و قد أبدع القرآن في الاستفادة بها و تصريفها حيثما شاء من المقاصد و الأهداف، ولميعهد له نظير في مثل هذه القدرة و مثل هذه الإحاطة، على مثل هذا التصرف الواسع الأكناف، الأمر الذي أبهر و أعجب و أتى بالإعجاز.

و لعل هذا هو السبب أيضاً في عروض التشابه في لفيفٍ من آيات الخلق والتكوين، نظراً لقصور الألفاظ عن الإيفاء بتلك المعارف الجليلة الواسعة الأكناف.

و بذلك أصبحت لغة القرآن ـ من هذه الجهة ـ ذات طابع خاص؛ حيث وفرة الاستعارة من النمط الراقي، و عروض بعض التشابه بسبب هذا الشموخ و التعالي.

❁ ❁ ❁

ترجمة القرآن في كفّة الميزان

* التعريف بالترجمة و أساليبها
* نواحي القرآن الثلاث
* الترجمة الحرفية للقرآن
* الترجمة المعنوية (الحرّة)
* أخطار الترجمة
* دفاع حاسم
* ترجمة القرآن من الوجهة الشرعية
* وثائق شرعية
* ترجمة القرآن ضرورة دعائيّة
* كيفية الترجمة و عرضها
* نماذج من تراجم خاطئة

ترجمة القرآن

مسائل ثلاث

هناك مسائل ثلاث عن ترجمة القرآن إلى سائر اللّغات:

أوّلاً: هل بالإمكان ترجمة كلام اللّه البليغ الوجيز، الذي نزل هدىً للناس، و معجزة خالدة، في نظمه و أُسلوبه، و في لفظه و معناه جميعاً، بما تحدّى البشرية لو يأتوا بمثله؟

ثانياً: لو أمكن ذلك ـ نسبيّاً و ليس من جميع الوجوه ـ فهل يجوز عرضه قرآناً و كتاباً للمسلمين، على غرار ما ينشره أهل الكتاب من تراجم العهدين، باسم التوراة و الإنجيل؟

ثالثاً: ماذا تكون نظرة الشرع الحنيف؟ فهل يجري على الترجمة ما يجري على الأصل من أحكام و آثار شرعية، في تلاوته و في قراءته في الصلاة، و غير ذلك من أحكام شرعية خاصّة بالقرآن؟

و للعلماء ـ قديماً و حديثاً ـ آراء تختلف مع بعضها البعض، و قد ثار حولها جدل عنيف في عهد قريب، و قد توسّع حتى سرى إلى الصحف و المجلات،

فضلاً عن كتب و رسائل خصّصت بهذا الشأن.

و قبل أن نخوض البحث لا بدّ من: تعرفة الترجمة مفهوماً و أُسلوباً، و النظر في شرائطها و مقوّماتها الأساسيّة في إطارها المعقول، فنقول:

التعريف بالترجمة

الترجمة رباعية الوزن، و تكون بمعنى: التبيين و الإيضاح. و يبدو من القاموس أنّه لا بدّ من اختلاف اللغة؛ لأنه قال: الترجمان: المفسّر للّسان. و من ثمَّ فالترجمة: نقل الكلام من لغة إلى أخرى، كما في المعجم الوسيط. أما التعبير عن معنى بلفظ، بعد التعبير عنه بلفظ آخر، فهذا من التبيين المحض، و ليس ترجمةً اصطلاحاً.

و يجب في الترجمة أن تكون وافية بتمام أبعاد المعنى المراد من الأصل، حتى في نكاته و دقائقه الكلامية ذات الصلة بأصل المراد، كنايةً أو تعريضاً أو تحزّناً أو تحسّراً أو تعجيزاً، و نحو ذلك من أنحاء الكلام المختلف في الإيفاء والبيان، و المختلف في الأُسلوب و النظم، و غير ذلك مما هو معروف.

و من ثَمَّ يجب أن تتوفّر في المترجِم صلاحية هذا الشأن؛ بالإحاطة الكاملة على مزايا اللّغتين الكلامية، واقفاً على أسرار البلاغة و البيان في كلتا اللغتين، عالماً بمواضع نظرات صاحب المقال الأصل، عارفاً بالمستوى العلمي الذي حواه الكلام الأصل، قادراً على إفراغ تمام المعنى و كماله ـ بمميّزاته و دقائقه ـ في قالب آخر يحاكيه و يماثله جهد الإمكان، الأمر الذي قلّ من ينتدب له من الكُتّاب و أصحاب الأقلام؛ إذ قد زلّت فيه أقدام كثير ممّن حام حول هذا المضمار الخطير.

* * *

خُطورة أمر الترجمة

قلنا: إن شرائط الترجمة ثقيلة، و قلّ من توجد فيه هذه الصلاحية الخطيرة؛ إذ من الصَّعب جدّاً أن يحيط إنسانٌ علماً باللغتين في جميع مزاياهما الكلامية: اللفظية و المعنوية، عارفاً بأنواع الاستعارات و الكنايات الدارجة في كلتا اللغتين، قادراً على إفراغ جميع مناحي الكلام من قالب إلى قالب آخر، يماثله و يحاكيه تماماً.

هذا فضلاً عن لزوم ارتقاء مستواه العلمي و الأدبي إلى حيث مستوى الكلام المترجَم أو ما يقاربه، و هذا أثقل الشروط و أخطرها عند مزلاّت الأقدام و مزالق الأقلام.

و سنذكر نماذج من تراجم قام بها رجال كبار، و لكن لم يسعد لهم الحظّ لمواصلة المسيرة بسلام، فكم من زلاّت أُعفوها و لا مجال لإعفائها، و لا سيما في مثل كلام اللّه العزيز الحميد.

أساليب الترجمة

إذ كانت الترجمة نوعاً من التفسير و الإيضاح بلغة أخرى في إيجاز و إيفاء، وبالأحرى هو إفراغ المعنى من قالب إلى قالب آخر أكشف للمراد، بالنسبة إلى اللغة المُترجَم إليها، فلابدّ أن يعمّد المترجِم إلى تبديل قوالب لفظية إلى نظيراتها من غير لغتها، بشرط الوفاء بتمام المراد، الأمر الذي يمكن الحصول عليه من وجوه:

الأوّل: أن يعمد المترجِم إلى تبديل كل لفظة إلى مرادفتها من لغة أُخرى، فيضعها بإزائها، ثم ينتقل إلى لفظة ثانية بعدها و ثالثة، و هكذا على الترتيب حتى نهاية الكلام.

و هذه هي «الترجمة الحرفية» أو الترجمة تحت اللّفظية. و هذه أردأ أنحاء الترجمة، و في الأغلب توجب تشويشاً في فهم المراد أو تشويهاً في وجه المعنى، و ربما خيانة بأمانة الكلام؛ حيث المعهود من هكذا تراجم لفظية هو تغيير المعنى تماماً؛ لأنّ المترجِم بهذا النمط إنما يحاول التحفّظ على أُسلوب الكلام الأصل في نظمه و ميزاته البلاغية، ليأتي بكلام يماثله تماماً في النظم و الأُسلوب، الأمر الذي لا يمكن بتاتاً، بعد اختلاف اللّغات في أساليب البلاغة و الأداء، و كذا في النكات و الدقائق الكلامية السائدة في كل لغة حسب عُرفها الخاص. فربّ كناية أو تعريض أو مَثَلٍ سائر في لغةٍ، لا تعرفه لغةٌ أُخرى و لا تأنس به، فلو عمد المترجم إلى ترجمة ذلك بعينه؛ لأصبح غير مفهوم المراد، و ربّما استبشعوا مثل هذا التعبير الغريب عن متفاهمهم.

مثلاً قوله تعالى: **﴿وَ لاٰ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلىٰ عُنُقِكَ وَ لاٰ تَبْسُطْهٰا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾**[1] جاء «غلّ اليد إلى العنق و بسطها كل البسط»، كنايةً عن القبض و البسط الفاحش، أي التقتير و الإسراف في المعيشة و في الإنفاق، و هي كناية معروفة عند العرب و مأنوسة الاستعمال لديهم. فلو أريد الترجمة بنفس التعبير من لغة أُخرى كان ذلك غريباً عليهم حيث لم يألفوه، فربما استبشعوه و أنكروا مثل هذا التعبير غير المفهم؛ لأنهم يتصورون من مثل هذا التعبير: النهي عن أن يربط إنسان يديه إلى عنقه برباط من سلاسل و أغلال، أو يحاول بسط يديه يميناً و شمالاً بسطاً مبالغاً فيه. و لا شكّ أن مثل هذا الإنسان إنما يحاول عبثاً و يعمل سفهاً؛ لأنه يبالغ في إجهاد نفسه و إتعابها من غير غرض معقول، الأمر الذي لا ينبغي التعرض له في مثل كتاب اللّه العزيز الحميد.

---

١. الإسراء/ ٢٩.

الثاني: أن يحاول إفراغ المعنى في قالب آخر، من غير تقيّد بنظم الأصل و أسلوبه البياني، و إنما الملحوظ هو إيفاء تمام المعنى و كماله؛ بحيث يؤدّي إفادة مقصود المتكلم بغير لغته، بشرط أن لا يزيد في البسط بما يُخرجه عن إطار الترجمة، إلى التفسير المحض.

نعم إن هكذا «ترجمة معنوية» قد تفوت بمزايا الكلام الأصل اللّفظيّة، و هذا لا يضرّ مادام سلامة المعنى محفوظة. و هذا النمط من الترجمة هو النمط الأوفى والمنهج الصحيح الذي اعتمده أرباب الفنّ. لا يتقيّدون بنظم الأصل، فيقدّمون و يؤخّرون، و ينظّمون الترجمة حسب أساليب اللغة المترجم إليها، كما لا يزيدون بكثير على مثال الألفاظ و التعابير التي جاءت في الأصل. فإن حصلت زيادة مطّردة فهو من الشرح و التفسير، و ليس من الترجمة المصطلحة في شيء.

ذكر الشيخ محمد بهاء الدين العاملي (١٠٣١) ـ نقلاً عن الصَّفوي ـ: أنّ للترجمة طريقين، أحدهما: طريق يوحنّا بن بطريق و ابن الناعمة الحمّصي، و هو: أن يعمد إلى كل لفظة من ألفاظ الأصل ليأتي بلفظة أُخرى ترادفها في الدلالة فيثبتها، و ينتقل إلى أُخرى و هكذا، حتى يأتي على جملة ما يريد ترجمتها، و هي طريقة رديئة لوجهين:

الأوّل: أنه قد لا توجد في اللغة المترجَم إليها لفظة تقابل الأصل تماماً، و من ثَمَّ فتقضي الحاجة إلى استيراد نفس الكلمة الأجنبيّة و استعمالها في الترجمة بلا إمكان تبديل، و من ثَمَّ كثرت اللغات الدخيلة اليونانيّة في مصطلحات العلوم المترجَمة إلى العربية.

الآخر: أنّ خواصّ التركيب و النسب الكلاميّة في الإسناد الخبري و سائر الإنشاءات و المجاز و الاستعارة و ما شابه، تختلف أساليبها في سائر اللغات، وليست تتّحد في التعبير و الإيفاء، فالترجمة تحت اللّفظيّة قد توجب خللاً في

الإفادة بأصل المراد.

أمّا الطريق الثاني ـ و هو طريق حنين بن إسحاق و الجوهري ـ فهو: أن يأتي بتمام الجملة و يتحصّل معناها في ذهنه، ثم يعبّر عنها من اللغة الأُخرى بجملة تطابقها في إفادة المعنى المراد و إيفائه، سواء أساوت الألفاظ أم خالفتها. و هذا الطريق أجود، و لهذا لم يحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب إلاّ في العلوم الرياضية؛ لأنه لم يكن قيّماً بها، بخلاف كتب الطبّ و المنطق و الطبيعي و الإلٰهي، فإنّ الذي عرّبه منها لم يحتج إلى الإصلاح..[١]

الثالث: أن يبسّط في الترجمة و يشرح مقصود الكلام شرحاً وافياً، فهذا من التفسير بلغة أُخرى، و ليست ترجمة محضة حسب المصطلح.

* * *

و قد تلخّص البحث في أنحاء الترجمة إلى ثلاثة أساليب:

١ـ الترجمة الحرفية، أو الترجمة اللفظية، أو تحت اللفظية، و هي طريقة مرفوضة و غير موفّقة إلى حدّ بعيد.

٢ـ الترجمة المعنوية، أو الترجمة التفسيرية غير المبسّطة، و يُطلق عليها: الترجمة المطلقة (المسترسلة) غير المتقيّدة بنظم الأصل، و هي طريقة معقولة.

٣ـ الترجمة التفسيرية المبسّطة، و هي إلى الشرح و التفسير أقرب منه إلى الترجمة.

و لننظر الآن في مسألة ترجمة القرآن الكريم بالذات، من نواحيها المختلفة، وعلى كلا أسلوبي الترجمة: الحرفية و المعنوية، فنقول:

* * *

١. الكشكول (ط حجرية)، ص٢٠٨. و (ط مصر ١٣٧٠هـ)، ج ١، ص٣٨٨.

نواحي القرآن الثلاث

للقرآن الكريم نواح ثلاث تجمّعْنَ فيه، و بذلك أصبح القرآن كتابا سماوياً ذا قدسيّة فائقة، و ممتازاً على سائر الكتب النازلة من السماء:

أوّلاً: كلامٌ إلٰهي ذو قدسيّة ملكوتيّة، يُتعبَّد بقراءته و يُتبرَّك بتلاوته.

ثانياً: هدىً للناس، يهدي إلى الحق و إلى صراطٍ مستقيم.

ثالثاً: معجزةٌ خالدةٌ، دليلاً على صدق الدعوة عبر العصور.

تلك نواح ثلاث خطيرة تجمّعْنَ في هذا الكتاب، رهن نظمه الخاص في لفظه و معناه، و أُسلوبه الفذّ في الفصاحة و البيان، و محتواه الرفيع في نُظُمه و تشريعاته.

و بعد، فهل بإمكان الترجمة ـ من أيّة لغة كانت ـ الوفاء بتلكم النواحي أم ببعضها على الأقلّ، أم تذهب بهنّ جمع أدراج الرّياح؟! الأمر الذي يُحدّد أبعاد بحثنا في هذا المجال، فنقول:

أما الترجمة الحرفيّة فإنها تفتقد دلائل الإعجاز أوّلاً، و لا سيما البيانيّ منها القائم على أعلىٰ درجات البلاغة، كما تعوزها تلك القدسيّة المعهودة بشأن القرآن، فلا تجري عليها الأحكام الشرعية المترتّبة على هذا العنوان الخاص (القرآن الكريم)، و أخيراً فإنها تخون في التأدية أحيانا، إن لم يكن في الأغلب.

لكن الترجمة المعنوية ـ الحرّة غير المتقيّدة بنظم الأصل ـ فإنها تواكب أختها غالباً في افتقاد دلائل الإعجاز، و كذا في الذهاب بقدسيّة القرآن الخاصة بهذا العنوان، نعم سوى الإيفاء بالمعنى إن قامت على شروطها اللازمة، و إليك التفصيل:

الترجمة الحرفية للقرآن

الترجمة الحرفية إن كانت بالمِثل تماماً، فمعناها: إفراغ المعنى في قالب لفظي يشاكل قالبه الأول في جميع خصوصياته و مميزاتِه الكلامية تماماً، سوى كونه من لغة أُخرى، الأمر الذي لا يمكن الإتيان به بشأن القرآن بتاتاً؛ لأنّ الإتيان بما يماثل القرآن نظماً و أُسلوباً، هو الأمر الذي تحدَّى به القرآن الكريم كافَّةَ الناس لو يأتوا بمثله، و قد دلّت التجربة على استحالته.

و إن كانت بغير المِثل، بأن يقوم المترجِم بإنشاء كلام يشاكل نظم القرآن حسب المستطاع، فهذا أمر ممكن في نفسه، إلاّ أنه حينئذٍ يفتقد الكثير من المميّزات اللفظية و المعنوية التي كان القرآن مشتملاً عليها، و كانت من دلائل الإعجاز لا محالة.

* * *

كما أنه إذا غُيّر الكلام إلى غَيْر لفظه و بسوى نظمه و لا سيما بغير لغته، فهذا لا يعدّ من كلام المتكلم الأوّل؛ لأنّ من مقوّمات كلام كل متكلم هو البقاء على نفسْ الكلمات و التعابير و النظم و الأُسلوب الذي جاء في كلامه، فإن غُيِّر في أحد المذكورات، فإنه يُصبح أجنبيّاً عنه و لا يعدّ من كلامه ألبتّة، الأمر الذي لا يحتاج إلى مزيد بيان.

و عليه فلو كان كلام خاص، يحمل قدسيّة خاصّة، و له أحكام خاصة به، و باعتبار انتسابه إلى متكلّم خاص، فإنّ هذه الميزة سوف تذهب بأدنى تغيير شكلي في كلامه. فكيف إذا كان تغييراً في الكلمات و الألفاظ من غير اللّغة، و مغيّراً للنظم و الأسلوب أيضاً و لو يسيراً، الأمر الذي يتحقق في الترجمة الحرفية لا محالة.

* * *

من أجل ذلك نرى الفقهاء[١] ـ و لا سيّما فقهاء الإماميّة ـ متّفقين على عدم إجزاء القراءة بغير العربية في الصلاة، حتى على العاجز عن النطق بالعربية، و إنما يعوّض بآيات أُخرى، أو دعاء و تهليل و تسبيح إن أمكن. أما الفارسية أو غيرها فلا تجوز إطلاقاً، اللهمّ إلاّ بعنوان الذكر المطلق، إذا جوّزناه بغير العربية، و فيه إشكال أيضاً.

قال المحقق الهمداني: يُعتبر في كون المقروء قرآناً حقيقة، كونه بعينه هي المهيّة المنزلة من اللّه تعالى على النبي ﷺ مادّةً و صورةً، و قد أنزله اللّه بلسان عربيّ، فالإخلال بصورته التي هي عبارة عن الهيئات المعتبرة في العربية بحسب وضع الواضع كالإخلال بمادّته، مانع عن صدق كونه هي تلك الماهيّة[٢].

و قال: و لا يجزئ المصلّي عن الفاتحة ترجمتها، و لو بالعربية فضلاً عن الفارسيّة، اختياراً بلا شبهة، فإنّ ترجمتها ليست عين فاتحة الكتاب المأمور بقراءتها، كي تكون مجزئة[٣].

قال ـ بشأن العاجز عن العربية ـ: الأقوى عدم الاعتبار بالترجمة ـ في حالة العجز عن الفاتحة و بدلها (من قرآن غيرها أو تحميد و تسبيح) ـ من حيث هي أصلاً، ضرورة عدم كونها قرآناً و لا ميسوره، بعد وضوح أن لألفاظ القرآن دخلاً في قوام قرآنيّتها. نعم بناءً على الاجتزاء بمطلق الذكر لدى العجز عن قراءة شيء من القرآن مطلقاً، أو لدى العجز عن التسبيح و التحميد و التهليل أيضاً، اتّجه الاجتزاء بترجمة الفاتحة و نظائرها، لا من حيث كونها ترجمة للقرآن، بل من

---

١. من عدا أبي حنيفة و من رأى رأيه، حسبما يأتي.

٢. راجع: مصباح الفقيه، كتاب الصلاة، ص٢٧٣.

٣. المصدر نفسه، ص٢٧٧.

حيث كونها من مصاديق الذكر، و أما ترجمة الآيات التي هي من قبيل القصص فلا يجتزئ بها أصلاً، بل لا يجوز التلفّظ بها لكونها من الكلام المبطل[١].

و هذا إجماع من الإمامية: أن ترجمة القرآن ليست بقرآن. و في ذلك أحاديث متظافرة عن النبيّ و الأئمة الصادقين عليهم السلام:

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «تعلّموا القرآن بعربيّته».

و عن الإمام الصادق عليه السلام: «تعلّموا العربيّة، فإنها كلام اللّه الّذي كلّم به خلقه و نطق به للماضين»[٢].

و لا يزال الفقهاء يفتون بالمسائل التالية:

١ـ من لا يعرف قراءة الحمد، يجب عليه التعلّم.

٢ـ و من تعذّر عليه تعلّمها استبدل من قراءتها ما تيسّر من سائر آيات القرآن.

٣ـ و من لم يتيسّر له ذلك أيضاً يعوّض عنه بما يعرفه من أذكار و أدعية على قدر سورة الفاتحة[٣]، بشرط أدائها بالعربية.

٤ـ و إذا كانت الترجمة لا تصدق عليها عنوان الذكر أو الدعاء، فغير جائزة ألبتة.

٥ـ و إذا كانت من قبيل الدعاء و الذكر فتجوز في الدرجة الثالثة، بناءً على جواز الدعاء بغير العربية في الصلاة، و هو محلّ خلاف بين الفقهاء.

و الخلاصة: أن فقهاء الإماميّة متّفقون على عدم إجراء أحكام القرآن ـ بصورة

١.مصباح الفقيه، كتاب الصلاة، ص٢٨٢.

٢. راجع: وسائل الشيعة للشيخ حرّ العاملي، ج ٤، ص ٨٦٥ـ٨٦٦، الباب (٣٠) من كتاب الصلاة، رقم ١ و ٢.

٣. الوسائل، ج ٤، ص ٧٣٥.

عامة ـ على ترجمته، بأيّة لغة كانت. و يوافقهم على هـذا الرأي أصـحاب سـائر المذاهب من عدا أبي حنيفة و أصحابه، فقد أجازوا في الصـلاة قـراءة تـرجـمة الفاتحة بالفارسيّة استناداً إلى ما رُوي: أنّ الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بـالفارسيّة، فكـانوا يـقرأون ذلك فـي صـلاتهم، حـتى لانت ألسنتهم للعربية.

أما أبوحنيفة فقد أجاز ذلك مطلقاً، و أمّا صاحباه (أبو يوسف و محمد) فقد أجازا لمن لا يُحسن العربية[1]. و كان الحبيب العجمي ـ صاحب الحسن البصري ـ يقرأ القرآن في الصلاة بالفارسيّة، لعدم انطلاق لسانه باللّغة العربية[2].

و قد أفتى بالجواز ـ عند العجز ـ الشيخ محمّد بخيت، مفتي الديار المصرية ـ سابقاً ـ فتوى لأهل الترانسفال، استناداً إلى فعلة الحـبيب العـجمي[3]، و سـيأتي تفصيل ذلك مشروحاً.

* * *

هذا و من ناحية أُخرى فإن الترجمة الحرفية (تحت اللفظية) تخون في التأدية و لا تفي بإفادة المعنى المراد في كثير من الأحيان، إن لم تشوّه المعنى و تشوشه على أذهان القرّاء و المستمعين، على ما سبق بعض الأمثلة على ذلك، و سيأتي مزيد بيان.

و عليه فقد صحّ القول: بأن الترجمة الحرفية تذهب برواء الكلام، فضلاً عن بلاغته الأُولى التي كانت من أهل دلائل الإعجاز في القرآن، كما لم يصح إسناد

---

١. راجع: المبسوط للسرخسي، ج ١، ص٣٧.

٢. شرح مسلّم الثبوت، بنقل المراغي شيخ الأزهر في رسالته (بحث عن ترجمة القرآن)، ص١٧.

٣. الأدلة العلمية لفريد وجدي، ص٥٨.

الترجمة إلى صاحب الكلام الأوّل، بعد تبديله إلى غيره لفظاً و أُسلوباً. و أخيراً فإنها تخون في تأدية المراد في كثير من الأحيان، الأمر الذي يحتم ضرورة اجتنابها، و لا سيما في مثل القرآن العظيم.

* * *

الترجمة المعنوية (التفسيريّة)

أما الترجمة المعنوية ـ الترجمة الحرّة غير المتقيدة بنظام الأصل، إن دعت ضرورة الإيفاء بالمعنى إلى مخالفة النظم ـ فهو أمر معقول، و تختلف عن الترجمة الحرفية بوفائها بتمام المراد، و إن كانت توافقها في الأمرين الأوّلين (انتقاد دلائل الإعجاز و المميّزات اللفظية التي كانت في الأصل، و عدم إجراء أحكام القرآن عليه). أما الوفاء بالمعنى تماماً فهو الأمر الذي يختص به هذا النوع من الترجمة الحرّة، على شريطة الدقّة و الإحاطة، بتمام جهات المعنى المقصودة من الكلام.

و صاحب هذا النوع من الترجمة إنّما يقوم بعملية إيفاء المعنى و بيان مقصود الكلام، و هو نوع من الشرح و التفسير، و لكن في قالب لفظي متناسب مع الأصل مهما أمكن، فهو في الغالب (بل الأكثرية الساحقة) متوافق مع الأصل في النظم و الترتيب و حتى في الأُسلوب البياني، إن أمكن ذلك، و كانت اللغة المترجَمة إليها متقاربة مع اللغة المترجَم عنها في تلكم المصطلحات و فنون المحاورة غالباً. و المعهود أن لغات الأُمم المتجاورة، قريبات بعضهنّ مع البعض في آفاق التعبير و البيان.

و الترجمة المعنوية، هي الراجحة و المتداولة في الأوساط العلمية و الأدبية، منذ عهد سحيق، و هي الوسيلة الناجحة لبثّ الدعوة بين الملأ على مختلف لغاتهم و ألسنتهم، و قد جرت عليها سيرة المسلمين و لا تزال قائمةً على ساقٍ.

و لا شك أن عرض مفاهيم القرآن و حقائقه الناصعة، على ذوي الأحلام الراجحة من سائر الأمم، من أنجح الوسائل في أداء رسالة اللّه إلى الخلق، التي تحمّلتها عواتق هذه الأُمة[١]، الأمر الذي لا يمكن إلاّ بتبيين و ترجمة النصوص الإسلامية ـ كتاباً و سنةً ـ و عَرضها بألسن الأمم و لغاتهم المألوفة[٢]. و من ثم كانت ترجمةُ القرآن ترجمةً صحيحةً، ضرورةً دعائيةً يستدعيها صميم الإسلام و واقع القرآن، حسبما يأتي.

المنع من الترجمة و أخطارها

لم تسبق من علماء الإسلام نظرةُ منعٍ من ترجمة القرآن، بعد أن كانت ضرورة دعائية، لمسها دعاة الإسلام من أوّل يومه. و إنما حدث القول بعدم الجواز في عصر متأخّر (في القرن الماضي، في تركيا العثمانية، و في مقاطعاتها العربية، مثل سوريا و مصر) و لعلها فكرة استعمارية تبشيريّة، محاولةً لشدّ حصار قلعة الإسلام، دون نشره و بثّ تعاليم الإسلام، في المناطق غير العربية.

قال الدكتور علي شواخ: فلو تدبّرنا و تعمّقنا لوجدنا أنّ القول بالمنع عاصر فتوى النصارى الغربييّن و استعمارهم لبلاد الإسلام، فقد حاولوا تنصير المسلمين بكل وسيلة، و لم يكتفوا بإرسال المبشّرين في شتّى الملابس، بل منعوا أيضاً تدريس اللغة العربية حتى في المستعمرات العَرَبيّة مثل شمال إفريقيّة. و الظاهر أنهم ارادوا إتمام حصار قلعة الإسلام بمنع تراجم القرآن بلغات أجنبيّة، فالمسلمون غير العرب لا يعرفون العربية، و لن يجدوا تراجم القرآن بلغات

---

١. البقرة / ١٤٣.

٢. ابراهيم / ٤.

يعرفونها، فتبقى الساحة فارغة للديانات الأُخرى. قال أحد المبشّرين (و بتعبير أصحّ: أحد المنصّرين) لبعض علماء الإسلام الساذجين: «القرآن مُعجزةٌ حقّاً، لا تتحمّل بلاغتُه الترجمة!». فوثب هذا العالم الساذج ـ لشدّة السرور ـ و قال: «الفضل ما شهدت به الأعداء!» و خطب و كتب: «القرآن تصعب أو تستحيل ترجمته»، و تبعه آخرون، و في الخطوة الثانية قالوا: «القرآن لا تجوز ترجمته».

و لكن الإنسان يدبّر، و اللّه يقدّر. فالنصارى الذين دسّوا هذه الفكرة، ظنّوا أنّ العرب سوف لايقومون بترجمة القرآن، و لقد صدق ظنّهم بشأن العرب. أما سائر المسلمين من غير العرب، فإن التاريخ يشهد بأنهم اهتمّوا بهذا الأمر، فقاموا بالترجمة إلى لغاتهم على يد علماء كانوا عارفين بالعربيّة، فترجموه إلى لغاتهم لتدريس أبنائهم و عامّة أهل بلادهم الذين لم يدرسوا العربيّة[1].

قال الدكتور شواخ: و هكذا يتّضح لنا، أنّ الحركة ضدّ ترجمة القرآن إلى سائر اللغات، انحصرت في بلاد العرب، و بالدولة العثمانية خاصّة![2]

و على هذا الغرار ساق الأُستاذ الشاطر ـ رأس المعارضين ـ أدلّة في المنع عن الترجمة، و ذكر أخطاراً سوف تتّجه نحو حامية الإسلام الحصينة (القرآن الكريم) إن أصبح عرضة للترجمة إلى لغات أجنبيّة، نذكر أهمها:

١ـ يقول: إن الترجمة تضيع بالقرآن، كما ضاعت التوراة و الإنجيل من جرّاء ترجمتهما إلى غير لغتهما الأصل، فقد ضاع الأصل بضياع لغته و ضياع الناطقين بها. فيُخشى أن يحلّ بالقرآن ـ لا سمح اللّه ـ لو ترجم إلى غير لغته، ما حلّ بأخويه

---

١. و سيوافيك ـ في نهاية المقال ـ جدول عن مائة و ثماني عشرة لغة حيّة ترجم القرآن إليها، على يد أبنائها الغيارى على الإسلام، و لا تزال تتزايد مع اتساع رقعة الزمان.

٢. معجم مصنفات القرآن الكريم للدكتور علي شواخ إسحاق، ج ٢، ص ١٣.

من ذي قبل![١]

قلت: هذا قياس مع الفارق؛ إذ السبب في ضياع التوراة و كذا الإنجيل، إنّما يعود إلى إخفاء الأصل عن العامة و إبداء تراجمهما المحرّفة للناس، لغرض التمويه عليهم. كان الأحبار و القساوسة يدأبون في تحريف تعاليم العهدين تحريفاً في معاني الكلم دون نصّ اللّفظ؛ إذ لم يكن ذلك بمقدورهم، فعمدوا إلى تفسيرهما على غير وجهه، و إبداء ذلك إلى الملأ باسم التعاليم الإلٰهية الأصيلة.

قال تعالى ـ بشأن التوراة ـ: ﴿**اَلْكِتٰابَ الَّذي جٰاءَ بِهِ مُوسٰى نُوراً وَ هُدىً لِلنّٰاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرٰاطِيسَ تُبْدُونَهٰا وَ تُخْفُونَ كَثِيراً...**﴾[٢]، أي تبدون منه مواضع و تخفون أكثره.

و قد أسبقنا ـ في مسألة تحريف الكتاب ـ أنّ التحريف في العهدين إنّما يعني التحريف في معناهما؛ أي التفسير على غير وجهه، الأمر الذي حصل في تراجم العهدين دون نصّهما.

قال تعالى: ﴿**قُلْ يٰا أَهْلَ الْكِتٰابِ لَسْتُمْ عَلىٰ شَيْءٍ حَتّٰى تُقِيمُوا التَّوْرٰاةَ وَ الإِنْجِيلَ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾[٣] و قال: ﴿**قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرٰاةِ فَاتْلُوهٰا إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ**﴾[٤].

فالكارثة كل الكارثة إنما هي في إخفاء نصّ العهدين الأصليين عن أعين الناس، و هذا هو السبب الوحيد لضياعهما، دون مجرد ترجمتهما.

---

١. القول السديد، ص١٥ـ١٦.

٢. الأنعام/ ٩١.

٣. المائدة/ ٦٨.

٤. آل‌عمران/ ٩٣.

أما القرآن فهو الكتاب الذي يتعاهده المسلمون جيلاً بعد جيل، بل العالم كله من مسلم معتقد و آخر محقق مضطلع، يحرسون على نصّ القرآن العزيز، و قد قال تعالى: ﴿اِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ اِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾[١]، أي في صدور الرجال و على أيدي الناس، الأولياء و الأعداء جميعاً، معجزة قرآنية خالدة.

* * *

٢ـ يقع ـ بطبيعة الحال ـ اختلاف بين التراجم؛ لاختلاف السلائق بل العقائد التي يذهب إليها كل مذهب من المذاهب، و كذا اختلاف المواهب و الاستعدادات في فهم معاني القرآن و ترجمتها وَفق الأفهام و الآراء المتضاربة؛ و لهذا الاختلاف في تراجم القرآن آثار سيّئة؛ إذ يستتبعها اختلاف الاستفادة و استنباط الأحكام و الآداب الشرعية، و كل قوم من الأقوام إنّما يرتأي حسب ما فهم من الترجمة التي أُتيحت له، و ربّما لا يدري مدى اختلافها مع سائر التراجم[٢].

لكن هذا خروج عن مفروض الكلام، فإن للترجمة ضوابط يجب مراعاتها، و لا سيما ترجمة القرآن الكريم، يجب أن تكون تحت إشراف لجنة رسميّة، و من هيأة علماء و أدباء اختصاصيّين برعاية حكومة إسلامية قاهرة، لا تدع مجالاً لتناوش أيدي الأجانب فيجعلوا القرآن عضين، كما هو الشأن في رسم خط المصحف الشريف، و طباعته على أُصول مقرّرة، تحفظه عن الاختلاف و الاضطراب.

نعم يجب أن يعلم كل الأمم الإسلامية، أنّ الترجمة لا تضمن واقع القرآن، و أنّ المصدر للاستنباط و استخراج الأحكام و السنن للمجتهدين هو نص القرآن

---

١. الحجر / ٩.

٢. محمد مصطفى الشاطر في «القول السديد في حكم ترجمة القرآن المجيد»، ص١٧ـ١٨.

الأصل، ليس ما سواه. هذا أمر يجب الإعلان به، فلا يذهب وهم الواهمين إلى حيث لا ينبغي.

نعم، على كل محقق إسلامي أن يتعلّم القرآن بلغته العربية الفُصحى، و ليست الترجمة بذاتها لتفي بمقصوده أو تُشبع نَهْمَه.

* * *

٣ـ أنّ للقرآن في كثير من آياته حقائق غامضة، قد تخفى على كثير من العلماء، و قد يعلمها غيرهم ممن جاء بعدهم؛ و لذلك أمثلة كثيرة. فلو ترجمنا القرآن وَفق معلومنا اليوم، ثم جاء الغد ليرتفع مستوى العلوم و ينكشف من حقائق القرآن ما كان خافياً علينا، فهل نُخطِّئ أنفسنا بالعلانية و نغيّر الترجمة و نعلن للملأ، أن الذي ترجمناه أمس أصبح خطأً، و أن الصحيح غيره.

فماذا يقول لنا الناس؟ و ما الذي يضمن بقاء ثقتهم اليوم كثقتهم بالأمس؟ ثم ضرب لذلك أمثلة:

١ـ منها: قوله تعالى: ﴿وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[1] فسّر القدامى «الزوجين» بالصنفين. ثم جاء العلم الحديث ليكشف النقاب عن المعنى الصحيح، و هو أنّ كلّ ثمرة فيها ذكر و أُنثى[2].

قال: فلو حصلت الترجمة وَفق التفسير الأول لأضاعت على قارئيها تلك الحقيقة التي أظهرها العلم الحديث!

* * *

١. الرعد/ ٣.

٢. و للآيات التي يذكرها معاني أُخر أوفى سوف نتعرّض لها، و لقد اشتبه على الأُستاذ الشاطر مواضع كثيرة من هذه الآيات، فتنبّه.

٢ـ و منها: قوله تعالى: ﴿وَ اللّٰهُ الَّذي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثيرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾[١]. فقد فسّر «تثير» بمعنى «تسوق»، و بذلك قد ضاع المعنى البديع الذي أصبح معجزة للقرآن. و هو أنّ لفظ «تثير» من الإثارة و هو التهييج، نظير تهييج الغبار و الدخان، و هذا مبدأ «عملية التبخير» و تكوين الأمطار. فإنّ التبخير يحصل من الحرارة المركزيّة و الحرارة الجوية و الريح، أي لا بدّ من هذه العوامل الثلاثة لتكوين «عملية التبخير»، ثم بعد ذلك تحمل الرياح هذا البخار إلى حيث شاء اللّه، و هذا المعنى لم يظهر إلاّ حديثاً.

* * *

٣ـ و منها: قوله تعالى: ﴿وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتادِ﴾[٢]. فسّروا «الأوتاد» بكثرة الجنود، أو أنها كانت مسامير أربعة كان يعذّب الناس بها. و قد تبيّن الآن أن المراد هي هذه الأهرام و هي تشبه الجبال، و قد عبّر القرآن عن الجبال بالأوتاد في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً وَ الْجِبالَ أَوْتاداً﴾[٣].

* * *

٤ـ و منها: قوله تعالى: ﴿وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحاها﴾[٤]. فسّر «الدحو» بعض المفسرين بالبسط. فلو ترجم إلى هذا المعنى ضاع المعنى الذي يؤخذ من «الدحو»، و هو التكوير غير التام، كتكوير البَيضة مع الدوران. و لا يزال أهل الصعيد ـ و أصل أكثرهم عرب ـ يعبّرون عن «البَيض» بالدحو أو الدحى أو الدح.

---

١. فاطر/ ٩.

٢. الفجر/ ١٠.

٣. النبأ/ ٧.

٤. النازعات/ ٣٠.

٥ـ و كذلك إذا ترجم قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾[١] بما يقوله بعض المفسرين[٢]، ذهب المعنى المستفاد من الآية، و هو كرويّة الأرض؛ لأنّ تكوير الضوء أو تقوّسه يستلزم تكوير المضاء و تقوّسه؛ لأنّ النور و الظلمة إنما يتشكّلان بأشكال الجسم الواقعين عليه. فلو ترجمت الآية بذلك المعنى (التغشية) ثم دلّتنا الأدلة على صحة المعنى الثاني، لكنّا قد خسرنا معجزة من معجزات القرآن.

قال الأُستاذ الشاطر: إني لأخشى أن ينطبق علينا الحديث الشريف: «لتتّبعنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر و ذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضبّ خرب لاتّبعتموهم.

قيل: يا رسول اللّه ﷺ اليهود و النصارى؟ قال: فمن؟!»[٣]

دفاع حاسم

و لقد أحسن الأُستاذ محمد فريد وجدي الدفاع عن «مشروع ترجمة القرآن إلى اللّغات الأجنبيّة» و أجاب عن اعتراض الأُستاذ (الشاطر) قائلاً: نحن نعتقد أنّ القرآن كتاب لا تنقضي عجائبه و لا يُدرك غَوره، كما يعتقد الأُستاذ (الشاطر) و لكنّا لا نذهب بالغلوّ في هذا المعنى إلى درجة التعطيل، و اعتباره طلسماً تضلّ العقول في فهمه، و لا تصل منه إلى حقيقة ثابتة. فإنّ هذا الفهم يصطدم بالقرآن نفسه، فقد وصفه في غير آية بأنه آيات بيّنات، و بأنه مُنزل ليتدبّر الناس هذه الآيات، حتى

---

١. الزمر / ٥.

٢. فسروا «التكوير» بمعنى التغشية.

٣. أخرجه مسلم، ج٨، ص٥٧. راجع القول السديد، ص٢١ـ٢٦.

قال: ﴿وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[1]، أي سهّلناه للاتّعاظ. و كرّرت هذه الآية أربع مرات في سورة واحدة! فلا يجوز أن ندّعي أنّ ما يسّره اللّه للتذكّر و الاتعاظ، معمّىً لا يمكن فكّه، و طلسم لا يستطاع حلّه.

نعم إنّ المفسّرين بعد القرنين الأوّلَين تذرّعوا بالفنون الآليّة التي وضعوها لضبط قواعد اللّغة، من: نحو و بيان و بديع و معاني، إلى زيادة التعمّق في تمحيص الآيات لهذا السبب ـ و أكثر هذا التعدّد آليّ محض ـ و لكن المعاني لم تخرج قطّ عن دائرة الفهم، فلم يدّعِ أحد أنّ القرآن لم يُفهم في عصر من العصور، و لا سيما الآيات المحكمات. و كيف يمكن أن يقال: إنّ محكمات القرآن لم تُفهم على حقيقتها، و قد انبنى عليها الدين كله عقائده و عباداته و معاملاته؟!

فاللّجنة التي ستدّعي لترجمة القرآن ستنظر في المعاني التي قرّرها أئمة التفسير، فإن آنسوا في بعضها ـ خلافاً بينهم ـ عمدوا إلى اختيار ما رضيه جمهورهم، مشيرين في الهامش إلى بقية الاحتمالات؛ فتكون الترجمة قد استوعبت جميع الآراء.

هذا في آيات العقائد و العبادات و المعاملات. و أمّا الآيات الكونية والتاريخية و المتشابهات، فإنّ اللجنة ستترجم معانيها على ما يحتمله اللّفظ العربيّ، و لا تتعرّض لشرحها، فمثل قوله تعالى: ﴿وَ اللّٰهُ الَّذي أَرْسَلَ الرِّيٰاحَ فَتُثِيرُ سَحٰاباً..﴾ مثل هذه الآية تتولاّها لجنة التفسير فتُعطي معناها الصحيح للجنة الترجمة لتُترْجمَه، دون أن تتعرّض ـ هذه الأخيرة ـ لما تشير إليه الألفاظ من الدلالات العلمية. و لكنها تجتهد في ترجمة كلمة «تثير» مثلاً لتكون واجدة لجميع

---

١. القمر / ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

خصائصها اللّغويّة[١]، تاركة دلالاتها العلمية إلى عقول القارئين، تفادياً من الوقوع في مثل هذا الخطأ الكبير الذي وقع فيه الأُستاذ (الشاطر) في هذا الموطن نفسه[٢]،و حفظاً للقرآن الكريم مما عسى أن يرجع عنه العلم من مقرّراته الحاليّة، و هو دائم التغيّر بطبيعته.

قال: و هنا يسوغ لنا أن نقول: إذا جرينا على مذهب الأُستاذ الشاطر في تفسير الآيات و ترجمتها، ثم رجع العلم عن رأيه الأوّل، أنعيد إذ ذاك ترجمة القرآن، أم نترك الترجمة على خطائها. و لكن الترجمة على الأُسلوب الذي ذكرناه فلا تجعل محلاً لمثل هذا الندم؛ لأن الكلمة قد تبدّلت إلى ما يرادفها في الإفادة، من دون التعرّض للشرح و البيان، تاركين ذلك إلى فهم القُرّآء، كما هو الحال بالنسبة إلى الكلمة في موضعها من القرآن[٣].

* * *

و أمّا الآيات التي استشهد بها، فأظنّه مشتبها فيها، فضلاً عن أنّ الاختلاف في الترجمة لا يزيد خطراً عن الاختلاف في التفسير الذي لا محيص عنه ألبتة.

و قد تعرّض الأُستاذ وجدي لبيان الآيات على وجه يخالف رأي الأُستاذ الشاطر، نذكرها على الترتيب:

أما الآية الأُولى التي قال فيها: لكن العلم الحديث كشف لنا أنّ كل ثمرة فيها ذكر و أُنثى.

---

١. و قد جاءت ترجمة كلمة «تثير» في التراجم الفارسية بـ«بر مي‌انگيزد»، لأن معنى «الإثارة» بالفارسية «برانگيختن». و هي تنطبق مع الكلمة في العربية تماماً.

٢. سنذكر مواضع اشتباهه.

٣. راجع: الأدلّة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن، بقلم الأستاذ وجدي، ص٢٨ـ٣٠، (ملحق العدد الثاني من مجلّة الأزهر، ع١/ ١٣٥٥).

فقال الأُستاذ وجدي: هذا خطأ؛ إذ الثمار ليس فيها ذكر و لا أُنثى على الإطلاق، نعم إنّ الذكورة و الأُنوثة من أعضاء الأزهار لا الأثمار. فقد يكون هناك عضوان ذكر و أُنثى في زهرة واحدة، و قد يكونان في زهرتين من نفس الشجرة، أو في زهور شجرتين مستقلّتين. و هذا اللّقاح النباتي كان معروفاً منذ أقدم العصور، حتى أنّ عرب الجاهلية كانوا يعرفونه، فكانوا يلقّحون إناث النخيل بالطلع المستخرج من ذكورها.

إذن فلم يكن هذا المعنى خافياً على المفسرين القدامى، و من ثم أخذوا الآية حسب مفهومها الظاهر اللغوي، و هو الصحيح، بعد ملاحظة آية أُخرى جاء فيها وصف الجنّتين اللّتين وعد اللّه بهما المتّقين، قال تعالى: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾[١] و لا يمكن صرف هذه الآية بحال من الأحوال إلى المعنى الذي أراده الأستاذ (الشاطر).

و الآية الثانية، التي جعل لفظة «تثير» فيها إشارة إلى «عملية التبخير» بفعل الحرارة و الرياح، فالمعروف في علم الطبيعة أنّ عملية التبخير ـ في المياه والرطوبات ـ إنما تقوم على فعل الحرارة المركزيّة للأرض، و الحرارة الجوّية للشمس، أمّا الرياح فلا دور لها في ذلك، و لم يقل به أحد من العلماء.

و قد كان العلماء منذ خمسمائة عام قبل ميلاد المسيح عليه السلام يعرفون تكوّن الأبخرة الأرضية، التي هي المؤلّفة للسحب. و هذه كتب الطبيعيات القديمة شاهدة بذلك، و ليس أمراً اكتشفه العلم حديثاً.

و الآية الثالثة ـ التي زعم «الأوتاد» فيها هي الأهرام ـ فلا يمكن المصادقة عليه، بعد أن كان السبب فى إطلاق «الوتد» على الجبل باعتبار تأثيره في ضبط الأرض

---

١. الرحمان/ ٥٢.

عن الميدان و عن التفتُّت و الاندثار، الأمر الذي يرجع إلى ضخامته و صلابته، مما لا تناسب بينه وبين أكبر هرم من أهرام مصر، الذي يبلغ ارتفاعه مائة و خمسين متراً، و طول قاعدته عن ثلاثمائة و ثلاثة و ثلاثين متراً. فأين ذلك من جبل «همالیا» الذي يزيد ارتفاعه عن ثمانية آلاف مترٍ و ثمانمائة متر، و يشغل شمالي الهند كله. أو جبال أنده في أمريكا الجنوبية التي يبلغ طول قاعتها نحو سبعة آلاف كيلومتراً، و ارتفاعها بضعة آلاف متر. لا جرم كان أطول الأهرام لا يساوي أصغر تلال الأرض، فلا يتناسب و الإطلاق وتد الأرض عليه؛ إذ لا مناسبة حينذاك. على أنّ «الأهرام» هي قبور فراعنة مصر ممن سبقوا فرعون موسى نحو ثلاثة آلاف عام، ولم يكن هذا الأخير ممن شيّدها، فكيف يصحّ نسبتها إليه؟!

و الآية الرابعة، و كذا الخامسة، فإنّ الذي ذكره احتمال، لا نستبعد إمكان الدّلالة عليه إجمالاً، لكن ليس من الحتم، فهو احتمال كسائر الاحتمالات التي تحتملها جُلّ آيات الذكر الحكيم، كما قال علي عليه السلام: «القرآن حمّال ذو وجوه»، لكن لا يرتبط الأمر و قضيّة إمكان الترجمة بشكل يبقى احتمالات اللفظ على حالها في الترجمة، كما هي في الأصل.

و على أيّة حال فليست الترجمة بذاتها مما يتنافى و احتمالات لفظ القرآن، إن كانت الترجمة ـ كما ذكره الأُستاذ وجدي[1] ـ قائمة على أُصولها حسبما عرفت.

الترجمة من الوجهة الشرعيّة

سبق أنّ الغاية من الترجمة هي الإيفاء بمفاهيم القرآن و إيضاح ما يحويه هذا الكتاب السماويّ الخالد، إيضاحاً بسائر اللّغات لسائر الأُمم، تقريباً لهم إلى تعاليم

---

١. راجع: الأدلة العلمية، ص ٣١ـ٣٥.

القرآن و آداب الإسلام و أحكامه و سننه، الأمر الذي لا بأس به ـ فضلاً عن كونه من ضرورة الدعاء إلى الإسلام ـ مادام لا تعتبر الترجمة قرآنا، بل ترجمةً له محضاً. فلا تشملها أحكام القرآن الخاصة به، و إنما شأنها شأن التفسير الذي وضع على أساس الإيجاز و الإيفاء حسب المستطاع.

و أما الحديث المأثور عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «تعلّموا القرآن بعربيّته»، فإنّما هو حثّ على تعلّم العربيّة؛ حيث عبادات الإسلام عربيّة، و على كل مسلم أن يُتقنها مهما أمكن. قال الإمام الصادق عليه السلام: «تعلّموا العربية فإنها كلام اللّه الذي كلم به خلقه و نطق به للماضين» و روى ابن فهد الحلي في «عُدّة الداعي ص١٨» عن الإمام الجواد عليه السلام، قال: ما استوى رجلان في حسب و دين قطّ إلاّ كان أفضلهما عند اللّه ـ عزّ و جلّ ـ أأدبهما. قال الراوي: قلت: قد علمتُ فضله عند الناس في النادي و المجلس، فما فضله عند اللّه؟ قال عليه السلام: بقراءة القرآن كما أُنزل، و دعائه من حيث لا يلحن؛ و ذلك أنّ الدعاء الملحون لا يصعد إلى اللّه.

هذا إن أُريد قراءة القرآن ذاته، و ليس نهياً عن تفسيره أو ترجمته بغير لغة العرب إذا دعت الضرورة إلى ذلك، كما نبّهنا. و مع ذلك فقد أجيز القراءة بلحن غير عربي لمن يتعذر عليه التلهّج بلهجة العرب. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الرجل الأعجمي من أُمّتي ليقرأ القرآن بعجميّته، فترفعه الملائكة على عربيّته»[1].

وثائق شرعيّة

لم يبحث علماؤنا السلف رحمهم الله عن مسألة «ترجمة القرآن إلى سائر اللغات» بحثاً مستوفىً يشمل جوانب المسألة و في تمام أبعادها بتفصيل، و إنما جاء

---

١. الأحاديث مستخرجة من كتاب الوسائل، ج ٤، ص٨٦٦.

كلامهم عن الترجمة عرضاً عند التكلّم في شروط القراءة في الصلاة. و يبدو من كلماتهم هناك: أنّ الترجمة في حدّ ذاتها لا ضير فيها، و من ثم وقع البحث منهم في جواز قراءتها في الصلاة بدلاً عن الفاتحة بحثاً ثانوياً، مفروغاً عن جواز أصل الترجمة ذاتها.

كما أنه في طول حياة المسلمين، قام رجال من أهل الفضيلة و الأدب بترجمة القرآن، تماماً أو بعض آيه و سوره، عرضاً على أناس كانوا لا يحسنون العربية[1]، و كان ذلك بمرأى و مسمع من فقهاء الإسلام من غير نكير منهم، مما ينبؤك عن تسالمهم على الجواز، و لا سيما للهدف المذكور.

نعم صدرت ـ أخيراً ـ فتاوي بشأن جواز الترجمة، و كتب كثيرون حول المسألة، نقضاً و إبراماً. أما الفقهاء فقد توافقوا على الجواز، بشروط ذكروها، و قد نوّهنا عن طرف منها. و نورد هنا بعضاً من تلك النظرات و الآراء:

فتوى الحجة كاشف الغطاء

جاء فيما كتبه سماحة الحجة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ـ تغمّده اللّه برحمته ـ جواباً على استفتاء الأُستاذ عبد الرحيم محمد علي، بشأن جواز ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبيّة ـ ما نصّه ـ:

«إذا أمعنّا النظر في هذه القضيّة نجد أن إعجاز القرآن الذي أدهش العلماء، بل و أدهش العالم، يرجع إلى أمرين: فصاحة المباني إلى فصاحة الألفاظ، و بلاغة الأساليب و التراكيب. و الثاني قوّة المعاني. و ما في القرآن من التشريع البديع والوضع الرفيع، و الأحكام الجامعة في صلاح البشر عامّة من العبادات والاجتماعيّات، يعني من أوّل كتاب الطهارة إلى الحدود و الديات، بعد العقائد

---

۱. سوف نُوفي لك عن تراجم عقيدة قام بها رجالات الإسلام منذ عهد قديم.

المبرهنة في التوحيد و النبوّة و المعاد. و بالجملة فقد تكفل القرآن بصلاح عامّة البشر معاشهم و معادهم بما لم يأت بمثله أيُّ كتاب سماويّ، و أيُّ شريعة من الشرائع السابقة. و لا شك أنّ الترجمة مهما كانت من القوّة و البلاغة في اللّغة الأجنبيّة فإنها لا تقدر على الإتيان بها بلسان آخر، مهما كان المترجم قويّاً ماهراً في كلتا اللّغتين العربيّة و الأجنبيّة. فإذا صحّت الترجمة و لم يكن فيها أيُّ تغيير و تحريف، فهي جائزة، بل نقلها واجب على المقتدر فرداً كان أو جماعة؛ لأنّ فيها أبلغ دعوةٍ للإسلام و دعاية للدّين، و يشمله قوله تعالى: ﴿وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[1] و أيّ خير أهم و أعظم من الدعوة إلى الإسلام! و لم تزل ترجمة القرآن باللّغة الفارسيّة شائعة من زمن قديم، و لم يُذكَر أحد من علمائنا الأفاضل رحمهم الله المنع عنها، و إذا جاز بالفارسيّة جاز بغيرها قطعاً. و بهذا البيان لا حاجة إلى التمسّك بأصالة الإباحة و نحوها، فإن الأمر أوضح و أصحّ و أجلى من أن يحتاج إلى دليل أو أصل أصيل، و حسبنا اللّه و نعم الوكيل»[2].

نظرة الإمام الخوئي

لسيّدنا الأُستاذ الإمام الخوئي ـ دام ظله ـ نظرة وافية بشأن ترجمة القرآن إلى سائر اللغات، ذكرها في ملحق كتابه «البيان» مع إشارة إجمالية إلى شروطها الأوّلية، و إليك نصّها:

«لقد بعث اللّه نبيّه لهداية الناس فعزّزه بالقرآن، و فيه كل ما يُسعدهم و يرقى بهم إلى مراتب الكمال. و هذا لطف من اللّه لا يختصّ بقوم دون آخر، بل يعمّ

---

١. آل‌عمران/ ١٠٤.

٢. نقلاً عن رسالة «القرآن و الترجمة» بقلم الأُستاذ عبد الرحيم، ص٣ـ٤، طبعة النجف الأشرف، ١٣٧٥هـ. ق.

البشر عامّة. و قد شاءت حكمته البالغة أن يُنزل قرآنه العظيم على نبيّه بلسان قومه، مع أنّ تعاليمه عامّة و هدايته شاملة؛ و لذلك فمن الواجب أن يفهم القرآن كل أحد ليهتدي به. و لا شكّ أنّ ترجمته مما يعين على ذلك، و لكنه لا بدّ أن تتوفّر في الترجمة براعة و إحاطة كاملة باللغة التي يُنقل منها القرآن إلى غيرها؛ لأنّ الترجمة مهما كانت متقنة لا تفي بمزايا البلاغة التي امتاز بها القرآن، بل و يجري ذلك في كل كلام؛ إذ لا يؤمن أن تنتهي الترجمة إلى عكس ما يريد الأصل. و لا بدّ إذن في ترجمة القرآن من فهمه، و ينحصر فهمه في أُمور ثلاثة: ١ـ الظهور اللّفظي الذي تفهمه العرب الفصحى، ٢ـ حكم العقل الفطري السليم، ٣ـ ما جاء من المعصوم في تفسيره. و على هذا تتطلّب إحاطة المترجم بكل ذلك لينقل منها معنى القرآن إلى لغة أُخرى. و أما الآراء الشخصيّة التي يطلقها بعض المفسّرين في تفاسيرهم، و لم تكن على ضوء تلك الموازين، فهي من التفسير بالرأي و ساقطة عن الاعتبار، و ليس للمترجم أن يتّكل عليها في ترجمته. و إذا رُوعي في الترجمة كل ذلك، فمن الراجح أن تنقل حقائق القرآن و مفاهيمه إلى كل قوم بلغتهم؛ لأنّها نزلت للناس كافّة. و لا ينبغي أن تحجب ذلك عنهم لغة القرآن، ما دامت تعاليمه و حقائقه لهم جميعاً»[1].

كتاب شيخ الأزهر

جاء في كتاب رسمي قدّمه شيخ الجامع الأزهر الأسبق الشيخ محمد مصطفى المراغي إلى رئيس مجلس الوزراء المصري عام (١٣٥٥هـ. ق) ما نصّه:

«اشتغل الناس قديماً و حديثاً بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللّغات المختلفة، و تولّى ترجمته أفراد يُجيدون لغاتهم و لكنّهم لا يجيدون اللغة العربيّة،

---

١. البيان ـ قسم التعليقات ـ رقم ٥، ص ٥٤٠، (ط نجف).

و لا يفهمون الاصطلاحات الإسلامية، الفهم الذي يمكنهم من أداء معاني القرآن على وجهٍ صحيح؛ لذلك حدث في التراجم أخطاء كثيرة، و انتشرت تلك التراجم و لم يجد الناس غيرها، فاعتمدوا عليها في فهم أغراض القرآن الكريم و فهم قواعد الشريعة الإسلاميّة، فأصبح لزاماً على أُمّة إسلامية كالأُمّة المصريّة التي لها المكان الرفيع في العالم الإسلامي أن تُبادر إلى إزاحة هذه الأخطاء، و إلى إظهار معاني القرآن الكريم نقيّة في اللغات الحيّة لدى العالم.

و لهذا العمل أثر بعيد في نشر هداية الإسلام بين الأُمم التي لا تدين بالإسلام، ذلك أنّ أساس الدعوة إلى الدين الإسلامي إنما هو الإدلاء بالحجة الناصعة والبرهان المستقيم. و في القرآن من الحجج الباهرة و الأدلّة الدامغة ما يدعو الرجل المنصف إلى التسليم بالدين و الإذعان له.

و فائدة أخرى للأُمم الإسلاميّة التي لا تعرف العربيّة و تشرئبُّ أعناقها إلى اقتطاف ثمرات الدين من مصدرها الرفيع، فلا تجد أمامها إلاّ تراجم قد ملئت بالأخطاء. فإذا ما قدّمت لها ترجمة صحيحة تصدرها هيأة لها مكانتها الدينيّة في العالم، اطمأنّت إليها و ركنت إلى أنّها تعبّر عن الوحي الإلٰهي تعبيراً دقيقاً.

و نرى أنّ عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الذي تمّت فيه أعمال جليلة لخير الإسلام و المسلمين، خليق بأن يتمّ هذا المشروع الجليل، أطال اللّه بقاء جلالته نصيراً للعلم و الدين.

لذلك أقترح: أن يُقرّر مجلس الوزراء ترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة رسميّة، على أن تقوم بذلك مَشْيَخة الأزهر بمساعدة وزارة المعارف، و أن يقرّر مجلس الوزراء الاعتماد اللازم لذلك المشروع الجليل، فأرجو النظر في هذا..».

و هناك كتابٌ رسمي آخر من وزير المعارف المصريّة إلى رئيس مجلس

الوزراء، بشأن تأييد كتاب شيخ الأزهر و التأكيد من إنجاز الطلب[1].

فتوى علماء الأزهر

قُدّم إلى هيأة علماء الأزهر استفتاء بشأن ترجمة القرآن إلى سائر اللغات، ضمّنه الشروط المقرّرة لهذا المشروع. فكان الجواب هي الموافقة الصريحة.

و إليك نصّ الاستفتاء مشفوعاً بجوابه:

«ما قول السادة أصحاب الفضيلة العلماء في السؤال الآتي بعد ملاحظة المقدمات الآتية؟

١ـ لا شبهة في أنّ القرآن الكريم اسم للنظم العربي الذي نزل على سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ و لا شبهة أيضاً في أنه إذا عُبّر عن معاني القرآن الكريم بعد فهمها من النّص العربى بأيّة لغة من اللغات، لا تسمّى هذه المعاني و لا العبارات التي تؤدّى هذه المعاني قرآناً.

٢ـ و ممّا لا خلاف فيه أيضاً أنّ الترجمة اللفظيّة، بمعنى نقل المعاني مع خصائص النظم العربي المعجز مُستحيلة.

٣ـ وَضَع الناس تراجم للقرآن الكريم بلغاتٍ مختلفةٍ اشتملت على أخطاءٍ كثيرة، و اعتمد على هذه التراجم بعضُ المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربيّة، و بعضُ العلماء من غير المسلمين ممّن يريد الوقوف على معاني القرآن الكريم.

٤ـ و قد دعا هذا التفكير في نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى على الوجه الآتي: يراد ـ أولاً ـ فهم معاني القرآن الكريم بوساطة رجال من خيرة علماء الأزهر الشريف، بعد الرجوع لآراء أئمة المفسّرين، و صوغ هذه المعاني بعبارات دقيقة محدودة. ثم نقل المعاني التي فهمها العلماء، إلى اللّغات الأُخرى،

---

١. راجع: كتاب «حدث الأحداث» للشيخ محمد سليمان، ص٣٣ـ٣٥.

بوساطة رجال موثوق بأماناتهم و اقتدارهم في تلك اللغات؛ بحيث يكون ما يُفهم في تلك اللغات من المعاني هو ما تؤدّيه العبارات العربيّة التي يضعها العلماء.

فهل الإقدام على هذا العمل جائزٌ شرعاً أو هو غير جائز؟

هذا مع العلم بأنه سيوضع تعريف شامل يتضمّن أنّ الترجمة ليست قرآناً، وليس لها خصائص القرآن، و ليست هي ترجمة كل المعاني التي فهمها العلماء، و أنه ستوضع الترجمة وحدها بجوار النّص العربي للقرآن الكريم».

و جاء الجواب ما نصّه:

«الحمد للّه و الصلاة و السلام على رسول اللّه ﷺ و بعد فقد اطّلعنا على جميع ما ذُكر بالاستفتاء المدوَّن بباطن هذا، و نُفيد بأن الإقدام على الترجمة على الوجه المذكور تفصيلاً في السؤال، جائز شرعاً، و اللّه سبحانه و تعالى أعلم».

و قد وقّعه كبار علماء الأزهر و أسماؤهم كما يلي:

محمود الدنياوي	عضو جماعة كبار العلماء، و شيخ معهد طنطا.
عبدالمجيد اللبّان	شيخ كلية أُصول الدين، و عضو جماعة كبار العلماء.
إبراهيم حمروش	شيخ كلية اللغة العربية و عضو جماعة كبار العلماء.
محمد مأمون الشناوي	شيخ كلية الشريعة و عضو جماعة كبار العلماء.
عبدالمجيد سليم	مفتي الديار المصريّة و عضو جماعة كبار العلماء.
محمد عبداللطيف الفحّام	وكيل الجامع الأزهر و عضو جماعة كبار العلماء.
دسوقي عبد اللّه البدري	عضو جماعة كبار العلماء.
أحمد الدلبشاني	عضو جماعة كبار العلماء.
يوسف الدجوي	عضو جماعة كبار العلماء.
محمد سبيع الذهبي	شيخ الحنابلة و عضو جماعة كبار العلماء.
عبدالرحمان قراعة	عضو جماعة كبار العلماء.

أحمد نصر عضو جماعة كبار العلماء.
محمد الشافعي الظواهري عضو جماعة كبار العلماء.
عبدالرحمان عليش الحنفي عضو جماعة كبار العلماء.

و عقّب شيخ الجامع الأزهر محمد مصطفى المراغي على الفتوى المذكورة بالنص التالي، و أبدى موافقته لهم في الجواب. و هذا نصّه:

«بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم. وجّهتُ هذا السؤال إلى حضرات أصحاب الفضيلة جماعة كبار العلماء. و إنّي أوافقهم على ما رأوه».

رئيس جماعة كبار العلماء
محمد مصطفى المراغي

* * *

قرار مجلس الوزراء المصري

أقرّ مجلس الوزراء المصري المشروع و وافق عليه، و أدخل عليه عشرة آلاف جنيه في ميزانيّة السّنة الجديدة، لتنفيذ بعضها في ميزانية وزارة المعارف، و بعضها في ميزانية الجامع الأزهر، و بعضها في ميزانية المطبعة الأميريّة. و أصبح المشروع نافذ المفعول من الوجهة القانونيّة، و استوفى الإجراءات من الناحيتين العلمية و الرسميّة، و هذا قرار مجلس الوزراء المصري كما يلي:

«بعد الإطلاع على كتاب فضيلة شيخ الجامع الأزهر، و كتاب سعادة وزير المعارف العموميّة، بشأن ترجمة معاني القرآن الكريم، و مع تقدير مجلس الوزراء لمشقّة هذا العمل و صعوبته، و منعاً لإضرار التراجم المنتشرة إلى الآن، رأى بجلسته المنعقدة في (١٢ ابريل/ ١٩٣٦م) الموافقة على ترجمة معاني القرآن الكريم، ترجمة رسمية تقوم بها مَشْيَخة الجامع الأزهر، بمساعدة وزارة المعارف

العموميّة؛ و ذلك وفقاً لفتوى جماعة كبار العلماء، و أساتذة كليّة الشريعة».[١]

محاولة دون تنفيذ القرار

تكتّلت الجماعة المعارضة بزعامة الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة الشرعيّة العليا، و قاومت المشروع مقاومة عنيفة. و انحاز إليهم شخصيّات كبيرة، أمثال الشيخ محمد الأحمدي الظواهري، شيخ الجامع الأزهر السابق و العضو في هيأة كبار العلماء، فلم يشهد الاجتماع الذي عقدته هيأة كبار العلماء لإقرار المشروع، و لم يوافق عليه، أضف إلى ذلك أنه أرسل كتاباً إلى علي ماهر پاشا رئيس الوزارة السابقة، يحمله على رفض المشروع.

و عقد مقاومو المشروع اجتماعات، و أسّسوا جمعيّة لمقاومته، و وزّعوا بعض نشرات، و طافوا بمضابط في الأسواق، يسألون الناس توقيعها، فوقّعها كثيرون يُعَدُّون بالألوف، و رفعوها إلى البرلمان. و أصدر فريق كبير من العلماء فتوىً ضدّ المشروع، و في مقدّمتهم الشيخ موسى الغراوي رئيس المحكمة الشرعيّة العليا السابق، و غيرُه من قُضاة المحاكم الشرعيّة و رؤسائها، و رفعوها إلى البرلمان.

و تألّف حزب في البرلمان، بزعامة الشيخ عباس الجمل المحامي الشرعي، يضمّ عدداً كبيراً من النّواب و الشيوخ لمقاومة المشروع، و الإلحاح بحذف المخصّصات المرصدة له في الميزانيّة.

و أرسل فريق من أهل الشام و فلسطين و العراق كتباً إلى رئيس الوزراء (النحاس پاشا) يطلبون إليه بكل إلحاح و يستحلفونه باسم الإيمان الذي يملأ صدره و باسم القرآن و الدين، أن يحول دون ترجمة القرآن.

---

١. حدث الأحداث، ص ٤٠.

فكانت مغبّة هذه النعرات المعارضة أن حالت دون تحقيق المشروع و أوقفته وشيك تنفيذه. و قام النحّاس پاشا بحلّ المشكلة شكليّاً، فقرّر ترجمة تفسير جديد للقرآن دون ترجمة نفسه؛ و بذلك حاول إرضاء كلا الفريقين ظاهريّاً، و تخلّص بنفسه عن خوض المعركة، فانتهت بهذا الشكل الاسمي الباهت![1].

مناقشات فقهيّة

سبق أنّ فقهاء الإماميّة متّفقون على أنّ الترجمة ليست قرآناً، ذلك الكتاب العلي الحكيم، الذي لا يمسّه إلاّ المطهّرون. فبالتالي لا تجري عليها الأحكام الخاصة بالقرآن، التي منها جواز القراءة بها في الصلاة. و قد عرفت كلام المحقق الهمداني: عدم إجزاء الترجمة عن القراءة في الصلاة، حتى للعاجز عن النطق بالعربية. و هذا إجماع من علمائنا ـ قديماً و حديثاً ـ أن الترجمة ليست قرآناً إطلاقاً.

أما سائر المذاهب، فقد ذهب أبوحنيفة إلى جواز قراءة الترجمة بدلاً عن القرآن نفسه، مطلقاً سواء أقدر على العربية أم عجز عنها، و استدل على ذلك بأن القرآن الواجب قراءته في الصلاة، هي حقيقة القرآن و معناه الذي نزل على قلب رسول الله ﷺ لقوله تعالى: **﴿وَ أَنَّهُ لَفي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾**[2]، **﴿إِنَّ هٰذا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولىٰ صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسىٰ﴾**[3]، و الضمير في «أنه»، و الإشارة في «إنّ هذا» إنما هو للقرآن، و معلوم أنه لم يكن في تلك الصحف إلاّ معانيه.

---

١. راجع: مجلّة الرابطة العربيّة المصرية. صفر و ربيع‌الأول سنة ١٣٥٥هـ. ق. يونيو سنة ١٩٣٦م.

٢. الشعراء/ ١٩٦.

٣. الأعلى/ ١٨ـ١٩.

و أيضاً قوله تعالى: ﴿وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ﴾[١]. و إنما ينذر كل قوم بلسانهم[٢]. و زاد السرخسي استدلال أبي حنيفة بما روى أن الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسي، أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فكانوا يقرأون ذلك في صلاتهم حتى لانت ألسنتهم للعربية[٣].

أمّا صاحباه (أبو يوسف و محمد) فقد أجازا قراءة الترجمة للعاجز عن العربية دون القادر عليها، و بذلك أفتى الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصريّة في فتوىً له لأهل الترانسفال، قال فيها: «و تجوز القراءة و الكتابة (أي للقرآن) بغير العربيّة للعاجز عنها، بشرط أن لا يختل اللفظ و لا المعنى. فقد كان تاج المحدّثين الحسن البصري يقرأ القرآن في الصلاة بالفارسيّة! لعدم انطلاق لسانه باللّغة العربيّة» و قد أرسل بها إلى مسلمي الترانسفال سنة (١٩٠٣م) و نشرتها مجلة المنار في ذلك الحين[٤].

و بقية المذاهب وافقوا الإماميّة في المنع إطلاقاً، فلا يجوز عندهم قراءة الفاتحة بغير العربيّة على كل حالٍ[٥].

---

١. الأنعام/ ١٩.

٢. راجع: المغني لابن قدامة، ج١، ص٥٢٦. و مدارك الأحكام للعاملي، ج٣، ص٣٤١. و رسالة ترجمة القرآن للمراغي، ص٩.

٣. المبسوط للسرخسي، ج١، ص٣٧. و في رواية تاج الشريعة الحنفي زيادة «فكتب (بسم اللّه الرحمن الرحيم: بنام يزدان بخشاونده...). و بعد ما كتب ذلك، عرضه على النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» (حاشية الهداية لتاج الشريعة ج١، ص٨٦. طبع دهلي، ١٩١٥م)، معجم مصنفات القرآن لشواخ، ج٢، ص١٢.

٤. محمد فريد وجدي في الأدلّة العلمية، ص٦١.

٥. راجع الفقه على المذاهب الأربعة، ج١، ص٢٣٠.

و هكذا أفتى الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر (١٩٣٢م) بالجواز للعاجز عن العربيّة.

قال ـ في رسالته التي كتبها بهذا الشأن ـ: «و أنتهي من البحث في هذه المسألة إلى ترجيح رأي قاضيخان و من تابعه من الفقهاء، و هو وجوب القراءة في الصلاة بترجمة القرآن للعاجز عن قراءة النظم العربي».

و قال ـ ردّاً على المانعين و منهم صاحب الفتح ـ: «إن حجّة المانع هو أن ترجمة القرآن ليست قرآناً، و ما كان كذلك كان من كلام الناس، فهو مبطل للصلاة. قال: و هذا الاستدلال غير صحيح؛ لأنّ الترجمة و إن كانت غير قرآن، لكنها تحمل معاني كلام اللّه، لا محالة. و معاني كلام اللّه ليست كلام الناس. قال: و عجيب أن توصف معاني القرآن بأنها من جنس كلام الناس، بمجرّد أن تلبس ثوباً آخر غير الثوب العربي، كأنّ هذا الثوب هو كل شيء»[1].

* * *

قال السيد محمد العاملي ـ في شرح كلام المحقق الحلّي: «و لا يجزئ المصلي ترجمتها» ـ:

«هذا الحكم ثابت بإجماعنا، و وافقنا عليه أكثر علماء سائر المذاهب، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾[2]؛ و لأن الترجمة مغايرة للمترجَم، و إلاّ لكانت ترجمة الشعر شعراً»[3].

و أمّا استدلال أبي حنيفة بأنه جاء ذكر القرآن في «زبر الأولين» و في

١. بحث في ترجمة القرآن للمراغي، ص٣٢.

٢. يوسف/ ٢.

٣. مدارك الأحكام في شرح شرايع الإسلام، ج٣، ص٣٤١.

«الصحف الأولى»، فهذا يعني وصفه و نعته، و ليس نفسه. قال الطبرسي: أي و أنّ ذكر القرآن و خبره جاء في كتب الأوّلين على وجه البشارة به و بمحمد ﷺ لا بمعنى أنه تعالى أنزله على غير محمد[١].

و قال ـ في آية الصحف الأولى ـ: يعني أنّ هذا الذي ذكر من فلاح المتزكّي إلى تمام ما في الآيات الأربع، لفي الكتب الاولى. فقد جاء فيها ذكر فلاح المصلي و المتزكّي و إيثار الناس الحياة الدنيا على الآخرة، و أن الآخرة خير و أبقى.[٢] و هذا لا يعني نفس الكتاب و أنه مذكور بذاته في تلك الصحف، ليستلزم ذلك أن يكون ذكر المعاني ذكراً للقرآن نفسه.

و قال السيد العاملي ـ في آية البلاغ ـ: الإنذار بالقرآن لا يستلزم نقل اللفظ بعينه؛ إذ مع إيضاح المعنى يصدق أنه أنذرهم به، بخلاف صورة النزاع[٣]. يعني أنّ هناك فرقاً بين قولنا: أَنْذر بهذا القرآن، و قولنا: اقْرأ بهذا القرآن. فإنّ الأول لا يستدعي حكاية نفس القرآن و نقله بالذات إلى المنذرين، بل يكفي تخويفهم بما يستفاد من القرآن من الوعد و الوعيد. و هذا بخلاف الثاني المستلزم تلاوة نفسه كما في قراءة الصلاة.

* * *

قال ابن حزم: «و من قرأ أُم القرآن أو شيئاً منها أو شيئاً من القرآن، في صلاته مترجماً بغير العربيّة، أو بألفاظ عربيّة غير الألفاظ التي أنـزل اللّـه تـعالى، عـامداً لذلك، أو قَدَّم كلمة أو أخّرها عامداً لذلك، بطلت صلاته، و هو فاسق؛ لأن اللّـه

---

١. مجمع البيان، ج٨، ص٢٠٤.
٢. المصدر السابق، ج١٠، ص٤٧٦.
٣. المدارك، ج٣، ص٣٤١.

تعالى قال: «قرآناً عربيّاً» و غير العربي ليس عربيّاً، فليس قرآناً. و إحالة رتبة القرآن[١] تحريف كلام اللّه تعالى، و قد ذمّ اللّه تعالى قوماً فعلوا ذلك، فقال: «يحرّفون الكلم عن مواضعه».

«و قال أبوحنيفة: تُجزِئه صلاته. و احتج له مَن قلّده بقول اللّه تعالى: «و أنه لفي زبر الأولين».

«قال علي[٢]: لا حجة لهم في هذا؛ لأن القرآن المنزل علينا على لسان نبيّنا صلى الله عليه و آله و سلم لم ينزل على الأوّلين، و إنما في زبر الأوّلين ذكره و الإقرار به فقط، و لو أُنزل على غيره عليه السلام لما كان آية له و لا فضيلة له، و هذا لا يقوله مسلم.

«و من كان لا يحسن العربية فليذكر اللّه تعالى بلغته؛ لقوله تعالى: **﴿لاٰ يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا﴾**[٣]. و لا يحلّ له أن يقرأ أمّ القرآن و لا شيئاً من القرآن مترجماً على أنه الذي افترض عليه أن يقرأه؛ لأنه غير الذي افترض عليه كما ذكرنا، فيكون مفترياً على اللّه تعالى»[٤].

و أما فتوى الشيخ محمّد بخيت لأهل الترانسفال، فقد تشابه عليه الحسن بصاحبه؛ لأن الذي كان يقرأ في الصلاة بالفارسية هو حبيب العجمي صاحب الحسن البصري.

قال ـ في شرح مسلّم الثبوت ـ: «يجوز القرآن بالفارسية للعذر ـ و هو عدم العلم بالعربية و عدم انطلاق اللسان بها ـ و قد سمعت من بعض الثقات أن تاج

---

١. أي تحويل نظم القرآن و تغيير ترتيبه اللفظي.

٢. يريد نفسه: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. تُوفي ٤٥٦.

٣. البقرة/ ٢٨٦.

٤. المحلّى لابن حزم، ج٣، ص٢٥٤، المسألة رقم ٣٦٧، من كتاب الصلاة.

العرفاء و الأولياء الحبيب العجمي صاحب تاج المحدثين و إمام المجتهدين الحسن البصري كان يقرأ في الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربيّة»[1].

و أما حديث ترجمة سلمان للفاتحة، و قراءة الفرس لها في صلاتهم، فلم نعثر على مستند له وثيق، و إنما أرسله السرخسي عن أبي حنيفة إرسالاً، لا يعلم مصدره. و لعل الترجمة ـ على فرض الثبوت ـ كانت لمجرد العلم بمعناها لا للقراءة بها في الصلاة!

ترجمة القرآن ضرورة دعائية

و بعد، فإذ قد جازت ترجمة القرآن في حدّ ذاتها، ترجمة معنويّة وافية بإفادة معاني القرآن كملاً، فعندئذٍ نقول:

إنّ ترجمة القرآن إلى سائر اللغات أصبحت ضرورة دينية و واجباً إسلامياً عامّاً (وجوباً بالكفاية) و كان من وظيفة كل مسلم يحمل رسالة اللّه في طيّات وجوده، أن يهتمّ بهذا الأمر الذي يمسّ صميم الإسلام، لغرض انتشار الدعوة وبثّ تعاليم الإسلام عبر الخافقين.

الإسلام دين البشرية عامّةً **﴿وَ مٰا أَرْسَلْنٰاكَ إِلاّٰ كٰافَّةً لِلنّٰاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً﴾**[2]، **﴿تَبٰارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقٰانَ عَلىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعٰالَمِينَ نَذِيراً﴾**[3] فلا يخصّ أمّة دون أُخرى و لا جيلاً دون جيل، و كان في ذمّة كل مسلم متعهّد بدينه الاهتمام ببثّ الدعوة و نشرها بين الملأ، وظيفة دينيّة في الصميم **﴿وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى**

---

١. رسالة المراغي في الترجمة، ص١٧.

٢. سبأ/ ٢٨.

٣. الفرقان/ ١.

الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١]. **﴿وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾**[٢].

و لا شك أنّ القرآن هو السند الوثيق الوحيد لبناء الدعوة و نشر تعاليم الإسلام، و قد نزل بياناً للناس **﴿هٰذٰا بَيٰانٌ لِلنّٰاسِ وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[٣] فكان حقيقاً أن يُبيَّن للناس **﴿وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّٰاسِ مٰا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[٤].

فالمنع عن ترجمته و بثّها بين الناس كتمان لما أنزله اللّه من البيّنات و الهُدى **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مٰا أَنْزَلْنٰا مِنَ الْبَيِّنٰاتِ وَ الْهُدىٰ مِنْ بَعْدِ مٰا بَيَّنّٰاهُ لِلنّٰاسِ فِي الْكِتٰابِ أُولٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّٰهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاّٰعِنُونَ﴾**[٥].

قال تعالى ـ عن لسان نبيه ـ: **﴿وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ﴾**[٦].

إنّ في القرآن مقاصد عالية و مطالب سامية، هي ذوات أهداف عالمية كبرى عبر الآفاق و مَرِّ الأيام، يجب بثها و الإعلام بها لكافة الأنام، مما لا يتم إلا بتعميم نشر القرآن و عرضه على العالمين جميعاً، الأمر الذي لا يمكن إلاّ بترجمة معانيه إلى كل اللغات الحيّة في العالم كله.

---

١. آل‌عمران/ ١٠٤.

٢. البقره/ ١٤٣.

٣. آل‌عمران/ ١٣٨.

٤. النحل/ ٤٤.

٥. البقرة/ ١٥٩.

٦. الأنعام/ ١٩.

أما و لو أَهملت هذه الأُمة بالقيام بهذه المهمّة، و تقاعست عن الإتيان بواجبها الديني الفرض، و قصّرت دون أداء رسالة اللّه في الأرض، فإنّ اللّه تعالى سوف يستبدل بهم قوماً غيرهم ثم لا يكونوا أمثالهم **﴿وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاٰ يَكُونُوا أَمْثٰالَكُمْ﴾**(١).

* * *

و قد عرفت أنّ الأوائل كانوا يجيزون ترجمة معاني القرآن لأقوام كانوا جديدي عهدٍ بالإسلام، ممن لم تكن لهم سابقةُ إلمامٍ باللغة العربية، فكانت تُعْرَض عليهم الآية مصحوبةً بترجمتها؛ لغرض إفهام معاني الذكر الحكيم و بيان مقاصده و تعاليمه الرشيدة لملأ الناس.

لا شك أنّ في الهجرة الأولى (إلى الحبشة) حيث عُرضت آيٌ من القرآن الكريم على حاضري مجلس النجاشي من الوزراء و أعيان الدولة، قد ترجمت ما تليت من آي الذكر الحكيم، باللغة الحبشية (الأمهريّة)؛ إذ لم يكن الحضور يحسنون العربية بطبيعة الحال، و في ذلك يقول صدر الأفاضل: و إني اعتقد أن جعفر بن أبي طالبعليه السلام كان يجيد اللغة الحبشية، و هو الذي قام بترجمة الآيات التي تلاها حينذاك من سورة مريم(٢)، فكان ذلك التأثير العجيب في نفوس القوم و لا سيما النجاشي نفسه؛ حيث قال: « و اللّه إن كلام محمد، لا يختلف شيئاً عن تعاليم سيدنا المسيح...»، و بكى بكاءً شديداً.

و هكذا لما طلب الراجا (رائك مهروق) ـ الذي كان أميراً على منطقة الرور ـ من عبد اللّه بن عمر بن عبد العزيز، مندوب الحكومة الإسلامية هناك سنة

---

١. محمد/ ٣٨.

٢. عن مقال له في مجلة التوحيد،السنة الثانية، العدد٩، ص٢١٦.

(٢٣٠هـ. ق) أن يفسّر القرآن له، أي يترجمه بالهندية. و عند إنجاز الطلب على يد كاتب قدير، يقول المترجم: فانتهيت من التفسير إلى سورة (يس) حتى وصلت إلى الآية ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[1]. قال: فلمّا فسرت له هذا ـ أي ترجمته له باللغة السنسكرتية (الهندية القديمة) خرّ من سريره على الأرض واضعا خدّه عليها و هي مبتلّة، فتأثر وجهه من بلّة الأرض، و قال ـ باكياً ـ: «هذا هو الربّ المعبود، و الذي لا يشبه شيءٌ». و كان قد أسلم سرّاً، فكان بعد ذلك يخلو بنفسه في بيت عزلة يعبد اللّه و يناجي ربه سرّاً[2].

* * *

هذا من ناحية، و من ناحية أُخرى أنّ كثيراً من الناس قاموا ـ في زعمهم ـ ينقل القرآن إلى لغات كثيرة و ترجمات متعدّدة، قد بلغت المآت في خمس و ثلاثين لغة حيّة في العالم المُتمدِّن اليوم. و قد طُبعت بعض هذه التراجم عدة طبعات بل عشرات الطبعات، فقد طُبعت الترجمة الإنجليزية التي قام بها (سيل) أكثر من أربعين مرّة. و هكذا بالنسبة إلى تراجم فرنسيّة و ألمانيّة و إيطاليّة و فارسيّة و تركيّة و أورديّة و صينيّة و جاويّة، إلى غيرها من لغات العالم الحيّة.

و من هؤلاء المترجمين مَن يحمل عداءً للإسلام و المسلمين عداوة ظاهرة، و منهم من تعوّزه كفاءة المقدرة على ترجمة تامة، وافية بمعاني القرآن، و هذا الأخير لا يقلّ ضررةً عن الأوّل الذي يتعمّد الدسّ و التزوير. فمن هذا و ذاك قد

١.يس/ ٧٨ـ٧٩.

٢. المصدر نفسه و راجع كتاب (عجائب الهند)، طبعة ليدن ١٨٨٣م لمولفه بزرك. و كان عائشاً حتى سنة (٣٣٩هـ. ق).

حصل تحريف في معاني القرآن كثيراً، الأمر الذي يعود ضرره في نهاية المطاف إلى كيان الإسلام و المسلمين، فضلاً عن الأخطاء الفاحشة التي وقعت في هكذا تراجم، قام بها غير الأهل.

إذن ينبغي أن لا نقف ـ نحن أبناء الإسلام و دعاته ـ مكتوفي الأيدي ملجمين بلجام العار و الشغار، مصمّمي الأخواه تجاه هذه الحوادث الفادحة و الحقائق المرّة الماثلة بين أيدينا، نحن المسلمين.

و قد تصدّى لترجمة القرآن ـ لغرض خبيث ـ قبل ثمانية قرون، مطران مسيحيٌ يُدعَى «يعقوب بن الصليبي» ترجمه إلى السريانية، و نُشرت خلاصتها سنة (١٩٢٥م). و تابع هذا المطران أحبار و رهبان كانوا أسبق من غيرهم في هذا الميدان، و اللّه أعلم بما يبيّتون[١].

قال العلامة أبو عبد اللّه الزنجاني: و ربما كانت أوّل ترجمة إلى اللغة اللاتينية ـ لغة العلم في أُروپا ـ و ذلك سنة (١١٤٣م) بقلم «كنت» الذي استعان في عمله ببطرس طليطلي و عالم ثانٍ عربي، و كان الغرض من الترجمة عرضه على «دي كلوفي» و بقصد الردّ على القرآن الكريم، و في عام (١٥٩٤م) أصدر «هنكلمان» ترجمته، و جاءت على الأثر (١٥٩٨م) طبعة مرانشى مصحوبة بالردود[٢].

و بعد، فأيّ عذر يُبديه زعماءُ الأُمّة تجاه هذا التلاعب بأساس الدين؟! و ما هو المبرّر للسكوت أمام هذا التناوش المقيت بمقدّسات الإسلام من قريب و بعيد، لولا قيام المضطلعين بأعباء رسالة الإسلام ـ حفظاً على ناموس الدين ـ فيستعيدوا نشاطهم بأمر الشريعة الغرّاء، و يؤلّفوا لجنة مركزيّة من علماء مبرّزين،

---

١. المصدر نفسه.

٢. تاريخ القرآن للزنجاني، ص٦٩.

فيقدّموا إلى العالم تراجم صحيحة من القرآن الكريم، معترفاً بها رسميّاً من مراجع دينية صالحة؛ فيكون ذلك مكافحة صريحة مع تلكم المناوشات الخبيثة، و مقابلة عملية تجاه أعداء الإسلام.

و سنوفّي لك نماذج خاطئة في نهاية المقال دليلاً على ضرورة القيام بهذه المقابلة الإيجابيّة.

تراجم إسلامية عريقة

قد عرفت حديث ترجمة (سلمان الفارسي) لسورة الحمد، بطلب من فرس اليمن المسلمين[1]. و هكذا قام دعاة الإسلام و علماء المسلمين بتراجم لسور و آيات قرآنية، لغرض إفهام معانيها لسائر الأُمم ممن دخلوا في الإسلام، و كانوا لا يحسنون فهم العربية آنذاك.

و أضخم هيأة علمية قامت بترجمة القرآن، مصحوبة بترجمة أكبر موسوعة تفسيريّة، في أواسط القَرن الرابع للهجرة، هم علماء ماوراء النهر (شرقيّ بلاد إيران) بطلب من السلطان منصور بن نوح الساماني (٣٥٠ـ٣٦٥).

و ذلك لمّا أن أُرسِل إليه التفسير الكبير (جامع البيان) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (توفّي سنة ٣١٠) في أربعين مجلداً ضخماً، فاستعظمه و أكبر من شأنه، لكنه تأسّف على عدم إمكان استفادة شعبه من هذا التفسير العظيم، فاستفتَى ـ أوّلاً ـ جميع علماء و فقهاء ماوراء النهر (بَلْخ و بخارَى و باب الهند و سمرقند و سپيجاب و فرغانة...) في جواز الترجمة، فأجازوه جميعاً. فطلب منهم أن

---

١. المبسوط للسرخسي، ج ١، ص ٣٧. و تقدم ـ في الهامش ـ عن تاج الشريعة الحنفي: أنه ترجم البسملة بـ «بنام يزدان بخشاونده... الخ..» ثم عرضها على النبي ﷺ (معجم مصنفات القرآن لشواخ، ج ٢، ص ١٢).

يُنتدَب منهم من يصلح لهذا الشأن. فاجتمع لفيف من العلماء المعروفين من تلك الديار، فترجموا القرآن بدءً، ثم التفسير بكامله. و يوجد من نسخ هذه الترجمة في مكتبات العالم ما فوق العشرة، و طبع منها سنة( ) في إيران ـ طهران ـ نسخة صحيحة في طباعة جيّدة.

و قد وُضع ـ في النُسَخ المخطوطة ـ نص القرآن الكريم ـ في عدد من آياته ـ أوّلاً، ثم ترجمته، و أخيراً ترجمة التفسير. لكن النسخة المطبوعة أهملت ذكر النص، و اكتفت بترجمة الآيات مُسبقاً ثم ترجمة التفسير، الأمر الذي يؤخذ على مسؤول الطبع، و لا يقبل منه اعتذاره غير العاذر[1].

و إليك نصّ ما جاء في مقدمة الأصل (الترجمة السامانيّة):

«اين كتاب تفسير بزرگ است، از روايت محمد بن جرير الطبرى، ترجمه كرده بزبان پارسى و درى راه راست. و اين كتاب بياوردند از بغداد چهل مصحف بود. اين كتاب نبشته بزبان تازى و به اسنادهاى دراز بود. و بياوردند سوى امير سعيد مظفّر ابو صالح منصور بن نوح بن نصر بن احمد بن اسماعيل... پس دشخوار آمد بر وى خواندن اين كتاب و عبارت كردن آن بزبان تازى، و چنان خواست كه مر اين را ترجمه كند بزبان پارسى.

پس علماء ماوراء النهر را گرد كرد و اين از ايشان فتوى كرد كه روا باشد خواندن و نبشتن تفسير قرآن بپارسى، مر آن كس را كه او تازى نداند؟ از قول خداى عزّوجل كه گفت: ﴿وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ بِلِسٰانِ قَوْمِهِ﴾[2] گفت: من هيچ پيغامبرى را نفرستادم مگر بزبان قوم او و آن زبانى كايشان دانستند... و اينجا

---

۱. راجع مقدمة الناشر، ص١٤.

۲. ابراهيم / ٤.

بدين ناحيت زبان پارسی است، و ملوکان این جای ملوک عجم‌اند. پس بفرمود ملک مظفّر ابو صالح تا علمای ماوراء النهر را گرد کردند از شهر «بخارا» چون فقیه ابوبکر بن احمد بن حامد، و چون خلیل بن احمد سجستانی. و از شهر «بلخ» ابو جعفر بن محمد بن علی. و از «باب الهند» فقیه الحسن بن علی مندوس را، و ابوالجهم خالد بن هانی المتفقه را. و هم از این گونه از شهر «سمرقند» و از شهر «سپیجاب» و «فرغانه» و از هر شهری که بود در ماوراء النهر. و همه خطبها بدادند بر ترجمه این کتاب، که این راه راست است.

پس بفرمود امیر سعید ملک مظفر ابوصالح این جماعت را تا ایشان از میان خویش هر کدام فاضل‌تر و عالم‌تر اختیار کنند تا این کتاب را ترجمه کنند، پس ترجمه کردند.[١]

* * *

و لعلّ أقدم ترجمة رسمية للقرآن، قام بها رجال الحكم، هي التي وقعت بطلب من الراجا (رائك مهروق) في مقاطعة (الرور) من بلاد السند. طلب من عبد اللّه بن عمر بن عبدالعزيز ـ و كان والياً هناك سنة (٢٣٠) ـ أن يترجم له معاني القرآن، فأمر عبد اللّه بن عمر أحد العلماء العرب ممن كانوا يجيدون لغة الهند القديمة (السنسكريتية) هناك، فترجم له حسبما مرّت عليك[٢].

* * *

و ترجمة فارسية أخرى قام بها الفقيه الحنفي أبو حفص نجم الدين عمر بن

---

١. ترجمة الطبري، ص٥ـ٦.

٢. عن كتاب (عجائب الهند) للسائح السندهي (بزرگ شهريار) وكان عائشا حتى عام (٣٣٩هـ. ق).

محمد النسفي[١] (٤٦٢ـ٥٣٨) من علماء ماوراء النـهر. له تـفسير لطـيف بـاللغة الفارسية، يبدأ فيه بترجمة الآية ثم تفسيرها على أُسلوب بديع.

* * *

و للخواجا عبد اللّه الأنصارى تفسير فارسي للـقرآن الكـريم وصـفه عـلى أسلوب الذوق العرفاني، و كان موجزاً و مختصراً فشرحه و أضاف إليه أبو الفضل رشيد الدين الميبدي عام (٥٢٠) يبدأ بالترجمة ثـم بـالتفسير فـي تـنوع لطـيف و سمّاه (كشف الأسرار و عدة الأبرار) طبع أخيراً في عشر مجلدات كبار. و سيأتي شرحه عند الكلام عن تفاسير أهل العرفان.

و للخواجا ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَ مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ بِلِسٰانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[٢] ـ استظهار لطيف بجواز تبليغ القرآن إلى سائر الأُمم بلغاتهم، نظراً لأنّه ﷺ مبعوث إلى كافة الناس، و يستشهد على ذلك بعدّة من الأدلّة لإثبات مطلوبه.

* * *

و الأحسن الأكمل من الجميع تفسير مُبَسَّط باللغة الفارسية، قام بـها العَـلَم العلاّمة جمال الدين أبوالفتوح الحسين بن علي بن محمد بن أحمد الرازي، من أحفاد نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي، من صحابة الرسول الأكرم ﷺ. قـام بهذا التفسير و أكمله ـ في عشر مجلدات ضخام ـ في المنتصف من القرن السادس للهجرة.

---

١. و (نسف) و يقال لها: (نخشب) بلدة عامرة واقعة على طريق بلخ إلى بخارا.

و هذا غير تفسير النسفي لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي.

٢. إبراهيم / ٤.

يبدأ فيه بالنص العربي، ثم ترجمته تحت اللفظ، ثم التفسير. و يعدّ من أفصح النثر الفارسي القديم في أُسلوب رائع و جيّد للغاية، مع البسط و الشرح لمناحي معاني الآيات، بصورة مستوعبة و مستوفاة. و هو من أكبر الذخائر الإسلامية العريقة. طُبع هذا التفسير القيم في إيران عدة طبعات أنيقة، و قد اعتنى به العلماء الأفذاذ.

* * *

و لنظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري (٧٢٨) تفسير بديع باسم (غرائب القرآن و رغائب الفرقان) يُترجم الآية أوّلاً باللغة الفارسية، ثم التفسير بالعربي، و يتعرّض للتفسير الظاهري، و يعقبه بالتفسير الباطني على أُسلوبه العرفاني المعروف. و قد طبع هذا التفسير مع حذف الترجمة في مصر على هامش الطبري، لكن النسخ المخطوطة و المطبوعة في الهند و إيران مشتملة عليها.

كيفية ترجمة القرآن

تبيّن ـ ضمن المباحث السابقة ـ أُسلوب الترجمة الذي نتوخّاه، و هو:

أن يعمد المترجم إلى آية آية من القرآن، وفق الترتيب الموجود، فيستجيد ـ أوّلاً ـ فهم مضامينها عن دقة و إمعان، بما فيها من دلالات أصليّة و دلالات تبعيّة لفظية، دون الدلالات التبعيّة العقليّة؛ اذ التصدّي لهذه الأخيرة شأن التفسير دون الترجمة.

فيفرغ المستفاد من كل آية، في قالب لفظي من اللغة المترجَم إليها. و يتحرّى الكلمات التي تفي بتأدية المعاني التي كانت ألفاظ الأصل تؤدّيها، وفاءً كاملاً حتى في الدلالات التبعيّة اللفظية مهما أمكن، و إلاّ فيحاول تأديتها أيضاً و لو بمعونة

قرائن؛ لينعكس المعنى في الترجمة كما هو في الأصل. كما يحاول ـ مبلغ جهده ـ أن لا يصطدم القالب اللفظي المشابه للأصل بشيءٍ من التحوير أو التحريف.

و هذه الكيفية من الترجمة ـ التي تحافظ على سلامة المعنى بالدرجة الأُولى ـ قد تستدعي تبديلاً في مواضع بعض الألفاظ و التعابير ـ من تقديم أو تأخير ـ أو تغييراً في روابط كلامية معمولة في الأصل، و في الترجمة على سواء.

كما قد تستدعي زيادة لفظةٍ في التعبير؛ لغرض الوفاء بأصل المراد تماماً. الأمر الذي لا بأس به، ما دامت الغاية هي المحافظة على سلامة المعنى.

غير أن الأَوْلى أن يضع اللفظ المزيد بين قوسين، فلا يلتبس على القارئ هذه الزيادة مع ألفاظ الأصل.

و بالجملة فالواجب على المترجِم ـ ترجمة معنوية صحيحة ـ أن يتابع الخطوات التالية:

١ـ فهم المعنى الجُمَلي فهماً جيّداً دقيقاً، و التأكُّد من ذلك.

٢ـ تحليل جملة ألفاظ الأصل إلى كلماتها و روابطها الموجودة، و فصل بعضها عن بعض، ليعرف ما لكل من معنى و مفاد استقلالي أو رابطي في لغة الأصل، و التدقيق فيما إذا كان للوضع التركيبي الخاص معنى زائد على ما للألفاظ من معاني، و يتأكّد ذلك عن إمعان.

٣ـ التحرّي لكلمات و روابط من اللغة المترجَم إليها، تشاكل الكلمات و الروابط الأصل، تشاكلاً في الإفادة و المعاني، إن حقيقةً أو مجازاً.

٤ـ تركيب هذه الكلمات و الألفاظ تركيبا صحيحاً يتوافق مع أدب اللغة المترجَم إليها، أدباً عالياً، و مراعياً ترتيب الأصل مهما أمكن.

٥ـ إفراز الألفاظ و الكلمات الزائدة، التي لا تقابلها كلمات و ألفاظ في الأصل، و إنما زيدت في الترجمة لغرض الإيفاء بتمام المعنى، فيضعها ـ مثلاً ـ بين

قوسين. لكن يمسك عن تكرار ذلك كثيراً في كلام واحد؛ لأنه يُملّ، و قد يسبب تشويش فهم المعاني.

٦ـ و أخيراً مقابلة الترجمة مع الأصل في حضور هيأة ناظرة، تحكم بالمطابقة في الأداء و الإيفاء.

* * *

أما الشروط التي يجب توفّرها في المترجِم أو المترجمين؛ لتقع الترجمة مأمونة عن الخطأ و الخلل، فهي كما يلي:

١ـ أن يكون المترجِم مضطلعاً بكلتا اللغتين: لغة الأصل و اللغة المترجم إليها. عارفاً بآدابهما و المزايا الكلامية التي تبنّتها كلتا اللغتين، معرفةً كاملةً.

٢ـ أن يتناول المعنى المستفاد من كل آية، بمعونة التفاسير المعتمدة الموثوق بها، و لا يقتنع بما استظهره من الآية حسب فهمه العادي، و حسب معرفة أوضاع اللغة فحسب؛ إذ قد يكون دلائل و شواهد على إرادة غير الظاهر قد خفيت عليه، لولا مراجعته للمصادر التفسيرية المعتبرة.

٣ـ أن لا يحمل ميلاً إلى عقيدة بذاتها، أو انحيازاً إلى مذهب بخصوصه؛ لأنه حينذاك قد تجرفه رواسبه الذهنية التقليدية إلى منعطفات السُّبل الضالة، فتكون تلك ترجمة لعقيدة، و ليست ترجمة لمعاني القرآن.

٤ـ أن يترك الألفاظ المتشابهة كما هي، و يكتفي بتبديلها إلى مرادفاتها من تلك اللغة، فلا يتعرّض لشرحها و بسط معانيها، فإنّ هذا الأخير من مهمّة التفسير فقط.

٥ـ أن يترك فواتح السور على حالها؛ لإنّها رموز يجب أن تبقى بألفاظها من غير تبديل و لا تفسير.

٦ـ أن يترك استعمال المصطلحات العلمية أو الفنيّة في الترجمة؛ لأنّ مهمة

المترجِم إفراغ المعاني المستفادة إفراغةً لغويةً بحتة.

٧ـ أن لا يتعرّض للآراء و النظريات العلمية، فلا يترجم الكلمات الواردة في القرآن بمعاني اكتشفها العلم، بل يُترجمها حسب الاستفادة اللغوية؛ لتكون التأدية لغوية بحتة.

* * *

تلك شروط خاصة يجب توفّرها في كل مترجِم يقوم بترجمة القرآن الكريم. و هناك شروط عامّة يجب مراعاتها في ترجمة القرآن ترجمة رسمية، معترفاً بها لدى جامعة المسلمين العامة، هي:

٨ـ أن تقوم هيأة أو لجنة متشكّلة من علماء صالحين لذلك، و معروفين بسلامة الفكر و النظر و الاجتهاد، لأنّ الترجمة الفردية كالتفاسير الفردية غير مأمونة عن الخطأ و الاشتباه كثيراً، و على الأقل يكون العمل الجماعي أبعد من الزلل مما يكون عملاً فرديّاً؛ و لذلك يكون آمن و أحوط بالنسبة إلى كتاب اللّه العزيز الحميد.

و هذه الهيأة يجب أن تحمل تأييداً من قبل مقامات رسمية إسلامية، إما حكومات عادلة أو مراجع دينية عالية؛ ذلك لكي يتنفّذ القرار تنفيذاً رسمياً قاطعاً.

٩ـ أن يشترك مع اللجنة شخصية أو شخصيّات معروفة من اللغة المترجَم إليها، لغرض التأكُّد من صحة الترجمة أولاً، و ليطمئن إليها أصحاب تلك اللغة.

١٠ـ و الشرط الأخير ـ المتمّم للعشر ـ أن توضع الترجمة مع الأصل، مصحوباً معها، فلا يُقدَّم إلى مختلف الأقوام و المِلَل، تراجم مجرّدة عن النص العربي الأصل.

و ذلك لغرض خطير، هو أن لا يلتبس على سائر المِلَل، فيحسبوا من الترجمة قرآناً هو كتاب المسلمين، لا، بل هي ترجمة محضة و ليست قرآناً، و إنما القرآن

هو الأصل، و كانت الترجمة إلى جنبه توضيحاً و تبييناً لمعانيه فحسب.

و بذلك نكون قد أمّنا على القرآن ضياعه، فلا يضيع كما ضاعت التوراة والإنجيل من قبلُ؛ بتجريد تراجمهما عن النصّ الأصل، الأمر الذي يجب أن لا يتكرّر بشأن هذا الكتاب السماوي الخالد **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾**[1].

نماذج من تراجم خاطئة

لا ريب أنّ كل عمل فردي قد يتحمّل أخطاءً لا يتحمّلها عمل جماعي، و من ثم وقع الكثير من الأفاضل في مآزق الانفراد فزلّوا أو أخطأوا المقصود، هذا الإمام بدر الدين الزركشي، المضطلع باللّغة و الأدب، و كذا تلميذه جلال الدين السيوطي الخبير بمواضع الكلام، نراهما قد اشتبها في اشتقاق «هُدْنا»[2]، فزعماه من: هدى يهدي[3]. مع العلم أنه من: هاد يهود.!

لكن الزمخشري في تفسيره يقول: هدنا ـ بالضم ـ: فعلنا. من: هاده يهيده[4].

و قال الراغب: الهَوْد: الرجوع برفق، و منه التهويد و هو مشي كالدبيب. و صار

---

١. الحجر/ ٩.

٢. من قوله تعالى: **﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة و في الآخرة، إنا هدنا إليك﴾** ـ الأعراف/ ١٥٦.

٣. قال الزركشي (البرهان، ج ١، ص ١٠٣ـ١٠٤): فنه الهدى سبعة عشر حرفاً ـ إلى قوله ـ أو بمعنى التوبة: «إنا هدنا إليك» أي تُبنا:

و قال السيوطي (الإتقان، ج ٢، ص ١٢٢ـ١٢٣): من ذلك الهدى يأتي على سبعة عشر وجهاً ـ إلى قوله ـ و التوبة: «إنا هدنا إليك»!

٤. الكشاف، ج ٢، ص ١٦٥.

«الهَوْد» في التعارف التوبة، قال تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنا إِلَيْكَ﴾ أي تبنا[١].

و الأعجب اشتباه مثل الراغب، ذكر في مادة (عنت) قوله تعالى: ﴿وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾[٢] أي ذلّت و خضعت[٣]، في حين أنه من (عَنِيَ) بمعنى العناء و هو ذلّ الاستسلام؛ و لذلك يقال للأسير: العاني. و قد غفل الراغب فذكره في (عنى) أيضاً. قال الطبرسي: أي خضعت و ذلّت خضوع الأسير في يد مَن قهره...[٤]

فإذا كان مثل هؤلاء الأئمة الأعلام يزلّون مغبّة انفرادهم في المسيرة، فكيف بمن دونهم من ذوي الأقلام؟!

هذا العلاّمة المعاصر «إلٰهى قمشه‌اى» مع اضطلاعه بالأدب و العلوم الإسلامية، تراه لم يسلم ـ في ترجمته الفارسية للقرآن الكريم ـ من ذلّة الانفراد، فقد ترجم قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا﴾[٥] بما يلي:

«آنگاه قوم مريم كه به جانب او آمدند كه از اين مكان همراه ببرند گفتند...»

فحسب من القوم فاعلاً، و أنهم أتوا مريمَ! كما حسب أن الضمير المنصوب في «تحمله» يعود إلى مريم، و أنّهم أتوها ليحملوها معهم!

في حين أن الآية تعني: «أنّ مريم عليها السلام هي التي أتت إلى القوم، في حال كونها تحمل الوليد المسيح عليه السلام على عكس ما زعمه المترجم.

---

١. المفردات، ص٥٤٦.

٢. طه / ١١١.

٣. المفردات، ص٣٤٩.

٤. مجمع البيان، ج٧، ص٣١.

٥. مريم / ٢٧.

و هكذا ترجم قوله تعالى: ﴿وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مٰا دُمْتُ فِيهِمْ﴾[١] إلى قوله: «تو خود بر آن مردم گواه و ناظر اعمال بودى مادامى كه من در ميان آنها بودم»! ولم يلتفت إلى أن الضمير في «كنت» للمتكلم لا للمخاطب، فضلاً عن تهافت المعنى على حسابه.

و ترجم قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاٰ يُعَذِّبُ عَذٰابَهُ أَحَدٌ وَ لاٰ يُوثِقُ وَثٰاقَهُ أَحَدٌ﴾[٢]، إلى قوله: «و آنروز بمانند عذاب انسان كافر هيچكس عذاب نكشد، و آنگونه جز انسان كافر، كسى به بند (هلاك) گرفتار نشود»!

فحسب من «لا يعذِّب» و «لا يُوثِق» مضارعاً مبنيّاً للمفعول، كما حسب من الضمير عوده إلى الإنسان المعذَّب و الموثَق.

و هذه غفلة عجيبة في قراءة الآية القرآنية، لا يمكن إعفاؤها أبداً.

و قد جمع الدكتور السيد عبد الوهاب الطالقاني[٣] من ذلك لمّةً من تراجم قام بها أساتذة ذووا كفاءة راقية، فكيف بغير الأكفّاء!

و من التراجم الأجنبيّة، جاءت ترجمة «كازانوفا» لكلمة «الأُمّي» ـ وصفاً للنبي صلى الله عليه و آله و سلم بمعنى «الشعبي» مأخوذاً من «الأُمّة» حسبما زعم. في حين أنه من «أمّ القُرى» ـ اسماً لمكة المكرمة ـ ليكون بمعنى «المكّي»، أو نسبة إلى «الأمّ» كناية عن الذي لا يكتب و لا يقرأ.

و ترجم «كازيميرسكي» «اسْجُدوا» في قوله تعالى: ﴿وَ إِذْ قُلْنٰا لِلْمَلاٰئِكَةِ

---

١. المائدة/ ١١٧.

٢. الفجر / ٢٤ـ٢٥.

٣. نشر بعضها في مجلة (كيهان انديشه)، ع٢٨، ص٢٢٣.

اسْجُدُوا لآدَمَ﴾[١] بمعنى «اعبدوا لآدم»! في حين أنه بمعنى الخضوع التامّ لآدمعليه السلام أو جعله قبلةً للسجود لله تعالى ـ كما عن بعض التفاسير ـ.

و ترجم «هواء» قوله تعالى: ﴿وَ أَفْئِدَتَهُمْ هَوَاء﴾[٢] بمعنى الهوى و الميل النفساني، في حين أنه بمعنى «الفارغة الجوفاء»![٣].

❁ ❁ ❁

١.البقرة/٣٤.

٢.إبراهيم/١٤.

٣.من رسالة «القرآن و الترجمة» ص ١١، للأستاذ عبدالرحيم محمد علي النجفي.

التفسير

نشأته و تطوّره

في مراحل:

أولاً ـ في عهد الرسالة

ثانياً ـ في دور الصحابة

ثالثاً ـ في دور التابعين

رابعاً ـ دور أهل البيت في التفسير

خامساً ـ التفسير في دور التدوين

المرحلة الأُولى

التفسير في عهد الرسالة

* النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مفسّراً !

* هل تناول القرآن كله بالتفسير؟

* حجم المأثور من تفاسيره !

* أوجه بيانه لمعاني القرآن !

* نماذج من تفاسيره !

التفسير في نشأته الأولى

(في عهد الرسالة)

قال تعالى: ﴿وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

إنّ في القرآن الكريم من أُصول معارف الإسلام و شرائع أحكامه، الأُسس الأوّليّة التي لا غنى لأيّ مسلم يعيش على هدى القرآن و يستظل بظلّ الإسلام، أن يراجع دلائله الواضحة و يتلمّس حججه اللائحة، و إن أُبهم عليه شيء فليستطرق أبواب أهل الذكر ممن نزل القرآن في بيوتهم، فيهدوه سواء السبيل.

نعم كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو المرجع الأوّل لفهم غوامض الآيات و حلّ مشاكلها، مدة حياته الكريمة؛ إذ كان عليه البيان كما كان عليه البلاغ. قال تعالى: ﴿وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، فكان

---

١. النحل/ ٨٩.

٢. النحل/ ٤٤.

دوره ﷺ دور مرشد و معين، و كان الناس هم المكلّفين بالتفكّر في آيات اللّه والتماس حججه.

و قد تصدّى النبيّ ﷺ لتفصيل ما أُجمل في القرآن إجمالاً، و بيان ما أُبهم منه إمّا بياناً في أحاديثه الشريفة و سيرته الكريمة، أو تفصيلاً جاء في حلّ تشريعاته من فرائض و سنن و أحكام و آداب، كانت سنّته ﷺ قولاً و عملاً و تقريراً، كان كلها بياناً و تفسيراً لمجملات الكتاب العزيز و حلّ مبهماته في التشريع و التسنين. فقد كان قوله ﷺ: «صلّوا كما رأيتموني أُصلي..» شرحاً و بياناً لما جاء في القرآن، من قوله تعالى: ﴿**أَقِيمُوا الصَّلاةَ..**﴾[1] و لقوله: ﴿**إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً**﴾[2] و كذا قوله ﷺ: «خذوا عنّي مناسككم» بيان و تفسير لقوله تعالى: ﴿**وَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ...**﴾[3]، و هكذا فكلّ ما جاء في الشريعة من فروع أحكام العبادات و السنن و الفرائض، و أحكام المعاملات، و الأنظمة و السياسات، كل ذلك تفصيل لما أُجمل في القرآن من تشريع و تكليف.

و هكذا كان الصحابة يستفهمونه كُلَّما تَلا عليهم القرآن أو أقرأهم آيةً أو آياتٍ، كانوا لا يجوزونه حتى يستعلموا ما فيه من مرامٍ و مقاصد و أحكام؛ ليعملوا بها و يأخذوا بمعالمها.

أخرج ابن جرير بإسناده عن ابن مسعود، قال: كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ و العمل بهنّ. و قال أبو عبد الرحمان

---

١. البقرة/ ٤٣.

٢. النساء/ ١٠٣.

٣. آل عمران/ ٩٧.

السُّلَمي: حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا، أنهم كانوا يستقرئون من النبيّ ﷺ فكانوا إذا تعلّموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، قال: فتعلّمنا القرآن و العمل جميعاً[١].

نعم، ربما كانوا يحتشمون هيبة الرسول ﷺ فتحجبهم دون مسائلته، فكانوا يترصّدون مجيء الأعراب المغتربين عن البلاد، ليسألوه عن مسائل، فيغتنموها فرصة كانوا يترقبونها.

قال علي عليه السلام: و ليس كل أصحاب رسول اللّه ﷺ كان يسأله و يستفهمه، حتى كانوا ليُحبّون أن يجيء الأعرابيّ أو الطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا... قال: و كان لا يمرّ من ذلك شيء إلاّ سألتُ عنه و حفظته.[٢]

و هكذا حدّث أبو أُمامة ابن سهل بن حنيف[٣] قال: كان أصحاب رسول اللّه ﷺ يقولون: إن اللّه ينفعنا بالأعراب و مسائلهم، قال: أقبل أعرابي يوماً فقال: يا رسول اللّه، لقد ذكر اللّه في القرآن شجرة مؤذية، و ما كنت أرى أنّ في الجنة شجرةً تُؤذي صاحبها! فقال رسول اللّه: و ما هي؟ قال: السدر، فإنّ لها شوكاً. فقال رسول اللّه: ﴿في سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾[٤] يخضد اللّه شوكه فيجعل مكان كل شوكةٍ ثمرةً، فإنها تُنبت ثمراً، تَفْتَق الثمرةُ معها عن اثنين و سبعين لوناً، ما منها لونٌ يشبه الآخر[٥].

---

١. تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٧ـ ٢٨ و ص ٣٠.

٢. المعيار و الموازنة للإسكافي، ص ٣٠٤.

٣. اسمه أسعد، سمّاه بذلك رسول اللّه ﷺ و دعا له و برك عليه تُوفّي سنة (١٠٠) و هو ابن نيف و تسعين. (أُسد الغابة، ج ٥، ص ١٣٩).

٤. الواقعة / ٢٨.

٥. أخرجه الحاكم و صحّحه، المستدرك، ج ٢، ص ٤٧٦.

و من ثم كان ابن مسعود يقول: واللّه الذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب اللّه إلاّ و أنا أعلم فيم نزلت و أين نزلت. و هكذا تواتر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و تلميذه ابن عباس، و غيرهم من علماء الصحابة، حسبما يأتي في تراجمهم.(١)

هل تناول النبيّ القرآن كلّه بالبيان؟

عقد الأُستاذ الذهبي باباً ذكر فيه الجدل بين فريقين، يرى أحدهما: أن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم قد بيّن لأصحابه معاني القرآن كله إفراداً و تركيباً. و يترأس هذا الفريق أحمد بن تيميّة، كان يرى أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم بيّن جميع معاني القرآن كما بيّن ألفاظه؛ لقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(٢) فإنه يشمل الألفاظ و المعاني جميعاً.(٣)

و الفريق الثاني ـ و يترأسهم الخُوَيّي و السيوطي ـ: يرون أنّه لم يبيّن سوى البعض القليل، و سكت عن البعض الآخر، ثمّ فرض لهم دلائل، أهمّها ما أخرجه البزّاز عن عائشة، قالت: ما كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم يفسّر شيئاً من القرآن إلاّ آياً بعدد، علّمه إياهنّ جبريل(٤).

و أسهب في النقض و الإبرام، و أخيراً نسب كلاًّ من الفريقين إلى المغالاة، واختار هو وسطاً بين الرأيين ـ فيما حسب ـ و أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم بيّن الكثير دون الجميع، و ترك ما استأثر اللّه بعلمه، و ما يعلمه العلماء، و تعرفه العرب بلغاتها،

---

١. عند الكلام عن دور الصحابة في التفسير.

٢. النحل/ ٤٤.

٣. راجع: مقدمته في أُصول التفسير، ص ٥ ـ ٦.

٤. تفسير ابن كثير، ج ١، ص٦. و تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٩.

مما لا يعذر أحد في جهالته. قال: و بديهي أنّ النبيّ ﷺ لم يفسّر ما يرجع فهمه إلى معرفة كلام العرب، كما لم يفسّر ما استأثر اللّه بعلمه، كقيام الساعة و حقيقة الروح، مما يجري مجرى علم الغيوب التي لم يطّلع اللّه عليها نبيّه[١].

* * *

قلت: لم أجد، كما لا أظن أحداً ذهب إلى أنّ النبيّ ﷺ لم يبيّن من معاني القرآن سوى البعض القليل و سكت عن الباقي (الكثير طبعاً)، بعد الذي قدّمنا، وبعد ذلك الخضّم من تفاصيل الأحكام و التكاليف التي جاءت في الشريعة، وكانت تفسيراً و بياناً لما أُبهم في القرآن من تشريعات جاءت مجملة و بصورة كليّة، فضلاً عمّا بيّنه الرسول و فضلاء صحابته و العلماء من أهل بيته، شرحاً لمعضلات القرآن و حلاً لمشكلاته.

أمّا الذي نسبه إلى شمس الدين الخُوَيّي[٢] و جلال الدين السيوطي، من ذهابهما إلى ذلك، فإنّ كلامهما ناظر إلى جانب المأثور من تفاسير الرسول، المنقول بالنصّ فإنه قليل[٣]، لو أغفلنا ما رويناه بالإسناد إليه ﷺ عن طرق أهل البيت الأئمّة من عترته الطاهرة ـ صلوات اللّه عليهم ـ كما أغفله القوم، و إلاّ فالواقع كثير و شامل، و لا سيما إذا ضممنا تفاصيل الشريعة (السنّة الشريفة) إلى ذلك

---

١. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٥٣ ـ ٥٤.

٢. هو أبو العباس أحمد بن خليل المهلبي الخُوَيّي (٥٨٣ ـ ٦٣٧) صاحب الإمام الرازي و المتمّم لتفسيره. ولد في خوي من أعمال آذربيجان، و تعلم بها و بخراسان، ثم ولي قضاء دمشق و تُوفّي بها.

٣. قال الخويّي: و أما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلاّ بأن يسمع من الرسول ﷺ و ذلك متعذّر إلاّ في آيات قلائل (الإتقان، ج ٤، ص ١٧١).

و قال السيوطي ـ عند بيان مآخذ التفسير ـ: الذي صحّ من ذلك (المنقول عن النبيّ) قليل جدّاً. (الإتقان، ج ٤، ص ١٨١).

المنقول من التفسير الصريح.

و قد جعل السيوطي جُلّ تفاصيل الشريعة الواردة في السنّة تفسيراً حافلاً بمعاني القرآن و مقاصده الكريمة. و نقل عن الإمام الشافعي: أن كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن و بيّنه، و قال ﷺ: ألا إنّي أوتيت القرآن و مثله معه، يعني السنّة. و أخيراً نقل كلام ابن تيميّة الآنف، و عقّبه بالتأييد، بما أخرجه أحمد و ابن ماجة عن عمر، أنه قال: من آخر ما نزل آية الرّبا، و أن رسول الله ﷺ قُبض قبل أن يفسّرها. قال السيوطي: دلّ فحوى الكلام على أنه ﷺ كان يفسّر لهم كل ما أُنزل، و أنه إنما لم يفسّر هذه الآية؛ لسرعة موته بعد نزولها، و إلاّ لم يكن للتخصيص بها وجه.(١)

و أمّا حديث عائشة ـ لو صّح السند، و لم يصح كما قالوا ـ(٢) فهو ناظر إلى جانب رعاية الترتيب في تفسير الآي، أعداداً فأعداداً، أو حسب عدد الآي التي كان ينزل بها جبرائيل. و هذا يشير إلى نفس المعنى الذي رويناه عن ابن مسعود و تلميذه السُّلَمي، و قد نقله ابن تيميّة نقلاً بالمعنى. قال السُلمي: حدّثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن، أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبيّ ﷺ عشر آيات، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم و العمل، قالوا: فتعلمنا القرآن و العلم و العمل جميعاً(٣).

قال الخطيب: هذا أقدم نصّ تاريخي عرفنا به الطريقة التي كان يتعلم بها المسلمون الأوّلون، كانوا لا يُعنون بالإكثار من العلم إلاّ بعد إتقان ما يتعلّمونه منه،

---

١. الإتقان، ج ٤، ص ١٧٤ و ١٧٥ و ٢٥٨.

٢. ذكروا أنه حديث منكر غريب، و الاستدلال به باطل. (التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٥٥).

٣. راجع: رسالة الإكليل، المطبوعة ضمن المجموعة الثانية من رسائل ابن تيميّة، ص ٣٢.

و بعد العمل به[١].

* * *

و أما الوسط الذي اختاره، و أن الذي لم يبيّنه النبيّ ﷺ من القرآن: هو ما استأثر اللّه بعلمه، كقيام الساعة، و حقيقة الروح، و ما يجري مجرى ذلك من الغيوب التي لم يُطلع اللّه عليها نبيّه...[٢] فشيء غريب! إذ لم نجد في معاني القرآن ما استأثر اللّه بعلمه، و لو كان لكان الأجدر عدم إنزاله، و الكفّ عن جعله في متناول الناس عامّة. و قد تعرّض المفسرون لتفسير آي القرآن جميعاً حتى الحروف المقطعة، فكيف يا ترى خفِيَ عليهم أن لا يتعرضوا لما لا يريد اللّه بيانه للناس؟!

إذن فالصحيح من الرأي هو: أنه ﷺ قد بيّن لأُمته ـ و لأصحابه بالخصوص ـ جميع معاني القرآن الكريم، و شرح لهم جُلّ مراميه و مقاصده الكريمة، إما بياناً بالنص، أو ببيان تفاصيل أُصول الشريعة و فروعها، و لا سيما إذا ضممنا إليه ما ورد عن الأئمّة من عترته، في بيان تفاصيل الشريعة و معاني القرآن، و الحمد للّه.

حجم المأثور من تفاسير الرسول ﷺ

قد يستغرب البعض إذ يجد قلّةً في التفسير المأثور عن رسول اللّه ﷺ بالنصّ! لكن، لا موضع للاستغراب بعد الذي قدّمنا؛ أوّلاً: وفرة الوسائل لفهم معاني القرآن حينذاك، ثانياً: جلّ بيانات الشريعة كانت تفسيراً لمبهمات القرآن و تفصيلاً لمجملاته.

---

١. هامش مقدمة ابن تيميّة في أُصول التفسير، ص٦.

٢. التفسير و المفسّرون، ج١، ص٥٦و٥٧.

نعم، كانت موارد السؤال و الإجابة عليه فيما يخصّ تفسير القرآن بالنصّ قليل، نظراً لعدم الحاجة إلى أكثر من ذلك حسبما عرفت. غير أن لهذا القليل من تفاسير الرسول ﷺ كثيراً في واقعه، قليلاً في نقله و حكايته. فالمأثور منه قليل، لا أصله و منبعه الأصيل.

قال جلال الدين السيوطي: الذي صحّ من ذلك قليل جداً، بل أصل المرفوع منه في غاية القلّة. و قد أنهاهنّ في خاتمة كتاب الإتقان إلى ما يقرب من مئتين و خمسين حديثاً في التفسير، مأثوراً عن النبيّ ﷺ بالنص.[١]

و هذا عدد ضئيل جداً، لا نسبة له مع عدد آي القرآن الكريم، و مواضع إبهامه الكثير، الأمر الذي دعا بابن حنبل أن ينكره رأساً، إلحاقاً له بالعدم. قال: ثلاثة ليس لها أُصول، أو لا أصل لها: المغازي، و الملاحم، و التفسير. قال بدر الدين الزركشي: قال المحققون من أصحابه: يعني أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة الإسناد، و إلاّ فقد صح من ذلك كثير[٢]. هذا مع أنّ ابن حنبل قد جعل السنّة برمّتها تفسيراً للقرآن، و سنذكره.

فلو ضممنا سيرته الكريمة و سنّته في الشريعة، و أحاديثه الشريفة في أُصول الدين و فروعه و معارف الإسلام و دلائل الأحكام، لو ضممنا ذلك كلّه إلى ذلك العدد القليل ـ في الظاهر ـ لأصبح التفسير المأثور عن عهد الرسالة ـ على مشرفها آلاف التحية و الثناء ـ في حجم كبير و في كمّية ضخمة، كان الرصيد الأوفى للتفاسير الواردة في سائر العصور.

---

١. راجع: الإتقان، ج٤، ص١٨٠ و ٢١٤ ـ ٢٥٧.

٢. البرهان للزركشي، ج٢، ص١٥٦.

أضف إلى ذلك ما ورد عن طريق أهل البيت عليهم السلام من التفسير المأثور[١] المستند إلى جدّهم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و هو عدد وفير، يضاف إلى ذلك الكثير الوارد عن غير طرقهم.

و بعد، فإنها تكون مجموعة كبيرة من التفسير المستند إلى صاحب الرسالة، لها شأن في عالم التفسير عبر القرون.

أوجه بيان النبيّ لمعاني القرآن

قد عرفت كلام السيوطي: إنّ السنّة بجنب القرآن شارحة له و موضّحة له. قال صلى الله عليه و آله و سلم: «ألا إني أوتيت القرآن و مثله معه» يعني السنّة الشريفة[٢].

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «إن اللّه أنزل على رسوله الصلاة و لم يسمّ لهم: ثلاثاً و لا أربعاً، حتى كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم هو الذي فسّر ذلك لهم. و أنزل الحج فلم يُنزل: طوفوا أسبوعاً، حتى فسّر ذلك لهم رسول اللّه ـ وفي رواية أُخرى زيادة قوله ـ فنزلت عليه الزكاة فلم يسمّ اللّه: من كل أربعين درهماً درهماً، حتى كان رسول اللّه هو الذي فسّر ذلك لهم..»[٣].

و معنى ذلك أن الفرائض و السنن و الأحكام إنما جاءت في القرآن بصورة إجمال في أصل تشريعاتها، أمّا التفصيل و البيان فقد جاء في السنّة في تفاصيل

---

١. قام زميلنا الفاضل السيد محمد برهاني ـ نجل العلامة المحدث السيد هاشم البحراني صاحب تفسير البرهان ـ بجمع ما أسند إلى النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم من التفسير، المروي عن طرق أهل البيت عليهم السلام فبلغ لحدّ الآن حوالي أربعة آلاف حديث، و لا يزال يزيد، ما دام العمل مستمراً، وفّقه اللّه.

٢. الإتقان، ج ٤، ص ١٧٤.

٣. الكافي الشريف، ج ١، ص ٢٨٦. و العياشي، ج ١، ص ٢٤٩ ـ ٢٥١، رقم ١٦٩ و ١٧٠. و الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٤٩.

الشريعة، التي بيّنها رسول اللّه ﷺ طيلة حياته الكريمة. فكانت السنّة إلى جنب القرآن تفسيراً لمواضع إجماله، و شارحة لمواضع إبهامه.

روى القرطبي بالإسناد إلى عمران بن حُصين، أنه قال لرجل ـ كان يزعم كفاية الكتاب عن السنّة ـ: إنك رجل أحمق، أتجد الظُهر في كتاب اللّه أربعاً لا يُجهر فيها بالقراءة! ثم عدّد عليه الصلاة و الزكاة و نحو هذا. ثم قال: أتجد هذا في كتاب اللّه مفسَّراً! إن كتاب اللّه تعالى أبهم هذا، و إنّ السنّة تُفسّر هذا.

و عن حسّان بن عطية قال: كان الوحي ينزل على رسول اللّه ﷺ ويحضره جبرئيل بالسنّة التي تفسّر ذلك. و عن مكحول قال: «القرآن أحوج إلى السنّة من السنّة إلى القرآن»، و قال يحيى بن أبي كثير: «السنّة قاضية على الكتاب و ليس الكتاب بقاضٍ على السنّة»، قال الفضل بن زياد: سمعت أحمد بن حنبل ـ و سئل عن هذا الحديث الذي روي أن «السنّة قاضية على الكتاب» ـ فقال: ما أجسُر على هذا أن أقوله، و لكنّي أقول: إنّ السنّة تُفسِّر الكتاب و تبيّنه[١].

* * *

و بعد، فإن تبيين مجملات القرآن، من تفاصيل واردة في السنّة، يمكن على وجوه:

الأوّل: ما ورد في القرآن بصورة تشريعات كليّة، لا تفصيل فيها و لا تبيين عن شرائطها و أحكامها، فهذا يجب طلب تفاصيلها من السنّة، في أقوال الرسول و أفعاله و تقاريره، كما في قوله تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ آتُوا الزَّكٰاةَ﴾[٢]، و قوله:

---

١. تفسير القرطبي ـ المقدمة ـ ج١، ص٣٩.

٢. البقرة/ ٤٣.

﴿وَ لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾[1] و ما شابه، من تكاليف عباديّة جاء تشريعها في القرآن بهذا الوجه الكلي. فلابدّ لمعرفة أعداد الصلاة و ركعاتها و أفعالها و أذكارها و سائر شروطها و أحكامها[2]، من مراجعة السنّة، و فيها البيان الوافي بجميع هذه التفاصيل، و هكذا مسألة الزكاة المفروضة و الحج الواجب.

و هكذا ما جاء في مختلف أبواب المعاملات، من قوله تعالى: ﴿وَ أَحَلَّ اللّٰهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبٰا﴾[3] فإن للبيع الجائز أنواعاً، و للربا أحكاماً، ينبغي طلبها من السنّة، فهي التي تحدّد موضوع كل معاملة و تبيّن الشرائط التي فرضتها الشريعة في تفاصيل هذه المعاملات.

الوجه الثاني: عمومات ذوات تخصيص، جاء العام في القرآن و كانت موارد تخصيصه في السنّة. و هكذا مطلقات ذوات تقييد، جاء الإطلاق في القرآن و كان التقييد في السنّة. و لا شكّ أن التخصيص و كذا التقييد بيان للمراد الجدّي من العام و كذا من المطلق، و هذا الذي دلّ عليه العام في ظاهر عمومه و المطلق في ظاهر إطلاقه، إنما هو المعنى الاستعمالي المستند إلى الوضع أو دليل الحكمة. و الذي يكشف عن الجدّ في المراد هو الخاصُّ الواردُ بعد ذلك، و كذا القيدُ المتأخّر. و هذا معروف في علم الأصول.

---

١. آل عمران/ ٩٧.

٢. مثلاً قوله تعالى: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتاً﴾ (النساء/ ١٠٣) ما هذا الوقت المحدّد للصلاة؟ فقد أحيل بيان ذلك إلى السنّة. و هكذا بيان الأوقات الخمسة التي جاءت الإشارة إليها إجمالياً في قوله:﴿أقم الصّلاة لدلوك الشّمس إلى غسق اللّيل و قرآن الفجر...﴾ (الإسراء/ ٧٨).

٣. البقرة/ ٢٧٥.

و مثال الأول قوله تعالى: ﴿وَ الْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[١] و هذا عام لمطلق المطلّقات. و في السنّة تخصيص هذا الحكم بالمدخول بهنّ، أما غير المدخول بهنّ فلا اعتداد لهنّ. و كذلك قوله ـ بعد ذلك ـ: ﴿وَ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بردِّهِنَّ﴾ مخصوص بالرجعيّات.

مثال الثاني: (تقييد المطلق) قوله تعالى: ﴿وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَ غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً﴾[٢] و قد تقيّد هذا الإطلاق بما إذا لم يتُب، و كان قد قتله لإيمانه، كما رواه العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام[٣].

و قوله تعالى: ﴿أَلَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٤]؛ إذ ليس المراد مطلق الظلم، بل هو «الشرك» خاصّة. روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم[٥]، و هكذا فسّر اليد (في القطع بالسرقة[٦]) باليمين من مفصل الأصابع. و مثله جلد الزاني المتقيد بغير المحصن.

و أيضاً قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصىٰ بِها أَوْ دَيْنٍ﴾[٧]. فقد كان الميراث بعد إخراج ما أوصى به الميت و كذا دينه. فالدين مطلق، أما الوصية فقيّدت بما إذا لم تتجاوز ثلث التركة بعد وضع الدين. فهذا التقييد تعرّضت له السنّة، و كان

---

١. البقرة/ ٢٢٨.

٢. النساء/ ٩٣.

٣. راجع: مجمع البيان للطبرسي، ج٣، ص٩٢ ـ ٩٣. و العياشي، ج١، ص٢٦٧.

٤. الأنعام/ ٨٢.

٥. مجمع البيان، ج٤، ص٣٢٧.

٦. الآية رقم ٣٨ من سورة المائدة.

٧. النساء/ ١٢.

قد أُبهم في القرآن إبهاماً.

الوجه الثالث: ما إذا ورد عنوان خاص في القرآن، و كان متعلقاً لتكليفٍ، أو قيداً في عبادة مثلاً، و لكنه كان مصطلحاً شرعياً من غير أن يكون مفهومه العام مراداً، فهذا أيضاً مما يجب تبيينه من السنّة. و هذا في جميع المصطلحات الشرعية ـ أي الحقائق الشرعية على حدّ تعبيرهم ـ مما لم تكن لها سابقة في العُرف العام.

و هذا كما في الصلاة و الزكاة و الحج و الجهاد و ما شاكل، إنها مصطلحات شرعية خاصة،[1] لا بدّ لمعرفة حقائقها و ماهيّاتها من مراجعة الشريعة، كما كان يجب الرجوع إليها لمعرفة أحكامها و شرائطها؛ إذ ليست الصلاة مطلق الدعاء و المتابعة ـ كما هي في اللغة و العرف العام غير الإسلامي ـ بل عبادة خاصة ذات كيفية و أفعال و أذكار خاصة، أعلن بها الشرع الحنيف، و تصدّى لبيانه الرسول الكريم، قال: «صلّوا كما رأيتموني أُصلّي».

و هكذا ليست الزكاة مطلق النموّ، بل إنفاق خاصّ في كيفية خاصّة، توجب تنمية المال بفضل اللّه تعالى إن وقعت عن صدق و إخلاص، الأمر الذي جاء تبيينه في السنّة الشريفة. و مثلها الحج ليس مطلق القصد، و كذا الجهاد ليس مطلق الاجتهاد و السعي، و هكذا..

و كذلك موضوع الخطأ و العمد في القتل، تعرّضت السنّة لبيانهما، و ليس مطلق ما يفهم من هذين اللفظين لغة أو في المتفاهم العام، فقد جاء في السنّة أن الخطأ محضاً هو ما لم يكن المقتول مقصوداً أصلاً. أما إذا كان مقصوداً و لكن

---

١. المقصود بالشرع: مطلق الشرائع الإلّهية و ليس شرع الإسلام فحسب. نعم لم تكن هذه المفاهيم مما وضعه العرف العام و لا اللغة، و إنما هو أمر جاء به الشرع في مصطلحه الخاص.

لم يقصد قتله ـ بأن لم يكن العمل الذي وقع عليه مّما يُقتل به غالباً ـ فوقع قتله اتفاقاً، فهو شبيه العمد. أما إذا كان مقصوداً بالقتل فهو العمد محضاً. فهذا التفصيل والبيان إنما تعرضت له السنّة تفسيراً لما أُبهم في القرآن من بيان هذه المفاهيم.

الوجه الرابع: موضوعات تكليفيّة تعرّض لها القرآن من غير استيعاب ولاشمول؛ إذ لم يكن الاستقصاء مقصوداً بالكلام، و إنما هو بيان أصل التشريع وذكر جانب منه، مما كان موضع الابتلاء ذلك الحين و من ثم يبدو ناقصاً غير مستقصى، و مجملاً في الشمول و البيان.

أما الاستقصاء و الشمول فالسنّة الشريفة موردها، ففيها البيان و الكمال، كما لم تأت في القرآن شريعة (رجم المحصن) و إنّما فصّلته السنّة عن مطلق حكم الزاني الوارد في القرآن.

و مثل أحكام الخطأ و العمد في القتل لم يتعرّض لها القرآن باستيعاب؛ إذ هناك خطأ محض، و شبه العمد، و العمد المحض. ليترتب على الأول أنّ الدية على العاقلة، و على الثاني كانت الدية على القاتل، و في الثالث كان تشريع القصاص هو الأصل إلاّ إذا رضي الأولياء بالدية أو العفو.

فهذا الاستيعاب و الاستقصاء إنما تعرضت له السنّة، فأكملت بيان القرآن ورفعت من إبهامه، في هذا الجانب الذي كان يبدو مجملاً لو كان بصدد البيان ولم يكن أصل التشريع مقصوداً فقط.

الوجه الخامس: بيان الناسخ من المنسوخ في أحكام القرآن؛ إذ في القرآن أحكام أوّليّة منسوخة، و أحكام أُخر هي ناسخة نزلت متأخراً؛ فلتمييز الناسخ من المنسوخ لا بدّ من مراجعة السنّة. أما القرآن ذاته فلا تمييز فيه بين ناسخه ومنسوخه، و لا سيّما و الترتيب الراهن بين الآيات و السور قد تغير عمّا كان عليه النزول في البعض على الأقل. إذن لم يبق لمعرفة وجه التمايز بين الحكم المنسوخ

و الحكم الناسخ إلاّ مراجعة نصوص الشريعة. و من ثم قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لقاضٍ مرّ عليه بالكوفة: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فهاب الإمام و أجاب بالنفى! فقال له الإمام: إذن هلكت و أهلكت.[١]

فمن ذلك قوله تعالى ـ بشأن المتوفّى عنها زوجها ـ: ﴿وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْوٰاجاً، وَصِيَّةً لِأَزْوٰاجِهِمْ مَتٰاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرٰاجٍ﴾[٢] كانت الشريعة في البدء أن المرأة المتوفّى عنها زوجها لا ميراث لها سوى الإمتاع في التركة حولاً كاملاً، و كان ذلك عدّتها أيضاً. لكنها نسخت بآية المواريث[٣] و بآية التربّص أربعة أشهر و عشراً[٤] (وآية التربّص الناسخة مثبتة في سورة البقرة قبل آية الحول المنسوخة).

هكذا ورد في الحديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام[٥].

و من ذلك أيضاً آية جزاء الفحشاء، فما في سورة النساء(١٥ـ١٦) منسوخة بشريعة الجلد (سورة النور/٢) والرجم، هكذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام[٦].

و نظير ذلك كثير، و لا سيّما إذا عمّمنا النسخ ليشمل التخصيص و الاستثناء و سائر القيود أيضاً، و قد كان معهوداً ذلك الحين.

* * *

---

١. تفسير العياشي، ج ١، ص ١٢، رقم ٩. و الإتقان، ج ٢، (ط ١)، ص ٢٠.

٢. البقرة/ ٢٤٠.

٣. النساء/ ١٢.

٤. البقرة/ ٢٣٤.

٥. راجع: بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٦. و الصافي، ج ١، ص ٢٠٤.

٦. العياشي، ج ١، ص ٢٢٧ـ٢٢٨.

نماذج من تفاسير مأثورة عن النبيّ ﷺ

قلنا: إن الصحابة كانوا في غنىً ـ في الأغلب ـ عن مسائلة الرسول ﷺ بشأن معاني القرآن، أو كانوا يحتشمون سؤاله، لِما كان القرآن قد نزل بلغتهم و في مناسبات كانوا هم حضور مشهدها. و أحياناً إذا كان إبهام في وجه آية، أو خفي المراد من سياقها، كانوا يراجعونه لا محالة، و في الأكثر كانوا يترصّدون أسئلة الأعراب أو الطارئين فيتبادرون إلى تفهّم ما يجري بينهم و بين الرسول بشأن معاني القرآن، حتى قالوا: إنّ اللّه ينفعنا بالأعراب و مسائلهم.[١]

و بعد فقد جُمع من هذا و ذاك حشد كبير من تفاسير مأثورة عن رسول اللّه ﷺ رواها أئمة الحديث في أُمهات الجوامع الحديثية المعروفة.

و الأكثر سؤالاً إنما وقع عن مرادات القرآن، بعد وضوح الكلمة في مفهومها اللغوي؛ حيث ظاهر اللّفظ يُنبئ عن شيء، لكن المراد غير هذا الظاهر المفهوم حسب دلالة الوضع، أو يشك في إرادة هذا الظاهر، لقرائن حاليّة أو مقالية، تبعث على السؤال عن المراد الواقعي.

* فقد سئل النبيّ ﷺ عن «السّائِحِينَ» في قوله تعالى: ﴿**أَلتَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ**﴾[٢]، فقال: هم الصائمون[٣]. فلا غموض في معنى السياحة، و لكن أيّ مصاديق السياحة مقصودة هنا؟ و لعلّ هنا استعارةً جاءت لأمر معنويّ، مما يدعو إلى السؤال عنه و مراجعة أهل الذكر. قال الطبرسي: السائح مِن: ساح في الأرض يَسيحُ سيحاً، إذا استمر في الذهاب، و منه

---

١. سبق ذلك في أول الفصل.

٢. التوبة/ ١١٢.

٣. المستدرك، ج ٢، ص ٣٣٥.

السيح للماء الجاري، و من ذلك يسمّى الصائم سائحاً، لاستمراره على الطاعة في ترك المشتهى. قال: و روي عن النبي أنه قال: «سياحة أمّتي الصيام»[١].

* و سئل عن الاستطاعة في قوله تعالى: ﴿وَ لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[٢] قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الزاد و الراحلة»[٣]. فإن مفهوم الاستطاعة عام يشمل أيّ نحو من الاستطاعة و بأيّ وسيلة مقدورة و كانت بالإمكان، غير أن هذا غير المراد بالاستطاعة إلى الحجّ الواجب، فبيّن عليه السلام أنه القدرة على الزاد و الراحلة، إن كان ذلك بوسعه من غير تكلّف. و هذا كناية عن الاستطاعة المالية، كما فهمه الفقهاء رضوان اللّه عليهم.

* و هكذا لما سألته عائشه عن الكسوة الواجبة في كفّارة الأيمان، في قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ، أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾[٤] أجاب صلى الله عليه وآله وسلم: «عباءة لكلّ مسكين»[٥].

* و سأله رجل من هذيل عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[٦] قال: يا رسول اللّه، من تركه فقد كفر؟! نظراً لأن هذا العنوان «مَنْ كَفَرَ» أطلق على من ترك الحج! فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من تركه لا يخاف عقوبته و لا يرجو مثوبته»[٧] كناية عمّن تركه جحوداً لا يؤمن بعاقبته، فهذا كافر بالمعاد و بيوم الجزاء

---

١. مجمع البيان، ج ٥، ص ٧٥ و ٧٦.

٢. آل عمران/ ٩٧.

٣. الإتقان، ج ٤، ص ٢١٨.

٤. المائدة/ ٨٩.

٥. الإتقان، ج ٤، ص ٢٢١.

٦. آل عمران/ ٩٧.

٧. الإتقان، ج ٤، ص ٢١٨.

و الحساب، الأمر الذي يعود إلى إنكار ضروريّ للدين و إنكار الشريعة رأساً، أما الذي تركه لا عن نكران فهو فاسقٌ عاصٍ و ليس بكافر جاحد.

و هكذا روي عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام حينما سأله أخوه عليّ بن جعفر: من لم يحجّ منّا فقد كفر؟! قال: لا، و لكن من قال: ليس هذا هكذا فقد كفر[١].

* و سئل عن قوله تعالى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ أَلَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾[٢]، ما معنى «عِضينَ»؟ فقال صلى الله عليه و آله: «آمنوا ببعض و كفروا ببعض»[٣].

فالآية الكريمة إنكار على الذين فرّقوا بين أجزاء القرآن. الأمر يثير السؤال عن المراد من هذه التجزئة المستنكرة؟ و من ثمّ كان الجواب: إنها التفرقة في الإيمان بالبعض و الكفر بالبعض.

* و سئل عن قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ﴾[٤]، كيف يشرح صدره؟ قال صلى الله عليه و آله: «نور يُقذف به فينشرح له و ينفسح!» قالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود، و التجافي عن دار الغرور، و الاستعداد للموت قبل لقاء الموت»[٥].

* و سأله عبادة بن الصامت[٦] عن قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

---

١. الصافي ـ الفيض الكاشاني ـ ج ١، ص ٢٨٢.

٢. الحجر / ٩١.

٣. الإتقان، ج ٤، ص ٢٣٤. عضون: جمع عُضَة بمعنى عُضْو، كقولهم: ثُبَة و ظُبَة، و الجمع: ثِبُون وظِبُون. و معنى العضين: جَعْلُه عضواً عضواً، أي في أجزاء متفرقة كالتعضية، بمعنى التفرقة، فهو تجزئة الأعضاء.

٤. الأنعام / ١٢٥.

٥. الإتقان، ج ٤، ص ٢٢٢.

٦. كان ممن جمع القرآن على عهده صلى الله عليه و آله و كان يعلم أهل الصفّة القرآن و شهد المشاهد كلها مع ←

وَ فِي الْآخِرَةِ﴾[١]، ماذا تكون تلك البشارة؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل، أو تُرى له»[٢].

و روى الكليني في الكافي و الصدوق في الفقيه بإسنادهما عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «البُشرى في الحياة الدنيا هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن فيبشّر بها في دنياه». و زاد في الفقيه: «و أما قوله: ﴿في الآخرة﴾، فإنها بشارة المؤمن عند الموت، يبشّر بها عند موته: أنّ اللّه عزّ و جلّ قد غفر لك و لمن يحملك إلى قبرك..». و قال عليّ بن إبراهيم القمّي: و ﴿في الآخرة﴾ عند الموت، و هو قوله تعالى: ﴿أَلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاٰئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ أُدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣].

* و سئل عن قوله تعالى: ﴿أَلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ إِلىٰ جَهَنَّمَ أُولٰئِكَ شَرٌّ مَكٰاناً وَ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٤] كيف يُحشر أهل النار على وجوههم؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم»[٥].

و بهذا المعنى آية أُخرى أوضحت الحشر على الوجوه بالسحب على وجوههم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النّٰارِ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ، ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾[٦]، و قوله: ﴿وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ عَلىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَ صُمّاً وَ بُكْماً﴾[٧].

← رسول اللّه. و استعمله النبي على بعض الصّدقات، و كان نقيباً في الأنصار. كان طويلاً جسيماً جميلاً. تُوفّي سنة ٧٢.

١. يونس / ٦٤.

٢. المستدرك، ج ٢، ص ٣٤٠.

٣. النحل / ٣٢؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٧٥٨.

٤. الفرقان / ٣٤.

٥. المستدرك، ج ٢، ص ٤٠٢

٦. القمر / ٤٨.

٧. الإسراء / ٩٧.

* و أخرج الحاكم بإسناده إلى الأصبغ بن نباتة ـ و قال: إنه أحسن الروايات في هذا الباب ـ عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قال: لما نزلت الآية ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[1] قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: يا جبرئيل، ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربّي؟ قال: إنها ليست بنحيرة، و لكنه يأمرك إذا تحرّمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبّرت و إذا ركعت و إذا رفعت رأسك من الركوع؛ فإنها صلاتنا و صلاة الملائكة الذين في السماوات السبع[2]. و في رواية أُخرى زيادة قوله: إنّ لكل شيء زينة، و زينة الصلاة رفع الأيدي. قال صلى الله عليه وآله وسلم: رفع الأيدي من الاستكانة التي قال اللّه ـ عزّ و جلّ ـ: ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَ مَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[3]

* و سألته أمّ هانئ (بنت أبي طالب) عن المنكر الذي كان قوم لوط يأتونه في ناديهم؛ حيث قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾[4]؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «كانوا يخذفون أهل الطريق و يسخرون»[5].

و لعل هذا كان بعض أعمالهم المنكرة، ففي المجمع: كانت مجالسهم تشتمل على أنواع من المناكير و القبائح، مثل الشتم و السخف و الصفع و القمار، و ضرب المخارق و خذف الأحجار على المارّين و ضرب المعازف و المزامير، و كشف العورات و اللواط، و قيل: كانوا يتضارطون من غير حشمة و لا حياء[6].

---

١. الكوثر / ٢.

٢. المستدرك، ج ٢، ص ٥٣٢.

٣. المؤمنون / ٧٦. المستدرك، ج ٢، ص ٥٣٨.

٤. العنكبوت ٢٩.

٥. المستدرك، ج ٢، ص ٤٠٩.

٦. مجمع البيان للطبرسي، ج ٨، ص ٢٨٠.

* و ربما سألوه عن عموم حكم و شموله لبعض ما اشتبه عليهم أمره، فقد سأله جرير بن عبد اللّه الجَبَلي[١] عن نظرة الفجأة، و قد قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ..﴾[٢]، فهل يشمل عموم الأمر بالغضّ لما إذا كانت النظرة فجأةً، و هي غير إراديّة؟

قال جرير: فأمرني صلى الله عليه وآله وسلم أن أصرف بصري[٣]، أي لا يداوم في النظرة، و يصرف ببصره من فوره.

* و عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و سأله عن أمر اليتامى؛ حيث قوله تعالى: ﴿وَ آتُوا الْيَتامىٰ أَمْوالَهُمْ وَ لاٰ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَ لاٰ تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلىٰ أَمْوالِكُمْ إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً﴾ إلى قوله: ﴿وَ لاٰ تَأْكُلُوها إِسْرافاً وَ بِداراً إِنْ يَكْبَرُوا، وَ مَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ، وَمَنْ كانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ...﴾.[٤] فقال: يا رسول اللّه، إن أخي هلك و ترك أيتاماً و لهم ماشية، فما يحلّ لي منها؟ فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: إن كنت تليط حوضها، و تردّ ناديتها، و تقوم على رعيّتها، فاشرب من ألبانها، غير مجتهد و لاضارّ بالولد، و اللّه يعلم المفسد من المصلح[٥]. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتامىٰ قُلْ إِصْلاحٌ

---

١. أسلم قبل وفاة النبي بأربعين يوماً. كان سيد قومه وجيهاً حسن الصورة و كان يُلقّب بيوسف هذه الأمّة. و لما دخل على النّبي رحّب به و أكرمه، و قال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه. و بعثه في مائة و خمسين فارساً إلى ذي الخلصة ليهدم بيت صنم كان هناك لخثعم، و دعا له، و قال: اللهمّ اجعله هادياً مهديا. تُوفّي سنة ٥١.

٢. النور/ ٣٠.

٣. المستدرك، ج ٢، ص٣٩٦.

٤. النساء/ ٢و٦. و الحُوب: الإثم.

٥. العياشي، ج ١، ص١٠٧، رقم ٣٢١. لاط الحوض: مدره لئلا ينشف الماء. و النادية: النوق

←

لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُكُمْ وَ اللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ...﴾[١].

* * *

و أحياناً كانت الأسئلة لغويّة، على ما أسبقنا أن القرآن أخذ من لغات القبائل كلّها، و ربما كانت اللفظة المتداولة في قبيلة، غير معروفة عند الآخرين.

* من ذلك ما سأله قطبة بن مالك الذبياني[٢] عن معنى «البُسُوق» من قوله تعالى: **﴿وَ النَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾**[٣] قال: ما بُسُوقها؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: طولها[٤]. قال الراغب: باسقات، أي طويلات. و الباسق هو الذاهب طولاً من جهة الارتفاع، و منه بَسَق فلان على أصحابه: علاهم.

* و سأله عبد اللّه بن عمرو بن العاص عن الصُور في قوله تعالى: **﴿وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾**،[٥] قال صلى الله عليه وآله وسلم: هو قَرن يُنفخ فيه[٦].

* و عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: **﴿فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾**[٧] ـ الإحسار: الإقتار.[٨]

الحسر: كشف الملبس عما عليه. و الحاسر: من لا درع له و لا مغفر. و ناقة

← المتفرّقة.

١. البقرة/ ٢٢٠.

٢. كان من الصحابة الذين سكنوا الكوفة. روى عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، و عن زيد بن أرقم و غيره.

٣. ق/ ١٠.

٤. المستدرك، ج ٢، ص ٤٦٤.

٥. الزمر/ ٦٨.

٦. المستدرك، ج ٢، ص ٤٣٦.

٧. الإسراء/ ٢٩.

٨. تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٨٩.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حسير: انحسر عنها اللحم و القوّة. و الحاسر: المُعيا، لانكشاف قواه.

إذن فالمحسور: من افتقد أسباب المعيشة التي أهمها المال، و ليس من الحسرة كما تُوهّم، فصحّ تفسير المحسور بالمُقتِر؛ لأنّ القتر فقد النفقة أو تقليلها، و المُقتِر: الفقير.

* * *

و ربما كانت الآية شديدة الوطأة، قد تجعل المسلمين في قلق، لولا مراجعته صلى الله عليه وآله وسلم ليفسّرها لهم بما يرفع عنهم ألم اليأس و قلق الاضطراب.

من ذلك ما رواه محمد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لما نزلت الآية: **﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ﴾**[1]، قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما أشدَّها من آية! فقال لهم رسول اللّه: أما تُبتلون في أموالكم و أنفسكم و ذراريكم؟ قالوا: بلى، قال: هذا مما يكتب اللّه لكم به الحسنات و يمحو به السيئات[2].

* و سئل فيما النجاة غداً؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «النجاة أن لا تخادعوا اللّه فيخدعكم، فإنه من يُخادع اللّه يخدعُه و يخلع منه الإيمان، و نفسه يخدعُ لو يشعر».

فقيل: كيف يخادع اللّه؟ قال: «يعمل بما أمره اللّه ثم يريد به غيره، فاتّقوا اللّه فاجتنبوا الرياء فإنه شرك باللّه.»[3]، و ذلك قوله تعالى: **﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ وَ إِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالىٰ يُراؤُونَ النّاسَ﴾**[4].

---

١. النساء/ ١٢٣.

٢. تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٧٧، رقم ٢٧٨.

٣. تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٨٣، رقم ٢٩٥.

٤. النساء/ ١٤٢.

* و لما نزلت الآيـة: ﴿وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاٰ يَكُونُوا أَمْثٰالَكُمْ﴾[١] قالوا: يا رسول اللّه، من هؤلاء الذين إذا تولّينا أُستبدلوا بنا؟! ـ و سلمان إلى جنبه ـ فقال ﷺ: هم الفرس، هذا و قومه. و في رواية الطبري: فضرب على منكب سلمان و قال: من هذا و قومه. و الذي نفسي بيده لو أن الدين تعلّق بالثريّا لنالته رجال من أهل فارس. و في رواية البيهقي: لو كان الإيمان منوطاً بالثريّا لتناوله رجال من فارس[٢].

* * *

* و ربما سألوه ﷺ عن غير الأحكام مما جاء ذكره في القرآن إجمالاً، ليبعثهم حبُّ الاستطلاع على السؤال عنه. من ذلك سؤال فروة بن مسيك المرادي[٣] عن «سبأ»: رجل أو امرأة أم أرض؟ فقال ﷺ: هو رجل وَلَدَ عشرةً من الوُلد، ستةٌ من وُلده باليمن، و أربعة بالشام. فأمّا اليمانيّون فمذحج و كندة والأزد والأشعريون و أنمار و حمير، خير كلها، و أما الشاميّون فلخم و جذام وعاملة و غسّان.[٤]

---

١. محمد/ ٣٨.

٢. راجع: المستدرك للحاكم، ج ٢، ص ٤٥٨. و الطبري في التفسير، ج ٢٦، ص ٤٢. و الدر المنثور، ج ٦، ص ٦٧.

٣. قدم على رسول اللّه ﷺ سنة عشر فأسلم، فبعثه على مراد و زبيد و مذحج. قال ابن إسحاق: فلما انتهى إلى رسول اللّه، قال له ـ فيا بلغنا ـ: يا فروة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم؟ قال: يا رسول اللّه، و من ذا الذي يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الردم و لا يسوؤه؟! فقال ﷺ: أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً. (أُسد الغابة، ج ٤، ص ١٨٠).

٤. المستدرك، ج ٢، ص ٤٢٣ ـ ٤٢٤.

قال الطبرسي: سبأ، هو أبو عرب اليمن كلها، و قد تسمّى به القبيلة[۱]، و هو الظاهر من عود ضمير العقلاء إليهم في قوله تعالى: **﴿لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ في مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ، جَنَّتانِ عَنْ يَمينٍ وَ شِمالٍ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ، وَ اشْكُرُوا لَهُ. بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُورٌ﴾**[۲].

* و سأله أبو هريرة عن قوله تعالى: **﴿وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾**[۳]، قال: أنبئني عن «كل شيء»؟ قال ﷺ: «كل شيء خلق من الماء»[٤]، بمعنى أن الماء أصل الحياة، حيواناً كان أم نباتاً. و ورد في الحديث: أوّل ما خلق اللّه الماء.[٥]

* * *

* و أحياناً كان ﷺ يتصدّى لتفسير آية أو آيات لغرض العظة أو الاعتبار، كالذي رواه أبو سعيد الخدري[٦] عن رسول اللّه ﷺ في قوله تعالى: **﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ وَ هُمْ فيها كالِحُونَ﴾**[۷] قال ﷺ: تشويها النارُ فتتقلّص شفاهها العليا حتى تبلغ وسط الرؤوس، و تسترخي شفاهها السفلى حتى تبلغ الأسرّة.

---

۱. مجمع البيان، ج۸، ص۳۸٦.
۲. سورة سبأ/ ۱۵.
۳. الأنبياء/ ۳۰.
٤. الإتقان، ج٤، ص۲۳۸.
٥. كتاب التوحيد، للصدوق، ص٦٧، رقم۸۲.
٦. هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري. كان من الحفّاظ للحديث المكثرين، و من العلماء الفضلاء النبلاء. غزا مع رسول اللّه ﷺ و هو ابن خمس عشرة سنة، مات سنة ٧٤.(أُسد الغـابة، ج۲، ص۲۸۹ و ج٥، ص۲۱۱).
۷. المؤمنون/ ۱۰٤.

أخرجه الحاكم، و قال: صحيح الإسناد[١].

* و عن أبي هريرة، قال: قرأ النبيّ ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها﴾ثم قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: اللّه و رسوله أعلم! قال: أن تشهد على كل عبدٍ و أَمةٍ بما عمل على ظهرها، تقول: عمل كذا و كذا في يوم كذا و كذا[٢].

* و عن أبي الدرداء[٣] قال: سمعت رسول اللّه ﷺ قرأ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا، فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللّهِ، ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها..﴾[٤]ثم قال: «السابق و المقتصد يدخلان الجنّة غير حساب، و الظالم لنفسه يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة»[٥].

* و هكذا روى عمران بن حُصَين[٦] قال: كان النبيّ ﷺ يَحدثنا عامّة ليله عن بني إسرائيل، لا يقوم إلاّ لعظيم صلاةٍ[٧].

---

١. المستدرك، ج ٢، ص ٣٩٥.

٢. المستدرك، ج ٢، ص ٥٣٢.

٣. هو عويمر بن مالك بن زيد. كان من أفاضل الصحابة وفقهائهم و حكمائهم، و كان مشاهده الخندق. مات سنة ٣٢.

٤. فاطر / ٣٢.

٥. المستدرك، ج ٢، ص ٤٢٦.

٦. أسلم عام خيبر، و غزا مع رسول اللّه ﷺ غزوات. بعثه عمر على البصرة ليفقّه أهلها و يتولّى قضاءها. فاستعفى بعد قليل عن ولاية القضاء، و كان من فضلاء الصحابة، و لم يكن بالبصرة من يفضَّل عليه. ابتلى بمرض الاستسقاء و دام به المرض ثلاثين يوماً، و هو مسجّى على سريره. تُوفّي سنة ٥٢. (أُسدالغابة، ج ٤، ص ١٣٧.)

٧. المستدرك، ج ٢، ص ٣٧٩.

و لعله ذات ليلة أو ليالي معدودة كانت معهودة.

هذا غيض من فيض و رشف من رشح، فاضت به ينبوع الحكمة و مهبط الوحي الكريم، و لا زالت بركاته متواصلة عبر الخلود.

✿ ✿ ✿

المرحلة الثانية

التفسير في دور الصحابة

* هم درجات عند اللّه
* المفسرون من الصحابة
* أعلم الصحابة بمعاني القرآن
* قيمة تفسير الصحابي
* ميزات تفاسير الصحابة

التفسير في دور الصحابة

هم درجات عند اللّه

قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ وَ فَوْقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَليمٌ﴾[1].

لا شكّ أن الصحابة، ممن ﴿رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ﴾[2]كانوا هم مراجع الأمّة بعد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم إذ كانوا حاملي لوائه و مصادر شريعته إلى الملأ، ليس يعدل عنهم إلى الأبد.

نعم كانوا على درجات من العلم و الفضيلة حسبما أُوتوا من فَهم و ذكاء وسائر المواهب و الاستعداد﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها﴾[3]،﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثيراً﴾[4].

---

١. يوسف/ ٧٦.

٢. التوبة/ ١٠٠.

٣. الرعد/ ١٧.

٤. البقرة/ ٢٦٩.

قال مسروق بن الأجدع الهمداني[١]: جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ ـ يعني الغدير من الماء ـ فالإخاذ يُروي الرجل، و الإخاذ يُروي الرجلين، و الإخاذ يُروي العشرة، و الإخاذ يُروي المائة، و الإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم[٢].

و في لفظ ابن الأثير: تكفي الإخاذة الراكب، و تكفي الإخاذة الراكبين، و تكفي الإخاذة الفئام من الناس. قال: و الإخاذ ككتاب: مصنع للماء يجتمع فيه. و الفئام: الجماعة الكثيرة[٣].

و يعني بالأخير (لأصدرهم) الإمام أمير المؤمنين، عليه صلوات المصلّين؛ حيث كان ـ سلام اللّه عليه ـ ينحدر عنه السيل و لا يَرقى إليه الطير.[٤] قال مسروق: «انتهى العلم إلى ثلاثة: عالم بالمدينة عليّ بن أبي‌طالب، و عالم بالعراق عبد اللّه ابن مسعود، و عالم بالشام أبي الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشّام و عالم العراق عالم المدينة و هو لم يسألهم»[٥].

قال الأستاذ محمد حسين الذهبي: الحق أن الصحابة كانوا يتفاوتون في القدرة على فَهم القرآن و بيان معانيه المرادة منه؛ و ذلك راجع إلى اختلافهم في أدوات الفهم. فقد كانوا يتفاوتون في العلم بلغتهم، فمنهم الواسع الاطلاع الملمّ بغريبها (كعبد اللّه بن عباس)، و منهم دون ذلك، و منهم من لازم النبيّ ﷺ

---

١. كان من التابعين، فقيه عابد. قال الشعبي: ما رأيت أطلب منه للعلم. كان معلّما و مقرئاً و مُفتياً. صحب علياً عليه السلام و لم يتخلّف عن حروبه. تُوفّي سنة ٦٢، و له من العمر ٦٣ سنة.

٢. التفسير و المفسرون، ج ١، ص٣٦.

٣. النهاية، ج ١، ص٢٨.

٤. راجع: الخطبة الشقشقية من نهج البلاغة، رقم٣.

٥. راجع: تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب، ج ٣، ص ٥١، رقم١٠٨٦.

فعرف من أسباب النزول ما لم يعرفه غيره (كعليّ بن أبي طالب عليه السلام). أضف إلى ذلك أن الصحابة لم يكونوا في درجتهم العلمية و مواهبهم العقليّة سواءً، بل كانوا مختلفين في ذلك اختلافاً عظيماً[١].

هذا عَديّ بن حاتم[٢]، العربيّ الصميم، حَسِب من قوله تعالى: ﴿**وَ كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ...**﴾[٣] أنه تمايز أحد خيطين: أبيض و آخر أسود، أحدهما عن الآخر في ضوء الفجر، فأخذ عقالين أبيض و أسود و جعلهما تحت وساده، فجعل ينظر إليهما فلا يتبيّن له أحدهما عن الآخر، فلما أصبح غدا إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يخبره بما صنع، فضحك رسول اللّه من صنيعه ذلك، حتى بدت نواجذه، و في رواية، قال له: إنّ وسادك إذن لعريض ـ كنايةً عن عدم تنبّهه لحقيقة الأمر ـ ثم قال له: إنما ذاك بياض النهار من سواد الليل[٤]، إنه البياض المعترض على الأفق تحت سواد الليل المنصرم. و في الدرّ المنثور: لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال و لا الفجر

---

١. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٣٥.

٢. هو ابن حاتم الموصوف بالجود الذي يُضرب به المثل، وفد على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سنة تسع. كان جواداً شريفاً في قومه. و كان ثابت الإيمان راسخ العقيدة، روي عنه أنه قال: ما دخل عليّ وقت صلاةٍ إلاّ و أنا مشتاق إليها. و كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يكرمه إذا دخل عليه. قال الشعبي: أرسل إليه الأشعث يستعير منه قدور حاتم فملأها و حملها الرجال إليه. فقال: إنما أردناها فارغة، فقال عديّ: إنّا لا نعيرها فارغة. كان منحرفاً عن عثمان، ثابتا مع أمير المؤمنين عليه السلام فُقِئَت عينه يوم الجمل و قتل ابنان له في ركاب علي عليه السلام و شهد صفين بنفسه. تُوفّي سنة ٦٧ بالكوفة أيام المختار، و له مائة و عشرون سنة، (أُسد الغابة، ج ٣، ص ٣٩٢).

٣. البقرة/ ١٨٧.

٤. فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر، ج ٤، ص ١١٣ ـ ١١٤. و تفسير الطبري، ج ٢، ص ١٠٠.

المستطيل ـ و هو الساطع المُصعَد ـ و لكن الفجر المستظهر في الأفق، هو المعترض الأحمر، يلوح إلى الحمرة. و في حديث: لايمنعكم أذان بلال من سحوركم فإنه ينادي بليل، فكلوا و اشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أُم مكتوم، فإنه لا يؤذّن حتى يطلع الفجر[١].

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «الفجر هو الخيط الأبيض المعترض، و ليس هو الأبيض صُعُداً»[٢].

* * *

و زعمت عائشة من قوله تعالى: ﴿**يُؤْتُونَ مٰا آتَوْا**﴾ إرادة ارتكاب المآثم، الأمر الذي يتنافى مع سياق الآية الواردة بشأن الإشادة بموضع المؤمنين حقاً، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ** ـ إلى قوله ـ **وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مٰا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلىٰ رَبِّهِمْ رٰاجِعُونَ. أُولٰئِكَ يُسٰارِعُونَ فِي الْخَيْرٰاتِ وَ هُمْ لَهٰا**

---

١. الدر المنثور، ج ١، ص١٩٨ ـ ٢٠٠.

هكذا رواه القوم بشأن بلال و ابن أُم مكتوم، و لعله اشتباه من الراوي أو الناسخ؛ لأنّ بلالاً كان هو المؤذّن المعتمد عند رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم و الأصحاب. و كان ابن أُمّ مكتوم مكفوفاً، يؤذّن قبيل طلوع الفجر، و كان ذلك سبب تشريع أذانين. و قد تداوم عليه أهل المدينة، حتى اليوم.

قال أبوجعفر الصدوق: كان لرسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم مؤذّنان، بلال و الآخر ابن أُمّ مكتوم و كان أعمى، و كان يؤذّن قبل الصبح. و كان بلال يؤذّن بعد الصبح، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: إن ابن أُم مكتوم يؤذن بالليل، فإذا سمعتم أذانه فكلوا و اشربوا، حتى تسمعوا أذان بلال. فغيّرت العامّة هذا الحديث عن جهته، و قالوا: إنه عليه السلام قال: إن بلالاً يؤذن بليل، فإذا سمعتم أذانه فكلوا و اشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أُمّ مكتوم (من لايحضره الفقيه، ج ١، ص١٩٣ ـ ١٩٤).

٢. وسائل الشيعة، ج ٣، ص١٥٣، رقم ٤، باب ٢٧، المواقيت.

سٰابِقُونَ﴾[١].

فسألت عن ذلك رسول اللّه ﷺ، و قالت: هو الذي يسرق و يزني و يشرب الخمر، و هو يخاف اللّه؟! فقال ﷺ: لا، و لكنّه الذي يصوم و يُصلّي و يتصدّق و يخاف اللّه.[٢] كناية عن إتيانه الطاعات، وجلاً أن لا يكون مؤدّياً لها تامّة حسبما أراده اللّه.

و لعلّها كانت تتصور من الكلمة أنها مقصورة (يَأْتُونَ مٰا أَتَوْا) بمعنى: (يعملون ما عملوا)، و قد أسلفنا الكلام عن تزييفه.[٣] و أنّ الصحيح هو قراءة المدّ (يُؤتون ما آتوا) بمعنى: يؤدّون ما أدّوا، أي من أفعال البرّ و الخيرات، من غير إعجاب ولا رياء، و إلى ذلك ينظر تفسيره ﷺ.

* * *

و روى زرارة عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: أتى عمّار بن ياسر رسول اللّه ﷺ فقال: يا رسول اللّه، أجنبتُ اللّيلة و لم يكن معي ماء. قال: كيف صنعت؟ قال: طرحت ثيابي ثم قمت إلى الصعيد فتمعّكتُ[٤]!! فعلّمه رسول اللّه التيمّم، سواء أكان بدل وضوء أم بدل غسل[٥].

* * *

و قرأ عمر بن الخطّاب من سورة «عبس» حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ

---

١. المؤمنون/ ٥٧ ـ ٦١.

٢. الإتقان، ج ٤، ص ٢٣٨.

٣. عند المبحث عن مسألة التحريف عند حشويّة العامة برقم ٢٠. و راجع: المستدرك، ج ٢، ص ٢٣٥ و ٢٤٦.

٤. التمعّك: التمرّغ في التراب.

٥. العياشي، ج ١، ص ٢٤٤، رقم ١٤٤ و ١٤٥ و ص ٣٠٢، رقم ٦٣.

الْاِنْسانُ إِلىٰ طَعامِهِ، أَنّا صَبَبْنَا الْماءَ صَبّاً، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً، فَأَنْبَتْنا فيها حَبّاً، وَ عِنَباً وَ قَضْباً، وَ زَيْتُوناً وَ نَخْلاً، وَ حَدائِقَ غُلْباً، وَ فاكِهَةً وَ أَبّاً، مَتاعاً لَكُمْ وَ لأَنْعامِكُمْ﴾[1]، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إنّ هذا لهو التكلّف يا عمر!

و في رواية: ثم رفض ـ أو نقض ـ عصاً كانت في يده، و قال: هذا لعمر اللّه هو التكلّف، فما عليك أن لا تدري ما الأبّ، اتّبعوا ما بُيّن لكم هُداه من الكتاب فاعملوا به، و ما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه! ـ ولعلّه سئل عن تفسير الآية فحار في الجواب.

و قد ورد أن أبابكر ـ أيضاً ـ سئل قبل ذلك عن تفسير الآية، فقال: أيّ سماءٍ تُظلّني، و أيّ أرض تُقلّني، إذا قلت في كتاب اللّه ما لم أعلم.[2]

قال الذهبي: و لو أنّنا رجعنا إلى عهد الصحابة لوجدنا أنهم لم يكونوا في درجة واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن، بل تتفاوت مراتبهم، و أشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم. و هذا يرجع إلى تفاوتهم في القوّة العقليّة، و تفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف و ملابسات. و أكثر من هذا أنهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعاني التي وضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفي معناه على بعض الصحابة، و لا ضير في هذا، فإنّ اللغة لا يحيط بها إلاّ معصوم، و لم يدّع أحد أنّ كل فرد من أُمّةٍ يعرف جميع ألفاظ لغتها.

---

١. عبس/ ٢٤ ـ ٣٢.

٢. راجع: الدر المنثور، ج٦، ص٣١٧، و المستدرك للحاكم، ج٢، ص٥١٤.

و الأبّ: العُشب المُتهيّئ للرَّعي و الجزّ، من قولهم: أبَّ لكذا، إذا تهيّأ له. كما أنّ الفاكهة هي الثمرة الناضجة للأكل و القطف. جاء في المعجم الوسيط: الأبّ: العشبُ رطبه و يابسه. يقال: فلان راع له الحبّ، و طاع له الأبّ، إذا زكا زرعه و اتّسع مرعاه.

قال: و مما يشهد لهذا الذي ذهبنا إليه، ما أخرجه أبو عبيدة في الفضائل عن أنس: أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿وَ فٰاكِهَةً وَ أَبًّا﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إنّ هذا لهو التكلُّف يا عمر!

و ما روي من أن عمر كان على المنبر فقرأ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلىٰ تَخَوُّفٍ﴾[١] ثم سأل عن معنى التخوّف، فقال له رجل من هذيل: التخوّف عندنا التنقّص، ثم أنشد:

تَخوَّفَ الرحلُ منها تامِكاً قَرِداً ... كما تخوَّفَ عُودَ النَّبعةِ السَّفِنُ[٢]

قال الطبرسي: التخوّف: التنقّص، و هو أن يأخذ الأوّل فالأوّل حتى لا يبقى منهم أحد، و تلك حالة يخاف معها الهلاك و الفناء و هو الغناء تدريجاً، ثم أنشد البيت بتبديل الرحل إلى السير[٣].

قال الفراء: جاء التفسير بأنه التنقّص. و العرب تقول: تحوّفته ـ بالحاء المهملة ـ: تنقّصه من حافاته.[٤]

و معنى الآية ـ على ذلك ـ: أنه تعالى يُهلكهم على تدرّج شيئاً فشيئاً، بما

---

١. النحل / ٤٧.

٢. الموافقات، ج ٢، ص ٨٧ـ ٨٨. (الذهبي، ج ١، ص ٣٤).

٣. مجمع البيان، ج ٦، ص ٣٦٣.

و الرحل: القتب و هو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج للفرس. و التامك: السنام، لارتفاعه، يقال: تمك السنام تُموكاً إذا طال و ارتفع. و القرد: الذي تجعّد شعره فصار كأنه وقاية للسنام. و النبع: شجر للقسيّ و السهام. و السفن: ما يُنحت به كالمبرد و نحوه.

و معنى البيت: أنّ الرحل قد أخذ من جوانب السنام فجعل يأكله و ينقص من أطرافه، رغم سموكه و تجعّده بالشعر المتلبّد. كما يأخذ المِبرد من أطراف عود النبعة لبريه سهماً أو قوساً.

٤. معاني القرآن، ج ٢، ص ١٠١.

يجعلهم على خوف الفناء؛ حيث يرون أنهم في تنقيص، و الأخذ من جوانبهم تدريجاً، و هذا نظير ما ورد في آية أُخرى: **﴿أَفَلاٰ يَرَوْنَ أَنّٰا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهٰا مِنْ أَطْرٰافِهٰا﴾**[١] و قوله: **﴿وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوٰالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرٰاتِ﴾**[٢].

* * *

و أيضاً أخرج أبوعبيدة من طريق مجاهد عن عبد اللّه بن عباس، قال: كنت لا أدري ما «فاطر السماوات» حتى أتاني أعرابيّان يتخاصمان في بئرٍ. فقال أحدهما: أنا فطرتها، و الآخر يقول: أنا ابتدأتها...[٣]

قال الذهبي: فإذا كان عمر بن الخطاب يخفى عليه معنى «الأبّ» و معنى «التخوّف»، و يسأل عنهما غيره، و ابن عباس - و هو ترجمان القرآن - لا يظهر له معنى «فاطر» إلاّ بعد سماعه من غيره، فكيف شأن غيرهما؟! لا شكّ أنّ كثيراً منهم كانوا يكتفون بالمعنى الإجمالي للآية: فيكفيهم - مثلاً - أن يعلموا من قوله تعالى: «و فاكهةً و أبّاً» أنه تعداد للنعم التي أنعم اللّه بها عليهم، و لا يلزمون أنفسهم بتفهّم معنى الآية تفصيلاً، ما دام المراد واضحاً جليّاً[٤].

المفسّرون من الأصحاب

اشتهر بالتفسير من الصحابة أربعة، لاخامس لهم في مثل مقامهم في العلم بمعاني القرآن، وهم: عليّ بن أبي طالب عليه السلام و كان رأساً و أعلم الأربعة، و عبد اللّه

---

١. الأنبياء/ ٤٤. و نظيرتها آية أُخرى في سورة الرعد/ ٤١ ﴿أ و لم يروا أنّا نأتِي الأرض...﴾.

٢. البقرة/ ١٥٥.

٣. الإتقان، ج ٢، ص ٤ (ط ٢) و ج ١، ص ١١٣، (ط ١)

٤. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٣٥.

ابن مسعود، و أُبيّ بن كعب، و عبد اللّه بن عباس، كان أصغرهم و أوسع باعاً في نشر التفسير.

أمّا غير هؤلاء الأربعة فلم يعهد عنهم في التفسير سوى النزر اليسير.

قال جلال الدين السيوطي: اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، و ابن مسعود، و ابن عباس، و أُبيّ بن كعب، و زيد بن ثابت، و أبو موسى الأشعري، و عبد اللّه بن الزبير. أما الخلفاء فأكثر من رُوي عنه منهم عليّ بن أبي طالب، و الرواية عن الثلاثة (أبي‌بكر و عمر و عثمان) نزرة جدّاً[١].

قال الأُستاذ الذهبي: و هناك من تكلّم في التفسير من الصحابة غير هؤلاء، كأنس بن مالك، و أبي‌هريرة و عبد اللّه بن عمر، و جابر بن عبد اللّه، و عبد اللّه بن عمرو بن العاص، و عائشة. غير أن ما نقل عنهم في التفسير قليل جدّاً، كما أن العشرة الذين اشتهروا بالتفسير، تفاوتوا قلّةً و كثرةً، و المخصوصون بكثرة الرواية في التفسير منهم أربعة: عليّ بن أبي‌طالب، و ابن مسعود، و أُبيّ بن كعب، و ابن عباس. أما باقي العشرة، و هم: زيد، و أبو موسى و ابن الزبير، فقد قلّت عنهم الرواية، و لم يبلغوا ما بلغه الأربعة.

قال: لهذا نرى الإمساك عن الكلام في شأن السّتّة، و نتكلّم عن (عليّ بن أبي طالب) و (ابن مسعود) و (أُبيّ بن كعب) و (ابن عباس) نظراً لكثرة الرواية عنهم في التفسير، كثرةً غذّت مدارس الأمصار على اختلافها و كثرتها[٢].

* * *

---

١. الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٤.

٢. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٦٣ ــ ٦٤.

أعلم الصحابة بمعاني القرآن فالأعلم

قال الإمام بدر الدين الزركشي: و صدر المفسّرين من الصحابة هو **عليّ بن أبي‌طالب**، ثم ابن عباس. و هو تجرّد لهذا الشأن، و المحفوظ عنه أكثر من المحفوظ عن علي عليه السلام، إلاّ أنّ ابن عباس كان قد أخذ عن علي عليه السلام[١].

قال الأُستاذ الذهبي: كان عليٌّ عليه السلام بحراً من العلم، و كان قويَّ الحجّة سليم الاستنباط، أُوتي الحظّ الأوفر من الفصاحة و الخطابة و الشعر، و كان ذا عقل ناضج و بصيرة نافذة إلى بواطن الأُمور. و كثيراً ما كان يرجع إليه الصحابة في فهم ما خَفي، و استجلاء ما أُشكل. و قد دعا له رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم حين ولاه قضاء اليمن، بقوله: «اللّهمّ ثبِّت لسانه و اهدِ قلبه». فكان مُوفَّقاً مُسدَّداً، فيصلاً في المعضلات[٢]، حتى ضُرب به المثل، فقيل: «قضيّة و لا أبا حسن لها».

قال: و لا عجب، فقد تربّى في بيت النبوّة، و تغذّىٰ بلبان معارفها، و عمّته مشكاة أنوارها. و قيل لعطاء: أكان في أصحاب محمد أعلم من علي؟ قال: لا، واللّه لا أعلمه. و عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: إذا ثبت لنا الشيء عن عليّ، لم نعدل عنه إلى غيره[٣].

* * *

قال ابن عباس: جلّ ما تعلّمت من التفسير، من عليّ بن أبي‌طالب. و قال: عليّ عَلِمَ علماً علّمه رسول اللّه، و رسول اللّه علّمه اللّه؛ فعِلْم النبي من عِلْم اللّه، و علم

---

١. البرهان، ج ٢، ص ١٥٧، والبحار، ج ٨٩، ص ١٠٥ (بيروت).

٢. و ناهيك قولة ابن الخطاب: «لا ابقاني اللّه لمعضلة ليس لها أبوحسن» (أنساب الأشراف، ص ١٠٠، رقم ٢٩).

٣. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٨٩.

علي من علم النبيّ، و علمي من علم علـيّ عليه السلام. و مـا عـلمي و عـلم أصـحاب محمد صلى الله عليه وآله في علم علي إلاّ كقطرة في سبعة أبحر. و في حديث آخر: فإذا علمي بالقرآن في علم علي عليه السلام كالقرارة في المثعنجر، قال: القرارة: الغدير، و المثعنجر: البحر[1].

و قال: لقد أُعطي عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام تسعة أعشار العلم، و أيم اللّه لقد شاركهم في العُشر العاشر، الأمر الذي أحوج الكل إليه و استغنى عن الكل، كما قال الخليل.

و قال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقول: إذا جاءنا الثبت عن علي عليه السلام لم نعدل به. و في لفظ ابن الأثير: إذا ثبت لنا الشيء عن علي لم نعدل عنه إلى غيره.

و قد عرفت أن ما أخذه ابن عباس من التفسير فإنما أخذه عن علي عليه السلام.

و قال سعيد بن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير عليّ بن أبي طالب! قال: كان عمر يتعوّذ من معضلة ليس لها أبو حسن. و قد روى البلاذري في الأنساب قولة عمر: «لا أبقاني اللّه لمعضلة ليس لها أُبوحسن».

و قال أبو الطفيل: كان علي عليه السلام يقول: سلوني، سلوني، سلوني عن كتاب اللّه تعالى، فو اللّه ما من آية إلاّ و أنا أعلم أُنزلت بليل أو نهار...

و قال عبد اللّه بن مسعود: إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلاّ و له ظهر و بطن، و أنّ عليّ بن أبي‌طالب عنده منه الظاهر و الباطن.[2]

---

١. بحار الأنوار، ج٨٩، (ط بيروت)، ص١٠٥ ـ ١٠٦ عن كتاب سعد السعود للسيد ابن طـاووس، ص٢٨٥ ـ ٢٨٦.

٢. راجع في ذلك: أسد الغابة لابن الأثير، ج٤، ص٢٢ ـ ٢٣. و الإصابة لابن حـجر، ج٢، ص٥٠٩ و حلية الأولياء لأبي نعيم، ج١، ص٦٥. و أنساب الأشراف للبلاذري، ج٢، ص١٠٠، رقم ٢٩.

و روى أبو عمرو الزاهد (٢٦١ ـ ٣٤٥) بإسناده إلى علقمة، قال: قال لنا عبد اللّه بن مسعود ذات يوم في حلقته: لو علمت أحداً هو أعلم منّي بكتاب اللّه عزّ و جلّ، لضربت إليه آباط الإبل. قال علقمة: فقال رجل من الحلقة: ألقيتَ عليّاً عليه السلام؟ فقال: نعم، قد لقيته، و أخذت عنه، و استفدت منه، و قرأت عليه، و كان خير الناس و أعلمهم بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و لقد رأيته كان بحراً يسيل سيلاً...[١]

قال ابن أبي الحديد ـ بصدد كونه عليه السلام مرجع العلوم الإسلامية كلها ـ: و من العلوم علم تفسير القرآن و عنه أخذ، و منه فرّع. و إذا راجعت إلى كتب التفسير علمت صحّة ذلك؛ لأنّ أكثره عنه و عن عبد اللّه بن عباس. و قد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له و انقطاعه إليه، و أنه تلميذه و خرّيجه. و قيل له: أين علمك من علم ابن عمّك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.[٢]

و أخرج الحاكم بإسناده عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عليّ مع القرآن و القرآن مع علي، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» و قال: «أنا مدينة العلم و عليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»[٣].

و الآن فلنستمع إلى ما يصف عليه السلام نفسه و موضعه من رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «سلوني عن كتاب اللّه، فإنه ليست آية إلاّ و قد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أو جبل»، «و اللّه ما نزلت آية إلاّ و قد علمت فيم أُنزلت و أين نزلت. و أنّ ربّي و هب لي قلباً عقولاً و لساناً سؤولاً».

قيل له: «ما بالك أكثر أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً؟ فقال: لأني كنت إذا سألته

١. سعد السعود، ص٢٨٥. البحار، ج٨٩، ص١٠٥.

٢. شرح النهج، ج١، ص١٩.

٣. المستدرك للحاكم، ج٣، ص١٢٦ و ١٢٤.

أنبأني، و إذا سكتُّ ابتدأني»[١].

قال عليه السلام: «كنت أول داخل على النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و آخر خارج من عنده، و كنت إذا سألتُ أُعطيت، و إذا سكتُّ أُبتُديتُ. و كنت أدخل على رسول اللّه في كل يوم دخلةً، و في كل ليلة دخلةً و ربّما كان ذلك في بيتي، يأتيني رسول اللّه أكثر من ذلك في منزلي. فإذا دخلت عليه في بعض منازله أخلى بي و أقام نساءه، فلم يبق عنده غيري. و إذا أتاني لم يُقم فاطمة و لا أحداً من ولدي. و إذا سألته أجابني، و إذا سكتُّ عنه و نفدت مسائلي ابتدأني. فما نزلت على رسول اللّه آية من القرآن إلاّ أقرأنيها و أملاها عليّ و كتبتها بخطّي، فدعا اللّه أن يُفهمني و يُعطيني، فما نزلت آية من كتاب اللّه إلاّ حفظتها و علّمني تأويلها...»[٢].

و في الكافي: «فما نزلت على رسول اللّه آية من القرآن إلاّ أقرأنيها و أملاها عليّ، فكتبتها بخطي، و علّمني تأويلها و تفسيرها، و ناسخها و منسوخها، و محكمها و متشابهها، و خاصّها و عامّها. و دعا اللّه أن يُعطيني فهمها وَ حفظها. فما نسيت آيةً من كتاب اللّه و لا علماً أملاه عليّ و كتبته، منذ دعا اللّه لي بما دعا. و ما ترك شيئاً علّمه اللّه من حلال و لا حرام، و لا أمر و لا نهي كان أو يكون، و لا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية، إلاّ علّمنيه و حفظته، فلم أنس حرفاً واحداً. ثم وضع يده على صدري و دعا اللّه لي أن يملأ قلبي علماً و فهماً و حكما و نوراً. فقلت: يا نبيّ اللّه ـ بأبي أنت و أُمّي ـ منذ دعوتَ اللّه لي بما دعوت، لم أنس شيئاً و لم يَفُتني شيء لم أكتبه، أفتتخوّف عليّ النسيان فيما بعدُ؟ فقال: لا،

---

١. أنساب الأشراف للبلاذري، ص٩٨ ـ ٩٩، رقم ٢٦ و ٢٧ و ٢٨.

٢. المعيار و الموازنة للإسكافي، ص٣٠٠.

لستُ أتخوّف عليك النسيان و الجهل!»[١].

و قد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «إنّ اللّه أمرني أن أُدنيك و لا أُقصيك، و أن أُعلّمك و لا أجفوك. فحقيق عليَّ أن أُعلّمك، و حقيق عليك أن تعي»[٢].

* * *

و في الخطبة القاصعة ـ من نهج البلاغة ـ: «و قد علمتم موضعي من رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة، و المنزلة الخصيصة. وضعني في حجره و أنا ولدٌ، يضمّني إلى صدره، و يكنفني إلى فراشه، و يُمسّني جسده، و يُشِمّني عَرْفه،[٣] وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه. و ما وجد لي كذبةً في قول، و لا خطلةً[٤] في فعل.

و لقد قرن اللّه به صلى الله عليه وآله وسلم، من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره.

و لقد كنتُ أتّبعُه اتّباع الفصيل أَثَر أُمّه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه عَلَماً، و يأمرني بالاقتداء به.

و لقد كان يجاور في كلّ سنة بِحِراءَ، فأراه و لا يراه غيري. و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و خديجة و أنا ثالثهما. أرى نور الوحي و الرسالة، و أشمُّ ريح النبوّة.

و لقد سمعت رَنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول اللّه، ما هذه الرّنّة؟ فقال: هذا الشيطان أيسَ من عبادته. إنك تسمع ما أسمع، و ترى

---

١. الكافي الشريف، ج ١، ص ٦٤، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث، رقم ١.

٢. المعيار و الموازنة، ص ٣٠١.

٣. بفتح العين: رائحته الذكيّة.

٤. الخطل: الخطأ ينشأ من عدم الرويّة.

ما أرى، إلاّ أنك لستَ بنبيّ و لكنّك لوزير. و أنك لعلَى خير...»[١]

* * *

و أما **عبد اللّه بن مسعود**، فهو من السابقين في الإيمان، و أوّل من جهر بالقرآن بمكّة، و أسمعه قريشاً بعد رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم و أوذي في اللّه من أجل ذلك. و كان قد أخذه رسول اللّه إليه، فكان يخدمه في أكثر شؤونه، و هو صاحب طهوره و سواكه و نعله، و يُلبسه إيّاه إذا قام، و يخلعه و يحمله فيذراعه إذا جلس، و يمشي أمامه إذا سار، و يستره إذا اغتسل، و يوقظه إذا نام، و يلج داره بلاحجاب، حتى لقد ظُنَّ أنه من أهل بيت رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم.

هاجر الهجرتين، و صلّى إلى القبلتين، و شهد المشاهد كلها مع رسول اللّه.

كان من أحفظ الناسِ لكتاب اللّه، و كان رسول اللّه يُحبّ أن يسمع القرآن منه، و كان صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «من سرّه أن يقرأ القرآن غضّاً طريّاً كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أُم عبد».

و كان حريصاً على طلب العلم و لا سيّما معاني آيات القرآن الكريم، قال: كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات، لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ و العمل بهنّ، و من ثم كان يقول: و الذي لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب اللّه إلاّ و أنا أعلم فيم نزلت و أين نزلت، كما كان شديد الحرص أيضاً على بثّ العلم و نشره بين العباد.

قال مسروق بن الأجدع: كان عبد اللّه يقرأ علينا السورة ثم يحدّثنا فيها و يفسّرها، عامّة النهار، و قد أذعن له عامة صحابة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بالفضيلة و العلم بالكتاب و السنّة.[٢]

---

١. الخطبة، رقم١٩٢، النهج، ج١، ص٣٩٢ ـ ٣٩٤.

٢. حلية الأولياء، ج١، ص١٢٤ ـ ١٣٩. و أُسد الغابة، ج٣، ص٢٥٦ ـ ٢٦٠ و الاستيعاب بهامش ←

و من ثم كانت له مكانة سامية في التفسير، و بذلك طار صيته، و عنه في التفسير الشيء الكثير، و الطرق إليه متقنة.

قال الخليلي في الإرشاد: و لإسماعيل السّدّي تفسير يورده بأسانيد إلى ابن مسعود و ابن عباس. و روى عن السدّي الأئمّة، مثل الثوريّ و شعبة، و أضاف: أن أمثل التفاسير تفسير السّدّي.

قال جلال الدين السيوطي ـ تعقيبا على كلام صاحب الإرشاد ـ: و تفسير السدّي الذي أشار إليه، يورد منه ابن جرير (الطبري) كثيراً من طريق السدّي عن أبي مالك، و عن أبي صالح عن ابن عباس، و عن مُرّة عن ابن مسعود، و ناس من الصحابة هكذا. قال: و الحاكم يخرج منه في مستدركه أشياء و يصحّحه، لكن من طريق مُرّة عن ابن مسعود، وناس فقط دون الطريق الأول[1]، أي طريق أبي صالح عن ابن عباس.

* * *

وكان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أخذ العلم من عليّ عليه السلام و ليس من غيره بتاتاً. و قد تقدم حديث علقمة، قال: قال ابن مسعود ذات يوم، و كنّا في حلقته: لو علمتُ أن أحداً هو أعلم منّي بكتاب الله عزّ و جلّ لضربت إليه آباط الإبل. قال علقمة: فقال رجل من الحلقة: ألقيتَ علياً؟ فقال: نعم، قد لقيته، و أخذت عنه، واستفدت منه، و قرأت عليه. و كان خير الناس و أعلمهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولقد رأيته كان بحراً يسيل سيلاً.[2]

← الإصابة، ج ٢، ص٣١٦ ـ ٣٢٤ و الإصابة، ج ٢، ص٣٦٨ ـ ٣٧٠.

١. الإتقان، ج ٤، ص٢٠٧ ـ ٢٠٨.

٢. سعد السعود، ص٢٨٥. البحار، ج ٨٩، ص١٠٥.

و عدّه الخوارزمي و شمس الدين الجزري في «أسنى المطالب» من رواة حديث الغدير من الصحابة.[١]

و أخرج جلال الدين السيوطي عنه نزول آية التبليغ (سورة المائدة/ ٦٧) بشأن عليّ عليه السلام يوم الغدير، قال: و أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود، قال: كنّا نقرأ على عهد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ـ أن علياً مولى المؤمنين ـ و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته، و اللّه يعصمك من الناس».[٢]

نعم كان ابن مسعود ممن شدّ وثاقه بولاء آل بيت الرسول، لم يشذّ عن طريقتهم المُثلى منذ أوّل يومه فإلى آخر أيام حياته.

روى الصدوق أبو جعفر ابن بابويه بإسناده إلى زيد بن وهب الجهني أبي سليمان الكوفي[٣]: أنّ اثني عشر رجلاً من صحابة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أنكروا على أبي بكر تقدُّمه على عليّ عليه السلام و عدّ منهم: عبد اللّه بن مسعود.

و كان هو الذي أشاد بذكر أهل البيت، و بثّ حديث «الخلفاء اثنا عشر...» في الكوفة و ما والاها[٤].

قال المرتضى علم الهدى ـ بشأنه ـ: لا خلاف بين الأُمّة في طهارة ابن مسعود

---

١. راجع: الغدير، ج ١، ص ٥٣، رقم ٧٩.

٢. الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٩٨. و الآلوسي في روح المعاني، ج ٦، ص ١٧٢.

٣. وثّقه أصحاب التراجم. قال الأعمش: إذا حدّثك زيد بن وهب عن أحد فكأنك سمعته من الذي حدّثك عنه. أسلم في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و هاجر إليه، فبلغته وفاته في الطريق. فهو معدود من كبار التابعين، سكن الكوفة و كان في الجيش الذي مع عليّ عليه السلام في حربه الخوارج. و هو أوّل من جمع خطب عليّ عليه السلام في الجُمَع و الأعياد و غيرهما. تُوفّي سنة ٩٦، و قد عمّر طويلاً. (الخصال، ج ٢، ص ٤٦١، باب ١٢).

٤. راجع: بحار الأنوار، ج ٣٦ (بيروت) صفحات ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٣ و ٢٣٤.

و فضله و إيمانه، و مدح النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم له و ثنائه عليه، و أنه مات على الحالة المحمودة[١].

و سيأتي من تقي الدين أبي الصلاح الحلبي، عدّه و أُبيّاً من المخصوصين بولاية آل البيت[٢].

و روى رضي الدين أبو القاسم عليّ بن موسى بن طاووس (٦٦٤) عن كتاب أبي عبد اللّه محمد بن علي السرّاج في تأويل قوله تعالى: ﴿**وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لاٰ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خٰاصَّةً**﴾[٣] بالإسناد إلى عبد اللّه بن مسعود، أنه قال:

قال النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: «يا ابن مسعود، أنه قد أُنزلت عليَّ آية ﴿**وَ اتَّقُوا فِتْنَةً...**﴾ و أنا مستودعكها، فكن لما أقول لك واعياً و عنّي له مؤدّياً، من ظلم عليّاً مجلسي هذا كمن جحد نبوّتي و نبوّة من كان قبلي. فقال له الراوي: يا أبا عبد الرحمان، أسمعت هذا من رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم؟ قال: نعم. قال: فكيف وُلّيتَ للظالمين؟ قال: لا جرم حلّت عقوبة عملي[٤]، و ذلك أني لم استأذن إمامي كما استأذن جُندب و عمّار و سلمان، و أنا أستغفر اللّه و أتوب إليه»[٥].

* * *

و مما يجدر التنبّه له أنّ عامّة الكوفيين من مفسّرين و فقهاء و محدّثين، كان طابعهم الولاء لأهل البيت عليهم السلام و قد خُصّ أصحاب ابن مسعود بالميل لعلي عليه السلام الأمر الذي كانت البيئة الكوفية تستدعيه بالذات، على أثر وفرة العلماء من صحابة

---

١. قاموس الرجال للتستري، ج٦، ص١٣٦، ط ١، نقلاً عن الشافي.

٢. تقريب المعارف، ص١٦٨.

٣. الأنفال / ٢٥.

٤. وفي نسخة: جلبتُ.

٥. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ص٣٦، برقم ٢٥. و قاموس الرجال، ج٦، ص١٤١ ـ ١٤٢.

الرسول ﷺ هناك. و لا غرو فإنهم أعرف بموضع أهل البيت و لا سيّما سيدهم و كبيرهم عليّ بن أبي طالب، من رسول اللّه، و كثرة وصاياه بشأنهم، و التمسّك بأذيالهم و السير على هديهم، فلا يضلّوا أبداً.

و من ثم فقد امتازت الكوفة في أُمور جعلتها في قمة العظمة و الإكبار، على مدى الدهور:

أوّلاً: كانت مهجر علماء الصحابة الأخيار و أعلام الأُمة الكبار، و بلغ أوجها عند مهاجرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

أخرج ابن سعد عن إبراهيم، قال: هبط الكوفة ثلاثمئة من أصحاب الشجرة، و سبعون من أهل بدر. و بذلك قال ابن عمرو: ما من يوم إلاّ ينزل في فراتكم هذا مثاقيل من بركة الجنة. كناية عن مهاجرة أصحاب الرسول إليها فوجاً فوجاً.[١]

و ثانياً: أصبحت معهد العلم في الإسلام في دور نضارته و ازدهار معارفه، فمن الكوفة صدرت العلوم و المعارف الإسلامية، بشتّى أنحائها إلى البلاد، و سارت به الركبان إلى الأمصار في عهد طويل. أخرج ابن سعد ـ أيضاً ـ عن عبيد اللّه بن موسى، قال: أخبرنا عبد الجبار بن عباس عن أبيه، قال: جالستُ عطاء، فجعلت أسأله. فقال لي: ممّن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة. فقال عطاء: ما يأتينا العلم إلا من عندكم.[٢]

و ثالثاً: كانت أرضاً خصبة لتربية ولاء آل الرسول ﷺ في نفوس مؤمنة صادقة في إيمانها، مؤدّية أجر رسالة نبيّها، حافظة لكرامة رسول اللّه في ذريّته الأنجاب، عارفة بأنهم سفن النجاة، و أحد الثقلين، و العروة الوثقى التي لا انفصام

---

١. الطبقات، ج٦،(ط ليدن)، ص٤٠، س١٥ و ٢٠.

٢. الطبقات، ج٦، ص٥، س٢٠.

لها، و من ثم روى ابن سعد: «إنّ أسعد الناس بالمهديّ أهل الكوفة»[١].

أما أصحاب ابن مسعود (الصحابي الجليل الموالي لآل بيت الرسول) فكانوا أصدق عند الناس على عليّ عليه السلام على ما أخرجه ابن سعد بإسناده عن أبي بكر ابن عياش عن مغيرة[٢]، كانوا لا يُغالون و لا يتنقصون. و من ثمّ روي عن عليّ عليه السلام ما يدلّ على رضائه عن موقفهم هذا المشرِّف، قال: «أصحاب عبد اللّه سُرُج هذه القرية»[٣].

* * *

ملحوظة

إنما يعرفُ صلاح الرجل و استقامته في الدّين، بتقواه عن محارم اللّه واستسلامه لأوامره و نواهيه، و في إطاعة الرسول و اتّباع سنّته و العمل بوصاياه، من غير أن يكون له الخيرة من أمره بعد ما قضى اللّه و رسوله؛ إذ مقتضى الإيمان الصادق أن يُسلِّم أمره إلى اللّه و رسوله تسليماً.

و من أهمّ وصاياه صلى الله عليه و آله و سلم و الذي جعله أجر رسالته، هو الانضواء تحت لواء أهل البيت و الاستمساك بعرى وثائقهم مدى الحياة. و قد كان علي عليه السلام شاخص هذا البيت الرفيع، فمن كان معه كان مع الحق، و من دار معه دار مع الحق، و من حاد عنه حاد عن الإسلام و نبذ وصية الرسول وراء ظهره، و أعرض عن الحقّ الصريح. فكيف الثقة به و هو حائد عن الجادّة، ضالّ عن الطريق، فلا يصلح أن يكون هادياً، و هو لم يهتد السبيل.

---

١. الطبقات، ج٦، ص٤، س١٩.

٢. المصدر نفسه، ص٥، س٤.

٣. المصدر نفسه، ص٤، س٢٤.

الأمر الذي يحفز بنا أن نجعل من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام محوراً أساسياً في هذا الحقل، و ميزاناً يفصل بين الصالح و الطالح من الصحابة و التابعين ـ الفقهاء و المفسّرين و المحدّثين ـ و ليس ذلك منّا بدعاً، بعد ما جعله الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بابه الذي منه يُؤتَى، و سفينة النجاة، و ثاني الثقلين اللذين ما أن تمسّكت الأُمّة بهما معاً (ولن يفترقا حتى يردا عليه الحوض) لن يضلّوا أبداً.

و لسنا نأخذ العلم إلاّ ممن عرفنا صلاحه و وثقنا بإيمانه الصادق. تلك وصية إمامنا أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال في قوله تعالى: **﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلىٰ طَعامِهِ﴾**[1]: «إلى العلم الذي يأخذه عمّن يأخذه»[2].

* * *

و هكذا **أُبيّ بن كعب** الأنصاري الخزرجي، هو أوّل من كتب لرسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم عند مَقْدَمه المدينة، و كان قد لُقّب بسيّد المسلمين؛ لشرفه و فضله وعلوّ منزلته في العلم و الفضيلة، كما لُقّب بسيّد القرّاء؛ لقوله صلى الله عليه و آله و سلم: «و أقرؤهم أُبيّ بن كعب». و كان هو الذي تولّى رئاسة لجنة توحيد المصاحف على عهد عثمان، عند ما عجز القوم الذين انتدبهم الخليفة لذلك، و لم يكونوا أكفّاء، حسبما أسلفنا.

و عنه في التفسير الشيء الكثير، و الطرق إليه متقنة أيضاً.

قال جلال الدين: و أما أُبيّ بن كعب، فعنه نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه، و هذا إسناد صحيح. و قد أخرج ابن جرير و ابن أبي‌حاتم منها كثيراً، و كذا الحاكم في مستدركه، و أحمد في

١. عبس / ٢٤.

٢. وسائل الشيعة، ج١٨، ص١٠٩، رقم ٤٤.

مسنده.[١]

و ذكر أبو الصلاح تقي الدين الحلبي (٣٧٤ ـ ٤٤٧) أُبيّاً و ابن مسعود من الثابتين على ولاء آل بيت الرسول، المتخصّصين بهم في العهد الأول بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم[٢]، و أضاف: أن أُبيّاً حاول الإجهار بما يكنه ضميره في أُخريات حياته لولا حؤول الموت.[٣] و قد كان من النفر الاثني عشر الذين نقموا على أبي بكر تصدّيه ولاية الأمر دون الإمام أمير المؤمنين[٤]، و كابد الأمرين على ذاك الحادث الجَلل، رافعاً شكواه إلى اللّه (قال: و إلى اللّه المُشتكَى)[٥]و قد سمع من سعد بن عبادة ما نطق بما يوجب فرض ولاية الإمام عليه السلام[٦].

* * *

و أما **عبد اللّه بن عباس**، فهو حبر الأُمّة و ترجمان القرآن، و أعلم الناس بالتفسير ـ تنزيله و تأويله ـ تلميذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، الموفَّق و تربيته الخاصة، و قد بلغ من العلم مبلغاً قال في حقّه الإمام أمير المؤمنين: «كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق». و لا غرو فإنّه دعاء الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بشأنه: «اللهمّ فقهّه في الدين و علّمه التأويل»، أو قوله: « اللهمّ علّمه الكتاب و الحكمة»، أو: «اللهمّ بارك فيه و أنشر منه».[٧]

---

١. الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

٢. تقريب المعارف لأبي الصلاح، ص ١٦٨. و راجع: سفينة البحار، ج ١، ص ٨.

٣. بنقل التستري في قاموس الرجال، ج ١، ص ٢٣٧.

٤. الخصال للصدوق، ج ٢، ص ٤٦١.

٥. شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٥٢.

٦. المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٤.

٧. الإصابة، ج ٢، ص ٣٣٠ ـ ٣٣٤. و أُسد الغابة، ج ٣، ص ١٩٢ ـ ١٩٥.

قال صلى الله عليه و آله و سلم: «و لكل شيء فارس، و فارس القرآن ابن عباس»[١].

ولد في الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، فحنّكه النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و بارك له. فتربّى في حجره، و بعد وفاته صلى الله عليه و آله و سلم كان قد لازم بيت النبوّة. و ربّاه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فأحسن تربيته، و من ثم كان من المتفانين في ولاء الإمام عليه السلام. و قد صحّ قوله: «ما أخذت من تفسير القرآن فمن عليّ بن أبي طالب». هذا في أُصول التفسير و أُسسه.

و كان يراجع سائر الأصحاب ممن يحتمل عنده شيء من أحاديث الرسول و سننه، مُجدّاً في طلب العلم مهما كلّف الأمر. فكان يأتي أبواب الأنصار ممن عنده علم من الرسول، فإذا وجد أحدهم نائماً كان ينتظره حتى يستيقظ، و ربما تُسفي على وجهه الريح، و لا يكلّف من يوقظه حتى يستيقظ هو على دأبه، فيسأله عما يريد و ينصرف، و بذلك كان يستعيض عما فاته من العلم أيام حياة النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم لصغره، باستطراق أبواب العلماء من صحابته الكبار.

قيل لطاووس: لزمْتَ هذا الغلام ـ يعني ابن عباس لكونه أصغر الصحابة يومذاك ـ و تركْتَ الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟ قال: إنّي رأيت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله، إذا تدارؤوا في أمر، صاروا إلى قول ابن عباس.

و عن عبيد الله بن عليّ بن أبي رافع، قال: كان ابن عباس يأتي جَدّي أبا رافع، فيسأله عما صنع النبي صلى الله عليه و آله و سلم يوم كذا، و معه من يكتب له ما يقول.

قال مسروق بن الأجدع: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدّث قلت: أعلم الناس.

و قال أبو بكرة: قدم علينا ابن عباس البصرة، و ما في العرب مثله حشما،

---

١. بحار الأنوار، ج ٢٢، (ط بيروت)، ص ٣٤٣.

و علماً، و ثياباً، و جمالاً، و كمالاً.

و قد لُقّب حبر الأُمة، و البحر؛ لكثرة علمه. و ترجمان القرآن، و ربانيّ هذه الأُمّة؛ لاضطلاعه بمعاني القرآن و وجوه السنّة و الأحكام./

و له مواقف مشهودة مع أمير المؤمنين عليه السلام في جميع حروبه: صفين، والجمل، و النهروان. مات بالطائف سنة (٦٨) و قد ناهز السبعين، وصلى عليه محمد ابن الحنفيّة[١].

* * *

روى أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشّي بإسناده إلى عبد اللّه بن عبد ياليل ـ رجل من أهل الطائف ـ قال: أتينا ابن عباس رحمه الله نعوده في مرضه الذي مات فيه، فأغمي عليه فأُخرج إلى صحن الدار، فأفاق، و قال كلمته الأخيرة:

إن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم أنبأني أني سأهجر هجرتين: فهجرة مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، و هجرة مع عليّ عليه السلام. و أمرني أن أبرأ من خمسة: من الناكثين: و هم أصحاب الجمل، و من القاسطين: و هم أصحاب الشام، و من الخوارج: و هم أهل النهروان، و من القدرية، و من المرجئة. ثم قال: «اللهمّ إني أحيا على ما حَيِيَ عليه عليّ بن أبي طالب، و أموت على ما مات عليه عليّ بن أبي طالب، ثم مات رحمه الله»[٢].

و هذا الذي رواه الكشّي عن رجل من أهل الطائف (عبد اللّه بن عبد ياليل)، رواه أبو القاسم عليّ بن محمد الخزّاز الرازي ـ من وجوه العلماء في القرن الرابع ـ في كتابه «كفاية الأثر» ـ بصورة أوسع ـ، بإسناده إلى عطاء، قال: دخلنا على عبد اللّه ابن عباس و هو عليل بالطائف، في العلّة التي تُوفّي فيها ـ و نحن زهاء ثلاثين

---

١. الإصابة، ج ٢، ص ٣٣٠ ـ ٣٣٤، رقم ٤٧٨١. أُسد الغابة، ج ٣، ص ١٩٢ ـ ١٩٥.

٢. اختيار معرفة الرجال، ج ١، ص ٢٧٧، رقم ١٠٦.

رجلاً من شيوخ الطائف ـ و قد ضعف، فسلّمنا عليه و جلسنا، فقال لي: يا عطاء، مَن القوم؟ قلت: يا سيّدي، هم شيوخ هذا البلد! منهم عبد اللّه بن سلمة بن حصرم الطائفي، و عمّارة بن أبي الأجلح، و ثابت بن مالك. فما زلتُ أعدّ له واحداً بعد واحدٍ. ثم تقدَّموا إليه، فقالوا: يا ابن عمّ رسول اللّه، إنك رأيت رسول اللّه و سمعت منه ما سمعت، فأخبرنا عن اختلاف هذه الأُمّة؛ فقوم قدّموا عليّاً على غيره، و قوم جعلوه بعد الثلاثة؟

قال عطاء: فتنفّس ابن عبّاس الصعداء، فقال: سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «عليٌّ مع الحقّ و الحقّ معه، و هو الإمام و الخليفة من بعدي، فمن تمسّك به فاز و نجا، و من تخلّف عنه ضلّ و غوى...»، و أخيراً قال: و تمسّكوا بالعروة الوثقى من عترة نبيّكم، فإني سمعته يقول: «من تمسّك بعترتي من بعدي كان من الفائزين».

قال عطاء: ثم بعد ما تفرّق القوم، قال لي: يا عطاء، خذ بيدي و احملني إلى صحن الدار، فأخذنا بيده، أنا و سعيد، و حملناه إلى صحن الدار، ثم رفع يديه إلى السماء، و قال: «اللّهمّ، إنّي أتقرّب إليك بمحمّدٍ و آل محمّدٍ، اللّهم إنّي أتقرّب إليك بولاية الشيخ، عليّ بن أبي طالب عليه السلام». فما زال يكرّرها حتى وقع إلى الأرض. فصبرنا عليه ساعة ثم أقمناه فإذا هو ميّت، رحمة اللّه عليه[1].

* * *

و له في فضائل أهل البيت و لا سيّما الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أقوال و آثار باقية، إلى جنب مواقفه الحاسمة.

و يكفيك أنه من رواة حديث الغدير الناصّ على ولاية عليٍّ بالأمر، و مفسّراً

---

١. كفاية الأثر، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١، و البحار، ج٣٦، ص٢٨٧ ـ ٢٨٨، رقم ١٠٩.

له بالخلافة و الوصاية بعد الرسول ﷺ، مصرّاً على ذلك.

أخرج الحافظ السجستاني بإسناده إلى ابن عباس، قال: «وجبت و اللّه في أعناق القوم...»[١].

و أما مواقفه بشأن الدفاع عن حريم أهل البيت فكثير[٢].

و أخيراً فإنه هو القائل: «إنّ الرزيّة كل الرزيّة ما حال بين رسول اللّه ﷺ و بين أن يكتب لهم ذلك الكتاب! الذي كان فيه فصل الخطاب. و أيضاً قوله: «يوم الخميس، و ما يوم الخميس!». ثم بكى حتى بلّ دمعُه الحصى، إلى غير ذلك مما لا يُحصى[٣].

الأمر الذي ينبؤك عن مدى صلته بهذا البيت الرفيع، و مبلغ ولائه و عرفانه

---

١. راجع: الغدير للعلاّمة الأميني، ج ١، ص ٤٩ ـ ٥٢ رقم ٧٦.

٢. من ذلك ما نظمه الشاعر العبقري أبومحمد سفيان بن مصعب العبدي الكوفي، في أُنشودة رثا بها الإمام أبا عبد اللّه الحسين سيّد الشهداء عليه السلام، استنشده إيّاها الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قال فيها:

و قد روى عكرمة في خبر ... ما شكّ فيه أحد و لا امترا
مرّ ابن عباس على قوم و قد ... سبّوا عليّاً فاستراع و بكا
و قال مغتاظاً لهم: أيّكم ... سبّ إلٰه الخلق جلّ و علا؟!
قالوا: معاذ اللّه. قال: أيّكم ... سبّ رسول اللّه ظلماً و اجترا؟!
قالوا: معاذ اللّه. قال: أيّكم ... سبّ عليّاً خير من وطئ الحصا؟!
قالوا: نعم، قد كان ذا. فقال: قد ... سمعت و اللّه النبي المجتبا
يقول: من سبّ عليّاً سبّني ... و سبّتي سبّ الإلٰه، و اكتفى!

(الغدير، ج ٢، ص ٢٩٤ ـ ٣٠٠)

٣. شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٥٤ ـ ٥٥.

بشأن آل الرسول صلوات اللّه عليهم أجمعين.[١]

و من ثمّ كان الأئمّة من ذريّة الرسول عليهم السلام يحبّونه حبّاً جمّاً و يعظّمون من قدره و يشيدون بذكره. روى المفيد في كتاب الاختصاص بإسناده إلى الإمام أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام، قال: كان أبي (الإمام أبوجعفر الباقر عليه السلام) يحبّه (أي ابن عباس) حبّاً شديداً. و كان أبي، و هو غلام، تُلبسه أُمّه ثيابه، فينطلق في غلمان بني عبد المطّلب، فأتاه (أي ابن عباس) بعد ما أُصيب بصره، فقال: من أنت؟ قال: أنا محمد بن عليّ بن الحسين بن علي فقال: حسبك، من لم يَعْرِفْكَ فلاأَعْرِفُكَ[٢]، أي يكفي أني أعرفك من أنت.

كانت ولادة الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، سنة (٦٠) على قول راجح[٣]، قبل واقعة الطفّ (٦١) بسنة. و قد كفّ بصر ابن عباس بعد واقعة الطفّ؛ لكثرة بكائه على مصائب أهل البيت عليهم السلام.[٤] و في رواية: أنه كفّ بصره قبل وفاته بسنة[٥]، و كانت وفاته عام (٦٨). و عليه ـ إن صحت الرواية ـ فقد كانت سنّ الإمام أبي جعفر حينذاك بين السادسة و السابعة.

قال العلاّمة ـ في الخلاصة ـ: عبد اللّه بن العباس من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، كان محبّاً لعلي عليه السلام و تلميذه ـ حاله في الجلالة و الإخلاص لأمير المؤمنين أشهر من أن يخفى. و قد ذكر الكشّي أحاديث تتضمن قدحاً فيه، و هو أجلّ من ذلك.

---

١. راجع: بحار الأنوار، ج٣٦، ص٢٤٣ و ٢٨٥ و ج٤١، ص١٦ـ١٨.

٢. بحار الأنوار، ج٤٢، ص١٨١، رقم٣٩.

٣. رجّحه ابن حجر في تهذيب التهذيب، ج٩، ص٣٥١.

٤. بحار الأنوار، ج٨٩، ص١٠٥، عن كتاب بسعد السعود للسيد ابن طاووس، ص٢٨٥.

٥. سفينة البحار، ج٢، ص١٥١.

و قد حمل السيد ابن طاووس ـ في التحرير الطاووسي ـ ما ورد في جرحه بعد تضعيف الإسناد ـ على الحسد، قد صدر من الحاسدين الحاقدين عليه، قال: و مثلُ حبر الأُمّة ـ رضوان اللّه عليه ـ موضع أن يحسده الناس و ينافسوه، و يقولوا فيه و يباهتوه.

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله ... الناس أعداء له و خصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغياً: إنه لدميم

و قد بحث الأئمّة النقّاد عن روايات القدح، و لا سيّما ما قيل بشأنه من الهروب ببيت مال البصرة، و ما ورد من التعنيف لفعله ذلك، فاستخرجوا في نهاية المطاف من ذلك دلائل الوضع و الاختلاق بشأن هذا العبد الصالح الموالي لآل بيت الرسول. نعم كان الرجل ممقوتاً عند رجال السلطة الحاكمة، لا سيّما و كان يجابههم بما يخشون صراحته و صرامته، و من ثمّ كان طاغية العرب معاوية الهاوية، يلعنه ضمن النفر الخمسة الذين كان يلعنهم في قنوته[١]، و كان ذلك من شدّة قنوطه من رحمة اللّه التي وسعت كل شيء، أنّه من قوم غضب اللّه عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور[٢].

و للمولى محمد تقي التستري ـ أدام اللّه فضله و ألبسه ثوب العافية ـ تحقيق لطيف بشأن براءة الرجل من إلصاق هكذا تهم مفضوحة، و أنّه لم يزل في خدمة المولى أمير المؤمنين عليه السلام لم يبرح البصرة حتى قُتل الإمام عليه السلام. و كان من المحرِّضين لبيعة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام. و بعد أن تمّ الصلح اضطرّ إلى

---

١. وهم: علي و الحسن و الحسين و ابن عباس و الأشتر. شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ٩٨ و راجع: بحار الأنوار، ج ٤٢ (ط بيروت) ص ١٧٦.

٢. من الآية رقم ١٣ من سورة الممتحنة.

المغادرة إلى بيت اللّه الحرام حتى توفّاه اللّه، عليه رضوان اللّه[١].

و لسيدنا الأُستاذ العلاّمة الفاني ـ رحمة اللّه عليه ـ رسالة وجيزة في براءة الرجل، استوفى فيها الكلام بشأنه، جزاه اللّه خيراً عن الحق و أهله.[٢]

توسّعه في التفسير

و لم تمض العشرة الأولى من وفاة الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم إلاّ و نرى ابن عباس قد تفرّغ للتفسير و استنباط معاني القرآن.[٣] بينما سائر الصحابة كانت قد أشغلتهم شؤون شتى، مما يرجع إلى جمع القرآن أو إقرائه، أو تعليم السنن و القضاء بين الناس، أو التصدّي لسياسة البلاد، و ما شاكل. و إذا بابن عباس نراه صارفاً همّته في فهم القرآن و تعليمه و استنباط معانيه و بيانه، مستعيضاً بذلك عمّا فاته أيام حياة الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم لمكان صغره و عدم كفاءته ذلك الحين. فكان يستطرق أبواب العلماء من الصحابة الكبار، كادّاً وجادّاً في طلب العلم من أهله أينما وجده، ولا سيّما من الإمام أمير المؤمنين باب علم النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، كما لم يفته عقد حلقات في مسجد النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لمدارسة علوم القرآن و معارفه و نشر تعاليم الإسلام من أفخم بؤرته القرآن. و يقال:[٤] إن ذلك كان بأمر من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؛ وبذلك فقد تحقّق بشأنه دعاء الرسول: «اللّهمّ بارك فيه و أنشر منه». /

* * *

---

١. راجع: قاموس الرجال (ط الأولى) ج٦، ص٢ ـ ٦٥.

٢. طُبِعت في قم المقدسة، سنة ١٣٩٨ هـ. ق.

٣. كما قال الزركشي في البرهان، ج٢، ص١٥٧. قال: «و هو تجرّد لهذا الشأن».

٤. حدّثني بذلك السيد محمد باقر الأبطحي عن المرحوم زعيم الملّة في وقته السيد آغاحسين البروجردي قدّس سرّه.

لكن بموازاة انتشار العلم منه في الآفاق، راج الوضع على لسانه، لمكان شهرته و معرفته في التفسير. و من ثمّ فإن التشكيك في أكثر المأثور عنه أمر محتمل. قال الأُستاذ الذهبي: رُوي عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى كثرةً، و تعدّدت الروايات عنه، و اختلفت طرقها. فلا تكاد تجد آية من كتاب اللّه إلاّ و لابن عباس فيها قول مأثور أو أقوال، الأمر الذي جعل نُقّاد الأثر و رواة الحديث يقفون إزاء هذه الروايات ـ التي جاوزت الحدّ ـ وقفةَ المرتاب[١].

قال جلال الدين السيوطي: و رأيت في كتاب فضائل الإمام الشافعي، لأبي عبد اللّه محمد بن أحمد بن شاكر القطّان، أنه أخرج بسنده من طريق ابن عبد الحكم، قال: سمعت الشافعي يقول: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه مائة حديث[٢].

و ذكر ابن حجر العسقلاني: أن البخاري لم يُخرّج من أحاديث ابن عباس، في التفسير و غيره، سوى مائتين و سبعة عشر حديثاً، بينما يذكر أن ما خرّجه من أحاديث أبي هريرة الدوسي، يبلغ أربعمائة و ستة و أربعين حديثاً.[٣]

غير أنّ معرفته الفائقة في التفسير، و أنّ الخرّيجين من مدرسته جعلته في قمة علوم التفسير. و هذا المأثور الضخم من التفسير الوارد عنه أو عن أحد تلامذته المعروفين ـ وهم كثرة عدد نجوم السماء ـ لممّا يفرض من مقامه الرفيع في إعلاء ذروة التفسير. منه يصدر و عنه كلّ مأثور في هذا الباب.

و لقد كان موضع عناية الأُمّة، و لا سيّما الكبار و الأئمّة، من الصحابة و من

---

١. التفسير و المفسرون، ج ١، ص٧٧.

٢. الإتقان، ج ٤، ص٢٠٩.

٣. مقدمة شرح البخاري، ص٤٧٦ ـ ٤٧٧.

عاصره و ممن لحقه على مدى الأحقاب. فما أكثر ما يدور اسمه في كتب التفسير على اختلاف مبانيها و مناهجها، و متنوّع مسالكها و منازعها في السياسة والمذهب.

قال الدكتور الصاوي: و لعلّ في كثرة ما وضع و نسب إليه آيةً على تقدير له وإكباراً من الوضّاع، و رغبةً في تنفّق بضاعتهم، موسومةً بمن في اسمه الرواج العلمي[١].

منهجه في التفسير

كان ابن عباس تلميذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و منه أخذ العلم و تلقّى التفسير، سواء في أصول مبانيه أم في فروع معانيه، فقد سار على منهج مستقيم في استنباط معاني القرآن الحكيم.

إنه لم يَحد عن منهج السلف الصالح في تفسير القرآن و فهم معاني كتاب اللّه العزيز الحميد، ذلك المنهج الذي رست قواعده على أسس قويمة و مبانٍ حكيمة.

و قد حدّد ابن عباس معالم منهجه في التفسير بقوله: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، و تفسير لا يعذر أحد بجهالته، و تفسير يعلمه العلماء، و تفسير لا يعلمه إلاّ اللّه»[٢].

و قد فسّرته رواية أُخرى عنه: أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أُنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال و حرام لا يعذر أحد بالجهالة به، و تفسير تفسّره العرب، و تفسير تفسّره العلماء، و متشابه لا يعلمه إلا اللّه...»[٣].

---

١. مناهج في التفسير، ص٤١.

٢. أبوجعفر الطبري ـ جامع البيان ـ ج١، ص٢٦.

٣. المصدر نفسه.

فالقرآن، فيه مواعظ و آداب و تكاليف و أحكام، يجب على المسلمين عامة المعرفة بها و العمل عليها؛ لأنها دستور الشريعة العام. فهذا يجب تعليمه و تعلّمه، و لا يعذر أحد بجهالته.

و فيه أيضاً غريب اللغة و مشكلها، مما يمكن فهمها و حلّ معضلها، بمراجعة الفصيح من كلام العرب الأوائل؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، و على أساليب كلامهم المعروف.

و فيه أيضاً نكات و دقائق عن مسائل المبدأ و المعاد، و عن فلسفة الوجود و أسرار الحياة، لا يبلغ كنهها و لا يعرفها على حقيقتها غير أولي العلم، ممن وقفوا على أصول المعارف، و تمكّنوا من دلائل العقل و النقل الصحيح.

و بقي من المتشابه ما لا يعلمه إلا اللّه، إن أريد به الحروف المقطعة في أوائل السور؛ حيث هي رموز بين اللّه و رسوله، لم يُطلع الله عليها أحداً من العباد سوى النبي و الصّفوة من آله؛ علّمهم إياها رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.

و إن أريد به ما سوى ذلك مما وقع متشابهاً من الآيات، فإنه لا يعلم تأويلها إلا اللّه و الراسخون في العلم، و هم رسول اللّه و العلماء الذين استقوا من منهل عذبه الفرات، لا سبيل إلى معرفتها عن غير طريق الوحي. فالعلم به خاصّ بالله و من ارتضاه من صفوة خلقه.

* * *

و على ضوء هذا التقسيم الرباعي يمكننا الوقوف على مباني التفسير التي استندها ابن عباس في تفسيره العريض:

أوّلاً ـ مراجعة ذات القرآن في فهم مراداته

إذ خير دليل على مراد أيّ متكلم، هي القرائن اللفظية التي تحفّ كلامه، و التي

جعلها مسانيد نطقه و بيانه، و قد قيل: للمتكلم أن يلحق بكلامه ما شاء مادام متكلّماً، هذا في القرائن المتّصلة. و كثيراً مّا يعتمد المتكلمون على قرائن منفصلة من دلائل العقل أو الأعراف الخاصّة، أو ينصب في كلام آخر له ما يفسّر مراده من كلام سبق، كما في العموم و الخصوص، و الإطلاق و التقييد، و هكذا...

فلو عرفنا من عادة متكلم اعتماده على قرائن منفصلة، ليس لنا حمل كلامه على ظاهره البدائي، قبل الفحص و اليأس عن صوارفه.

والقرآن من هذا القبيل، فيه من العموم ما كان تخصيصه في بيان آخر، و هكذا تقييد مطلقاته و سائر الصوارف الكلاميّة المعروفة.

و ليس لأيّ مفسّر أن يأخذ بظاهر آية ما لم يفحص عن صوارفها وسائر بيانات القرآن التي جاءت في غير آية، و لا سيّما و القرآن قد يكرّر من بيان حكم أو حادثة و يختلف بيانه حسب الموارد، و من ثم يصلح كل واحد دليلاً و كاشفا لما أبهم في مكان آخر.

و هكذا نرى مفسّرنا العظيم، عبد اللّه بن عباس، يجري على هذا المنوال، وهو أمتن المجاري لفهم معاني القرآن، و مقدَّم على سائر الدلائل اللفظية والمعنوية. فلم يغفل النظر إلى القرآن الكريم نفسه، في توضيح كثير من الآيات التي خفي المراد منها في موضع، ثم وردت بشيء من التوضيح في موضع آخر. شأنه في ذلك شأن سائر المفسرين الأوائل، الذين ساروا على هدى الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

فمن هذا القبيل ما رواه السيوطي بأسانيده إلى ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ...﴾[1] قال: كنتم أمواتا قبل أن يخلقكم؛

---

١. غافر / ١١.

فهذه ميتة، ثم أحياكم؛ فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور؛ فهذه ميتة أخرى، ثم يبعثكم يوم القيامة؛ فهذه حياة. فهما ميتتان و حياتان، فهو كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١]، و هكذا أخرج عن ابن مسعود و أبي مالك و قتادة أيضاً[٢].

* * *

ثانياً ـ رعايته لأسباب النزول

و لأسباب النزول دورها الخطير في فهم معاني القرآن؛ حيث الآيات و السور نزلت نجوماً، و في فترات و شؤون يختلف بعضها عن بعض. فإذ كانت الآية تنزل لمناسبة خاصّة و لعلاج حادثة وقعت لوقتها، فإنها حينذاك ترتبط معها ارتباطاً وثيقاً. و لولا الوقوف على تلك المناسبة، لما أمكن فهم مرامي الآية بالذات، فلابدّ لدارس معاني القرآن أن يراعي قبل كل شيء شأن نزول كل آية آية، ويهتّم بأسباب نزولها. هذا إذا كان لنزولها شأن خاص، فلا بدّ من النظر و الفحص.

و هكذا اهتمّ حبر الأُمّة بهذا الجانب، و اعتمد كثيراً لفهم معاني القرآن على معرفة أسباب نزولها، و كان يسأل و يستقصي عن الأسباب و الأشخاص الذين نزل فيهم قرآن وسائر ما يمسّ شأن النزول، و هذا من امتيازه الخاص الموجب لبراعته في التفسير. و قد مرّ حديث إتيانه أبواب الصحابة يسألهم الحديث عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، [٣] كان حريصاً على طلب العلم و منهوماً لايشبع:

من ذلك ما رواه جماعة كبيرة من أصحاب الحديث، بإسنادهم إلى ابن

---

١. البقرة/ ٢٨.

٢. الدرالمنثور، ج ٥، ص ٣٤٧. و راجع: الطبري تفسيره، ج ٢٤، ص ٣١.

٣. الإصابة، ج ٢، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢.

عباس، قال: لم أزل حريصاً أن أسال عمر عن المرأتين من أزواج النبيّ ﷺ اللّتين قال اللّه تعالى بشأنهما ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا...﴾[١] حتى حجَّ عمر و حججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر و عدلت معه بالأداوة، فتبرّز ثم أتى، فصببت على يديه فتوضّأ، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبيّ ﷺ اللتان قال اللّه: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فقال: وا عجباً لك يا ابن عباس! هما: عائشة، و حفصة[٢].

و في تفسير القرطبي، قال ابن عباس: مكثت سنتين أريد أن اسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على النبيّ ﷺ ما يمنعني إلاّ مهابته، فسألته، فقال: هما حفصة و عائشه[٣].

و لقد بلغ في ذلك الغاية، حتى لنجد اسمه يدور كثيراً في أقدم مرجع بين أيدينا عن سبب النزول، و هو سيرة ابن إسحاق التي جاء تلخيصها في سيرة ابن هشام.

قال: و كان ابن عباس يقول: فيما بلغني نزل في النضر بن حارث ثمان آيات من القرآن: قول اللّه عز وجل: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[٤]، و كل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن[٥].

قال: و حُدثِّت عن ابن عباس أنه قال ـ و سرد قصّة سؤال أحبار اليهود

---

١. التحريم/ ٤.

٢. الدّر المنثور، ج٦، ص٢٤٢.

٣. الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٢٦.

٤. القلم/ ١٥.

٥. ابن هشام، ج١، ص٣٢١. تكرر لفظ «الأساطير» في تسع سور مكية: الأنعام/ ٢٥. الأنفال/ ٣١. النحل/ ٢٤. المؤمنون/ ٨٣. الفرقان/ ٥. النمل/ ٦٨. الأحقاف/ ١٧. القلم/ ١٥. المطفّفين/ ١٣.

النبيّ ﷺ عند مقدمه المدينة ـ: فأنزل اللّه عليه فيما سألوه عنه من ذلك: ﴿وَ لَوْ أَنَّ مٰا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلاٰمٌ ...﴾[۱].

قال: و أنزل اللّه تعالى عليه فيما سأله قومه من تسيير الجبال﴿وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبٰالُ...﴾[۲].

قال: و أنزل عليه في قولهم: خذ لنفسك ﴿وَ قٰالُوا مٰالِ هٰذَا الرَّسُولِ...﴾[۳]، و أنزل عليه في ذلك من قولهم: ﴿وَ مٰا أَرْسَلْنٰا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاّٰ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعٰامَ وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْوٰاقِ...﴾[٤]، و كذا في قوله تعالى: ﴿وَ لاٰ تَجْهَرْ بِصَلاٰتِكَ وَ لاٰ تُخٰافِتْ بِهٰا..﴾[٥]: إنما أُنزلت من أجل أولئك النفر...[٦] و هكذا يتابع ذكر أسباب نزول آياتٍ، و في الأكثر يسندها إلى ابن عباس.

و قد برع ابن عباس في هذه الناحية من نواحي أدوات التفسير، حتى كان يخلص آيَ القرآن المدني من المكي. فقد سأل أبوعمرو ابن العلاء مجاهداً عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي، فقال: سألت ابن عباس عن ذلك، فجعل ابن عباس يفصلها له. و هكذا نجد ابن عباس بدوره قد سأل أُبيّ بن كعب عن ذلك[۷].

كما تقصّى أسباب النزول فأحسن التقصّي، فكان يعرف الحضري من

---

۱. لقمان/ ۲۷.

۲. الرعد/ ۳۱.

۳. الفرقان/ ۷.

٤. الفرقان/ ۲۰.

٥. الإسراء/ ۱۱۰.

٦. راجع: ابن هشام، ج۱، ص۳۳۰ و ۳۳٥.

۷. راجع: الإتقان، ج۱، ص۲٤ و ۲٦.

السفري، و النهاري من الليلي، و فيم أُنزل و فيمن أُنزل، و متى أُنزل و أينَ أُنزل، وأول ما نزل و آخر ما نزل، و هلم جرّاً[١]، مما يدلّ على براعته و نبوغه في تفسير القرآن.

* * *

ثالثاً ـ اعتماده المأثور من التفسير المرويّ

اعتمد ابن عباس في تفسيره على المأثور عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و الطيّبين من آله والمنتجبين من أصحابه. و قد أسلفنا تتبّعه عن آثار الرسول و أحاديثه. كان يستطرق أبواب الصحابة العلماء، ليأخذ منهم ما حفظوه من سنة النبيّ و سيرته الكريمة. و قد جدَّ في ذلك و اجتهد مبلغ سعيه وراء طلب العلم و الفضيلة، حتى بلغ أقصاها. و قد سئل: أنّىٰ أدركت هذا العلم؟ فقال: بلسانٍ سؤول و قلب عقول[٢].

هو حينما يقول: «جُلّ ما تعلّمت من التفسير من عليّ بن أبي طالب عليه السلام»[٣]، أو «ما أخذت من تفسير القرآن فعن عليّ بن أبي‌طالب»[٤]، إنما يعني اعتماده المأثور من التفسير، إذا كان الأثر صحيحاً صادراً من منبع وثيق.

و هكذا عند ما كان يأتي أبواب الصحابة بغية العثور على أقوال الرسول في مختلف شؤون الدين و منها المأثور عنه في التفسير، إنّ ذلك كلّه لدليلٌ على مبلغ اعتماده على المنقول صحيحاً من التفسير.

---

١. الإتقان، ج ١، ص ٥١ ـ ٥٧ و ٦٠ ـ ٦٤ و ٦٨ ـ ٧٦ و غير ذلك..

٢. التصحيف و التحريف للصاحبي، ص ٣.

٣. سعد السعود لابن طاووس، ص ٢٨٥.

٤. التفسير و المفسرون للذهبي، ج ١، ص ٨٩.

فهو عند كلامه الآنف إنما يُلقي الضوء على تفاسيره بالذات، و أنها من النمط النقلي في أكثره، و إن كان لا يصرّح به في الموارد، بعد إعطاء تلك الكلية العامّة.

* * *

رابعاً ـ اضطلاعه بالأدب الرفيع

لا شكّ أن القرآن نزل بالفصحى من لغة العرب، سواء في موادّ كلماته أم في هيئات الكلم و حركاتها البنائية و الإعرابيّة، اختار الأفصح الأفشى في اللغة دون الشاذّ النادر. و حتى من لغات القبائل اختار المعروف المألوف بينهم دون الغريب المنفور. فما أشكل من فهم معاني كلماته، لا بدّ لحلّها من مراجعة الفصيح من كلام العرب المعاصر لنزول القرآن؛ حيث نزل بلغتهم و على أساليب كلامهم المألوف.

و هكذا نجد ابن عباس يرجع، عند مبهمات القرآن و ما أُشكل من لفظه، إلى فصيح الشعر الجاهلي، و البديع من كلامهم الرفيع. و كان استشهاده بالشعر إنما جاءه من قبل ثقافته الأدبيّة و اضطلاعه باللغة و فصيح الكلام. و في تاريخ الأدب العربي آنذاك شواهد رائعة تُشيد بنبوغه و مكانته السامية في العلم و الأدب. و ساعده على ذلك ذكاءٌ مُفرط و حافظة قويّة لاقطة، كان لايسمع شيئا إلاّ و كان يحفظه بكامله لوقته.

يروي أبو الفرج الأصبهاني بإسناده إلى عمر الركاء، قال: بينا ابن عباس في المسجد الحرام و عنده نافع بن الأزرق (رأس الأزارقة من الخوارج) و ناس من الخوارج يسألونه؛ إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين مورّدين أو مُمصّرين[١] حتى دخل و جَلَس. فأقبل عليه ابن عباس فقال: أنشدنا، فأنشده:

---

١. ثوب ممصّر: مصبوغ باللون الأحمر، و فيه شيء من صفرة.

أَمِنْ آل نُعْم أنت غادٍ فمبكر غداةَ غـدٍ أم رائـحٌ فَـمُهجِّر؟

حتى أتى على آخرها فأقبل عليه نافع بن الأزرق، فقال: اللّه يابن عباس! إنّا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال و الحرام فتتثاقل عنّا، و يأتيك غلام مُترَف من مترفي قريش فينشدك:

رأت رجلاً أمّا إذا الشمس عارضت فـيُخزَى و أمـا بـالعشيّ فـيخسر!

فقال: ليس هكذا قال. قال: فكيف قال؟ فقال: قال:

رأت رجـلاً أمـا إذا الشـمس عـارضتفـيُضحَى و أمـا بـالعشيّ فـيحصر!

فقال: ما أراك إلاّ و قد حفظت البيت! قال: أجل! و إن شئتَ أن أُنشدك القصيدة أنشدتك إيّاها. قال: فإنّي أشاء. فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها. و ما سمعها قطّ إلاّ تلك المرّة صفحاً[١]، و هذا غاية الذكاء.

فقال له بعضهم: ما رأيت أذكى منك قطّ! فقال: و لكنّي ما رأيت قطّ أذكى من عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

و كان ابن عباس يقول: ما سمعت شيئاً قطّ إلاّ رويتُه.

ثم أقبل على ابن أبي ربيعة، فقال: أنشد، فأنشده:

تشطُّ غداً دارُ جيراننا... و سكت.

فقال ابن عباس: و للدارُ بعد غدٍ أبعدُ!

فقال له عمر: كذلك قلت ـ أصلحك اللّه ـ أفسمعته؟ قال: لا، ولكن كـذلك ينبغي!![٢]

و هذا غاية في الفطنة و الذكاء، مضافاً إليه الذوقُ الأدبي الرفيع!

---

١. أي مروراً و عَرَضاً.

٢. الأغاني، ج ١، ص ٨١ ـ ٨٣.

و هو الذي كان يحفظ خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الرنّانة فور استماعها، فكان راوية الإمام في خطبه و سائر مقالاته.

* * *

و كان ذوقه الأدبي الرفيع و ثقافته اللغوية العالية، هو الذي حدا به إلى استخدام هذه الأداة ببراعة، حينما يفسّر القرآن و يشرح من غريب لفظه. كان يقول: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن، الذي أنزله اللّه بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه.

و أخرج ابن الأنباري من طريق عكرمة عن ابن عباس، قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب[1].

و أخرج الطبري من طريق سعيد بن جبير ـ في تفسير قوله تعالى: **﴿وَ مٰا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾**[2] ـ عن ابن عباس، و قد سئل عن (الحرج)، قال: إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فإن الشعر عربيّ. ثم دعا أعرابياً فقال: ما الحرج؟ قال: الضيق. قال ابن عباس: صدقت[3].

و كان إذا سئل عن القرآن، في غريب ألفاظه، أنشد فيه شعراً. قال أبوعبيد: يعني كان يستشهد به على التفسير.

قال ابن الأنباري: و قد جاء عن الصحابة و التابعين كثيراً، الاحتجاج على غريب القرآن و مشكله بالشعر، قال: و أنكر جماعة ـ لا علم لهم ـ على النحويّين ذلك، و قالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلاً للقرآن. و ليس الأمر كما زعموا،

---

١. الإتقان، ج ٢، ص ٥٥.

٢. الحج / ٧٨.

٣. الطبري، ج ١٧، ص ١٤٣.

بل المراد تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر؛ لأنه تعالى يقول: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾[١]، و قال: ﴿وَ هٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[٢].

مسائل ابن الأزرق

و لعلّ أوسع ما أُثر عن ابن عباس في هذا الباب هي مسائل نافع بن الأزرق الخارجي[٣]، جاء ليسأل حبر الأُمّة تعنّتاً لا تفهّماً. و كان مُتقِناً للعربية و أمير قومه و فقيههم، فحاول إفحام مثل ابن عباس استظهاراً لمذهبه.

و القصّة كما رواها السيوطي في الإتقان، فيها شيء من الغرابة، و لعلّ فيها زيادةً و تحريفاً، غير أنها على كل حالٍ تُحدّد من اتجاه ابن عباس اللّغوي في التفسير، و اضطلاعه بالأدب الرفيع.

قال جلال الدين السيوطي: قد روينا عن ابن عباس كثيراً من استشهاده بالشعر لحلّ غريب القرآن، و أوعب ما رويناه عنه مسائل ابن الأزرق ـ و ساقها تماماً حسب استخراجه من كتاب الوقف لابن الأنباري، و المعجم الكبير للطبراني ـ[٤] و لنذكر منها طرفاً:

قال بينا عبد اللّه بن عباس جالس بفناء الكعبة، قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، و إذا بنافع بن الأزرق قال لنجدة بن عويمر[٥]: قم بنا إلى هذا الذي

---

١. الزخرف/ ٣.

٢. النحل/ ١٠٣، الإتقان، ج ٢، ص ٥٥.

٣. نافع بن الأزرق الحنفي الحروري، رأس الأزارقة من الخوارج و إليه نسبتهم. هلك سنة (٦٥هـ).

٤. راجع الإتقان، ج ٢، ص ٥٦ ـ ٨٨.

٥. نجدة بن عامر الحنفي الحروري، رأس الفرقة النجدية. كان من أصحاب الثورات ذلك العهد. هلك سنة(٦٩) هـ.

يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فأتياه و قالا: نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب اللّه، فتفسّرها لنا، و تأتينا بمصادقةٍ من كلام العرب، فإنّ اللّه إنما أنزل القرآن بلسانٍ عربيٍّ مبين. قال ابن عباس: سلاني عمّا بدا لكما.

فسأله نافع عن قوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾[1]؟ قال: العزون: الحِلَق الرقاق. قال نافع: و هل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عَبيد بن الأبرص و هو يقول:

فجاؤوا يهرعون إليه حتّى يكونوا حول منبره عِزينا

قال الراغب: عزون، واحدته عزة، و أصله من: عزوته فاعتزى، أي نسبته فانتسب.

و قال الطبرسي: عزون، جماعات في تفرقة، واحدتهم عزة. و إنما جُمع بالواو و النون؛ لأنه عوض، مثل سنة و سنون. و أصل عزة عزوة من: عزاه يعزوه، إذا أضافه إلى غيره. فكل جماعة من هذه الجماعات مضافة إلى الأخرى[2].

و سأله عن قوله: ﴿إِذَا أَثْمَرَ وَ يَنْعِهِ﴾[3]؟ قال: نُضجُه و بلاغُه. و استشهد بقول الشاعر:

إذا مشت وسط النساء تأوّدت كما اهتزّ غُصن ناعم النبت يانع[4]

و سأله عن ﴿الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[5]؟ قال: السفينة المُوقرة الممتلئة. و استشهد بقول ابن الأبرص:

---

١. المعارج/ ٣٧.

٢. مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٥٧.

٣. الأنعام/ ٩٩.

٤. أَوِدَ و تأوّد: اعوجّ و انحنى.

٥. الشعراء/ ١١٩.

شحنّا أرضهم بالخيل حتى تركناهم أذلّ من الصراط[١]

و سأله عن ﴿زَنِيم﴾[٢]؟ قال: ولد زنى. و استشهد بقول الخطيم التميمي:

زنيم تداعته الرِّجال زيادةً كما زيد في عَرض الأديم الأكارعُ[٣]

قال الراغب: الزنيم: الزائد في القوم و ليس منهم. و هو المنتسب إلى قوم هو معلَّق بهم لا منهم.

و سأله عن ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾[٤]؟ قال: عظمة ربّنا. و استشهد بقول أُمية بن أبي الصلت:

لك الحمدُ و النعماءُ و الملك ربَّنا فلا شيء أعلا منك جَدّا و أمجدا

و كان يبحث عن لغات القبائل و يترصّد أخبارهم، استطلاعاً للغريب من ألفاظهم الواقعة في القرآن، و كان إذا أشكل عليه فهم كلمة أرجأها حتى يتسمّع قول الأعراب ليعثر على معناها، طريقة متّبعة لدى أهل التحقيق.

أخرج الطبري بإسناده إلى ابن أبي يزيد قال: سمعت ابن عباس، و هو يُسأل عن قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٥]، قال: ما هاهنا من هذيل[٦] أحد؟ فقال رجل: نعم، قال: ما تعدّون الحرجةَ فيكم؟ قال: الشيء الضيّق.

---

١. شحن المدينة بالخيل: ملأها.

٢. القلم/ ١٣.

٣. تداعوا الشيء: ادّعوه. تداعى القوم: دعا بعضهم بعضاً. و الأديم: وجه الأرض. وأكارع الأرض: أطرافها القاصية.

٤. الجن/ ٣.

٥. الحج/ ٧٨.

٦. تُروى الأخبار أنّ هذيلاً كانت أحسن القبائل ثقافةً و أوسعها في اللغة، و من ثم تمنّى عثمان ـ عند ما ←

قال ابن عباس: فهو كذلك[١].

و أخرج من طريق قتادة عن ابن عباس، قال: لم أكن أدري ما ﴿ اِفْتَحْ بَيْنَنٰا وَبَيْنَ قَوْمِنٰا بِالْحَقِّ﴾[٢] حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها: تعال أفاتحك، تعني أقاضيك[٣].

و أخرج أبوعبيد في الفضائل من طريق مجاهد عن ابن عباس، قال: كنت لا أدرى ما﴿فٰاطِرِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ﴾[٤] حتى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر،

← رفع إليه المصحف و رأى فيه شيئاً من اللحن ـ قال: لو كان المُملِئ من هذيل، و الكاتب من ثقيف، لم يقع فيه هذا. (مصاحف السجستاني، ص٣٢ ـ ٣٣).

و يروى أن عمر قرأ على المنبر: ﴿أويأخذهم على تخوّف﴾النحل/ ٤٧، و لم يدر ما معنى التخوّف هنا! فسأل القوم عن ذلك، فقام إليه شيخ من هذيل و قال: هذه لغتنا التخوّف: التنقّص. فقال له عمر: أو هل تعرف العرب ذلك؟ قال الشيخ: نعم، يقول الشاعر:

تخوّف الرّحلُ منها تامكاً قَرِداً ... كما تخوّف عُوْدَ النَّبْعَةِ السَّفِنُ

و السَّفِن: الحديدة التي يُبْرَد بها خشب القوس. و القَرِد: الكثير القردان. و التامِك: العظيم السنام. يقول: إن الرحل تُنقِص سنام الناقة كما تأكل الحديدة خشب القوس.

(فجر الإسلام لأحمد أمين، ص١٩٦ عن الموافقات، ج ٢، ص٥٧ و ٥٨. و الذهبي، ج ١، ص ٧٤، عنه ج ١، ص٨٨).

١. تفسير الطبري، ج١٧، ص١٤٣.

٢. الأعراف/ ٨٩.

٣. الطبري، ج ٩، ص٣. وفي رواية: انطلق أفاتحك، تعني أخاصمك.. و راجع: الإتقان، ج ٢، ص٥. وجاءت القصة في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ج ١، ص٤٨ محرَّفة. و راجع: أيضاً مناهج التفسير للصاوي، ص٣٤.

٤. فاطر/ ١.

فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها[١].

و في تفسير الزمخشري ـ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾[٢] ـ: و عن ابن عباس: ما كُنْت أدري ما معنى «يحور» حتى سمعت أعرابيّة تقول لبُنَيّةٍ لها: حُوري، أي ارجعي.

و استشهد الزمخشري بقول لبيد:

و ما المرء إلاّ كالشّهاب وَضَوْئه   يحورُ رَماداً بعد إذ هو ساطع[٣]

و قد جاء نفس الاستشهاد في مسائل ابن الأزرق أيضاً[٤].

* * *

و هكذا استطاع بثقافته اللّغوية أن يحيط بلغات القبائل، و يميّز عن بعضها البعض.

رُوي عنه في قوله تعالى: ﴿وَ كُنْتُمْ قَوْماً بُوراً﴾[٥] أنه قال: البور، في لغة أذرعات الفاسد، فأما عند العرب فإنه لا شيء[٦].

و قال في قوله تعالى: ﴿وَ أَنْتُمْ سامِدُونَ﴾[٧] السمود: الفناء، و هي يمانيّة.

---

١. الإتقان، ج ٢، ص ٤.

٢. الانشقاق/ ١٤.

٣. الكشاف، ج ٤، ص ٧٢٧.

٤. الإتقان، ج ٤، ص ٦٤.

٥. الفتح/ ١٢.

٦. رواه ابن قتيبة مسنداً له إلى ابن عباس (تأويل مشكل القرآن، ج ٢، ص ١٣٣) و فيه شيء من التصحيف، صحّحناه على تفسير الطبري (ج ٢٦، ص ٤٩) من غير أن ينسبه إلى ابن عباس.

٧. النجم/ ٦١.

و في قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾[1] قال: ربّاً، بلغة أهل اليمن.

و في قوله: ﴿كَلاَّ لاَ وَزَرَ﴾[2] قال: الوَزَر: ولد الولد، بلغة هذيل.

و في قوله: ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾[3] قال: مكتوباً، و هي لغة حميريّة، يسمّون الكتاب أسطوراً[4].

* * *

بل نراه لم يقتصر على الإحاطة بلغات القبائل، حتى ضمّ إليها التعرّف إلى الكلمات الوافدة إلى العربية من لُغات الأمم المجاورة. قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلاً﴾ بلسان الحبشة، إذا قام الرجل من الليل قالوا: نشأ[5].

و قال في قوله تعالى: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ هو بالعربية الأسد، و بالفارسية شار (شير)، و بالقبطية أريا، و بالحبشية قسورة[6].

هذا، مضافاً إلى معرفته بآداب سائر الأمم و رسومهم، كان يقول في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ هو قول الأعاجم: «زِهْ، نوروز، مهرجان‌حر.»[7].

و عن تلميذه سعيد بن جبير: هو قول بعضهم لبعض إذا عطس: زِهْ هزار

---

١. الصافات/ ١٢٥.

٢. القيامة/ ١١.

٣. الإسراء/ ٥٨.

٤. الإتقان، ج٢، ص٨٩ـ ٩١.

٥. تفسير الطبري، ج١، ص٦، المزمّل/ ٦.

٦. المصدر نفسه، المدّثر/ ٥١.

٧. الطبري، ج١، ص٣٤٠، البقرة/ ٩٦.

سال، و في رواية عن ابن عباس: هو قول أحدهم: زِهْ هزار سال، يقول: عش ألف سنة.[١] «زِهْ» و «زِيْ» بالفارسية بمعنى الدعاء بطول العمر، مِن «زيستن» بـمعنى الحياة.

* * *

أضف إلى ذلك معرفته بالتاريخ و الجغرافية، و ما جرت على جزيرة العرب من حوادث و أيام، و قد أتاح له حظّا وافراً من هذه الثقافة، تنقّله في البلاد، بين مكة و المدينة، ثم ولايته على البصرة و اشتراكه في غزوة أفريقية، بل و تنقّله بين أنحاء الجزيرة في طلب العلم؛ إذ كان يهتم الاهتمام كلّه بتعرّف قصّة كل اسم أو موطن أو موضع جرى له ذكر في القرآن، إن مبهماً أو صريحاً. يقول: «الأحقاف، المذكور في الكتاب العزيز: وادٍ بين عُـمّان و أرض مَـهْرَةَ». و أرض مَـهْرَة هـي حضرموت كما جاء في كلام ابن إسحاق. و قال قتادة: الأحقاف: رمال مُشرفة على البحر بالشِحْر من أرض اليمن. قال ياقوت: هذه ثلاثة أقـوال غـير مـختلفة فـي المعنى[٢].

و قال ـ في البحرين ـ: روي عن ابن عباس: البحرين من أعـمال العـراق، و حدّه من عُمّان ناحية جرَّ فار، و اليمامة على جبالها[٣].

و قال ـ في عرفة ـ: و قال ابن عباس: حدّ عَرَفة من الجبل المشرف على بطن عُرنة إلى جبالها إلى قصر آل مالك و وادي عرفة[٤].

---

١. الطبري، ج ١، ص ٣٤٠ و الدرالمنثور، ج ١، ص ٨٩.
٢. معجم البلدان، ج ١، ص ١١٥.
٣. المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٤٧.
٤. معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠٤.

و قال ـ في تحديد جزيرة العرب ـ: و أحسن ما قيل في تحديدها ما ذكره أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي مسنداً إلى ابن عباس، قال: اقتسمت العرب جزيرتها على خمسة أقسام. قال: و إنما سُمّيت بلاد العرب جزيرة؛ لإحاطة الأنهار و البحار بها من جميع أقطارها و أطرافها، فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر[١].

إلى غيرها من موارد تدلّك على سعة معرفة ابن عباس بالأوضاع و الأحوال التي تكتنفه، شأن أيِّ عالمٍ و محققٍ خبير.

* * *

و بعد فإنّ إحاطته باللغة و بالشعر القديم، لتدلّك على قوة ثقافته البالغة حدّاً لم يصل إليه غيره، ممّن كان في طرازه ذلك العهد، الأمر الذي جعله بحقّ زعيم هذا الجانب من تفسير القرآن، حتى لقد قيل في شأنه: هو الذي أبدع الطريقة اللغويّة في التفسير[٢] فضلاً عن كونه أباً للتفسير في جميع جوانبه و مجالاته.

و بذلك كان قد كشف النقاب عن وجه كثير من آيات أحاطت بها هالة من الإبهام، لولا معرفة سبب النزول.

مثلاً نتساءل: ما هي العلاقة بين (ذكر اللّه و ذكر الآباء) في قوله تعالى: **﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾**[٣] و السياق وارد بشأن أحكام الحج و مناسكه؟

و هنا يأتي ابن عباس ليوضّح من موضع هذه العلاقة. قال: «إنّ العرب كانوا

---

١. معجم البلدان، ج٢، ص١٣٧.

٢. التفسير و المفسرون، ج١، ص٧٥ عن مذاهب التفسير الاسلامي لجولد تسيهر، ص٨٩.

٣. البقرة/ ٢٠٠.

عند الفراغ من حجّتهم بعد أيّام التشريق، يقفون بين مسجد منى و بين الجبل، و يذكر كل واحد منهم فضائل آبائه في السماحة و الحماسة و صلة الرحم، و يتناشدون فيها الأشعار، و يتكلمون بالمنثور من الكلام، و يريد كل واحد منهم من ذلك الفعل، حصول الشّهرة و الترفّع بمآثر سلفه. فلما أنعم اللّه عليهم بالإسلام أمرهم أن يكون ذكرهم لربّهم كذكرهم لآبائهم أو أشدّ ذكراً»[١].

و هكذا لما تساءل بعضهم: ما وجه قوله تعالى: **﴿فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمٰا﴾**[٢] أي لا حرج عليه و لا مأثم في السعي بين الصفا و المروة. و ظاهره نفي البأس، أي عدم المنع، و هو لايقتضي الوجوب، مع أنّ قوله تعالى ـ في صدر الآية ـ: **﴿إِنَّ الصَّفٰا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعٰائِرِ اللّٰهِ..﴾** يستدعي الوجوب؛ لأنه خبر في معنى الأمر؟!

و قد كان ذلك موضع تساؤل منذ أوّل يومه. أخرج الطبري بإسناده إلى عمرو ابن حبيش قال: قلت لعبد اللّه بن عمر: **﴿إِنَّ الصَّفٰا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعٰائِرِ اللّٰهِ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمٰا﴾**، قال: انطلق إلى ابن عباس فاسأله فإنه أعلم من بقي بما أُنزل على محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

قال: فأتيت ابن عباس فسألته، فقال: إنّه كان عندهما أصنام، فلما أسلموا أمسكوا عن الطّواف بينهما حتى أُنزلت **﴿إِنَّ الصَّفٰا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعٰائِرِ اللّٰهِ﴾**[٣].

كان المشركون قد وضعوا على الصفا صنما يقال له: «أساف»، و على المروة «نائلة». فلمّا اعتمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عمرة القضاء تحرّج المسلمون عن السعي

---

١. الفخر الرازي، ج ٥، ص١٨٣.

٢. البقرة/ ١٥٨.

٣. تفسير الطبري، ج ٢، ص٢٨، الدر المنثور، ج ١، ص١٥٩، البقرة/ ١٥٨.

بينهما، زعماً منهم أنّ السعي بينهما شيء كان صنعه المشركون تزلّفاً إلى الصنمين، فأنزل اللّه أن لا حرج و لا موضع لما وهمه أُناس[١].

مراجعة أهل الكتاب!

و هل كان ابن عباس يراجع أهل الكتاب في فهم معاني القرآن؟

سؤال أجيب عليه بصورتين: إحداهما مبالغ فيها، و الأُخرى معتدلة إلى حدّ ما؛ كانت مراجعته لأهل الكتاب ـ كمراجعة سائر الاصحاب ـ في دائرة ضيّقة النطاق، في أُمور لم يتعرّض لها القرآن، و لا جاءت في بيان النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم؛ حيث لم تَعُدْ حاجة ملحّة إلى معرفتها، و لا فائدة كبيرة في العلم بها كعدد أصحاب الكهف، و البعض الذي ضرب به موسى من البقرة، و مقدار سفينة نوح، و ما كان خشبها، و اسم الغلام الذي قتله الخضر، و أسماء الطيور التي أحياها اللّه لإبراهيم، و نحو ذلك مما لا طريق إلى معرفة الصحيح منه. فهذا يجوز أخذه من أهل الكتاب، و التحدّث عنهم و لا حرج، كما ورد «حدّثوا عن بني إسرائيل و لا حرج»[٢]، المحمول على مثل هذه الأُمور.

قال ابن تيميّة: و في بعض الأحيان يُنقل عنهم (عن بعض الصحابة مثل ابن مسعود و ابن عباس و كثير من التابعين) ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم؛ حيث قال: «بلّغوا عنّي و لو آيةً، و حدّثوا عن بني إسرائيل و لا حرج». رواه البخاري عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص، و لهذا

---

١. مجمع البيان للطبرسي، ج ١، ص ٢٤٠.

٢. مسند أحمد، ج ٢، ص ١٥٩ و ٢٠٢ و ٢١٤. عن عبد الله بن عمرو بن العاص. و ص ٤٧٤ و ٥٠٢ عن أبي هريرة. و ج ٣، ص ١٣ و ٤٦ و ٥٦ عن أبي سعيد الخدري.

كان عبد اللّه بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين[١] من كتب أهل الكتاب، فكان يحدّث منهما، بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك. و لكن هذه الأحاديث الإسرائيلية إنما تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها من الأُمور المسكوت عنها، ولم نعلم صدقها و لا كذبها مما بأيدينا، فلا نؤمن به و لا نكذّبه، و تجوز حكايته، و غالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، و قد أبهمه اللّه في القرآن، لا فائدة في تعيينه تعود على المكلّفين في دنياهم و لا دينهم.[٢]

* * *

و وافقه على هذا الرأي الأُستاذ الذهبي، قال: كان ابن عباس يرجع إلى أهل الكتاب و يأخذ عنهم، بحكم اتفاق القرآن مع التوراة و الإنجيل، في كثير من المواضع التي أُجملت في القرآن و فُصّلت في كتب العهدين. و لكن في دائرة محدودة ضيّقة، تتّفق مع القرآن و تشهد له. أمّا ما عدا ذلك مما يتنافَى مع القرآن ولايتّفق مع الشريعة، فكان لا يقبله و لا يأخذ به.

قال: فابن عباس و غيره من الصحابة، كانوا يسألون علماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام فيما لا يمسّ العقيدة أو يتّصل بأُصول الدين و فروعه، كبعض القصص و الأخبار الماضية.

قال: و بهذا المسلك يكون الصحابة قد جمعوا بين قوله ﷺ: «حدّثوا عن بني إسرائيل و لا حرج»، و قوله: «لا تُصدّقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم». فإن الأوّل محمول على ما وقع فيهم من الحوادث والأخبار؛ لما فيها من العِظَة و الاعتبار، بدليل قوله بعد ذلك: «فإنّ فيهم أعاجيب». و الثاني محمول على ما إذا

---

١. أي ملفّتين، من زمّل الشيء بثوبه أو في ثوبه: لفّه.

٢. راجع: مقدمته في أُصول التفسير، ص ٤٥ ـ ٤٧.

كان المخبر به من قبلهم محتملاً، ولم يقم دليل على صدقه و لا على كذبه. قال: كما أفاده ابن حجر، و نبّه عليه الشافعي[١].

* * *

و أمّا المستشرقون فقد ذهبوا في ذلك مذاهب بعيدة، بالغوا فيها إلى حدّ ترفضه شريعة النقد و التمحيص. يقول العلاّمة المستشرق إجنتس جولد تسيهر:

«و ترى الرواية الإسلامية أن ابن عباس تلقّى بنفسه ـ في اتصاله الوثيق بالرسول ـ وجوه التفسير التي يوثق بها وحدها.[٢] و قد أغفلت هذه الرواية بسهولة ـ كما في أحوال أُخرى مشابهة ـ أن ابن عباس عند وفاة الرسول كان أقصى ما بلغ من السّنّ (١٠ ـ ١٣) سنة.

«و أجدر من ذلك بالتصديق، الأخبار التي تفيد أن ابن عباس كان لا يرى غضاضةً أن يرجع، في الأحوال التي يخامره فيها الشك، إلى من يرجو عنده علمها. و كثيراً ما ذُكر أنه كان يرجع ـ كتابةً ـ في تفسير معاني الألفاظ إلى من يُدعىٰ (أبا الجَلْد) و الظاهر أنه (غيلان بن فروة الأزدي) الذي كان يُثنى عليه بأنّه قرأ الكتب[٣].

---

١. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٧٠ ـ ٧١ و ٧٣ و ١٧٠ ـ ١٧٣. و راجع: فتح الباري لابن حجر، ج ٨، ص ١٢٩ و ج ١٣، ص ٢٨٢.

٢. هنا يعلّق المترجم الدكتور عبد الحليم النجار. يقول: و أين الرواية التي يزعمها، و ما قيمتها في نظر رجال النقد؟ (مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨٤)

و الصحيح ـ كما أسلفنا ـ أنّ ابن عباس أخذ تفسيره من الصحابة و لا سيّما من أمير المؤمنين علي عليه السلام، فهو إنّما أخذ التفسير من الرسول بواسطة أصحابه الأخيار.

٣. يقول فيه العسكري في كتاب التصحيف و التحريف: هو صاحب كتاب و جمّاع لأخبار الملاحم. (مذاهب التفسير، ص ٨٥ الهامش رقم ٣)

«و كثيراً ما نجد بين مصادر العلم المفضّلة لدى ابن عباس، اليهوديّين اللّذين اعتنقا الإسلام: كعب الأحبار، و عبد اللّه بن سلام، كما نجد أهل الكتاب على وجه العموم، أي رجالاً من طوائف ورد التحذير من أخبارها ـ عدا ذلك ـ في أقوال تنسب إلى ابن عباس نفسه. ومن الحقّ أن اعتناقهم للإسلام قد سما بهم على مظنّة الكذب، و رفعهم إلى مرتبة مصادر العلم التي لا تثير ارتياباً[١].

«ولم يعدَّ ابن عباس أُولئك الكتابيّين الذين دخلوا في الاسلام، حججاً فقط في الإسرائيليات و أخبار الكتب السابقة، التي ذكر كثيراً عنها الفوائد[٢]، بل كان يَسأل أيضاً كعب الأحبار مثلاً عن التفسير الصحيح للتعبيرين القرآنيّين: ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٣] و ﴿الْمَرْجَانُ﴾[٤].

«كان يُفترض عند هؤلاء الأحبار اليهود، فهم أدقّ للمدارك الدينية العامة الواردة في القرآن و في أقوال الرسول، و كان يُرجَع إلى أخبارهم في مثل هذه المسائل، على الرغم من ضروب التحذير الصادرة من جوانب كثيرة فيهم»[٥].

هذه هي عبارة (جولد تسيهر) البادي عليها غلّوه المفرط بشأن مُسلمة اليهود،

---

١. سترى أن الأمر كان بالعكس، كان هؤلاء موضع ارتياب المسلمين عامة، سوى أهل المطامع كانوا قد استغلّوا من مواضع هؤلاء غير النزيهة، أمثال معاوية و ابن العاص و من على شاكلتها.

٢. مثل ما أخرجه ابن سعد في الطبقات (ج ١، ق ٢، ص ٨٧) بإسناده إلى ابن عباس أنّه سأل كعب الأحبار عن صفة الرسول ﷺ في التوراة و الإنجيل.

و كذا ما أسنده إلى مولى عمر بن الخطاب أن كعباً أخبر بموته قبل ثلاثة أيام؛ إذ وجد ذلك مكتوباً عندهم في التوراة. (الطبقات، ج ٣، ق ٢، ص ٢٤٠).

٣. من سورة الرعد/ ٣٩. راجع الطبري، ج ١٣، ص ١١٥.

٤. من سورة الرحمان/ ٢٢. راجع: الطبري، ج ٢٧، ص ٧٦ ـ ٧٧.

٥. مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨٤ ـ ٨٨.

و دورهم في التلاعب بمقدّرات المسلمين، الأمر الذي لا يكاد يصدّق في أجواء كانت السيطرة مع الصحابة النبهاء، إنّما كان ذلك في عهد طغى سطو أُميّة على البلاد و قد أكثروا فيها الفساد، على ما سننبّه.

و قد تابعه على هذا الرأي الأُستاذ أحمد أمين، قال: و لم يتحرّج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس من أخذ قولهم. روي أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم قال: «إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم و لا تكذّبوهم». ولكن العمل كان على غير ذلك، و أنّهم كانوا يصدّقونهم و ينقلون عنهم! و إن شئت مثلاً لذلك فاقرأ ما حكاه الطبري و غيره عند تفسير قوله تعالى: **﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللّهُ في ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ وَ الْمَلائِكَةُ﴾**[١].

و عقّبه بقوله: و قد رأيت ابن عباس كان يجالس كعب الأحبار و يأخذ عنه[٢]، إشارة إلى ما سبق من قوله: و أمّا كعب الأحبار أو كعب بن ماتع فيهوديّ من اليمن، و أكبر من تسرّبت منهم أخبار اليهود إلى المسلمين، أسلم في خلافة أبي بكر أو عمر ـ على خلاف في ذلك ـ و انتقل بعد إسلامه إلى المدينة ثم إلى الشام. و قد أخذ عنه اثنان، هما أكبر من نَشَر علمَه: ابنُ عباس ـ و هذا يعلّل ما في تفسيره من إسرائيليات ـ و أبوهريرة[٣].

* * *

نقد و تمحيص

و إنا لنأسف كثيراً أن يغترّ كُتّابنا النُقّاد ـ أمثال الأُستاذ أحمد أمين و الأُستاذ

---

١. البقرة/ ٢١٠.

٢. فجر الإسلام، ص ٢٠١.

٣. المصدر نفسه، ص ١٦٠.

الذهبي ـ بتخرّصات لفّقها أوهام مستوردة، فلنترك المستشرقين في ريبهم يتردّدون، و لكن ما لنا ـ نحن معاشر المسلمين ـ أن نحذو حذوهم و نواكبهم في مسيرة الوهم و الخيال؟!

لا شكّ أنّ نبهاء الصحابة أمثال ابن عباس كانوا يتحاشون مراجعة أهل الكتاب و يستقذرون ما لديهم من أساطير و قصص و أوهام، و إنما تسرَّبت الإسرائيليات إلى حوزة الإسلام، بعد انقضاء عهد الصحابة، و عند ما تسيطر الحكم الأموي على البلاد لغرض العيث في الأرض و شمول الفساد، الأمر الذي أحوجهم إلى مراجعة الأنذال من مسلمة اليهود و مَن تبعهم من سفلة الأوغاد.

و سنذكر أن مبدأ نشر الإسرائيليات بين المسلمين كان في هذا العهد المظلم بالخصوص، حاشا الصحابة و حاشا ابن عباس بالذات أن يراجع ذوي الأحقاد من اليهود، و يترك الخلّص من علماء الإسلام أمثال الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، و كان سفط العلم و لديه علم الأوّلين و الآخرين، علماً ورثه من رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم في شمول و عموم.

و قد مرّ عليك أنه كان يستطرق أبواب العلماء من الصحابة بغية العثور على أطراف العلم الموروث من الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم، و قد سئل: أنّىٰ أدركت هذا العلم؟ فقال: بلسان سؤول و قلب عقول[1].

و إليك من تصريحات ابن عباس نفسه، يحذّر مراجعة أهل الكتاب بالذات، فكيف ياترى، ينهى عن شيء ثم يرتكبه؟!

❋ ❋ ❋

---

١. التصحيف و التحريف للصاحبي، ص٣.

التحذير عن مراجعة أهل الكتاب

أخرج البخاري بإسناده إلي عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة عن ابن عباس، قال: «يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب، و كتابكم الذي أُنزل على نبيّه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرأونه لم يُشَبْ[۱]، و قد حدّثكم اللّه أنّ أهل الكتاب بدّلوا ما كتب اللّه و غيّروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند اللّه ليشتروا به ثمناً قليلاً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسائلتهم، و لا واللّه ما رأينا منهم رجلاً قطّ يسألكم عن الذي أنزل عليكم»[۲].

و أخرج عن أبي‌هريرة قال: كان أهل الكتاب[۳] يقرأون التوراة بالعبرانية و يفسّرونها بالعربيّة لأهل الإسلام، فقال رسول اللّه ﷺ: «لا تصدّقوا أهل الكتاب و لا تكذّبوهم، و قولوا: آمنّا باللّه و ما أُنزل إلينا و ما أُنزل إليكم»[٤].

و أخرج عبد الرزاق من طريق حريث بن ظهير، قال: قال عبد اللّه بن عباس: «لا تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم و قد أضلوا أنفسهم، فتكذبوا بحقّ أو تصدّقوا بباطل»[۵].

و هذا الحديث وضّح من كلام النبيّ ﷺ في عدم تصديقهم و لا تكذيبهم؛

---

۱. جاء في موضع آخر: «و كتابكم الذي أُنزل على رسول اللّه ﷺ أحدث، تقرأونه محضاً لم يُشَبْ» قوله: لم يُشَب، أي لم يخلطه شيء من غير القرآن، تعريضاً بكتب العهدين التي دُسّ فيها ماينبو عن كونه وحياً.

۲. جامع البخاري، ج۹، ص۱۳۶، باب قول النبي: لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء و ج۳، ص۲۳۷ باب لايسأل أهل الشرك عن الشهادة و غيرها، و اللفظ على الأخير.

۳. و يعني بهم اليهود بالذات. صرّح بذلك ابن حجر في الشرح، ج۳، ص۲۸۲.

٤. جامع البخاري، ج۹، ص۱۳۶.

۵. فتح الباري بشرح البخاري، ج۱۳، ص۲۸٤.

لأنهم كانوا يخلطون الحق بالباطل، فلايمكن تصديقهم؛ لأنه ربما كان تصديقا لباطل، و لا تكذيبهم؛ لأنه ربما كان تكذيبا لحق، فالمعنى: أن لا يُعتبر من كلامهم شيء و لا يُتَرتَّبُ على مايقولونه شيء. فلا حجيّة لكلامهم و لا اعتبار لأقوالهم على الإطلاق، إذن فلا ينبغي مراجعتهم و لا الأخذ عنهم فيوجه من الوجوه.

و أخرج أحمد و ابن أبي شيبة و البزّاز من حديث جابر، أن عمر أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فغضب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، و قال: «لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة، لا تسألوهم عن شيء، فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو باطل فتصدّقوا به، و الذي نفسي بيده لو أنّ موسى كان حيّاً ما وسعه إلاّ أن يتّبعني». و في رواية أخرى: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء...»[1].

* * *

تلك مناهي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الصريحة في المنع عن مراجعة أهل الكتاب إطلاقاً، لا في كبير و لا صغير، فهل يا ترى أحداً من صحابته الأخيار خالف أوامره وراجعهم في شيء من مسائل الدين و القرآن؟! كما حسبه الأُستاذ أحمد أمين، زعم أن العمل كان على ذلك، و أنهم كانوا يصدّقون أهل الكتاب و ينقلون عنهم![2]

و أمّا الذي استشهدوا به على مراجعة مثل ابن عباس لليهود، فكلّه باطل و زور، لم يثبت منه شيء.

أمّا الذي جاء به الأستاذ مثلاً من قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللّهُ**

١. فتح الباري، ج١٣، ص٢٨٤.

٢. نقلنا كلامه آنفا. راجع: فجر الإسلام، ص٢٠١.

في ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾[١] قال: فاقرأ ما حكاه الطبري و غيره عند تفسير الآية.

فقد راجعنا تفسير الطبري و الدر المنثور و ابن كثير و غيرها من أُمهات كتب التفسير بالنقل المأثور[٢]، فلم نجد فيها ذكراً لكعب و لا مسائلته من قبل أحد من الأصحاب، أو غيرهم من التابعين أيضاً. و لم ندر مِن أين أخذ الأستاذ هذا المثال، و من الذي عرّفه ذلك، فأوقعه في هذا الوهم الفاضح.

و أمّا قوله: كان ابن عباس يجالس كعب الأحبار، و كان أكثر من نَشَرِ عِلْمَه...[٣]، فكلام أشدّ وهماً و أكثر جفاءً على مثل ابن عباس الصحابي الجليل؛ إذ لم نجد و لا رواية واحدة تتضمّن نقلاً لابن عبّاس عن أحد من اليهود، فضلاً عن مثل كعب الأحبار الساقط الشخصيّة[٤].

نعم أشار المستشرق جولد تسيهر إلى موارد، زعم فيها مراجعة ابن عباس لأهل الكتاب، و لعلها كانت مستند الأستاذ أحمد أمين تقليداً من غير تحقيق. و لكنا راجعنا تلك الموارد، فلم نجدها شيئاً، كسراب بِقيعة يحسبه الظمآن ماءً.

منها: أن ابن عباس سأل كعب الأحبار عن تفسير تعبيرين قرآنيين: أُمّ الكتاب، و المرجان[٥].

روى الطبري بإسناده إلى عبد اللّه بن ميسرة الحرّاني: أنّ شيخاً بمكّة من أهل

---

١. البقرة/ ٢١٠.

٢. جامع البيان للطبري، ج٢، ص ١٩٠ ـ ١٩٢. و الدر المنثور للسيوطي، ج١، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢. و تفسير ابن كثير، ج١، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٩.

٣. فجر الإسلام، ص ١٦٠.

٤. سوف ننبّه أنّ كعب الأحبار كان من صنايع معاوية، صنعه لنفسه لغرض الحطّ من كرامة الإسلام.

٥. مذاهب التفسير الإسلامي، ص٨٨.

الشام سمع كعب الأحبار يُسأَل عن المرجان (الرحمان/ ٢٢) فقال: هو البسذ[١].

لكن من أين علم جولد تسيهر أن الذي سأل كعباً هو شيخ مكة و زعيمها ابن عباس؟!

* * *

و كذا رُوي عن معتمر بن سليمان عن أبيه عن شيبان، أنّ ابن عباس سأل كعباً عن أُمّ الكتاب (الرعد/ ٣٩) فقال: عَلِمَ اللّهُ ما هو خالقٌ و ما خلقه عاملون، فقال لعلمه: كن كتاباً، فكان كتاباً[٢].

غير أنّ شيبان هذا ـ هو ابن عبد الرحمان التميمي مولاهم، النحوي أبومعاوية البصري المؤدِّب، سكن الكوفة ثم انتقل إلى بغداد ـ مات في خلافة المهدي سنة(١٦٤) و كان من الطبقة السابعة[٣]، و عليه فلم يدرك ابن عباس المتوفًى سنة (٦٨) و لا كعب الأحبار الذي هلك في خلافة عثمان سنة (٣٢). فالرواية مرسلة لم يعرف الواسطة، فكانت ساقطة عن الاعتبار.

* * *

و أيضاً رُوي عن إسحاق بن عبد اللّه بن الحرث عن أبيه، أن ابن عباس سأل كعباً عن قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لاٰ يَفْتُرُونَ﴾ و ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهٰارِ وَ هُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾[٤] فقال: هل يؤودك طَرفُك؟ هل يؤودك نَفَسُك؟ قال: لا، قال: فإنهم أُلهموا التسبيح، كما أُلهمتم الطَرْف و النَفَس[٥].

---

١. تفسير الطبري، ج٢٧، ص٧٦.

٢. المصدر نفسه، ج٣، ص١١٥.

٣. تهذيب التهذيب، ج٤، ص٣٧٣ ـ ٣٧٤. و تقريب التهذيب أيضاً له، ج١، ص٣٥٦، رقم١١٥.

٤. الأنبياء/ ٢٠، فصّلت/ ٣٨.

٥. تفسير الطبري، ج١٧، ص١٠.

و عبد اللّه هذا هو ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ولد على عهد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة و أصبح من فقهائها، و تحوّل إلى البصرة و رضيته العامة، و اصطلحوا عليه حين هلك يزيد بن معاوية. تُوفّي سنة(٨٤) بالأبْواء و دفن بها، و كان خرج إليها هارباً من الحجاج[١].

غير أنّ الطبري روى بإسناده إلى حسّان بن مخارق عن عبد اللّه بن الحرث، أنه هو الذي سأل كعباً عن ذلك، قال: قلت لكعب الأحبار: **﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ...﴾** أما يُشغلهم رسالة أو عمل؟ قال: يا ابن أخي، إنهم جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النَفَس، ألست تأكل و تشرب و تقوم و تقعد و تجيء و تذهب و أنت تتنفّس؟ قلت: بلى! قال: فكذلك جعل لهم التسبيح[٢].

قلت: ياترى، هل كان هو الذي سأل كعباً أو أنه سمع ابن عباس يسأل كعباً؟ في حين أنه لايقول: سمعت ابن عباس يسأله، بل مجرد أنّ ابن عباس سأله، الأمر الذي لا يوثق بكون الرواية منتهيه إلى سماع، و الظاهر أنه إرسال.

على أنه من المحتمل القريب أن السائل هو بالذات، لكنّ ابنه إسحاق كره نسبة السؤال من مثل كعب إلى أبيه، فذكر الحديث عن أبيه مع إقحام واسطةٍ إرسالاً من غير إسناد. و يؤيد ذلك أنّه لم تأت رواية غير هذه تنسب إلى ابن عباس أنه سأل مثل كعب، فالأرجح في النظر أنه مفتعل عليه لا محالة.

* * *

و استند جولد تسيهر ـ في مراجعة ابن عباس لأهل الكتاب ـ أيضاً إلى ما رواه الطبري بإسناده إلى أبي جهضم موسى بن سالم مولى ابن عباس، قال: كتب ابن

---

١. تهذيب التهذيب، ج٥، ص١٨٠ ـ ١٨١.

٢. تفسير الطبري، ج١٧، ص١٠.

عباس إلى أبي جلد (غيلان بن فروة الأزدي، كان قرأ الكتب، و كان يختم القرآن كل سبعة أيام و يختم التوراة كل ثمانية أَيام)[١] يسأله عن «البرق» في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً﴾ فقال: البرق: الماء[٢].

لكن في طبقات ابن سعد[٣] أن أبا الجلد الجَوْني ـ حيّ من الأزد ـ اسمه جيلان بن فروة، كان يقرأ الكتب. و زعمت ابنته ميمونة: أنّ أباها كان يقرأ القرآن في كل سبعة أيّام، و يختم التوراة في ستّةٍ، يقرأها نظراً، فإذا كان يوم يختمها حُشد لذلك ناس.

لا شك أنها مغالاة من ابنته. يقول جولد تسيهر: و لا يتّضح حقّا من هذا الخبر الغامض، الذي زادته مغالاةُ ابنته غموضاً، أيّ نسخة من التوراة كان يستخدمها في دراسته.[٤]

لأن التوراة المعهودة اليوم و هي تشتمل على (٣٩) كتاباً تكون في حجم كبير، ثم هي قصة حياة إسرائيل طول عشرين قرناً، و فيها تاريخ حياة أنبياء بني إسرائيل و ملوكهم و رحلاتهم و حروبهم طول التاريخ، و هي بكتب التاريخ أشبه منها بكتب الوحي. فهل كان يقرأ ذلك كله في ستة أيّام؟ و ما هي الفائدة في ذلك التكرار؟!

على أنّ راوي الخبر ـ و هو موسى بن سالم أبو جهضم ـ لم يلق ابن عباس ولا أدركه؛ لأنّه مولى آل العباس، و ليس مولىً لابن عباس. ففي نسخة الطبري

---

١. مذاهب التفسير الإسلامي، ص٨٥.

٢. تفسير الطبري، ج١٣، ص٨٢، الرعد/ ١٢.

٣. ج٧، ق١، ص١٦١، س١٥.

٤. مذاهب التفسير الإسلامي، ص٨٦.

المطبوعة خطأً قطعاً. قال ابن حجر: موسى بن سالم أبوجهضم مولى آل العباس، أرسل عن ابن عباس. و هو من رواة الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام[١]. وفي الخلاصة: موسى بن سالم مولى العباسيين أبوجهضم عن أبي جعفر الباقر، و عنه الحمّادان[٢]. والإمام الباقر تُوفّي سنة (١١٤).

و أخيراً، فإنّ الموارد التي ذكروا مراجعة ابن عباس فيها لأهل الكتاب لا تعدو معاني لغوية بحتة، لا تمسّ قضايا سالفة عن أمم خلت كما زعموا، و لا سيّما السؤال عن «البرق»، و هو لفظ عربي خالص، لا موجب للرجوع فيه إلى رجال أجانب عن اللّغة. كيف يا ترى يرجع مثل ابن عباس ـ و هو عربي صميم وعارف بمواضع لغته أكثر من غيره ـ إلى اليهود الأجانب؟! و هل يخفى على مثله ما للفظ البرق من مفهوم؟ ثم كيف اقتنع بتفسيره بالماء؟ اللهم إن هذا إلاّ اختلاق!

الأمر الذي يقضي بالعجب، كيف يحكم هذا العلاّمة المستشرق حكمه البات، بأنّ كثيراً مّا ذُكر أنه كان يرجع ـ كتابةً ـ في تفسير معاني الألفاظ إلى من يُدعى أبا الجلد؟![٣] و يجعل مستنده هذه المراجعة المفتعلة قطعاً، إذ كيف يُعقل أن يراجع، مثله في مثل هذه المعاني؟!

* * *

و أسخف من الجميع تبرير ما نسب إلى ابن عباس من أقاصيص أسطورية جاءت عنه، بأنه من جرّاء رجوعه إلى أهل الكتاب في هكذا أمور بعيدة عن صميم الدين. قال الأستاذ أمين: و هذا يعلّل ما في تفسيره من إسرائيليات. قال

---

١. تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٣٤٤.
٢. خلاصة التهذيب، ص ٣٩٠.
٣. مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨٥.

ذلك بعد قوله: و كان ابن عباس و أبو هريرة أكبر مَنْ نَشَرَ علم كعب الأحبار[١].

و قال الدكتور مصطفى الصاوي: و كثيراً ما ترد عن ابن عباس روايات في بدء الخليقة و قصص القرآن، مما لا يمكن أن يكون قد رجع فيها إلاّ إلى أهل الكتاب؛ حيث يرد هذا القَصَص مفصلاً، مثال هذا تفسيره للآية: **﴿قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَ يَسْفِكُ الدِّماءَ﴾**[٢] قال: لكنه حين يرجع إليهم مستفسراً، فإنما يرجع رجوع العالم الذي يعير سمعه لما يقال، ثم يعمل فكره و عقله فيما يسمع، ثم ينخله مُبعداً عنه الزيف[٣].

قلت: إن كانت فيما رُوي عنه في ذلك و أمثاله غرابةٌ أو غضاضةٌ، فإنّ العتب إنما يرجع إلى الذي نسبه إلى ابن عباس، ترويجاً لأكذوبته، و لا لوم على ابن عباس في كثرة الوضع عليه. نعم و لعل هذه الكثرة في الوضع عليه آية على تقدير له و إكبار من الوُضّاع، لكنه في نفس الوقت، رغبة منهم في أن تنفق بضاعتهم، موسومةً بمن في اسمه الرواج العلمي. و قد اعترف بذلك الدكتور الصاوي[٤]، فلماذا حكم عليه ذلك الحكم القاسي؟!

* * *

فالصحيح: أن ابن عباس كان في غنى عن مراجعة أهل الكتاب، و عنده الرصيد الأوفى بالعلوم و المعارف و التاريخ و اللغة، و لا سيّما في مثل تلكم الأساطير السخيفة التي كانت كل ما يملكه اليهود من بضاعة مزجاة كاسدة، بل إن

---

١. فجر الاسلام، ص١٦٠.

٢. البقرة/ ٣٠، راجع: الطبري، ج١، ص١٥٨.

٣. مناهج في التفسير، ص٣٨.

٤. مناهج في التفسير، ص٤١.

موقف ابن عباس من أهل الكتاب عموماً، و من كعب الأحبار خصوصاً، ما يصوّره معتزاً بدينه كريماً على نفسه و ثقافته.

يُروى أنّ رجلاً أتى ابن عباس يبلغه زعم كعب الأحبار: أنه يُجاء بالشمس و القمر يوم القيامة كأنّهما ثوران عقيران فيُقذفان في النار! فغضب ابن عباس و قال: كذب كعب الأحبار، كذب كعب الأحبار، كذب كعب الأحبار، بل هذه يهوديّة يريد إدخالها في الإسلام[1].

يقال: لما بلغ ذلك كعباً، اعتذر له بعدُ و تعلّل[2].

و ربما كان كعب يجالس ابن عباس يحاول مراودته العلم فيما زعم، فكان ابن عباس يجابهه بما يحطّ من قيمته. روي أنه ذكر الظلم في مجلس ابن عباس، فقال كعب: إني لا أجد في كتاب اللّه المنزل (يريد التوراة)[3] أن الظلم يخرّب الديار، فقال ابن عباس: أنا أوجدكه في القرآن، قال اللّه عزّ و جلّ: **﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خٰاوِيَةً بِمٰا ظَلَمُوا﴾**[4].

هذه حقيقة موقف ابن عباس من اليهود كما ترى، و هو إذ كان يدعو إلى تجنّب الرجوع إلى أهل الكتاب، لما يدخل بسبب ذلك من فساد على العقول و تشويه على العامة، فكيف يا تُرى أنه كان يرجع إليهم رغم نهيه و تحذيره! و هل لا طَرَق سمعه، و هو الحافظ لكلام اللّه **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مٰا لاٰ**

---

١. العرائس للثعالبي، ص١٨. (مناهج في التفسير، ص٢٩).

٢. المصدر نفسه، ص٢٤.

٣. حسب التصريح به في الرواية: كتاب اللّه المنزل، يعني التوراة (راجع: ابن قتيبة في عيون الأخبار، ج١، ص١٤٦، س١٣).

٤. عيون الأخبار لابن قتيبة، ج١، ص٢٦ (مناهج، ص٣٩)، النمل/ ٥٢.

﴿تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ﴾[١]، فحاشا ابن عباس أن يُراجع أهل الكتاب، و حاشاه حاشاه!!

استعمال الرأي و الاجتهاد

و هل استعمل ابن عباس رأيه في تفسير القرآن؟

إذا كان المراد من الرأي، ما انتجه الفكر و الاجتهاد بعد تمام مقدماته المعروفة، فأمر طبيعي لا بدّ منه، و لا يستطيع أحدٌ محايدته، إنما هو شيء كان عليه الأصحاب و العلماء من التابعين لهم بإحسان.

كان ابن عباس كغيره من الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير، يرجعون في فهم معاني القرآن إلى القرآن ذاته أولاً، و إلى ما وعوه من أحاديث الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و أقواله في بيان معاني القرآن، ثم إلى ما يفتح اللّه به عليهم من طريق النظر و الاجتهاد، مع الاستعانة في ذلك بمعرفة أسباب النزول، و الظروف و الملابسات التي نزل فيها القرآن، بالإضافة إلى توسّعهم في المعارف، و لا سيّما مثل ابن عباس، كان متوسعاً في علومه فيما يتعلق بمواقع النزول و أنحائه، و معرفته بالأحكام و التاريخ و الجغرافية، حسبما مرّ عليك.

فالرأي المستند إلى مثل هذه المقدمات المعروفة المتناسبة بعضها مع البعض، رأي ممدوح و أمر طبيعي، ليس يُنكر ألبتة.

* * *

هذا هو المنهج الذي سار عليه ابن عباس في التفسير، لم يحد عن مناهج سائر الصحابة النبهاء. و قد ساهمت ثقافته العميقة في كثير من جوانب المعرفة، على أن يتألّق في منهجه، كما ساعده على ذلك ـ إضافة على ما ذكرنا ـ تبحّره في

---

١. الصف/ ٣و٢.

معرفة مواقع النزول، و استيعابه للمحكم و المتشابه، و القراءة و الأحكام و التاريخ و الجغرافية، فضلا عن اللغة و الأدب الرفيع.

و هكذا كان ابن عباس بمعارفه الوسيعة يهتمّ بتعرّف كل شيء في القرآن، حتى ليقول: إني لآتي على آية من كتاب اللّه تعالى، فوددتُ أنّ المسلمين كلّهم يعلمون منها مثل ما أعلم[١]. و يقول مصوّراً مدى اقتداره على استنباط معاني القرآن: لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب اللّه تعالى[٢]. قال الجُوَيني: و ما كان له أن يقول ذلك لولا أخْذُه من كل ثقافة بطرف، و تسخيرها جميعاً لخدمة تفسير القرآن[٣].

و لهذا ظلّ ابن عباس دوماً موضع الاعتبار و التقدير من الصحابة الأوّلين و من معاصريه من التابعين، و ممن لحقه بعدُ، منذ عهد التدوين و لايزال. فما أكثر ما يدور اسمه في كتب التفسير على اختلاف مناهجها و منازعها السياسية و المذهبية حتى الآن، فرحمه اللّه من مفسّر لكلامه البليغ الوجيز.

الطرق إليه في التفسير

ذكر السيوطي تسعة طرق إلى ابن عباس في التفسير[٤]، وصف بعضها بالجودة و بعضها بالوهن حسبما يلي:

أوّلها ـ و هو من جيّدها ـ: طريق معاوية بن صالح عن عليّ بن أبي طلحة الهاشمي عن ابن عباس. قال أحمد بن حنبل: بمصر صحيفة في التفسير، رواها

---

١. الإصابة لابن حجر، ج ٢، ص ٣٣٤.

٢. الإتقان، ج ٣، ص ٢٦ عن تفسير ابن أبي الفضل المرسي.

٣. مناهج في التفسير، ص ٤٠ ـ ٤١.

٤. راجع: الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩.

عليّ بن أبي طلحة. و لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً، ما كان كثيراً. قال ابن حجر: و هذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث، رواها معاوية بن صالح عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس. و هي عند البخاري عن أبي صالح، و قد اعتمد عليها في صحيحه كثيراً فيما يعلّقه عن ابن عباس. و أخرج منها ابن جرير الطبري، و ابن أبي حاتم، و ابن المنذر كثيراً، بوسائط بينهم و بين أبيصالح.

* * *

و قد غمز بعضهم في هذا الطريق؛ حيث إن ابن أبي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس. قال ابن حبّان: روى عن ابن عباس و لم يره، و مع ذلك عدّه في الثقات[1]. قالوا: و إنما أخذ التفسير عن مجاهد أو سعيد بن جبير، و أسنده إلى ابن عباس رأساً، و ذلك أنه تُوفّي سنة (١٤٣). و قد تُوفّي ابن عباس سنة (٦٨)، و ما بين الوفاتين (٧٥) سنة، الأمر الذي يمتنع معه الرواية عن ابن عباس مباشرةً. قال الخليلي: و أجمع الحفّاظ على أن ابن أبي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس.[2]

و حاول بعضهم رميه بالضعف و سوء الرأي و الخروج بالسيف أيضاً. قال يعقوب بن سفيان: ليس محمود المذهب.

قال ابن حجر ـ بصدد ردّ الاعتراض ـ: أمّا إسقاط الواسطة فلا ضير فيه بعد أن عرفنا الواسطة و هو ثقة[3]، لا سيّما و قد روى عنه الثقات. قال صالح بن محمد: روى عنه الكوفيّون و الشاميّون ـ لأنه انتقل إلى حمص ـ، قال ابن حجر: و نقل

---

١. تهذيب التهذيب، ج٧، ص ٣٤٠.

٢. الإتقان، ج ٤، ص٢٠٧.

٣. المصدر نفسه.

البخاري من تفسيره رواية معاوية بن صالح عنه عن ابن عباس شيئاً كثيراً.

قال: و قد وقفت على السبب الذي رمى به الرأي بالسيف؛ و ذلك فيما ذكره أبو زرعة الدمشقي عن عليّ بن عياش الحمصي، قال: لقي العلاء بن عتبة الحمصي عليّ بن أبي طلحة تحت القبّة، فقال (عليٌّ لعلاء): يا أبا محمد، تُؤْخَذ قبيلةٌ من قبائل المسلمين فيقتل الرجل و المرأة و الصبيّ، لا يقول أحد: أللّه، أللّه! و اللّه لئن كانت بنو أُميّة أذنبت، لقد أذنبَ بذنبها أهل المشرق و المغرب! (يشير بذلك إلى استباحة دماء بني أُميّة من قبل بني العباس يومذاك و أنّهم يستحقون ذلك، فطائفة منهم بارتكاب جرائم، و طائفة أُخرى بالسكوت عما يفعله إخوانهم). ثم قال عليّ بن أبي طلحة: يا عاجز ـ خطاباً مع العلاء؛ لأنه كان من أشياع بني أُميّة[١] ـ أو ذَنْبٌ على أهل بيت النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم (يريد بهم بني العباس) أن أخذوا قوماً بجرائرهم و عفوا عن آخرين؟!

فقال له العلاء: و إنه لرأيك؟ قال: نعم. فقال له العلاء: لا كلّمتك من فمي بكلمة أبداً. إنما أحببنا آل محمد بحبّه، فإذا خالفوا سيرته و عملوا بخلاف سنّته، فهم أبغض الناس إلينا[٢].

إذن فلا مغمز فيما يرويه ابن أبي طلحة من تفسير يسنده إلى ابن عباس، كما

---

١. قال الذهبي: كان فيه لينٌ. أخذ عن خالد بن مَعْدان و عمير بن هانئ (ميزان الاعتدال، ج٣، ص١٠٣). و قد تركه ابن حجر. أما عمير بن هانئ فكان ممن ولاّه الحجاج قضاء الكوفة، و كان يرى البيعة ليزيد بن الوليد هجرة ثانية بعد الهجرة إلى اللّه و رسوله (الميزان، ج٢، ص٢٩٧). و أمّا خالد بن معدان فكان من فقهاء الشام و كان يروي عن معاوية بن أبي سفيان (تهذيب التهذيب، ج٣، ص١١٨)، و قد حيكت حوله خرافات و أوهام، و أنه كان أصبعه يتحرك بالتسبيح حين وُضع على المغتَسل! (الخلاصة لصفي الدين الخزرجي، ص١٠٣).

٢. تهذيب التهذيب، ج٧، ص٣٤٠.

لا ضعف في الإسناد.

قال الخليلي ـ في الإرشاد ـ: تفسير معاوية بن صالح قاضي الأندلس عن عليّ ابن أبي طلحة عن ابن عباس، رواه الكبار عن أبي صالح كاتب الليث، عن معاوية[١].

قلت: سبب الغمز فيه أنه كان متأثراً بمدرسة ابن عباس ـ و هو في حمص من بلاد الشام في تلك الأوساط المتأثّرة بنفثات آل أُميّة المعادية للإسلام ـ فكان يحمل ولاء آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و يعادي أعداءهم، في أوساط ما كانت تتحمله ذلك العهد، و من ثمّ ألصقت به تهماً هو منها براء.

* * *

الثاني ـ أيضاً من جيّد الطرق ـ: طريق قيس بن الربيع أبي محمد الأسدي الكوفي. تُوفّي سنة (١٦٨) عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

قال جلال الدين: هذه طريق صحيحة على شرط الشيخين. و كثيراً مّا يخرّج منها الفريابي و الحاكم في مستدركه[٢].

و ذكر ابن حجر عن أحمد بن حنبل أن قيساً هذا كان يتشيّع. و لكن قال ابن أبي شيبة: هو عند جميع أصحابنا صدوق و كتابه صالح[٣].

و أمّا عطاء بن السائب فكان ممن أخلص الولاء لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفقاً لتعاليم أشياخه سعيد و ابن عباس و غيرهما، و له حديث مع الإمام عليّ بن

---

١. الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٧.

٢. الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٨.

٣. تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٣٩٤.

الحسين زين العابدين عليه السلام ينبؤك عن مدى قربه لحضرته السنيّة[١].

* * *

الثالث ـ كذلك جيّد الطريق ـ: طريق محمد بن إسحاق صاحب السير والمغازي عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد ـ هكذا بالترديد ـ عن ابن عباس.

و ابن إسحاق معروف بتشيّعه. كما ذكره ابن حجر في التقريب، و شيخنا الشهيد الثاني في تعليقته على خلاصة الرجال[٢]. قال صاحب الكشف: هو أوّل من صنّف في علم السير، و هو رئيس أهل المغازي[٣].

قال السيوطي: و هذه طريق جيّدة و إسنادها حسن. و قد أخرج منها ابن جرير و ابن أبي‌حاتم كثيراً. و في معجم الطبراني منها أشياء.[٤]

* * *

الرابع ـ و هو طريق حسن لا بأس به ـ: طريق إسماعيل بن عبد الرحمان أبومحمد القرشي الكوفي السُدّي الكبير، عن أبي مالك و أبي صالح، عن ابن عباس. و كذلك عن مرّة بن شراحيل الهمداني عن ابن مسعود، و ناس من الصحابة.

قال جلال الدين: و هذا التفسير يُورد منه ابن جرير كثيراً، و كذا الحاكم في مستدركه يخرّج منه أشياء، و يصحّحه، لكن من طريق مرّة عن ابن مسعود، دون

---

١. معجم رجال الحديث للإمام الخوئي، ج ١١، ص ١٤٥، رقم ٧٦٨٨.

٢. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد الصدر، ص ٢٣٣ و راجع: التقريب، ج ٢، ص ١٤٤، رقم ٤٠.

٣. كشف الظنون، ج ٢، ص ١٠١٢.

٤. الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٩.

الطريق الأول.

و يرى صاحب التراث: أنه من الممكن جمع نصوص هذا التفسير، و إعادة تكوينه من جديد[١].

و قال الخليلي ـ في الإرشاد ـ: و تفسير السُدّي يورده بأسانيد إلى ابن مسعود و ابن عباس، و روى عن السدّي الأئمّة مثل الثوري و شعبة. لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر، و أسباط لم يتفقوا عليه. قال: غير أنّ أمثل التفاسير تفسير السدّي[٢].

كان إسماعيل بن عبد الرحمان السُدّي[٣] من الأئمّة الكوفيين، و كان شديد التشيّع هو و الكلبي. و مع ذلك فقد وثّقه القوم، و أخرج مسلم عنه أحاديث؛ لأنه كان يرجّح تعديله على تجريحه.[٤] فقد ذكره ابن حبّان في الثقات، و قال ابن عديّ: له أحاديث يرويها عن عدّة شيوخ، و هو عندي مستقيم الحديث صدوق لا بأس به[٥].

و عدّه الشيخ أبوجعفر الطوسي من أصحاب الأئمّة: عليّ بن الحسين زين العابدين، و محمد بن علي الباقر، و جعفر بن محمد الصادق عليهم السلام. قال: إسماعيل ابن عبد الرحمان السُدّي أبو محمد المفسّر الكوفي[٦].

قال المولى الوحيد ـ في التعليقة ـ: وَصفُه بالمفسر مدحٌ. قال المامقاني:

---

١. تاريخ التراث العربي، ج ١، ص ١٩١ ـ ١٩٢. معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٥.

٢. الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٨.

٣. كان يقعد في سُدّة باب الجامع في الكوفة فسمّي بذلك. تُوفّي سنة ١٢٧.

٤. قيل كان يتناول الشيخين. تهذيب التهذيب، ج ١. ص ٣١٤.

٥. تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ١، ص ٣١٤.

٦. رجال الطوسي، ص ٨٢، رقم ٥، و ص ١٠٥، رقم ١٩، و ص ١٤٨، رقم ١٠٥.

والمتحصل من مجموع ما ذكر بشأنه كون الرجل من الحسان[١]، و قد اعتمده الشيخ في تفسيره (التبيان) كثيراً.

و هكذا عدّه ابن شهر آشوب من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام[٢].

و هو الذي روى قصة الأخنس بن زيد، الذي كان قد وطأ جسم الحسين عليه السلام و فعل ما فعل، فابتلي في تلك الليلة بحريق أصابه من فتيلة السراج، فلم تزل به النار، حتى صار فحماً على وجه الماء[٣].

* * *

الخامس ـ و هو أيضا حسن ـ: طريق عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيج، أبوخالد المكّي من أصل رومي، أحد الأعلام الثقات، فقيه أهل مكة في زمانه[٤].

قال ابن خلّكان: كان عبد الملك أحد العلماء المشهورين، و يقال: إنه أول من صنّف الكتب في الإسلام. كانت ولادته سنة(٨٠) و تُوفّي سنة (١٥٠). قال: و جريج، بضم الجيم و فتح الراء و سكون الياء و بعدها جيم ثانية[٥].

قال الخطيب: و سمع الكثير من عطاء بن أبي رباح و غيره. و عن أحمد بن حنبل، قال: قدم ابن جُرَيج بغداد على أبي جعفر المنصور، و كان صار عليه دَين. فقال: جمعت حديث ابن عباس ما لم يجمعه أحد. فلم يُعطه شيئاً.

و عن عليّ بن المديني: نظرت فإذا الإسناد يدور على ستّة ـ فذكرهم ـ قال: ثم صار علم هؤلاء الستة إلى أصحاب الأصناف، ممّن يصنّف العلم، منهم من أهل

---

١. تنقيح المقال، ج ١، ص ١٣٧، رقم ٨٦١.

٢. المناقب، ج ٤، ص ١٧٧.

٣. بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢.

٤. ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٢، ص ٦٥٩ رقم ٥٢٢٧.

٥. وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٦٣، رقم ٣٧٥.

مكة عبد الملك بن عبد العزيز (ابن جُرَيج). و كان قد تعلم على يد عطاء بن أبي رباح، و لزمه سبع عشرة سنة. و سئل عطاء: من نسأل بعدك؟ فقال: هذا الفتى، يعني ابن جُرَيج، و كان يصفه بأنه سيّد أهل الحجاز.

و عن أحمد بن حنبل: كان ابن جُرَيج من أوعية العلم. و قال ابن معين: أصحاب الحديث خمسة، و عدّ منهم ابن جُرَيج. و قال يحيى بن سعيد القطّان: كتب ابن جُرَيج كتب الأمانة، و إذا لم يحدثك عن كتابه لم يُنْتفع به.

قال أحمد: إذا قال ابن جُرَيج: أخبرني و سمعت، فحسبك به. قال: الذي يحدّث من كتاب أصحّ، و كان في بعض حفظه ـ إذا حدّث حفظاً ـ سيّءٌ. قال ابن معين: ابن جُرَيج ثقة في كل ما رُويَ عنه من الكتاب.

كان ابن جُرَيج و مالك بن أنس (إمام المالكية) قد أخذا الفقه من نافع. ولكن ابن جُرَيج كان مفضَّلاً على مالك. فعن أحمد بن زهير، قال: رأيت فيكتاب ابن المديني: سألت يحيى بن سعيد، من أثبت أصحاب نافع؟ قال: أيّوب، و عبيد اللّه، و مالك بن أنس. و ابن جُرَيج أثبت من مالك في نافع. قلت: و من ثم كان مالك ينافسه في هذه الفضيلة، و ربما كان يرميه بالخلط. قال المخارقي: سمعت مالك ابن أنس يقول: كان ابن جُرَيج حاطب ليل.

و إذا كان مقدَّماً في الفقه عن نافع، فهو مقدّم في التفسير عن عطاء بن أبي رباح. فقد حدّث صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه، قال: عمرو بن دينار و ابن جُرَيج أثبت الناس في عطاء.[1]

و ذكره ابن حبّان في الثقات، و قال: كان من فقهاء أهل الحجاز و قرّائهم

---

١. تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٤٠٠ـ ٤٠٧.

و مُتقِنيهم. و أضاف: و كان يدلّس[١]، لكن بِمَ كان تدليسه؟

روى البخاري في تفسير (سورة نوح) حديثين أخرجهما عن طريق ابن جُرَيج، قال: قال عطاء عن ابن عباس. فزعم أبو مسعود ـ في الأطراف ـ أنّ هذا هو عطاء الخراساني البلخي نزيل الشام. و عطاء هذا لم يسمع من ابن عباس، و ابن جُرَيج لم يسمع التفسير من عطاء هذا. قال ابن حجر: فيكون الحديثان منقطعَين في موضعَين.[٢] و من ثم رموه بأنه كان يدلّس!

و قد ردّ ابن حجر على هذا الوهم بما يبرّئ ساحة ابن جُرَيج من هذه التهمة، فراجع.

و أما حديثه عن ابن عباس فلا ضير فيه بعد أن كان الواسطة ـ و هو ثقة ـ معلوماً، ألا و هو عطاء بن أبي رباح تلميذ ابن عباس. و قد لازمه ابن جُرَيج سبعة عشر عاماً يتلقّى منه العلم.

* * *

إذن فقد صحّ ما ذكره ابن حبّان بشأن ابن جُرَيج أوّلاً من كونه ثقةً ثبتاً متقناً، و أن لا منشأ للغمز فيه، و بذلك نرى أنه كان موضع اعتماد الأئمّة من أهل البيت أيضاً. على ما رواه ثقة الإسلام الكليني بإسناده الصحيح عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي، قال: سألت أبا عبد اللّه الصادق عليه السلام عن المتعة، فقال: إلق عبد الملك بن جُرَيج فسله عنها، فإنّ عنده منها علماً. فأتيته فأملى عليَّ منها شيئاً كثيراً في استحلالها فكتبته، و أتيت بالكتاب أبا عبد اللّه عليه السلام فعرضت عليه. فقال: صدق،

---

١. تهذيب التهذيب، ج٦، ص٤٠٦.

٢. المصدر نفسه، ج٧، ص٢١٣ ـ ٢١٤.

و أقرّ به(١).

و قد استظهر المولى الوحيد البهبهاني من ذلك كون جُرَيج موضع ثقة الإمام عليه السلام، و ممن يرى رأي الشيعة في فقه الشريعة، و لا سيّما ما ذكره ابن أُذينة ـ الراوي عن الهاشمي ـ في ذيل الحديث: و كان زرارة بن أعين يقول هذا و حلف أنه الحق. فهذا من المقارنة الظاهرة بين موضع الرجلين (ابن جُرَيج و زرارة) في المسألة(٢).

و هكذا استظهر تشيّعه منها كلٌّ من المولى محمد تقي المجلسي الأول، و الشيخ يوسف البحراني، على ما جاء في كلام الحائري(٣).

و أيضاً روى الشيخ أبوجعفر الطوسي بإسناده إلى الحسن بن زيد، قال: كنت عند الإمام أبي عبد اللّه عليه السلام إذ دخل عليه عبد الملك ابن جُرَيج المكّي، فقال له أبو عبد اللّه: ما عندك في المتعة؟ قال: حدّثني أبوك محمد بن علي عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري، أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم خطب الناس، فقال: أيّها الناس، إنّ اللّه أحلّ لكم الفروج على ثلاثة معان: فرج مورّث و هو البتات، و فرج غير مورّث و هو المتعة، و ملك أيمانكم(٤).

و في سؤال الإمام منه عما لديه في المتعة، دلالة على عنايته به و لطف سابق. كما في الإجابة بأنه حديث أبيك ظرافة و طرافة. أما الرواية عن جابر فلعلّه تغطية لما عسى القوم ينكرون كيف الرواية عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم و لم يدركه! كما فعله

---

١. الكافي الشريف، ج٥، ص٤٥١، رقم٦. و راجع: الوسائل، ج١٨، ص١٠٠، رقم٥.

٢. راجع: التعليقة (هامش رجال الاسترابادي)، ص٢١٥.

٣. راجع: تنقيح المقال للمامقاني، ج٢، ص٢٢٩.

٤. تهذيب الأحكام، ج٧، ص٢٤١، رقم ١٠٥١/ ٣، باب٢٣. و راجع: الوافي، ج١٢، ج٣، ب٥٢، من النكاح، ص٥٢.

الإمام الباقر عليه السلام عند ما واجه إنكار القوم.

و مسألة استحلال المتعة كانت حينذاك من اختصاص خلّص الصحابة والتابعين ممن يميلون إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام أمثال ابن مسعود و أُبيّ بن كعب و ابن عباس و جابر بن عبد اللّه و أضرابهم، فلا غرو أن ينخرط مثل ابن جُرَيج في تلك الزمرة الفائزة، الأمر الذي دعا بابن جُرَيج أن يكافح القوم رأياً و عملاً أيضاً. فقد ذكر ابن حجر عن الشافعي، قال: استمتع ابن جُرَيج بسبعين امرأة، مع أنه كان من العبّاد، و كان يصوم الدهر إلاّ ثلاثة أيام من الشهر[١].

هذا و قد وقع في إسناد الصدوق من كتابه «مَن لا يحضره الفقيه»: ابن جُرَيج عن الضحّاك عن ابن عباس، في قضية الناقة التي اشتراها النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم من الأعرابي أربعمائة درهم، فقبضها الأعرابي و لم يسلّم الناقة إلى النبي، و أنكر البيع رأساً، حتى جاء علي عليه السلام فقضى قضاءه المبرم.[٢] و ظاهر الصدوق اعتماده. و قد عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[٣].

نعم ذكر أبو عمرو الكشّي: أن محمد بن إسحاق، و محمد بن المنكدر، و عمرو بن خالد الواسطي، و عبد الملك بن جُرَيج، و الحسين بن علوان الكلبي، هؤلاء من رجال العامّة، إلاّ أنّ لهم ميلاً و محبّة شديدة[٤] بالنسبة لآل البيت عليهم السلام.

قال المامقاني: لايبعد أن يكون بناء الكشّي ـ على كونه عاميّا ـ ناشئاً من شدّة تقيّته، فإن مثل ذلك كثير في رجال الشيعة[٥].

---

١. تهذيب التهذيب، ج٦، ص٤٠٦.
٢. من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص ٦١، رقم٢.
٣. رجال الطوسي، ص٢٣٣، رقم ١٦٢.
٤. رجال الكشّي (ط نجف) ص٣٣٣، رقم٢٤٨ ـ ٢٥٢.
٥. تنقيح المقال، ج٢ (ط ١)، ص٢٢٩، رقم٧٤٩٣.

السادس ـ حسن أيضاً ـ: طريق الضحّاك بن مزاحم الهلالي الخراساني. قال ابن شهر آشوب: أصله من الكوفة، و كان من أصحاب السجّاد.[١] و قال ابن قتيبة: هو من بني عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، و كان معلّماً، أتى خراسان فأقام بها. مات سنة (١٠٢) [٢].

و ذكره ابن حبّان في الثقات، و قال: لقى جماعة من التابعين، و لم يشافه أحداً من الصحابة، و كان معلّم كتّاب. و قال عبد اللّه بن أحمد عن أبيه: ثقة مأمون. و قال ابن معين و أبو زرعة: ثقة.

قال أبوداود سلمة بن قتيبة عن شعبة: حدّثني عبد الملك بن ميسرة، قال: لم يلق الضحاك ابن عباس، إنما لقى سعيد بن جبير بالرّي فأخذ عنه التفسير[٣].

قال الذهبي: الضحاك بن مزاحم البلخي المفسّر، أبو القاسم، و كان يؤدّب، فيقال: كان في مكتبه ثلاثة آلاف صبّي، و كان يطوف عليهم[٤].

و نقل المامقاني عن ملحقات الصراح: أنه كان يقيم ببلخ و بمرو، و أيضاً ببخارا و سمرقند مدّة، و يعلّم الصبيان احتساباً، و له التفسير الكبير و التفسير الصغير.[٥]

و عدّه الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين، قال: الضحّاك بن مزاحم الخراساني، أصله الكوفة، تابعي[٦].

---

١. المناقب، ج ٤، ص ١٧٧.

٢. المعارف، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢.

٣. تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٤٥٤.

٤. ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٣٢٥.

٥. تنقيح المقال، ج ٢، ص ١٠٥ / ٥٨٣٢.

٦. رجال الطوسي، ص ٩٤.

و استظهر المامقاني من عبارة الشيخ هذه كونه إماميّاً، و لعله من جهة كونه من الكوفة مهد التشيّع آنذاك.

نعم روى عنه القمي (عليّ بن إبراهيم بن هاشم) في تفسيره، و قد تعهد في مقدمة التفسير أن لا يروي إلاّ عن مشايخه الثقات[١]، فقد روى ـ عند تفسير سورة الناس ـ بإسناده عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس[٢] و قد جعل سيدنا الأُستاذ الإمام الخوئي ـ عافاه اللّه و أعاذه من شرّ الأعداء الظلمة الطُغاة ـ تبعاً للحر العاملي، ذلك دليلاً على وثاقة كل من وقع في إسناد هذا الكتاب[٣].

و إنما غمزوا فيه جانب إرساله في الحديث، و لا سيّما عن ابن عباس. قال ابن حجر في التقريب: صدوق كثير الإرسال![٤] قلت: لا ضير في الإرسال بعد معلومية الواسطة، و كون الرجل صدوقاً. كما ذكره ابن حجر بشأن عليّ بن أبي طلحة الهاشمي.

إذن لا وجه لما ذكره السيوطي: أن طريق الضحاك إلى ابن عباس منقطعة، فإن الضحاك لم يلقه.

و أضاف: فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبي روق عنه، فضعيفة لضعف بشر. قال: و قد أخرج من هذه النسخة ابن جرير و ابن أبي حاتم كثيراً. قال: و إن كان من رواية جويبر عن الضحاك فأشدّ ضعفاً؛ لأنّ جويبراً شديد

---

١. التفسير، ج ١، ص ٤.
٢. التفسير، ج ٢، ص ٤٥٠.
٣. معجم رجال الحديث، ج ١، ص ٤٩ و ج ٩، ص ١٤٥ ـ ١٤٦.
٤. تقريب التهذيب، ج ١، ص ٣٧٣ / ٧.

الضعف متروك. و لم يخرج ابن جرير و لا ابن أبي‌حاتم من هذا الطريق شيئاً، وإنما أخرجها ابن مردويه و أبو الشيخ ابن حبّان[١].

السابع: طريق صالح، هو طريق أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الخراساني، المروزي. أصله من بَلْخ و انتقل إلى البصرة و دخل بغداد و حدّث بها. و كان مشهوراً بتفسير كتاب اللّه العزيز، و له التفسير المشهور. قال ابن خلكان: أخذ الحديث عن مجاهد بن جبر و عطاء بن أبي رباح و الضحاك و غيرهم، و كان من العلماء الأجلاّء. قال الإمام الشافعي: الناس كلهم عيال على مقاتل بن سليمان في التفسير.[٢] تُوفّي سنة (١٥٠).

قال أحمد بن سيّار: كان من أهل بلخ، و تحوّل إلى مرو، و خرج إلى العراق. تُوفّي بالبصرة سنة (١٥٠).

كان تفسيره موضع إعجاب العلماء من أول يومه، غير أنهم كانوا يتّهمونه بأشياء هو منها براء. قال القاسم بن أحمد الصفّار: قلت لإبراهيم الحربي: ما بال الناس يطعنون على مقاتل؟ قال: حسداً منهم له.

فعن ابن المبارك ـ لما نظر إلى شيء من تفسيره ـ: يا له من علم، لو كان له

---

١. الإتقان، ج ٤، ص٢٠٨.

٢. وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٥٥، رقم ٧٣٣. قال شواخ: و توجد قائمة بالتفاسير الثابتة التي أخذت من هذه التفاسير عند مسينون. و كان هذا التفسير أحد مراجع الثعلبي في كتابه «الكشف و البيان». و قد حصل الخطيب البغدادي في دمشق على إجازته و روايته. كما في مشيخته. و قداستخدمه الطبري في تفسيره و في تاريخه. و قد حققه الدكتور شحاتة، و هو في رواية أبي صالح الهذيل بن حبيب الدنداني الذي كان يعيش في سنة (١٩٠) هـ و قد أضاف هذا في بعض المواضيع في نصّ مقاتل من أسانيد بعض الآخرين. راجع: معجم مصنّفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٧٠، رقم١٠٠٧.

إسنادا! و عن سفيان بن عبد الملك، عنه قال: ارم به، و ما أحسن تفسيره، لوكان ثقة!

قال عبد الرزاق: سمعت ابن عيينة يقول: قلت لمقاتل: تحدّث عن الضحّاك، و زعموا أنك لم تسمع منه! قال: سبحان اللّه، لقد كنت آتيه مع أبي، و لقد كان يُغلَق عليَّ و عليه الباب! كناية عن أنه كان يبادله الحديث ساعات طوال[1].

و رماه أبو حنيفة بالتشبيه. و لكن لما سأله بعضهم عن ذلك، فقال: بلغني أنك تشبّه؟ قال: إنما أقول: **﴿قل هو اللّه أحد، اللّه الصمد، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد﴾** فمن قال غير ذلك فقد كذب[2].

و أخرج الخطيب عن القاسم بن أحمد الصفار، قال: كان إبراهيم الحربي يأخذ منّي كتب مقاتل، فينظر فيها. فقلت له ذات يوم: أخبرني يا أبااسحاق، ما للناس يطعنون على مقاتل؟ قال: حسداً منهم لمقاتل، قال: و قال مقاتل: أُغلق عليَّ و على الضحاك بابٌ أربع سنين.

قال الخطيب: و كان له معرفة بتفسير القرآن، و لم يكن في الحديث بذاك. و أخرج عن أحمد بن حنبل، قال: كانت له كتب ينظر فيها، إلاّ أني أرى أنه كان له علم بالقرآن. و عن يحيى بن شبل، قال: قال لي عباد بن كثير: ما يمنعك من مقاتل؟ قال: قلت: إن أهل بلادنا كرهوه! قال: فلا تكرهنَّه، فما بقي أحد أعلم بكتاب اللّه منه. و كان عند سفيان بن عيينة كتاب مقاتل، كان يستدل به و يستعين به. و قال مقاتل بن حيان ـ لما سئل أنت أعلم أم مقاتل بن سليمان ـ: ما وجدتُ علم مقاتل في علم الناس إلا كالبحر الأخضر (المحيط) في سائر البحور. و عن بقية بن الوليد، قال: كنت كثيراً أسمع شعبة و هو يُسأل عن مقاتل، فما سمعته قطّ ذكره إلاّ بخير.

---

١. تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٢٨٠.

٢. المصدر نفسه، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢.

و من طريف ما يُذكر عنه ـ و هو حالٌّ ببغداد ـ: إن أبا جعفر المنصور كان جالساً ذات يوم، و كان ذباب قد ألحّ عليه يقع على وجهه و ألحّ في الوقوع مراراً حتى أضجره. فأرسل من يُحضر مقاتل بن سليمان، فلما دخل عليه قال له: هل تعلم لماذا خلق اللّه الذّباب؟ قال: نعم، ليذلّ اللّه به الجبّارين، فسكت المنصور[١].

نعم كان الرجل صريحاً في لهجته، واسع العلم، بعيد النظر، شديداً في دينه، صلباً في عقيدته. و فوق ذلك كان يميل مع مذهب أهل البيت، ذلك المنهج الذي انتهجه أشياخه من قبل، من المتأثّرين بمدرسة ابن عباس رضوان اللّه عليه، الأمر الذي جعل من نفسه مرمى سهام الضعفاء القاصرين، و كم له من نظير.

يدلك على استقامة الرجل في المذهب، كما يدل على وثاقته و اعتماد الأصحاب عليه أيضاً، ما رواه أبوجعفر الصدوق بإسناده الصحيح إلى الحسن بن محبوب ـ و هو من أصحاب الإجماع ـ عن مقاتل بن سليمان عن الإمام أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام ـ يرفعه إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم قال: قال: أنا سيّد النبيين و وصيّي سيّد الوصيّين و أوصياؤه سادة الأوصياء ـ ثم جعل يذكر الأنبياء و أوصياءهم حتى انتهى إلى بردة، من أوصياء عيسى بن مريم عليهما السلام ـ قال: و دفعها (أي الوصاية) إلى بردة، و أنا أدفعها إليك يا عليُّ ـ إلى قوله ـ و لتكفرنّ بك الأُمّة، و لتختلفنّ عليك اختلافاً شديداً، الثابت عليك كالمقيم معي، و الشاذ عنك كالشاذ منّي، و الشاذّ منّي في النار، والنار مثوى الكافرين[٢].

هذه الرواية إن دلّت فإنما تدلّ على كون الرجل من أخصّ الخواصّ لدى الإمام عليه السلام. وقد عدّه الشيخ أبوجعفر الطوسي، من أصحاب الباقر

١. تاريخ بغداد، ج١٣، ص١٦٠ ـ ١٦٩. و ابن خلكان، ج٥، ص٢٥٥، رقم ٧٣٣.

٢. من لايحضره الفقيه، ج٤، ص١٢٩ ـ ١٣٠، باب ٢٧ / ١.

و الصادق عليهما السلام.[١]

و له رواية أُخرى، رواها الكليني بإسناده الصحيح إلى ابن محبوب عنه عن الصادق عليه السلام[٢].

و عدّه أبو عمرو الكشّي من البتريّة (الزيدية)[٣]. لكن يبعّده أن عقيدته كانت امتداداً لعقيدة ابن عباس.

و بعد، فلعلّك تعرف السبب فيما ذكره السيوطي بشأنه: الكلبي يفضَّل عليه، لما في مقاتل من المذاهب الرديئة.[٤] أما الخليلي فقد أنصف حيث قال: فمقاتل في نفسه ضعّفوه، و قد أدرك الكبار من التابعين. و الشافعي أشار إلى أن تفسيره صالح[٥].

الثامن ـ أيضاً صالح ـ: طريق أبي الحسن عطيه بن سعد بن جنادة، العَوْفي الكوفي المتوفّى سنة (١١١). قال الذهبي: تابعي شهير[٦]، روى عن ابن عباس وعكرمة و زيد بن أرقم و أبي سعيد. قال عطية: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرّات على وجه التفسير، و أمّا على وجه القراءة فقرأت عليه سبعين مرة. وعن ملحقات الصراح: أنّ له تفسيراً في خمسة أجزاء[٧]. قال ابن عديّ: قد روى عن جماعة من الثقات، و هو مع ضعفه يكتب حديثه، و كان يُعدّ مع شيعة أهل

---

١. رجال الطوسي، ص١٣٨، رقم٤٩ و ص٣١٣، رقم ٥٣٦.

٢. روضة الكافي، ج٨، ص٢٣٣، رقم٣٠٨.

٣. رجال الكشّي، ص٣٣٤، رقم ٢٥٢.

٤. الإتقان، ج٤، ص٢٠٩.

٥. المصدر نفسه، ص٢٠٨.

٦. ميزان الاعتدال، ج٣، ص٧٩ ـ ٨٠ رقم ٥٦٦٧.

٧. تنقيح المقال للمامقاني، ج٢، ص٢٥٣، رقم ٧٩٤١.

الكوفة. كتب الحجّاج إلى عامله محمد بن القاسم أن يعرضه على سبّ عليّ عليه السلام فإن لم يفعل فاضربه أربعمائة سوط و احلق لحيته، فاستدعاه فأبى أن يسبّ، فأمضى فيه حكم الحجّاج. ثم خرج إلى خراسان، فلم يزل بها حتى ولّى عمر بن هبيرة العراق، فقدمها فلم يزل بها إلى أن تُوفّي سنة (١١١). و قال ابن حجر: و كان ثقة إن شاء اللّه، و له أحاديث صالحة، قال: و من الناس من لا يحتجّ به. و قال ابن معين: صالح الحديث.

قال أبوبكر البزّار: كان يعد في التشيّع، و روى عنه جلّة الناس. و قال الساجي: ليس بحجّة، و كان يقدّم عليّاً على الكلّ[١].

قال السيوطي: و طريق العَوْفي عن ابن عباس، أخرج منها ابن جرير و ابن أبي‌حاتم كثيراً. و العَوْفي ضعيف ليس بواهٍ. و ربّما حسن له الترمذي[٢].

قلت: لا قدح فيه بعد أن كان منشأ الغمز هو تشيّعه لآل بيت الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم والدفاع عن حريمهم الطاهر. و من ثم فقد اعتمده القوم ورأوا أحاديثه صالحة وكان عندهم مرضيّاً.

فقد ذكر أبوعبد اللّه الذهبي ـ في ترجمة أبان بن تغلب، بعد أن يصفه بأنه شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه و عليه بدعته، و قد وثّقه ابن حنبل و ابن معين و أبوحاتم ـ: فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع، و حدّ الثقة العدالة والإتقان؟ فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة؟!

قال: و جوابه، إن البدعة على ضربين، فبدعة صغرى كغلوّ التشيّع أو كالتشيّع بلا غلوّ و لا تحرّف، فهذا كثير في التابعين و تابعيهم، مع الدين و الورع و الصدق.

---

١. تهذيب التهذيب، ج٧، ص٢٢٤ ـ ٢٢٦.

٢. الإتقان، ج٤، ص٢٠٩.

فلو رُدّ حديث هولاء، لذهب جملة من الآثار النبويّة، و هذه مفسدة بيّنة[١].

قال ابن حجر ـ بعد أن ذكر توثيق ابن عديّ لأبان بن تغلب قائلاً: له نُسَخٌ عامتها مستقيمة، إذا رُوي عنه ثقة. و هو من أهل الصدق في الروايات، و إن كان مذهبه مذهب الشيعة، و هو في الرواية صالح لا بأس به ـ قال ابن حجر: هذا قول منصف، و أما الجوزجاني فلاعبرة بحطّه على الكوفيين[٢].

و ذكر النجاشي أن عطية العَوفي، روى عنه أبان بن تغلب، و خالد بن طهمان السلولي، و زياد بن المنذر (أبو الجارود)[٣].

قال المحدّث القمي: عطيّة العَوْفي أحد رجال العلم و الحديث يروي عنه الأعمش و غيره، و رُوي عنه أخبار كثيرة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، و هو الذي تشرّف بزيارة الحسين عليه السلام مع جابر الأنصاري يوم الأربعين، الذي يعدّ من فضائله أنه كان أوّل من زاره بعد شهادته. قال: و يظهر من كتاب بلاغات النساء أنه سمع عبد اللّه الحسن يذكر خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام في أمر فدك[٤].

و من مواقفه الحاسمة دون بني‌هاشم، أنه كان رأس الفريق الذين انتدبهم أبو عبد اللّه الجَدَلي مبعوث المختار بن أبي عبيدة الثقفي في أربعة آلاف لإنقاذ بني‌هاشم ـ و فيهم محمد ابن الحنفية و عبد اللّه بن عباس ـ من دور قد جمع عبد اللّه بن الزبير لهم حطبا ليحرقهم بالنار، إن لم يبايعوا، فدخل عطية بن سعد بن جنادة العَوفي مكة، فكبّروا تكبيرة سمعها ابن الزبير، فانطلق هارباً حتى دخل دار

---

١. ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٥.

٢. تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٩٣.

٣. رجال النجاشي (ط حجرية)، ص ٧ و ١١٠ و ١٢١.

٤. سفينة البحار، ج ٢، ص ٢٠٥. و أما الزيارة فقد نقلها السيد أمين في اللواعج، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ عن كتاب بشارة المصطفى لعماد الدين الطبري.

الندوة، و يقال: تعلّق بأستار الكعبة، و قال: أنا عائذ اللّه. فأقبل عطية فأخّر الحطب عن الأبواب، و أنقذهم. في تفصيل ذكره محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات[١].

* * *

قال الدكتور شواخ: كان عطية شيعيّاً و عدّه الكلبي حجّة في تفسير القرآن. و هذا التفسير مروي، فقد نقل الطبري من هذا التفسير نقولاً استخدمها في (١٥٦٠) موضعاً من تفسيره بالسند التالي: «حدّثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمّي الحسين بن الحسن عن أبيه عن جدّه (عطيّة بن سعد العَوفي) عن ابن عباس». كما استخدم الطبري في تاريخة أيضاً نقولاً و شواهد من هذا التفسير. و قد استخدم الثعلبي السند السابق في كتابه «الكشف و البيان». و هذا التفسير يدخل ضمن الكتب التي حصل الخطيب البغدادي على حق روايتها من أساتذته في دمشق، كما في مشيخته، و تاريخ التراث العربي (١٨٧/١ـ ١٨٨)[٢].

* * *

و ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ـ في المنتخب من ذيل المذيّل ـ فيمن تُوفّي سنة(١١١)، قال: و منهم عطيّة بن سعد بن جنادة العَوْفي من جديلة قيس و يُكنّى أبا الحسن. قال ابن سعد: أخبرنا سعيد بن محمد بن الحسن بن عطيّة، قال: جاء سعد بن جنادة إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام و هو بالكوفة فقال: يا أمير المؤمنين، أنه ولد لي غلام فسمّه، فقال: هذا عطيّة اللّه، فسُمّي عطيّة. و كانت أُمّة روميّة. و خرج عطيّة مع ابن الأشعث. هرب عطيّة إلى فارس، و كتب الحجاج

---

١. الطبقات، ج٥، ص٧٤ـ ٧٥ في ترجمة محمد ابن الحنفية. (ط ليدن ١٣٢٢ هـ).

٢. معجم مصنفات القرآن الكريم، ج٢، ص١٦٢، رقم ٩٩٧.

إلى محمد بن القاسم الثقفي أن ادعُ عطيّة فإن لعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام و إلاّ فاضربه أربعمائة سوط و احلق رأسه و لحيته. فدعاه و أقرأه كتاب الحجاج، و أبىٰ عطيّة أن يفعل، فضربه أربعمائة سوط و حلق رأسه و لحيته. فلمّا ولّى قتيبة بن مسلم خراسان خرج إليه عطية، فلم يزل بخراسان حتى ولّى عمر بن هبيرة العراق، فكتب إليه عطيّة يسأله الإذن له في القدوم فأذن له، فقدم الكوفة فلم يزل بها إلى أن تُوفّي سنة(١١١). و كان كثير الحديث ثقة إن شاء اللّه(١).

* * *

التاسع ـ و هو أيضاً طريق صالح على الأرجح ـ: طريق أبي النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي، النسّابة المفسر الشهير. عن أبي‌صالح مولى أمّ هانئ، عن ابن عباس.

و قد وصفه السيوطي بأنه أوهى الطرق، و أضاف: فإن انضمّ إلى ذلك رواية محمد بن مروان السُدّي الصغير، فهي سلسلة الكذب. قال: و كثيراً ما يخرّج منها الثعلبي(٢) و الواحدي(٣).

ثم استدرك ذلك بقوله: لكن قال ابن عديّ في الكامل: للكلبي أحاديث صالحة، و خاصّة عن أبي‌صالح، و أخيراً قال: و هو ـ الكلبي ـ معروف بالتفسير،

---

١. منتخب ذيل المذيّل، ص١٢٨ الملحق بالجزء الثامن من تاريخ الطبري (ط القاهرة ١٣٥٨هـ).

٢. هو أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري. و قد اعتمده أكابر المفسرين أمثال الزمخشري و الطبرسي و غيرهما. قال القمي: كان يتشيّع، أو لم يكن يتعصّب كما يتعصّب أقرانه. تُوفّي سنة ٤٢٧ أو ٤٣٧ (الكنى و الألقاب، ج٢، ص١٣١).

٣. هو أبو الحسن عليّ بن أحمد النيسابوري أستاذ عصره و واحد دهره، و كان النظام يكرمه ويعظّمه. تُوفّي سنة٤٦٨. (الكنى و الألقاب، ج٣، ص٢٧٧).

و ليس لأحد تفسير أطول و لا أشبع منه[١].

قال ابن خلّكان: صاحب التفسير و علم النسب، كان إماماً في هذين العلمين.[٢]

قال ابن سعد: كان محمد بن السائب عالماً بالتفسير و أنساب العرب و أحاديثهم، و تُوفّي بالكوفة سنة (١٤٦) في خلافة أبي جعفر المنصور[٣].

و كان يتشيّع عن إرث تليد، و ليس طارفاً. قال ابن سعد: و كان جدّه بشر بن عمرو و بنوه: السائب و عبيد و عبد الرحمان، شهدوا الجمل مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام.[٤]

و للكليني شهادة راقية بشأن الكلبي، يذكر قصّة استبصاره، ثمّ يعقّبها بقوله: «فلم يزل الكلبي يدين اللّه بحبّ آل هذا البيت حتى مات»[٥].

و من ثمّ رموه بالضعف تارة و بالابتداع أخرى، و مع ذلك فلم يجدوا بدّاً من الانصياع لمقام علمه الرفيع، و أن يلمسوا أعتابه بكل خضوع و بخوع. فقد اعتمده الأئمّة و جهابذة التفسير و الحديث[٦].

أما ما ألصقوه به من الغلوّ في التشيّع فلا أساس له، و إنما وضعوه عليه قصداً لتشويه سمعته، بعد أن لم يكن رميه بمجرّد التشيّع قدحاً فيه. فعن المحاربي قال: قيل لزائدة بن قدامة: ثلاثة لا تروي عنهم، ابن أبي ليلى، و جابر الجعفي، و الكلبي؟

---

١. الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٩.

٢. وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٠٩، رقم ٦٣٤.

٣. الطبقات، ج٦، ص ٢٤٩ (ط ليدن).

٤. المصدر نفسه. و تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٨٠.

٥. الكافي الشريف، ج ١، ص ٣٥١، رقم ٦.

٦. تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٧٨ رقم ٢٦٦.

قال: أما ابن أبي ليلى فلست أذكره، و أما جابر فكان يؤمن بالرجعة[1]، و أما الكلبي ـ و كنت اختلف إليه ـ فسمعته يقول: مرضت مرضةً فنسيت ما كنت أحفظ، فأتيت آل محمد، فتفلوا في فيّ فحفظت ما كنت نسيت! قال: فتركته[2] و عن أبي عوانة: سمعت الكلبي بشيء، من تكلّم به كفر. قال الأصمعي: فراجعت الكلبي و سألته عن ذلك، فجحده. قال الساجي: كان ضعيفاً جدّاً، لفرطه في التشيّع[3].

هذا، و لكن ابن عديّ قال بشأنه: له غير ذلك (الذي رموه بالغلوّ) أحاديث

---

١. بماذا يفسّر منكروا الرجعة، قوله تعالى: ﴿و إذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلّمهم أنّ النّاس كانوا بآياتنا لايوقنون. و يوم نحشر من كلّ أُمّة فوجاً ممّن يكذّب بآياتنا فهم يوزعون﴾ النمل / ٨٢ ـ ٨٣.

ما ذاك اليوم الذي تخرج الدابّة لتكلمهم و لتلزمهم الحجّة، و قد وقع القول عليهم؟! (مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

و ما ذاك اليوم الذي يُحشر من كل أمة فوج.؟ و قد صرّح المفسرون بأنّ «من» هنا للتبعيض (الفخر، ج ٢٤، ص ٢١٨).

في حين أن يوم الحشر الأكبر هو اليوم الذي يُحشر فيه الناس جميعاً ﴿و حشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾ الكهف / ٤٧، قال تعالى: ﴿و يوم ينفخ في الصّور ففزع من في السماوات و من في الأرض إلاّ من شاء اللّه و كلّ أتوه داخرين﴾ النمل / ٨٧.

٢. هذا كلام من أعمته العصبية الجهلاء، كيف يستنكر ذلك بشأن آل محمد الطيّبين الذين أذهب اللّه عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً! أليس اللّه قد شافى عليّاً عليه السلام من الرمد يوم خيبر، بريق النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حسبما رواه الفريقان و اتفقت عليه كلمة الأئمّة الثقات. قال أبو نعيم: فبصق رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في عينيه و دعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع (حلية الأولياء، ج ١، ص ٦٢، رقم ٤).

و هذا من فضل اللّه على عباده المخلصين، يجيب دعاءهم و يجعل الشفاء على يديهم رحمة منه على العباد.

٣. تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

صالحة، و خاصّة عن أبي‌صالح، و هو معروف بالتفسير، و ليس لأحد أطول من تفسيره. قال: و حدّث عنه ثقات من الناس و رضوه في التفسير[١].

و لأبي‌حاتم ـ هنا ـ كلام غريب، ننقله بلفظه:

قال: يروي الكلبي عن أبي‌صالح عن ابن عباس التفسير، و أبوصالح لم يرَ ابن عباس و لا سمع منه شيئاً، و لا سمع الكلبي من أبي‌صالح إلاّ الحرف بعد الحرف، فجعل لما أُحتيج له، تخرج له الأرض أفلاذ كبدها!

قال: لا يحلّ ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به! واللّه جلّ و علا ولّى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم تفسير كلامه.[٢] و محال أن يأمر اللّه نبيّه أن يبيّن لخلقه مراده و يفسره لهم، ثمّ لا يفعل، بل أبان عن مراد اللّه و فسّر لأُمته ما يهمّ الحاجة إليه، و هو سننه صلى الله عليه وآله وسلم فمن تتّبع السّنن، حفظها و أحكمها، فقد عرف تفسير كلام اللّه، و أغناه عن الكلبي و ذويه.

قال: و ما لم يبيّنه من معاني الآي، و جاز له ذلك، كان لمن بعده من أُمّته أجوز و ترك التفسير لما تركه رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أحرى. و من أعظم الدليل على أن اللّه لم يرد تفسير القرآن كله، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ترك من الكتاب متشابهاً من الآي، و آيات ليس فيها أحكام، فلم يبيّن كيفيّتها لأُمّته؛ فدلّ ذلك على أن المراد من قوله: ﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ كان بعض القرآن لا كلّه[٣].

قلت: هذا كلام ناشئ عن عصبيّة عمياء. كيف يَجْرأ مسلم متعهّد أن ينسب إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يفسّر لأُمته جميع ما أُبهم في القرآن إبهاماً، و قد أمره

---

١. تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٨٠.

٢. في الآية، رقم ٤٤ من سورة النحل.

٣. كتاب المجروحين لابن حبّان، ج ٢، ص ٢٥٥.

تعالى بذلك: و قد أثبتنا فيما قبل أن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم بيّن الجميع إمّا في إيجاز أو تفصيل، و لم يترك شيئاً تحتاج إليه أُمّته ـ و منها فهم معاني القرآن كله ـ لم يبيّنه لهم، إنما عليه البيان كما كان عليه البلاغ.

أما توسّع الكلبي في التفسير فأمر معقول، بعد كونه ناجماً عن توسّعه في العلم، و تربيته في مهد العلم كوفة العلماء الأعلام من صحابة الرسول الأخيار. و هذا لا يعدّ عيباً في الرجل.

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم ‌ ‌ ‌ بهنّ فلول من قراع الكتائب

و تفسير الكلبي هذا لا يزال موجوداً منعماً بالحياة، و قد استقصى الدكتور شواخ نسخه المخطوطة في المكتبات اليوم، منذ نسخته التي كتبت سنة (١٤٤) هـ حتى القرن (١٢)[١].

و أما أبوصالح ـ و يقال له: باذام أو باذان، مولى أُم هانئ بنت أبي طالب ـ فقد روى عن علي عليه السلام و ابن عباس و مولاته أُم هانئ، و روى عنه الأجلاّء كالأعمش و السدّي الكبير و الكلبي و الثوري و غيرهم.

قال عليّ بن المديني عن يحيى القطان: لَم أر أحداً من أصحابنا تركه، و ما سمعت أحداً من الناس يقول فيه شيئاً.

قال ابن حجر: و ثّقه العجلي وحده. قال: و لمّا قال عبد الحق ـ في الأحكام ـ: إن أبا صالح ضعيف جدّاً، أنكر عليه أبو الحسن ابن القطان في كتابه[٢]. و قال ابن معين: ليس به بأس. و قال ابن عديّ: عامة ما يرويه تفسير[٣].

---

١. معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص١٦٦ ـ ١٦٩، رقم١٠٠٥.

٢. تهذيب التهذيب، ج ١، ص٤١٦.

٣. ميزان الاعتدال، ج ١، ص٢٩٦.

قلت: ما وجه تضعيفه إلاّ ما ضُعّف به نظراؤه ممن حام حول هذا البيت الرفيع؛ إذ من الطبيعي أن مولى أُمّ هانئ أُخت الإمام أمير المؤمنين، و قد كانت كأخيها الإمام موضع عناية النبيّ ﷺ من أوّل يومها[1]، و كانت ذات علاقة بأخيها أمير المؤمنين عليه السلام تخلص له الولاء، فلايكون مولاها ـ و هو تحت تربيتها ـ بالذي يختار غير سبيلها المستقيم، فلا غرو إذن ممن لا يعرف ولاء لهذا البيت أن يتّهم الموالين لهم، و أقلّه الرمي بالضعف!

هذا الجوزجاني يقول: كان يقال له: ذو رأي غير محمود![2] نعم غير محمود عندهم، و لا كان مرضيّاً لديهم، مادام لم ينخرط في زمرتهم من ذوي الرأي العام.

و بعد، فقد تفرّد ابن حبّان بأن أباصالح باذان لم يسمع عن ابن عباس. كيف لم يسمع منه و هو معه في زمرة عليّ مع سائر أوليائه الكرام!

قال ابن سعد: أبوصالح، و اسمه باذام، و يقال: باذان، مولى أُم هانئ بنت أبي طالب، و هو صاحب التفسير الذي رواه عن ابن عباس، و رواه عنه الكلبي محمد ابن السائب، و أيضاً سماك بن حرب و إسماعيل بن أبي خالد[3].

* * *

و أما محمد بن مروان بن عبد اللّه الكوفي، السُدّي الصغير، فقد روى عن جماعة من أهل العلم كالأعمش و يحيى بن سعيد الأنصاري و محمد بن السائب الكلبي و أضرابهم. و روى عنه الكثير من الأعلام كالأصمعي و هشام بن عبيد اللّه الرازي و يوسف بن عديّ و أمثالهم. مما يُنبؤك عن موضع الرجل، و أنه موضع

---

۱. راجع: الإصابة لابن حجر، ج ٤، ص٥٠٣.

۲. تهذيب التهذيب، ج ۱، ص٤١٧.

۳. الطبقات، ج٦، ص٢٠٧ (طليدن).

الثقة من أئمة الحديث.

و قد ضعّفه كثير من أصحاب التراجم[١] على ديدنهم في التحامل على الكوفيين، على ما أسلفنا، سوى أن محمد بن إسماعيل البخاري لم يضعّفه صريحاً؛ اذ لم يجد إلى ذلك سبيلاً، و اكتفى بأن لا يُكتب حديثه. قال: محمد بن مروان الكوفي، صاحب الكلبي، سكتوا عنه، لا يُكتب حديثه ألبتة.[٢] و قال النسائي: متروك الحديث[٣].

و قد عدّه ابن شهر آشوب من أصحاب الإمام محمد بن علي الباقرعليه السلام، قال: و محمد بن مروان الكوفي، من وُلد أبي الأسود[٤]، و لعله من جهة البنت. و كذا عدّه الشيخ من رجال الباقرعليه السلام[٥]، لكن وصفه بالكلبي نسبة إلى شيخه محمد بن السائب. و في الكشّي ـ في ترجمة معروف بن خربوذ ـ رواية عن محمد بن مروان ـ ولعله السُدّي ـ تدل على ملازمته للإمام الصادقعليه السلام عند ما كان يقدم عليه المدينة، أو عند ما كان الإمام مبعداً إلى الحيرة في العراق[٦].

* * *

و أما التفسير الذي يحمل عنوان «تفسير ابن عباس» باسم «تنوير المقباس»[٧]، فقد ذكروا أنه من جمع الفيروزآبادي صاحب القاموس، لكنه بنفس

---

١. تهذيب التهذيب، ج٩، ص٤٣٦، رقم ٧١٩.

٢. كتاب الضعفاء للبخاري، ص١٠٥، رقم ٣٤٠.

٣. كتاب الضعفاء و المتروكين للنسائي، ص٩٤، رقم٥٣٨.

٤. المناقب، ج٤، ص٢١١.

٥. رجال الطوسي، ص١٣٥، رقم ٤.

٦. رجال الكشّي، ص١٨٤، رقم٨٨.

٧. طبع مراراً و على هامش الدر المنثور أيضاً.

الإسناد الذي وصفه السيوطي بأنه سلسلة الكذب حسب تعبيره.

و إليك بعض الكلام عنه:

تفسير ابن عباس

هناك تفاسير منسوبة إلى ابن عباس، **منها**: ما رواه مجاهد بن جبر. ذكره ابن النديم في الفهرست بروايتين: إحداهما عن طريق حميد بن قيس، و الأُخرى عن طريق أبي نجيح يسار الثقفي الكوفي، تُوفّي سنة (١٣١) يرويه عنه ابنه أبويسار عبد اللّه بن أبي نجيح، و عنه ورقاء بن عمر اليشكري[١].

و هذا الطريق صححته الأئمّة و اعتمده أرباب الحديث. و قد طبع أخيراً باهتمام مجمع البحوث الإسلامية بباكستان سنة (١٣٦٧)هـ. ق[٢]، و قد مر شرحه في ترجمة مجاهد.

الثاني: تفسير ابن عباس عن الصحابة، لأبي أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي المتوفّى سنة (٣٣٢). و هذا ذكره أبو العباس النجاشي، قال: الجلودي الأزدي البصري أبو أحمد شيخ البصرة و أخباريّها، و كان من أصحاب أبي‌جعفر الباقرعليه‌السلام. و جلود: قرية في البحر، و قيل: بطن من الأزد. قال: و له كتب ذكرها الناس ـ وعدّها أكثر من سبعين كتاباً ـ و ذكر منها الكتب المتعلقة بابن عباس مسندة عنه، منها: كتاب التنزيل عنه، و كتاب التفسير عنه، و كتاب تفسيره عن الصحابة[٣].

الثالث: تفسير ابن عباس الموسوم بـ«تنوير المقباس» من تفسير عبد اللّه بن

---

١. الفهرست لابن النديم، ص٥٦.

٢. راجع: معجم مصنفات القرآن الكريم للدكتور شواخ، ج٢، ص١٦٠، برقم ٩٩٤.

٣. فهرست مصنفي الشيعة للنجاشي، ص١٦٨.

عباس، في أربعة أجزاء، من تأليف محمد بن يعقوب الفيروزآبادي صاحب القاموس (٧٢٩ ـ ٨١٧)[١]. و قد طبع مكرراً، و في هامش الدر المنثور أيضاً.

والسند في أوّله هكذا: أخبرنا عبد اللّه ـ الثقة ـ ابن المأمون الهروي، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا أبو عبد اللّه، قال: أخبرنا أبوعبيد اللّه محمود بن محمد الرازي، قال: أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي، قال: أخبرنا عليّ بن إسحاق السمرقندي، عن محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس[٢].

غير أنّ عليّ بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي السمرقندي، قال ابن حجر: مات في شوال سنة (٢٣٧)[٣]. و أما محمّد بن مروان السدّي الصغير، فقد تُوفّي سنة (١٨٦). و عليه فيكون تحمّله عنه في حال الصغر جدّاً[٤].

و سائر رجال السند مجهولون، كما لم يأت تصريحٌ باسم الجامع الذي يقول: «أخبرنا عبد اللّه الثقة»، هل هو الفيروزآبادي صاحب القاموس أم غيره؟ و إنما ذكره الحلبي في كشف الظنون[٥]. و سار خلَفه (سائر أصحاب التراجم).

و على أيّ تقدير فإن هذا التفسير الموجود يعتبر مجهول السند و مجهول النسبة إلى مؤلّف خاص، فضلاً عن مثل ابن عباس.

هذا و لا سيما بعد ملاحظة متن التفسير؛ حيث لا يعدو ترجمة ألفاظ القرآن ترجمة غيرمستندة و مختصرة إلى حدّ بعيد، مما يبعّد كونه من تفسير حبر الأُمّة و ترجمان القرآن.

---

١. الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآغابزرگ الطهراني، ج ٤، ص ٢٤٤.

٢. هامش الجزء الأول من الدر المنثور، ص ٢.

٣. تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٨٣.

٤. فلو فرض أنّ السمرقندي عاش سبعين عاماً، فيكون حين وفاة السُدّي الصغير تحت العشرة.

٥. كشف الظنون، ج ١، ص ٥٠٢. و راجع: الذريعة، ج ٤، ص ٢٤٤.

على أنّ للكلبي، و كذا للسُدّي الصغير، تفسير جامع و موضع اعتبار لدى الأئمّة على ما أسلفنا، فلو كانا هما الراويين لهذا التفسير لكان فيه شيء من آثارهما، و على تلك المرتبة من الجلالة و الشأن.

كما أنّ المأثور من ابن عباس، على ما جمعه الطبري و غيره، لا يشبه شيئاً من محتوى هذا التفسير الساذج جدّاً، مثلا يقول: عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ عام و قد يكون خاصاً ﴿**إتَّقُوا رَبَّكُمْ**﴾ أطيعوا ربكم ﴿**الَّذي خَلَقَكُمْ**﴾ بالتناسل...[1] و هلّم جرّاً.

و الذي يبدو لنا من مراجعة هذا التفسير أنّ جامعه عمد إلى تفسير القرآن تفسيراً ساذجاً في حدّ ترجمة بسيطة، تسهيلاً على عموم المراجعين، و هذا أمر مطلوب و مرغوب فيه شرعاً. و لكنه صدّر كل سورة برواية عن ابن عباس، تيمُّناً و تبرّكاً باسم ترجمان القرآن. و لم يقصد أن كل ما ورد في تفسير السورة من تفسيره بالذات، الأمر الذي اشتبه على الأكثر، فزعموه تفسيراً مستنداً إلى ابن عباس في الجميع. و هذا وهم أوهمه ظاهر التعبير، فليتنبّه.

قيمة تفسير الصحابي

مما يجدر التنبّه له أن الدور الأوّل على عهد الرسالة، كان دور تربية و تعليم، و لا سيّما بعد الهجرة إلى المدينة، كان النبيّ ﷺ قد ركّز جُلّ حياته على تربية أصحابه الأجلاء و تعليمهم الآداب و المعارف، و السُنن و الأحكام و ليجعل منهم **أُمَّةً وَسَطاً لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**[2]، فقد جاء ﷺ لِ ﴿**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ**

---

١. أول سورة النساء (الدرالمنثور ـ الهامش، ج ١، ص ٢٣٣).

٢. من الآية رقم ١٤٣ من سورة البقرة.

وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كٰانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ﴾[١].

و لا شك أنه صلى الله عليه و آله و سلم فعل ما كان من شأنه أن يفعل و ربّى من أصحابه ثُلةً من علماء ورثوا علمه و حملوا حكمته إلى الملأ من الناس.

و إذا كان القرآن **﴿تِبْيٰاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾**[٢]، و قد بلّغه النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم إلى الناس، فقد بيّن معالمه و أرشدهم إلى معاني حِكَمه و معاني آياته؛ إذ كان عليه البيان كما كان عليه البلاغ **﴿وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّٰاسِ مٰا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[٣].

و هل كان دور النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم في أُمّته، و في أصحابه الخلّص بالخصوص، سوى دور معلم و مرشد حكيم؟ فلقد كان صلى الله عليه و آله و سلم حريصاً على تربيتهم و تعليمهم في جميع أبعاد الشريعة، و بيان مفاهيم الإسلام.

هذا من جهة، و من جهة أخرى، فإن من صحابته الأخيار ـ ممّن رضي اللّه عنهم و رضوا عنه ـ من كان على وفرة من الذكاء، طالباً مُجدّاً في طلب العلم و الحكمة و الرشاد، مولعاً بالسؤال و الازدياد من معارف الإسلام، و كانوا كثرة من ذوي النباهة و الفطنة و الاستعداد **﴿رِجٰالٌ صَدَقُوا مٰا عٰاهَدُوا اللّٰهَ عَلَيْهِ﴾**[٤]، و استقاموا على الطريقة، فسقاهم ربهم **﴿مٰاءً غَدَقاً﴾**[٥].

و قد عرفت كلام ابن مسعود: «كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات، لم

---

١. الجمعة / ٢.

٢. النحل / ٨٩.

٣. النحل / ٤٤.

٤. الأحزاب / ٢٣.

٥. الجنّ / ١٦.

يجاوزهنّ حتى يعلم معانيهنّ و العمل بهنّ»[١].

و هو أقدم نصّ تاريخي يدلّنا على مبلغ اهتمام الصحابة بمعرفة معاني القرآن و اجتهادهم في العمل بأحكامه.

و هذا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول ـ بشأن ماكان يصدر منه من عجائب أحكام و غرائب أخبار ـ: «و إنّما هو تعلّمٌ من ذي علم، عِلم علّمه اللّه نبيّه فعلّمنيه، و دعا لي بأن يعيه صدري، و تضطمّ عليه جوانحي»[٢].

و هذا ابن عباس ـ تلميذه الموفّق ـ كان من أحرص الناس على تعلّم العلم و معرفة الأحكام و الحلال و الحرام من شريعة الإسلام. و كان قد تدارك ـ لشدة حرصه في طلب العلم ـ ما فاته أيّام حياة النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم لصغره[٣] بمراجعة العلماء من صحابته الكبار بعد وفاته صلى الله عليه و آله و سلم، و قد كان النبي قد دعا له: «اللّهم علّمه التأويل وفقّهه في الدين، و اجعله من أهل الإيمان»[٤].

روى الحاكم في المستدرك بشأن حرصه على طلب العلم: أنه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قال لرجل من الأنصار: هلّم، فلنطلب العلم، فإنّ أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم أحياء. فقال: عجباً لك يا ابن عباس، ترى الناس يحتاجون إليك، و في الناس من أصحاب رسول اللّه من فيهم. فأقبل ابن عباس يطلب العلم، قال: إن كان الحديث ليبلغني عن الرجل من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم قد سمعه منه، فآتيه فأجلس ببابه، فتُسفي الرّيح على وجهي، فيخرج إليّ فيقول: يا ابن عمّ رسول اللّه،

---

١. تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٧ و ٣٠.

٢. نهج البلاغة، خ ١٢٨، ص ١٨٦ (ص ص).

٣. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين.

٤. أخرجه الحاكم و صححه. المستدرك، ج ٣، ص ٥٣٦.

ما جاء بك، ما حاجتك؟ فأقول: حديث بلغني عنك ترويه عن رسول اللّه، فيقول: ألا أرسلت إليّ؟! فأقول: أنا أحقّ أن آتيك[١].

و من ثم كان يسمّى «البحر» لكثرة علمه. و عن مجاهد: هو حبر الأُمّة. و عن ابن الحنفية: ربّاني هذه الأُمّة[٢]، إلى غيرها من تعابير تنمّ عن مدى رفعته في درجات العلم.

و قد كان يجلس للتفسير فيقع موضع إعجاب. قال أبو وائل: حججت أنا و صاحب لي، و ابنُ عباس على الحج، فجعل يقرأ سورة النور و يفسّرها. فقال صاحبي: يا سبحانَ اللّه، ماذا يخرج من رأس هذا الرجل، لو سمِعَتْ هذا التُركُ لأسلمت. و في رواية عن شقيق: ما رأيت و لا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس و الروم لأسلمت. و قال عبد اللّه بن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس[٣].

و أسلفنا حديث مسروق بن الأجدع: وجدت أصحاب محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كالإخاذ، فالإخاذة تكفي الراكب، و الإخاذة تكفي الراكبين، و الإخاذة تكفي الفِئام من الناس. و في لفظ آخر: لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم[٤].

كناية عن أنهم كانوا على درجات من العلم، كانوا يصدرون الناس عن رويّ كان مستقاه و مادته الأولى، هو النبي الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو ربّاهم و أدّبهم فأحسن تأديبهم، و إن كانوا هم على تفاوت في استعداد الأخذ و التلقّي ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ

---

١. المستدرك، ج ٣، ص ٥٣٨.
٢. المصدر نفسه، ص ٥٣٥.
٣. المستدرك، ج ٣، ص ٥٣٧.
٤. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٣٦.

ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها﴾[١].

* * *

و بعد، فإذ كانت تلك حالة العلماء من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم لا يصدرون الناس إلاّ عن مصدر الوحي الأمين، و لا ينطقون إلاّ عن لسانه الناطق بالحق المبين، فكيف ياترى مبلغ اعتبار ما يصدر عن ثُلّة، هم حملة علم الرسول، و الحفظة على شريعته الأُمناء؟!

نعم كان الشرط في الحجية و الاعتبار أوّلاً: صحة الإسناد إليهم، و ثانياً: كونهم من الطراز الأعلى. و إذ قد ثبت الشرطان، فلا محيص عن جواز الأخذ و صحة الاعتماد، و هذا لا شك فيه بعد الذي نوّهنا.

إنما الكلام في اعتبار ذلك حديثاً مسنداً و مرفوعاً إلى النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم، بالنظر إلى كونه الأصل في تربيتهم و تعليمهم، أو أنه استنباط منهم، لمكان علمهم و سعة اطّلاعهم فربما أخطأوا في الاجتهاد، و إن كانت إصابتهم في الرأي أرجح في النظر الصحيح.

الأمر الذي فصّل القوم فيه، بين ما إذا كان للرأي و النظر مدخلٌ فيه، فهذا موقوف على الصحابي، لا يصحّ إسناده إلى النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم. و ما إذا لم يكن كذلك، مما لا سبيل إلى العلم به إلاّ عن طريق الوحي، فهو حديث مرفوع إلى النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم لا محالة؛ و ذلك لموضع عدالة الصحابي و وثاقته في الدين. فلا يخبر عما لا طريق للحسّ إليه، إلاّ إذا كان قد أخبره ذو علم عليم صادق أمين.

و إليك بعض ما ذكره القوم بهذا الشأن:

قال العلامة الطباطبائي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ

---

١. الرعد/ ١٧.

لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...﴾[١]_:

و في الآية دلالة على حجية قول النبيّ ﷺ في بيان الآيات القرآنية، و يلحق به بيان أهل بيته؛ لحديث الثقلين المتواتر و غيره. و أما سائر الأمّة من الصحابة أو التابعين أو العلماء، فلا حجّية لبيانهم، لعدم شمول الآية و عدم نصّ معتمد عليه، يُعطي حجّية بيانهم على الإطلاق.

قال: هذا كلّه في نفس بيانهم المتلقّى بالمشافهة. و أما الخبر الحاكي له، فما كان منه بياناً متواتراً أو محفوفاً بقرينة قطعيّة و ما يلحق به، فهو حجة لكونه بيانهم. و أما ما لم يكن متواتراً و لا محفوفاً بالقرينة، فلا حجية فيه؛ لعدم إحراز كونه بياناً لهم.

قال: و أما قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ..﴾[٢] فإنه إرشاد إلى حكم العقلاء برجوع الجاهل إلى العالم، من غير اختصاص بطائفة دون أُخرى[٣].

هل المأثور من الصحابي حديث مسند؟

قال الحاكم النيسابوري: ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي و التنزيل، عند الشيخين، حديث مسند، أي إذا انتهت سلسلة الرواية إلى صحابي جليل، فإنّ ذلك يكفي في إسناد الحديث إلى رسول اللّه ﷺ و إن كان الصحابي لم يسنده إليه.

١. النحل / ٤٤.

٢. النحل / ٤٣.

٣. الميزان، ج ١٢ (ط اسلامية)، ص٢٧٨.

ذكر ذلك في موضعين من مستدركه[١]، و هو عام سواء أكان ذلك مما لا طريق إلى معرفته سوى الوحي أم لم يكن كذلك، و كان مما يمكن أن يراه الصحابي أو شاهده بنفسه. و من ثم كان هذا الكلام على عمومه و إطلاقه محل إشكال؛ لذلك رجع عنه في كتابه الذي وصفه لمعرفة علوم الحديث.

قال هناك: إن من الحديث ما يكون موقوفاً على الصحابي، غير مرفوع إلى النبيّ ﷺ، كما إذا قال الصحابي: رأيت رسول اللّه ﷺ يفعل كذا أو يأمر بكذا، أو إن أصحابه كانوا يصنعون كذا، مثل ما روي عن المغيرة بن شعبة، قال: كان أصحاب رسول اللّه ﷺ يقرعون بابه بالأظافير. قال الحاكم: هذا حديث يتوهمه من ليس من أهل الصنعة مسنداً؛ لذكر رسول اللّه ﷺ، و ليس بمسند فإنه موقوف على صحابي، حكى عن أقرانه من الصحابة فعلاً. و هكذا إذا قال الصحابي: إنه ﷺ كان يقول كذا، و كان يفعل كذا، و كان يأمر بكذا و كذا.

قال: و من الموقوف ما رويناه عن أبي هريرة، في قول اللّه ـ عزّ و جلّ ـ ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾[٢] قال: تلقاهم جهنم يوم القيامة فتلفحهم لفحة، فلا تترك لحماً على عظم إلاّ وضعت على العراقيب.

قال: و أشباه هذا من الموقوفات، تعدّ في تفسير الصحابة[٣].

قال: فأما ما نقول في تفسير الصحابي، مسند، فإنما نقوله في غير هذا النوع، كما في حديث جابر، قال: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دُبرها في قبلها

---

١. المستدرك، ج٢، ص٢٥٨، و في ص٢٦٣ أيضاً.

٢. المدثّر/ ٢٩.

٣. بناءً على أن هذا التفسير من أبي هريرة كان من عنده، و لعلّه استظهاراً من لفظ الآية! و لكن سيأتي عن السيوطي أنه مما لا سبيل إلى معرفته سوى الوحي، فهو من المسند المرفوع إلى النبي ﷺ.

جاء الولد أحول، فأنزل اللّه عزّ و جلّ ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ...﴾[١].قال: هذا الحديث و أشباهه مسندة عن آخرها، و ليست بموقوفة، فإن الصحابي الذي شهد الوحي و التنزيل، فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا و كذا، فإنه حديث مسند[٢].

و هكذا قيّد ابن الصلاح و النووي و غيرهما ذاك الإطلاق بما لا يرجع إلى معرفة أسباب النزول المشاهدة، و نحو ذلك مما يمكن معرفته للصحابة بالمشاهدة و العيان. نعم إذا كان مما لا مجال للرأي فيه، مما يعود إلى ما وراء الحسّ من قبيل أمر الآخرة و نحو ذلك، فإن مثل ذلك حديث مسند، مرفوع إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم نظراً لموضع عدالة الصحابة، و تنزيهه عن القول على اللّه بغير علم، و لا مستند إلى ركن وثيق.

قال النووي ـ في التقريب ـ: و أما قول من قال: تفسير الصحابي مرفوع، فذاك في تفسير يتعلّق بسبب نزول آية أو نحوه، و غير موقوف.

قال السيوطي ـ في شرحه ـ: كقول جابر: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دُبرها في قبلها، جاء الولد أحول، فأنزل اللّه تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ...﴾ رواه مسلم، أو نحوه مما لا يمكن أن يؤخذ إلاّ عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و لا مدخل للرأي فيه.

قال: و كذا يقال في التابعي، إلاّ أن المرفوع من جهته مرسل.

قال: ما خصّص به المصنف كابن الصلاح و من تبعهما قول الحاكم، قد صرح به الحاكم في «علوم الحديث»، ثم ذكر حديث أبي هريرة في قوله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ

---

١. البقرة/ ٢٢٣.

٢. معرفة علوم الحديث ص١٩ ـ ٢٠.

لِلْبَشَرِ﴾ فالحاكم أطلق في المستدرك و خصّص في علوم الحديث، فاعتمد الناس تخصيصه. و أظن أن ما حمله في المستدرك على التعميم الحرص على جمع الصحيح، حتى أورد ما ليس من شروط المرفوع، و إلاّ ففيه من الضرب الأول الجمّ الغفير. على أني أقول: ليس ما ذكره عن أبي هريرة من الموقوف؛ لما تقدّم من أنّ ما يتعلّق بذكر الآخرة و ما لا مدخل للرأي فيه، من قبيل المرفوع[١].

* * *

و على أيّة حال، فإن التفسير المأثور عن صحابي جليل -إذا صحّ الطريق إليه- فإنّ له اعتباره الخاص. فإمّا أن يكون قد أخذه من رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، و هو الأكثر فيما لا يرجع إلى مشاهدات حاضرة أو فهم الأوضاع اللغوية الأُولى أو ما يرجع إلى آداب و رسوم جاهلية بائدة، كان الصحابة يعرفونها، و أشباه ذلك. فإن كان لا يرجع إلى شيء من ذلك، فإنّ من المعلوم بالضرورة أنه مستند إلى علم تعلّمه من ذي علم. هذا ما يقتضيه مقام إيمانه الذي يحجزه عن القول الجزاف.

و إلاّ فهو موقوف عليه و مستند إلى فهمه الخاص، و لا ريب أنه أقرب فهماً إلى معاني القرآن، من الذي ابتعد عن لمس أعتاب الوحي و الرسالة، و حتى عن إمكان معرفة لغة الأوائل، و عادات كانت جارية حينذاك.

و هكذا صرّح العلامة الناقد السيد رضي الدين بن طاووس المتوفى سنة (٦٦٤) بشأن العلماء من صحابة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قال: «إنهم أقرب علماً بنزول القرآن »[٢].

---

١. تدريب الراوي، ج١ ص١٩٣ (ط ٢ ـ ١٣٩٩هـ).

٢. في كتابه القيّم (سعد السعود) الذي عالج فيه نقد أكثر من سبعين كتاباً في تفسير القرآن، كانت في متناوله ذلك العهد. (ط نجف) ص١٧٤.

قال الإمام بدر الدين الزركشي: لطالب التفسير مآخذ كثيرة، أُمهاتها أربعة:

الأوّل: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و هذا هو الطراز الأول، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه و الموضوع، فإنه كثير.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي، فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كما قاله الحاكم في تفسيره. و قال أبو الخطاب ـ من الحنابلة ـ: يحتمل أن لا يرجع إليه إذا قلنا: إنّ قوله ليس بحجة! و الصواب الأول؛ لأنه من باب الرواية لا الرأي.

و قد أخرج ابن جرير عن مسروق بن الأجدع قال: قال عبد اللّه بن مسعود: والذي لا إله الا هو، ما نزلت آية في كتاب اللّه إلاّ و أنا أعلم فيمن نزلت و أين نزلت، و لو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب اللّه منّي تناله المطايا لأتيته. و قال أيضاً: كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يتجاوزهنّ حتى يعلم معانيهنّ، و العمل بهنّ.

قال: و صدور المفسّرين من الصحابة، عليٌ ثم ابنُ عباس ـ و هو تجرّد لهذا الشأن ـ و المحفوظ عنه أكثر من المحفوظ عن عليّ، إلاّ أن ابن عباس كان أخذ عن عليّ عليه السلام، و يتلوه عبد اللّه بن عمرو بن العاص. و كل ما ورد عن غيرهم من الصحابة فحسن مقدم[١].

و أخيراً قال: و اعلم أنّ القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل عمّن يعتبر تفسيره، و قسم لم يرد. و الأول ثلاثة أنواع: إما أن يرد التفسير عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أو عن الصحابة، أو عن رؤوس التابعين. فالأول: يُبحث فيه عن صحة السند. و الثاني: يُنظر في تفسير الصحابي، فإن فسّره من حيث اللغة، فَهُم أهلُ اللّسان، فلا

---

١. البرهان، ج٢، ص١٥٦ ـ ١٥٧.

شك في اعتمادهم، و إن فسّره بما شاهده من الأسباب و القرائن فلا شك فيه. و حينئذٍ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة، فإن أمكن الجمع فذاك، و إن تعذّر قُدِّم ابن عباس[1].

و سيأتي نقل كلامه في الرجوع إلى التابعي.

* * *

هذا ما يقتضيه ظاهر البحث في هذا المجال. و أمّا الذي جرى عليه مذهب علمائنا الأعلام، فهو: إنّ التفسير المأثور من الصحابي ـ مهما كان على جلالة من القدر و المنزلة ـ فإنّه موقوف عليه، لا يصحّ إسناده إلى النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم ما لم يُسنده هو بالذات. و هذا منهم مطلق، سواءٌ أكان للرأي فيه مدخل أم لا؛ لأنه إنّما نطق عن علمه، حتى و لو كان مصدره التعليم من النبي، ما لم يصرّح به؛ إذ من الجائز أنه من استنباطه الخاص، استخرجه من مبانٍ و أُصول تلقّاها من حضرة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم. أمّا التنصيص على هذا الفرع المستنبَط بالذّات فلم يكن من النبي، و إنما هو من اجتهاد الصحابي الجليل، و مرتبط مع مبلغ فطنته و سعة دائرة علمه، و المجتهد قد يَخطأ، و ليس الصواب حليفه دائماً، ما لم يكن معصوماً.

و من ثم فإنّ الذي يصدر من أئمتنا المعصومين عليهم السلام نسنده إليهم، و إن كنا على علم و يقين أنه تعلّم من ذي علم عليم، ذلك أنّه حجة لدينا؛ لأنّه صادر من منبع معصوم.

ميزات تفسير الصحابي

يمتاز تفسير الصحابي بأمور خمسة لم تتوفّر جميعاً في سائر التفاسير

---

١. البرهان، ج ٢، ص ١٧٢.

المتأخّرة:

أوّلاً: بساطته، بما لم يتجاوز بضع كلمات في حلّ مُعضل أو رفع إبهام، في بيان وافٍ شافٍ و مع كمال الإيجاز و الإيفاء. فإذ قد سئل أحدهم عن معنى ﴿**غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ**﴾ [١]، أجاب على الفور: «غير متعرّض لمعصية»، من غير أن يتعرض لاشتقاق الكلمة، أو يحتاج إلى بيان شاهد و دليل، و ما شاكل ذلك، مما اعتاده المفسرون. و إذا سئل عن سبب نزول آية، أو عن فحواها العام، أجاب بشكل قاطع من غير ترديد، و على بساطة من غير تعقيد، كان قد ألفه المتأخرون.

ثانياً: سلامته عن جدل الاختلاف، بعد وحدة المبنى و الاتجاه و الاستناد، ذلك العهد؛ إذ لم يكن بين الصحابة في العهد الأول اختلاف في مباني الاختيار، ولا تباين في الاتجاه، و لا تضارب في الاستناد، و إنّما هي وحدة في النظر والاتجاه و الهدف، جمعت طوائف الصحابة على خطّ مستوٍ مستقيم. فلم تكن ثمّة داعيةٌ لنشوء الاختلاف و التضارب في الآراء، و لا سيما و الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم أدّبهم على التزام سبيل الرشاد.

على أن التفسير ذلك العهد لم يكن ليتعدّ ـ في شكله و هندامه ـ حدود الحديث و شكله، بل كان جزءً منه و فرعاً من فروعه، كما دأب عليه جامعو الأحاديث.

ثالثاً: صيانته عن التفسير بالرأي، بمعنى الاستبداد بالرأي غير المستند إلى ركن وثيق، ذلك تعصّب أعمى أو تلبيس في الأمر، كان يتحاشاه الأجلاء من الصحابة الأخيار. و سنشرح من معنى التفسير بالرأي الممنوع شرعاً، و المذموم عقلاً، بما يرفع الإبهام عن المراد به إن شاء اللّه.

---

١. المائدة/ ٣.

رابعاً: خلوصه عن أساطير بائدة، و منها الأقاصيص الإسرائيلية، لم تكن لتجد مجالاً للتسرب في الأوساط الإسلامية العريقة، ذلك العهد المناوئ لدسائس إسرائيل، الأمر الذي انقلب ظهراً لبطن بعد حين، و جعلت الدسائس السياسية تلعب دورها في ترويج أساطير بني إسرائيل.

خامساً: قاطعيته عن احتمال الشكّ و تحمّل الظّنون، بعد وضوح المستند و صراحته، و وفرة وسائل الإيضاح و دلائل التفسير المعروضة ذلك العهد؛ لسذاجتها و سلامتها عن التعقيد الذي طرأ عليها في عهد متأخر.

لا سيّما و الدلائل العلمية و الفلسفية التي استند إليها المتأخرون في تفسير معاني القرآن، لم تكن معهودة حينذاك، أو لم تكن مشروعة، و لا صالحة للاستناد في العهد الأول. و إنما كان استنادهم إلى العرف و اللغة، و العلم بأسباب النزول، إلى جنب النصوص الشرعية الصادرة في مختلف شؤون الدين و القرآن، هذا لا غير.

المرحلة الثالثة

التفسير في دور التابعين

* مدارس التفسير
* أعلام التابعين
* قيمة تفسير التابعي
* ميزات تفسير التابعي
* منابع التفسير في هذا العهد

مدارس التفسير:

* مدرسة مكة أقامها ابن عباس
* مدرسة المدينة أقامها أُبيّ بن كعب
* مدرسة الكوفة أقامها ابن مسعود
* مدرسة البصرة أقامها أبو موسى
* مدرسة الشام أقامها أبو الدرداء

مدارس التفسير

نِعم الخلف لخيرِ سلف

لم يكد ينصرم عهد الصحابة إلاّ و قد نبغ رجال أكفاء، ليخلفوهم في حمل أمانة اللّه و أداء رسالته في الأرض، و هم التابعون الذين اتبعوهم بإحسان، رضي اللّه عنهم و رضوا عنه، و ذلك هو الفوز العظيم.

إنهم رجال لم تمكّنهم الاستضاءة من أنوار ذلك العهد (عهد الرسالة) الفائض بالخير و البركات، فاستعاضوا عنها بالمثول بين يدي أكابر الصحابة الأعلام، و العكوف على أعتابهم المقدسة؛ يستفيدون من علومهم و يهتدون بهداهم.

و قد كان أعيان الصحابة كثرة منتشرين في البلاد كنجوم السماء، مصابيح الدجى و أعلام الهدى، أينما حلّوا أو ارتحلوا من بقاع الأرض؛ و بذلك انتشرت تعاليم الإسلام، و شاع و ذاع مفاهيم الكتاب و السنّة النبوية بين العباد، في مختلف البلاد.

مدارس التفسير

و حيثما ارتحل صحابي جليل و حلّ به من بلد إسلامي كبير، كان قد شيّد فيه مدرسة واسعة الرحب، بعيدة الأرجاء، يبثّ بها معالم الكتاب و السنّة، و يقصدها

الروّاد من كل صوب. و كان أشهر هذه المدارس ـ حسب شهرة مؤسّسيها ـ خمسة:

١ـ مدرسة مكّة: أقامها عبد اللّه بن عباس، يوم ارتحل إليها عام الأربعين من الهجرة؛ حيث غادر البصرة و قدم الحجاز، بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و كان والياً من قبل الإمام، فلم يتصدّ ولايةً بعده، عاكفاً على أعتاب حرم اللّه، يؤدّي رسالته هناك في بثّ العلوم و نشر المعارف التي تعلّمها و أخذها عن الإمام عليه السلام. و قد دامت المدرسة مدّة حياته حتى عام ثمانيةٍ و ستين؛ حيث وفاته بالطائف، رضوان اللّه عليه.

و قد تخرّج من هذه المدرسة أكبر رجالات العلم في العالم الإسلامي حينذاك، و كان لهذه المدرسة و لمن تخرّج منها صدىً محمودٌ في أرجاء البلاد، و بقيت آثارها الحسنة سُنّةً متبعةً بين العباد، و لا تزال. و لعلّ أعلم التابعين بمعاني القرآن هم المتخرّجون من مدرسة ابن عباس و المتعلمون على يديه.

قال ابن تيميّة: و أما التفسير فإنّ أعلم الناس به أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد و عطاء و عكرمة. و غيرهم من أصحاب ابن عباس كطاووس و أبي الشعثاء و سعيد بن جبير و أمثالهم. و كذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود. و من ذلك تميّزوا به على غيرهم[١].

* * *

٢ـ مدرسة المدينة: قيامها على الصحابة الموجودين بها، و لا سيما أُبيّ بن كعب الأنصاري سيّد القراء. كان من أصحاب العقبة الثانية، و شهد بدراً و المشاهد كلها. قال له النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: لِيَهنِكَ العلم، أبا المنذر.

---

١. مقدمته في أُصول التفسير، ص٢٣ ـ ٢٤ (المطبعة السلفية ١٣٨٥).

و كان أوّل من كتب لرسول اللّه مقدمه المدينة، فإذا لم يحضر أبيٌّ كتب زيد ابن ثابت. كان أقرأ أصحاب رسول اللّه ﷺ، و كان ممن جمع القرآن حفظاً على عهد رسول اللّه، و تأليفاً بعد وفاته. و كان قد تفرّغ للإقراء بالمدينة ما لم يتفرّغ له سائر الصحابة الباقين فيها.

و من ثمّ تصدّى الإملاء على لجنة توحيد المصاحف على عهد عثمان، وكانوا يرجعون إليه عند الاختلاف. تُوفّي سنة (٣٠) في خلافة عثمان، حسبما قدّمنا.

* * *

٣ـ مدرسة الكوفة: أقام دعائمها الصحابي الكبير عبد اللّه بن مسعود، كان خصيصاً برسول اللّه ﷺ يخدمه و يتربّى على يديه. قال حذيفة: أقرب الناس برسول اللّه ﷺ هدياً و دلاً و سمتاً، ابن مسعود. و لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أنّ ابن أُم عبد من أقربهم إلى اللّه زلفى. كان أوّل من جهر بالقرآن على ملأ من قريش، فأوذي في اللّه و اصطبر على البلاء. كان قد هاجر الهجرتين و شهد المشاهد كلها.

قدم الكوفة ـ على عهد ابن الخطاب ـ معلّماً و مؤدّباً، حتى أحضره عثمان سنة (٣١) و كانت فيها وفاته. و لما بلغ أبا الدرداء نَعْيُه قال: ما تُرِكَ بعده مثله.

تربّى على يديه خلق كثير، فمن التابعين: علقمة بن قيس النخعي، و أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي، و الأسود بن يزيد النخعي، و مسروق بن الأجدع، و عبيدة بن عمرو السلماني، و قيس بن أبي حازم، و غيرهم.

و قد عرفت أنّ مدرسة الكوفة كانت أهم المدارس بعد مدرسة مكة، توسعاً و شمولاً لمعاني القرآن و الفقه و الحديث.

٤ـ مدرسة البصرة: أقامها أبو موسى الأشعري: عبد اللّه بن قيس (٤٤). قدم

البصرة سنة(١٧) والياً عليها من قبل عمر، بعد أن عزل المغيرة، ثم أقرّه عثمان، وبعد فترة عزله، فسار إلى الكوفة. و لما أن عزل سعيداً استعمله عليها، و عزله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فكان يراود معاوية في سرّ، و لأخوّة قديمة كانت بينهما، كما يبدو من وصية معاوية لابنه يزيد بشأن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري[١].كان منحرفاً عن علي عليه السلام و افتضح أمره يوم الحكمين.

و هو الذي فقّه أهل البصرة و أقرأهم. قال ابن حجر: و تخرّج على يديه جماعة من التابعين و من بعدهم [٢]. و أخرج الحاكم عن أبي رجاء، قال: تعلّمنا القرآن عن أبي موسى الأشعري في هذا المسجد ـ يعني مسجد البصرة ـ و كنّا حلقاً حلقاً، و كأنما أنظر إليه بين ثوبين أبيضين[٣].

و كانت مدرسته ذات انحراف شديد، و من ثم كانت البصرة من بعده أرضاً خصبة لنشوء كثير من البِدَع و الانحرافات الفكريّة و العقائدية، و لا سيّما في مسائل الأُصول و الإمامة و العدل.

قال عبد الكريم الشهرستاني: و سمعت من عجيب الاتفاقات أن أبا موسى الأشعري (المتوفّى سنة ٤٤) كان يقرّر عين ما يقرّر حفيده أبو الحسن الأشعري (المتوفّى سنة ٣٢٤) في مذهبه، و ذلك قد جرت مناظرة بين عمرو بن العاص وبينه، فقال عمرو: أين أجد أحداً أحاكم إليه ربّي؟ فقال أبو موسى: أنا ذلك المتحاكم إليه. فقال عمرو: أو يُقدِّر عليَّ شيئاً ثم يعذّبني عليه؟ قال أبو موسى: نعم،

---

١. طبقات ابن سعد، ج ٤، ص٨٣ ق ١.

٢. تهذيب التهذيب، ج ٥، ص٣٦٢.

٣. المستدرك على الصحيحين، ج ٢، ص ٢٢٠.

قال عمرو: وَ لِمَ؟ قال: لأنه لا يظلمك! فسكت عمرو و لم يُحِر جواباً[١].

و ذكر ابن أبي الحديد أبا بردة ابن أبي موسى الأشعري فيمن أبغض عليّاً، وكان من القالين له، ثم قال: ورث البِغضة له، لا عن كلالة[٢]، أي كان هذا الحقد للإمام أمير المؤمنين ـ صلوات اللّه عليه ـ قد أتاه مستقيماً من قبل والده، فكانت البِغضة منه تليداً، و لم تأته من عرض عارض، لا تلد الحيّةُ إلاّ الحيّة.

* * *

٥ـ مدرسة الشّام: قام بها أبو الدرداء عويمر بن عامر الخزرجي الأنصاري. كان من أفاضل الصحابة و فقهائهم و حكمائهم. أسلم يوم بدر، و شهد أُحُداً و أبلى فيها بلاءً حسناً. روي أنّ رسول اللّه ﷺ قال بشأنه حينذاك: نعم الفارس عويمر، و قال: هو حكيم أُمّتي.

تولّى قضاء دمشق أيّام خلافة عمر، و تُوفّي في خلافة عثمان سنة(٣٢).

ولم ينزل دمشق من أكابر الصحابة سوى أبي الدرداء، و بلال بن رباح المؤذّن الذي مات في طاعون عمواس سنة(٢٠) و دفن بحلب. و كذا واثلة بن الأسقع، وكان آخر من مات بدمشق من أصحاب رسول اللّه ﷺ. مات سنة (٨٥) في خلافة عبد الملك بن مروان.

تخرّج على يدَي أبي الدرداء جماعة من أكابر التابعين، منهم: سعيد بن المسيّب، و علقمة بن قيس، و سويد بن غفلة، و جبير بن نفير، و زيد بن وهب، و أبو إدريس الخولاني، و آخرون.

كان أبو الدرداء من الثابتين على ولاء آل الرسول ﷺ لم تزعزعه

---

١. الملل و النحل، ج ١، ص ٩٤ ط القاهرة ١٣٨٧ هـ ق.

٢. شرح النهج، ج ٤، ص ٩٩.

العواصف.

روى الصدوق ـ في أماليه ـ بإسناده إلى هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة، قال: كنّا جلوساً في حلقة في مسجد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم نتذاكر أهل بدر وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم، ألا أُخبركم بأقل القوم مالاً و أكثرهم ورعاً و أشدهم اجتهاداً في العبادة؟ قالوا: من؟ قال: ذاك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال عروة: فو اللّه، ما نطق أبو الدرداء بذلك إلاّ و أعرض عنه بوجهه من في المجلس. ثم انتُدِبَ له رجل من الأنصار، فقال له: يا عويمر، لقد تكلّمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها. فقال أبو الدرداء: يا قوم، إنّي قائل ما رأيت، و ليقل كل قوم منكم ما رأوا... ثم أخذ في بيان مواضع علي عليه السلام من العبادة و البُكاء، عند ما كان يختلي بربّه في ظلمة الليل و الناس نيام[1].

❁ ❁ ❁

---

١. بحار الأنوار، ج ٤١، ص ١١، عن أمالي الصدوق مج ١٨، ص ٦٩ ـ ٧٠ (ط نجف).

أعلام التابعين المفسرين:

١ـ سعيد بن جُبَير
٢ـ سعيد بن المسيّب
٣ـ مجاهد بن جَبْر
٤ـ طاووس بن كيسان
٥ـ عكرمة مولى ابن عباس
٦ـ عطاء بن أبي رباح
٧ـ عطاء بن السائب
٨ـ أبان بن تغلب
٩ـ الحسن البصري
١٠ـ علقمة بن قيس
١١ـ محمد بن كعب القرظي
١٢ـ أبو عبد الرحمان السُّلَمي
١٣ـ مسروق بن الأجدع
١٤ـ الأسود بن يزيد النخعي
١٥ـ مرّة الهمداني
١٦ـ عامر الشعبي
١٧ـ عمرو بن شرحبيل
١٨ـ زيد بن وهب
١٩ـ أبو الشعثاء الكوفي
٢٠ـ أبوالشعثاء الأزدي
٢١ـ الأصبغ بن نباتة
٢٢ـ زِرّ بن حبيش
٢٣ـ ابن أبي ليلى
٢٤ـ عبيدة بن قيس
٢٥ـ الربيع بن أنس
٢٦ـ الحارث بن قيس
٢٧ـ قتادة بن دعامة
٢٨ـ زيد بن أسلم
٢٩ـ أبو العالية
٣٠ـ جابر الجعفي

أعلام التابعين

قلنا: إن كثيراً من روّاد العلم، كانوا قد نهضوا نهضتهم الكبرى، في سبيل كسب المعرفة و الحصول على معالم الدين الحنيف. و حيث كان قد أعوزتهم الاستضاءة المباشرة من أنوار عهد الرسالة، استعاضوا عنها باللجوء إلى أعتاب الصحابة الأعلام، فأخذوا منهم العلوم و نشروها بين العباد. فكانوا هم الواسطة و الحلقة الواصلة بين منابع العلم الأوّلية و بين الأُمّة على الإطلاق، ليس لذلك الدور فحسب، بل لجميع الأدوار و الأعصار. فأصبحوا هم حاملي لواء هداية الإسلام إلى كافة الأنام.

و هم جماعات، لا يحصون عدداً، كنجوم السماء المتألّقة في دياجي الظلام، و مبثوثون في الأرض منتشرون في الأقطار و الأكناف.

غير أنا نقتصر على الأعلام، و المعروفين بتعليم القرآن، و نشر علومه و بيان معارفه بين الناس. و هم المتخرجون من المدارس التفسيرية المعهودة، و لا سيّما مدرسة ابن عباس بمكة المكرمة، حسبما عرفت، و إليك منهم:

١. سعيد بن جبير

أبو عبد اللّه، أو أبو محمد الأسدي بالولاء، الكوفي، من أصل حبشي، أسود اللون أبيض الخصال. كان من كبار التابعين و متقدميهم في الفقه و الحديث

و التفسير. أخذ القراءة من ابن عباس، و سمع منه التفسير، و أكثر روايته عنه. كان قد تفرّغ للعلم و القرآن حتى صار علماً و إماماً للناس. قال أبو القاسم الطبري: هو ثقة، حجة، إمام على المسلمين، و كان مجمعاً عليه بين أرباب الحديث و التفسير.

له مناظرة مع الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفي، حينما أراد قتله، تدلّ على قوّة إيمانه و صلابته في الولاء لآل البيت عليهم السلام، قتله صبراً سنة (٩٥) و هو ابن (٤٩).

روى أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشّي بإسناده إلى الإمام أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام قال: إنّ سعيد بن جبير كان يأتمّ بعليّ بن الحسين عليهما السلام، وكان عليّ عليه السلام يُثني عليه. و ما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا الأمر، و كان مستقيماً[١].

و في مصنفات أصحابنا الإمامية عنه وصف جميل[٢]، و كذا في سائر المصنفات الرجالية و غيرها[٣].

---

١. ذكر الكشّي في رجاله (ط رجائي)، ج ١، ص ٣٣٥، رقم ١٩٠ ـ: لما دخل سعيد على الحجاج، قال له: أنت شقي بن كسير. قال: كانت أُمّي أعرف باسمي. قال: ما تقول في فلان و فلان، هما في الجنة أو في النار؟ قال: لو دخلت الجنة فنظرت إلى أهلها لعلمت من فيها، و إن دخلت النار و رأيت أهلها لعلمت من فيها. قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لستُ عليهم بوكيل. قال: أيّهم أحبّ إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي. قال: و أيّهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرهم و نجواهم. قال: أبيت أن تصدّقني! قال: بلى، لم أُحبّ أن أكذّبك!

٢. راجع: أعيان الشيعة للأمين العاملي، ج ٧، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٦. و سفينة البحار للقمي، ج ١، ص ٦٢١ـ٦٢٢. ومناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٧٦.

٣. راجع: حلية الأولياء لأبي نُعَيم، ج ٤، ص ٢٧٢ـ٣١٠. و ابن خلكان، ج ٢، ص ٣٧١ ـ ٣٧٤، رقم ٢٦١. و المعارف لابن قتيبة، ص ١٩٧. و تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ٤، ص ١١ـ١٤.

روى أبو نعيم الأصبهاني بإسناده إلى خلف بن خليفة عن أبيه قال: شهدت مقتل سعيد بن جبير، فلمّا بان رأسه، قال: لا إله إلاّ اللّه، لا إله إلاّ اللّه، ثم قالها الثالثة فلم يتمّها[١].

و ذكر ابن قتيبة: أنه أمر الحجاج فضُربت عنقه، فسقط رأسه إلى الأرض يتدحرج، و هو يقول: لا إله إلاّ اللّه، فلم يزل كذلك، حتى أمر الحجاج من يضع رجله على فيه، فسكت.

و لم يدم الحجاج بعده غير سنةٍ، و لم يستطع إراقة دم بعد دمه الطاهر. و كان الحجاج عند ما حضره الموت يقول: ما لي و لسعيد بن جبير، كان يقول ذلك و هو يغوص ثم يفيق. و كان يراه في المنام، و قد أخذ بمجامع ثوبه يقول له: يا عدو اللّه، فيم قتلتني؟ فيستيقظ مذعوراً، و يقول: ما لي و لسعيد. ذكر ذلك ابن خلكان في الوفيات.

* * *

مكانته العلمية: أخذ العلم عن عبد اللّه بن عباس، و كان قد لازمه في طلب العلم، فأجازه ابن عباس في التحديث. قال له: حدِّث، فقال ـ متحاشياً ـ: أُحدِّثُ و أنت هاهنا؟! ـ و في رواية ـ و أنت موجود! فقال ابن عباس: أليس من نعم اللّه عليك أن تُحدِّث و أنا شاهد؟! فإن أصبت فذاك، و إن أخطأت علّمتك.

قال أحمد بن حنبل: قتل الحجّاجُ سعيد بن جبير، و ما على وجه الأرض أحد إلاّ و هو مفتقر إلى علمه![٢]. و رواه أبو نعيم عن عمرو بن ميمون عن أبيه.

و كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أمّ

---

١. حلية الأولياء، ج ٤، ص ٢٩١.

٢. ابن خلكان، ج ٢، ص ٣٧١ ـ ٣٧٤. رقم ٢٦١. و راجع: الحلية، ج ٤، ص ٢٧٣.

الدهماء، يعني سعيد بن جبير.

قال يحيى بن سعيد: مرسلات ابن جبير أحبّ إليّ من مرسلات عطاء و مجاهد. و كان سفيان يُقدِّم سعيداً على إبراهيم النخعي في العلم، و كان أعلم من مجاهد و طاووس[١].

و كان سعيد يعظّم من شيخه تعظيماً بالغاً، قال: كنت أسمع الحديث من ابن عباس، فلو أذن لي لقبّلت رأسه[٢].

و قد جمع أبو نعيم من التفسير المأثور عن سعيد بن جبير نُخَباً، و عقد له فصلاً، و عنونه بآثاره في التفسير[٣]. فقد روى عنه في قوله تعالى ـ حكاية عن نبي اللّه موسى عليه‌السلام ـ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٤]. قال: إنه يومئذٍ لفقير إلى شقّ تمرة. و في قوله تعالى: ﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾[٥] قال: أوفاهم عقلاً[٦].

* * *

٢ـ سعيد بن المسيّب

قال أبو نعيم الأصبهاني: فأما أبو محمّد سعيد بن المسيب بن حَزَن المخزومي، فكان من الممتحنين، أُمتحن فلم تأخذه في اللّه لومة لائم. صاحب عبادة و جماعة و عفّة و قناعة. و كان كاسمه بالطاعات سعيداً، و من المعاصي

١. تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ٤، ص ١١ ـ ١٤. و الحلية، ج ٤، ص ٢٧٣.

٢. حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، ج ٤، ص ٢٨٣.

٣. في الجزء الرابع من الحلية من الصفحة ٢٨٣ فما بعد.

٤. القصص / ٢٤.

٥. طه / ١٠٤.

٦. الحلية، ج ٤، ص ٢٨٨.

و الجهالات بعيداً[١].

قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً من سعيد بن المسيب. قال: و إذا قال سعيد: مضت السنّة، فحسبك به. قال: هو عندي أجلّ التابعين.

و قال أبوحاتم: ليس في التابعين أنبل منه.

و قال سليمان بن موسى: كان أفقه التابعين.

و قال أبو زرعة: مدني قرشي ثقة إمام.

و قال قتادة: ما رأيت أحداً قطّ أعلم بالحلال و الحرام منه.

و قال ابن شهاب: قال لي عبد اللّه بن ثعلبة: إن كنت تريد هذا ـ يعني الفقه ـ فعليك بهذا الشيخ، سعيد بن المسيّب.

و عن عمرو بن ميمون بن مهران عن أبيه، قال: قدمت المدينة فسألت عن أعلم أهلها،فدُفعت إلى سعيد بن المسيّب.

قال مكحول: طفتُ الأرض كلها في طلب العلم فما لقيت أعلم منه.

قال أحمد بن حنبل: مرسلات سعيد صحاح، لا نرى أصحّ من مرسلاته.

و قال الشافعي: إرسال ابن المسيَّب عندنا حسن[٢].

قال ابن خلّكان: كان سعيد بن المسيّب سيّد التابعين من الطراز الأوّل، جمع بين الحديث و الفقه و الزهد و العبادة و الورع، و هو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة[٣]. ولد سنة (١٥) و تُوفّي سنة (٩٥).

و أسند ابن سعد ـ كاتب الواقدي ـ إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

---

١. الحلية، ج٢، ص١٦١ رقم ١٧٠.

٢. تهذيب التهذيب لابن حجر، ج٤، ص٨٤ ـ ٨٨.

٣. وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٧٥ رقم ٢٦٢.

سمعت أبي، عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: «سعيد بن المسيّب أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار، و أفقههم في رأيه».

و له ترجمة مسهبة في الطبقات، و فيها من أحواله و قضاياه العجيبة الشيء الكثير[1].

* * *

أضف إلى ذلك ما ورد بشأنه من الثناء عليه عند أصحابنا الإماميّة:

و أول شيء، أنه تربية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ربّاه في حجره بوصية من جدّه «حَزَن». فقد نشأ و ترعرع في أهل بيت العلم و الورع و الطهارة، كما و أصبح من خلّص أصحاب الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين، و أحد الأوتاد الخمسة الذين ثبتوا على الاستقامة في الدين على ما وصفهم الفضل بن شاذان. قال: و لم يكن في زمان عليّ بن الحسين في أوّل أمره إلاّ خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيّب، محمد بن جبير بن مطعم، يحيى بن أُمّ الطويل، أبوخالد الكابلي.

و كان يرى من الإمام السجاد عليه السلام النفس الزكية، لم يعرف له نظيراً و لا رأى مثله. كما كان يرى في مثاله القُدّوسي مثال داود القدّيس عليه السلام تسبح معه الجبال بالعشي و الإشراق و الطير محشورة كل له أوّاب.

روى الكشّي بإسناده إلى الزهري عن ابن المسيَّب، قال: كان القوم لا يخرجون من مكّة حتى يخرج عليّ بن الحسين سيّد العابدين. فخرج و خرجتُ معه، فنزل في بعض المنازل، فصلّى ركعتين فسبّح في سجوده، فلم يبق شجر و لا مدر إلاّ سبّحوا معه، ففزعنا! فرفع رأسه فقال: يا سعيد! أفزعت؟ فقلت: نعم، يا ابن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم فقال: هذا التسبيح الأعظم، حدّثني أبي عن جدّي رسول

---

۱. طبقات ابن سعد، ج ۵، ص ۸۸ـ۱۰۶.

اللّه؛ إنه لا يُبقي الذنوب مع هذا التسبيح. فقلت: علّمنا... .

و روى عن محمد بن قولويه بإسناده إلى أسباط بن سالم عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في حديث حواريّ[١] النبي و الأئمة عليهم السلام، و عدّ من حواريي الإمام زين العابدين: جبير بن مُطعم، و يحيى بن أُم الطويل، و أباخالد، و سعيد بن المسيب.

كما روى عنه بإسناده إلى أبي مروان عن أبي جعفر قال: سمعت عليّ بن الحسين يقول: «سعيد بن المسيّب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار و أفهمهم ـ أو أفقههم ـ في زمانه»[٢]. و قد تقدم الحديث، برواية ابن خلكان عن أبي مروان أيضاً، مع اختلاف في العبارة الأخيرة: «أفقههم في رأيه».

و روى الشيخ المفيد بإسناده إلى أبي يونس محمد بن أحمد قال: حدثني أبي و غير واحد من أصحابنا، أنّ فتىً من قريش جلس إلى سعيد بن المسيّب، فطلع عليّ بن الحسين، فقال القرشي لابن المسيّب: من هذا يا أبا محمد؟ قال: هذا سيّد العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام[٣].

و روى الحميري بإسناده إلى البزنطي قال: و ذُكر عند الرضا عليه السلام القاسم بن محمد بن أبي بكر خال أبيه، و سعيد بن المسيَّب، فقال: «كانا على هذا الأمر»[٤].

و روى ثقة الإسلام الكليني ـ في باب مولد الصادق عليه السلام ـ بإسناده إلى إسحاق ابن جرير، قال: قال أبو عبد اللّه عليه السلام: «كان سعيد بن المسيَّب، و القاسم بن محمد

---

١. الحواري: من الحوار، أي صاحب السرّ.

٢. اختيار معرفة الرجال، ج ١، ص ٤٣ و ص ٣٣٢ـ٣٣٥.

٣. الإرشاد للمفيد، ص ٢٥٧ (ط نجف).

٤. قرب الإسناد (ط حجرية)، ص ١٥٧ الجزء الثالث.

ابن أبي بكر، و أبوخالد الكابلي، من ثقات عليّ بن الحسين عليهما السلام[١].

و في مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب بشأن كرامات الإمام زين العابدين عليه السلام، روايات عن سعيد بن المسيّب، تدلّ على مبلغ ولائه لآل البيت ومدى صلته بسيّد الساجدين، فراجع[٢].

و للمحقق البحراني ـ في حاشية البلغة ـ استظهار تشيّعه من كلام الشيخ في أوائل التبيان[٣].

و هو الذي روى قضيّة بجدل الجمّال و قطعه لإصبع السبط الشهيد، و تعلّقه بأستار الكعبة، آيساً من رحمة اللّه[٤].

و قد عدّه الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين و من السابقين الأوّلين. قال: سعيد بن المسيّب بن حَزَن أبومحمد المخزومي سمع من الإمام عليّ بن الحسين، و روى عنه عليه السلام. و هو من الصدر الأوّل[٥].

و قد استوفى السيد الأمين الكلام بشأنه و شأن ولائه لآل البيت، و ذكر أنه صحب علياً أمير المؤمنين عليه السلام و لم يفارقه حتى في حروبه. و نقل عن ابن أبي الحديد و غيره بعض الطعن عليه، و فنّده على أُسلوب حكيم[٦].

نموذج من تفسيره

أخرج أبو نعيم ـ في الحلية ـ بإسناده إلى يحيى بن سعيد عن سعيد بن

---

١. الكافي الشريف، ج ١، ص ٤٧٢ كتاب الحجة.

٢. المناقب، ج ٤، ص ١٣٣ و ١٣٤ و ص ١٤٣.

٣. تنقيح المقال للمامقاني، ج ٢، ص ٣١ رقم ٤٨٧٠.

٤. بحار الأنوار، ج ٤٥ (ط بيروت)، ص ٣١٦.

٥. رجال الطوسي، ص ٩٠.

٦. راجع: أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي طبعة دار التعارف، ج ٧، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٥.

المسيّب، في قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ، إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾ [١]، قال: «الذي يذنب الذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب، ولا يعود في شيءٍ قصداً»[٢].

و هذا أدقّ تفسير للآية الكريمة. فإنّ الآية قد فسّرت على وجوه:

١ـ فقيل: هم المسبّحون. عن ابن عباس و عمرو بن شرحبيل.

٢ـ و قيل: المطيعون المحسنون. عن ابن عباس أيضاً.

٣ـ هم المطيعون و أهل الصلاة. عن قتادة.

٤ـ الذين يصلّون بين المغرب و العشاء. عن ابن المنكدر يرفعه، و كذلك عن الإمام الصادق عليه السلام.

٥ـ يصلّون صلاة الضحى. عن عون العقيلي.

٦ـ الراجع من ذنبه التائب إلى اللّه.

و هذا المعنى الأخير هو الراجح، و اختلفوا في شرائطه و كيفيته:

فمن سعيد بن جبير: الراجعون إلى الخير.

و عن مجاهد: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر اللّه منها.

و عن عطاء بن يسار: يذنب العبد ثم يتوب، فيتوب اللّه عليه، ثم يذنب فيتوب اللّه عليه، ثم يذنب الثالثة فإن تاب تاب اللّه عليه توبة لاتُمحى.

و عن عبيد بن عمير: الأوّاب: الحفيظ أن يقول: اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا.

---

١. الإسراء/ ٢٥.

٢. حلية الأولياء، ج٢، ص١٦٥. و راجع: مجمع البيان للطبرسي، ج٦، ص٤١٠. و جامع البيان للطبري، ج١٥، ص٥١ ـ ٥٢.

لكن سعيد بن المسيب فسّرها بالذي يذنب و يتوب ثم يذنب و يتوب، و لكن ليس يعود في شيءٍ من ذنوبه قصداً، و إنما هو شيء فرط منه. و هذه النكتة الظريفة هي بيت القصيد، نظراً لأن «الأوّاب» مبالغة في الأوب و الرجوع. و المراد: الكثرة و التكرار فيه، لكنه هل هو مطلق، أم الذي يصدر منه الذنب لا تمرّداً وعصياناً، و إنما هو شيء قد يفرط منه أو تَغْلِبُه نفسُه ثم يتذكّر عن قريب؟

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾[١].

و قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[٢].

و هذا هو معنى اللَّمم المغفور في الآية الكريمة: ﴿ وَ يَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْاِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ. إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ. هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾[٣].

قال الإمام الصادق عليه السلام: «اللّمم: الرجل يلمّ بالذنب فيستغفر اللّه منه. قال: ما من ذنب إلاّ و قد طبع عليه عبد مؤمن يهجره الزمان ثم يلمّ به. قال: اللّمام: العبد الذي يلمّ بالذنب ليس من سليقته» أي من طبيعته. و في رواية قال: «الهنة بعد الهنة» أي الذنب بعد الذنب يلمّ به العبد. و في أُخرى: « هو الذنب يلم به الرجل، فيمكث ما شاء اللّه ثم يلمّ به بعدُ»[٤].

---

١. النساء/ ١٧.

٢. الأعراف/ ٢٠١.

٣. النجم/ ٣٢.

٤. تفسير الصافي للمولى محسن الفيض، ج ٢، ص٦٢٦.

فالعبد قد تغلبه نفسه فيرتكب إثماً ليس من دأبه، و من ثم يتذكّر فيتوب إلى اللّه مما اغترف، و هكذا فلو عاد ليس من عادته، و تاب تاب اللّه عليه، إنّ اللّه هو التواب الرحيم.

و هذه هي النكتة الدقيقة التي جاءت الإشارة إليها في تفسير ابن المسيّب «ولايعود في شيء قصداً»، و هذا المعنى هو الذي يفيده صدر الآية **﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمٰا فِي نُفُوسِكُمْ، إِنْ تَكُونُوا صٰالِحِينَ... فَإِنَّهُ كٰانَ لِلْأَوّٰابِينَ غَفُوراً...﴾**[1].

و إلى هذا المعنى يشير التفسير الوارد عن الإمام أبي عبد اللّه جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قال: «و الأوّاب: النوّاح المتعبّد الراجع عن ذنبه». و هكذا روي عن مجاهد بن جَبر أيضاً[2].

النوّاح: مبالغة في النوح، و هو الذي ينوح على نفسه و ندبها ندماً على ما فرط منه، منيباً مستغفراً أوّاباً. و تدل أداة الإعراض «عن» على ندم بالغ، و عزم صارم على الترك أبداً.

و أما ما روي من التفسير بـ«الصلاة» بين المغرب و العشاء، فهذا من الوسيلة التي يجب ابتغاؤها إلى اللّه عزّ شأنه **﴿يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ اِبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾**[3]. و من ثم سمّيت صلاة الأوّابين.

روى هشام بن سالم عن الإمام أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام، قال: صلاة أربع ركعات، يُقرأ في كل ركعة خمسين مرّة «قل هو اللّه أحد...» هي صلاة الأوّابين[4].

---

١. الإسراء/ ٢٥.

٢. راجع: مجمع البيان للطبرسي، ج٦، ص ٤١٠.

٣. المائدة/ ٣٥.

٤. مجمع البيان، ج٦، ص ٤١٠.

و قد ورد الترغيب في التنفّل بأربع ركعات بعد المغرب، لا يدعهنّ العبد في حضر و لا سفر[١].

من نوادر حكمته:

و لما أن جُرّد ليُضرب على امتناعه من البيعة للوليد و سليمان ابني عبد الملك، قالت امرأةٌ: إن هذا لمقام الخزي. فقال سعيد: «من مقام الخزي فررنا»[٢].

و قال: «يد اللّه فوق عباده، فمن رفع نفسه وضعه اللّه، و من وضعها رفعه اللّه. الناس تحت كنفه يعملون أعمالهم، فإذا أراد اللّه فضيحة عبد، أخرجه من تحت كنفه، فبدت للناس عورته»[٣].

و قال: «لا خيرَ فيمن لا يحب هذا المال، يصل به رحمه، و يؤدّي به أمانته، و يستغني به عن خلق ربه»[٤].

و روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه سأل فاطمة عليها السلام: ما خير للنساء؟ قالت: أن لا يرين الرجال و لا يرونهنّ. فذكره للنبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال: «إنما فاطمة بضعة مني».

و أيضاً عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «من اتّقى اللّه عاش قويا و سار في بلاده آمناً»[٥].

و قال: «لا تملؤا أعينكم من أعوان الظلمة إلاّ بإنكار من قلوبكم، لكي لا تحبط

---

١. راجع: وسائل الشيعة للحر العاملي، ج٣، ص٦٣ باب ٢٤ أعداد الفرائض و النوافل. و ج٥، ص٢٤٧ و ٢٤٩.

٢. الحلية، ج٢، ص١٧٢.

٣. المصدر نفسه، ص١٦٦.

٤. المصدر نفسه، ص١٧٣.

٥. المصدر نفسه، ص١٧٥.

أعمالكم الصالحة»[١].

و كان معبّراً للرؤيا، معروفا بذلك. فوجّه إليه عبد الملك بن مروان من يسأله عن منامه، كان قد رأى كأنّه قد بال في المحراب أربع مرّات! فقال سعيد بن المسيَّب: يملك من ولده لصلبه أربعة. فكان كما قال، فإنه وُلّي الوليد و سليمان و يزيد و هشام، و هم أولاد عبد الملك لصلبه[٢].

* * *

٣ـ مجاهد بن جَبْر

هو أبو الحجاج المخزومي المكي، المقرئ المفسّر. ولد سنة (٢١)، و تُوفّي بمكة ساجداً سنة(١٠٤). كان أوثق أصحاب ابن عباس، و من ثم اعتمده الأئمّة و أصحاب الحديث و التفسير.

و رُوي عنه أنه قال: عرضتُ القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، أقف عند كل آية، أسأله فيم نزلت، و كيف نزلت.

قال ابن أبي مُلَيكة[٣]: رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن و معه ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله. و من ثم قيل: أعلمهم بالتفسير مجاهد.

و قال سفيان الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

قال الذهبي: أجمعت الأُمة على إمامة مجاهد و الاحتجاج به. كان ثقة مأموناً،

---

١. الحلية، ج ٢، ص ١٧٠، و ابن خلكان، ج ٢، ص٣٧٨.

٢. ابن خلّكان، ج ٢، ص٣٧٨.

٣. هو عبد اللّه بن عبيد اللّه التيمي المدني أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ ثقة فقيه مات سنة (١١٧) ولاّه ابن الزّبير قضاء الطائف.(تهذيب التهذيب، ج ٥، ص٣٠٧).

و فقيها ورعاً، و عالماً كثير الحديث، جيّد الحفظ متقناً.

قال الأعمش: إذا رأيت مجاهدا كأنه جمّال أو خربندج[١]، فإذا نطق خرج من فيه الؤلؤ[٢].

* * *

مكانته في التفسير: استفاضت شهادة العلماء بعلوّ مكانته في التفسير و ثقته و أمانته و سعة علمه. و قد احتجّ بتفسيره الأئمّة النقاد والعلماء و أصحاب الحديث.

أُتّهم بالأخذ من أهل الكتاب، و لكن شدة نكير شيخه ابن عباس على الآخذين من أهل الكتاب، يتنافى و هذه التهمة. و الأرجح أنّ رجوعه إليهم كان في أُمور لا تدخل في دائرة النهي الوارد عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم، و ربما كان لغرض التحقيق لا التقليد.

و كذلك أُتّهم بأنه يفسّر القرآن برأيه ـ كان قد أعطى نفسه حرّية واسعة في التفسير العقلي ـ فقد روى ابنه عبد الوهاب أنّ رجلاً قال لأبيه: أنت الذي تفسّر القرآن برأيك؟ فبكى أبي ثم قال: إنّي إذن لجريء، لقد حملت التفسير عن بضعة عشر رجلاً من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم[٣].

قلت: و هذه التهمة يرجع سببها إلى الجوّ الحاكم آنذاك من التحاشي عن الخوض في معاني القرآن، و لا سيّما المتشابهات، غير أن شريعة العقل ترفض كل

---

١. ضلّ حماره فهو مهتمّ.

٢. راجع: ترجمته في الطبقات لابن سعد، ج ٥، ص٣٤٣ ـ ٣٤٤ و تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ١٠ ص٤٣ ـ ٤٤. و ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٣، ص٤٣٩. و مقدمة ابن تيميّة في أُصول التفسير، ص٤٨. و الجرح و التعديل للرازي، ج ٨، ص٣١٩.

٣. التفسير و المفسّرون، ج ١، ص١٠٧.

مناشئ الجمود. و سنبحث عن مسألة التفسير بالرأي الممنوع.

* * *

حرّيته في التفسير العقلي: كان مجاهد حرّ الرأي، يفسّر القرآن حسبما يبدو له من ظاهر اللفظ، و يرشده إليه عقله الرشيد و فطرته السليمة، بعد إحاطته بمفاهيم الكلمات و الأوضاع اللغوية و العرفية (حسب متفاهم العرف العام آنذاك) و ما كان قد عهده من مباني الشريعة و أسس الدين القويمة. و بعد مراجعة كلمات أعلام الأُمّة و خيار الصحابة الأوّلين، الأمر الذي يجب توفّره في كل مفسرٍ حرّ الرأي و مضطلعٍ خبيرٍ.

قال ـ في تفسير قوله تعالى: **﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾**[1] ـ: لم يُمْسَخُوا قردة، و إنما هو مثل ضربه اللّه، كما قال: **﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾**[2]. قال: إنه مُسخت قلوبهم فجُعلت كقلوب القردة لا تقبل وعظاً و لا تتّقي زجراً. قال الطبرسي: و هذا يخالف الظاهر الذي عليه أكثر المفسرين من غير ضرورة تدعو إليه[3].

و للزمخشري هنا كلام يُشبه تفسير مجاهد، في دقّة أدبية لطيفة. قال: قوله تعالى: **﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾** خَبَران، أي كونوا جامعين بين القردية و الخُسُوء، و هو الصغار و الطرد[4].

و من ثمّ قال المولى جمال الدين أبو الفتوح الرازي ـ من أعلام القرن

---

١. البقرة/ ٦٥.

٢. الجمعة/ ٥.

٣. مجمع البيان للطبرسي، ج١، ص١٢٩. و راجع: الطبري التفسير، ج١، ص٢٦٣. و تفسير مجاهد، ص٧٥ ـ ٧٦.

٤. الكشاف، ج١، ص١٤٧.

السادس ـ: مجاهد گفت: معنى آن است «اذلاّء صاغرين» ذليل و مهين. و در اين عظمتى و عبرتى است آنانرا..[١].

قال الإمام الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦): إنّ ما ذكره مجاهد ـ رحمه اللّه ـ غير مستبعد جدّاً، لأن الإنسان إذا أصرّ على جهالته بعد ظهور الآيات و جلاء البينات، فقد يقال ـ في العرف الظاهر ـ: إنه حمار و قرد. و إذا كان هذا المجاز من المجازات الظاهرة المشهورة، لم يكن في المصير إليه محذور ألبتة[٢].

قلت: و يشهد لهذا التأويل قوله تعالى ـ في سورة المائدة ـ: **﴿مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنٰازِيرَ وَ عَبَدَ الطّٰاغُوتَ، اُولٰئِكَ شَرٌّ مَكٰاناً وَ أَضَلُّ عَنْ سَوٰاءِ السَّبِيلِ﴾**[٣].

بدليل عطف «و عَبَدَ الطاغوت»، و كذا عطف «الخنازير». و هذان لم يأت ذكرهما في سائر القرآن؛ فيكون المعنى: أن من شديد العقوبة أن يتحول الإنسان من شموخ كرامته و اعتلاء شرفه، إلى سافل مبتذل يحمل سمات القردة و الخنازير، مُهاناً لئيماً، يرضخ للطواغيت رضوخ الذليل الحقير.

* * *

و عند تفسير قوله تعالى: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاضِرَةٌ اِلىٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَةٌ﴾**[٤]، روى وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد، قال: تنتظر الثواب من ربّها. و عن الأعمش عنه: «تنتظر رزقه و فضله». و في حديث: «تنتظر من ربها ما أمر لها». قال

---

١. تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ٢١٧.

٢. التفسير الكبير، ج ٣، ص ١١١.

٣. المائدة/ ٦٠.

٤. القيامة/ ٢٣.

منصور: قلت لمجاهد: إن أناساً يقولون: إنه تعالى يُرىٰ، فيرون ربهم؟! فقال مجاهد: لا يراه من خلقه شيء. و في حديث آخر: يَرىٰ و لا يراه شيء[١].

و أنت ترى أنّ القول بامتناع الرؤية يخالف عقيدة السلفيّين من أصحاب الظواهر، و من ثم رموه بالحياد عن طريقة السلف، و أنه يفسّر برأيه، أو أنه يرى مذهب الاعتزال، كما رموا تلاميذه حسبما يأتي في ابن أبي نجيح راوي تفسيره.

و من ثم قال الطبري ـ تعقيباً على ذلك ـ: و أوْلى القولين في ذلك عندنا بالصواب، القول الذي ذكرناه عن الحسن و عكرمة، من أنّ معنى ذلك: تنظر إلى خالقها.

قال الأستاذ الذهبي: و هذا التفسير عن مجاهد كان فيما بعدُ متَّكأً قويّاً للمعتزلة فيما ذهبوا إليه في مسألة الرؤية[٢].

قلت: و العجيب أن الآراء المستقيمة المتوافقة مع الفطرة و العقل الرشيد؛ حيث صدرت قديماً و حديثاً، فإنها تُعزى إلى فريق المعتزلة، أو هي منشأ لمذاهبهم في العقيدة الإسلامية، الأمر الذي يجعل من العقل و الفطرة ـ في نظر أهل الجمود ـ في قبضة أهل الاعتزال، و في منحصر آرائهم و مذاهبهم.

قال الزمخشري: ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، فإن المؤمنين نُظّارة ذلك اليوم؛ لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون. فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه، محال؛ فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص. و الذي يصح منه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقّع و الرجاء، و منه قول القائل:

---

١. تفسير الطبري، ج٢٩، ص١٢٠.

٢. التفسير و المفسرون، ج١، ص١٠٦.

و إذا نظرتُ إليك من مَلك   و البحرُ دونَك زِدتَني نِعَماً

و سمعتُ سرويّةً مستجديةً بمكة وقت الظهر، حين يغلق الناس أبوابهم و يأوون إلى مقائلهم، تقول: عُيَيْنتي نُويظرة إلى اللّه و إليكم.

و المعنى: أنهم لا يتوقّعون النعمة و الكرامة إلاّ من ربّهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون و لا يرجعون إلاّ إيّاه[١].

و علّق عليه ابن المنير ـ في الهامش ـ بأنّ عدم كونه تعالى منظوراً إليه، مبنيٌّ على مذهب المعتزلة، و هو عدم جواز رؤيته تعالى. و مذهب أهل السنّة جوازها!!

و قال الفخر: اعلم أن جمهور أهل السنّة يتمسّكون بهذه الآية في إثبات أن المؤمنين يرون اللّه تعالى يوم القيامة. أما المعتزلة فأنكروا دلالة الآية على ذلك أولاً، و إمكان تأويلها على الفرض ثانياً؛ حيث الرؤية تمتنع عليه تعالى عقلاً و نقلاً قطعياً، الأمر الذي لا يختلف في هذه الحياة أم في الآخرة[٢].

أمّا المفسرون من علمائنا الإمامية فإنهم مطبقون على امتناع الرؤية مطلقاً، وليس في الآية دلالة صريحة على ذلك، مع شيوع استعمال النظر في التوقّع والانتظار.

قال الشيخ أبوجعفر الطوسي رحمه الله: معناه، منتظرة نعمة ربّها و ثوابه أن يصل إليهم. و يكون النظر بمعنى الانتظار، كما قال تعالى: ﴿وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[٣]، أي منتظرة. و قال الشاعر:

وجوه يوم بدر ناظرات   إلى الرحمان يأتي بالفلاح

---

١. الكشاف، ج ٤، ص ٦٦٢.

٢. التفسير الكبير، ج ٣٠، ص ٢٢٦.

٣. النمل / ٣٥.

و قوله تعالى: ﴿وَ لاٰ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾[١] معناه، لاينيلهم رحمته.

قال‌رحمه‌الله: و ليس النظر بمعنى الرؤية أصلاً، بدلالة أنهم يقولون: نظرت إلى الهلال فلم أره. فلو كان بمعنى الرؤية لتناقض؛ و لأنّهم يجعلون الرؤية غاية للنظر،يقولون: ما زلت أنظر إليه حتى رأيته، و لا يجعل الشيء غاية لنفسه، فلا يقال: مازلت أراه حتى رأيته. قال: و النظر ـ في الأصل ـ تقليب حدقة العين نحو المرئي طلباً للرؤية، فاستعمل في مطلق التأميل و التوقّع و الانتظار.

قال: و ليس لأحد أن يقول: إنّ ذا يخالف إجماع المفسرين القدامى؛ لأنا لانسلم ذلك، بل قد قال مجاهد و أبو صالح (و الحسن[٢]) و سعيد بن جبير و الضحّاك: إن المراد نظر الثواب.

و روى مثله عن عليّ‌عليه‌السلام ثم أخذ في التعمّق و الاستدلال، جزاه اللّه عن الإسلام خيراً[٣].

تفسير مجاهد برواية ابن أبي نجيح

هناك تفسير متقطع و مُرتّب على السور، يبتدئ من سورة البقرة حتى نهاية القرآن، منسوب إلى مجاهد، يرويه عنه أبو يسار عبد اللّه بن أبي نجيح يسار، الثقفي الكوفي (تُوفّي سنة ١٣١)، بطريق عبد الرحمان بن الحسن بن أحمد الهمذاني، عن إبراهيم الحسين الهمذاني، عن آدم بن أياس، عن ورقاء بن عمر اليشكري عن ابن أبي نجيح. و قد صحّحه الأئمّة و اعتمده أرباب الحديث.

---

١. آل عمران/ ٧٧.

٢. ضم الحسن إلى هؤلاء الأعلام يخالف ما نقلناه عن الطبري، روى بإسناده عن الحسن، قال: تنظر إلى خالقها، و حُقّ لها أن تنظر و هي تنظر إلى الخالق.(تفسير الطبري، ج٢٩، ص١١٩ ـ ١٢٠).

٣. أورد هذا البحث في موضعين من تفسيره القيم «التبيان»، ج١، ص٢٢٧ ـ ٢٢٩، و ج١٠، ص١٩٧ ـ ١٩٩.

قال وكيع بن الجراح[١]: كان سفيان يصحّح تفسير ابن أبي نجيح. قال أحمد ابن حنبل: ابن أبي نجيح ثقة، و كان أبوه من خيار عباد اللّه[٢]. قال الذهبي: هو من الأئمّة الثقات[٣]. و قد اعتمده البخاري فيما يرويه في التفسير عن مجاهد[٤]. قال ابن تيميّة: تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد من أصحّ التفاسير، بل ليس بأيدي أهل التفسير كتاب في التفسير أصحّ من تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد[٥].

و قد طُبع هذا التفسير باهتمام مجمع البحوث الإسلامية في باكستان سنة (١٣٦٧ هـ. ق).

و هذا التفسير ينقص كثيراً عما جاء في الطبري من تفسير مجاهد، لكنه عن غير طريق ابن أبي نجيح.

قال شواخ: و قد نقل الطبري من هذا التفسير حوالي (٧٠٠) مرة في مواضع مختلفة. و قد دخلت بعض أجزاء هذا التفسير في تفسير الطبري عن طريق تفاسير أُخرى، مثل تفسير ابن جريج و الثوري و غيرهما[٦].

* * *

---

١. من أكابر الحفّاظ و من الأئمّة الأعلام (٢٧ـ٩٦) من أصحاب سفيان الثوري. قال القعنبي كنّا عند حماد بن زيد فجاء وكيع، فقالوا: هذا راوية سفيان. فقال حماد: لو شئت قلت هذا أرجح من سفيان. و قال: أحمد: وكيع شيخ، مطبوع الحديث. (تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ١٢٥).

٢. تهذيب التهذيب، ج٦، ص ٥٤ ـ ٥٥.

٣. ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٥١٥ رقم ٤٦٥١.

٤. انظر: فتح الباري بشرح البخاري ـ كتاب التفسير ـ، ج٨، ص ١٢٢ و ١٢٥.

٥. تفسيره لسورة الإخلاص، ص ٩٤. راجع: المقدمة بقلم عبد الرحمان الطاهر مندوب المجمع ص ٦٠.

٦. معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٠ رقم ٩٩٤.

٤ـ طاووس بن كيسان

أبو عبد الرحمان طاووس بن كَيْسان الخَوْلاني الهَمْدانى اليماني، من أبناء الفرس، أحد الأعلام التابعين. كان فقيهاً جليل القدر، نبيه الذكر. قال ابن عيينة: قلت لعبيد اللّه بن أبي يزيد: مع من تدخل على ابن عباس؟ قال: مع عطاء و أصحابه. قلت: و طاووس؟ قال: أيهات، كان ذلك يدخل مع الخواصّ. و قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً قطُّ مثل طاووس[١].

و قد شهد بشأنه الكثير من العلماء، فعن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، قال: إني لأظن طاووساً من أهل الجنّة. و قال ابن حبّان: كان من عبّاد أهل اليمن، و من سادات التابعين، و كان قد حجّ أربعين حجّة، و كان مستجاب الدعوة. و قال ابن عيينة: متجنّبو السلطان ثلاثة: أبوذر في زمانه، و طاووس في زمانه، و الثوري في زمانه. و كان ابن معين يعدله بسعيد بن جبير[٢].

قال أبو نعيم: هو أوّل الطبقة من أهل اليمن، الذين قال فيهم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: الإيمان يمان. و قد أدرك خمسين رجلاً من الصحابة و علمائهم و أعلامهم، و أكثر روايته عن ابن عباس. و روى عنه الصفوة من الأئمّة التابعين[٣].

و عدّه ابن شهر آشوب من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام و وصفه بالفقيه[٤]. و له مع الإمام مواقف مشهودة، منها:

عند ما خرّ الإمام ساجداً عند بيت اللّه الحرام، فدنا منه و شال برأسه و وضعه

---

١. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٥٠٩ رقم ٣٠٦. و الحلية، ج٤، ص٩.

٢. تهذيب التهذيب، ج٥، ص٨ـ ١٠.

٣. حلية الاولياء، ج٤، ص٣ـ ٢٣.

٤. المناقب، ج٤، ص١٧٧. وكذا الشيخ في رجاله. معجم رجال الحديث، ج٩، ص١٥٥ رقم ٥٩٨٤.

على ركبته، و بكى حتى جرت دموعه على خدّ الإمام، و عند ذلك استوى الإمام جالساً، و قال: من الذي أشغلني عن ذكر ربّي؟! فقال: أنا طاووس يا ابن رسول اللّه، ما هذا الجزع و الفزع؟![1]. و أيضاً موقفه الآخر مع الإمام في الحجر[2]، مما يدلّ على اختصاصه به و شدّة قربه منهعليه السلام. و اليمانيّون ـ و لا سيّما هـمدان ـ معروفون بالولاء، و إن كانت النسبة بالولاء.

و هكذا كان يوم موته سنة(١٠٦) أيضاً يوماً مشهودا، و قد وضع عبد اللّه بن الحسن المثنّى سريره على كاهله، و قد سقطت قلنسوته و مُزّق رداؤه، من كثرة الزحام[3].

* * *

كما أن له مع طواغيت زمانه مواقف حاسمة، إنما تدل على صلابته في جنب اللّه:

قال ابن خلكان: قدم هشام بن عبد الملك حاجّا إلى بيت اللّه الحرام، فلما دخل الحرم قال: آتوني برجل من الصحابة، فقيل له: قد تفانوا. قال: فمن التابعين، فأُتي بطاووس اليماني. فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه، و لم يسلّم بإمرة المؤمنين، و لم يكنِّه، و جلس إلى جانبه بغير إذنه، و قال: كيف أنت يا هشام؟

فغضب هشام من ذلك غضباً شديداً و همّ بقتله، فقيل له: أنت في الحرم، لا يمكن ذلك.

فقال: يا طاووس، ما حَمَلَك على ما صنعتَ؟ قال: و ما صنعتُ؟ فاشتدّ غضبه

---

١. المناقب، ج٤، ص١٥١. و البحار، ج٤٦، ص٨٢.
٢. الإرشاد للمفيد، ص٢٧٣. و البحار، ج٤٦، ص٧٦.
٣. ابن خلكان، ج٢، ص٥٠٩ رقم ٣٠٦.

و غيظه، و قال: خلعت نعليك بحاشية بساطي، و لم تسلّم بإمرة المؤمنين، ولم تكنّني، و جلست بإزائي بغير إذني، و قلت: يا هشام، كيف انت؟!

قال: أمّا خلع نعليّ بحاشية بساطك، فإني أخلعهما بين يدَيّ ربّ العزّة كل يوم خمس مرّات، فلا يعاتبني و لا يغضب عليّ. و أما ما قُلتَ: لم تسلّم عليّ بإمرة المؤمنين، فليس كل المؤمنين راضين بإمرتك، فخفتُ أن أكون كاذباً. و أما ما قُلتَ: لم تكنّني، فإن اللّه عزّ و جلّ سمَّى أنبياءه، قال: يا داود، يا يحيى، يا عيسى. و كنّى أعداءه فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾. و أما قولك: جلست بإزائي، فإني سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام يقول: «إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار، فانظر إلى رجل جالس و حوله قوم قيام».

فقال له هشام: عظني! قال: إني سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إن في جهنّم حيّات كالقلال، و عقارب كالبغال، تلدغ كلّ أمير لا يعدل في رعيّته»، ثم قام و خرج [1].

انظر كيف يكرّر لفظ «أمير المؤمنين» يعني به عليّ بن أبي طالب عليه السلام في حين امتناعه من التسليم عليه بذلك، بحجة أنّ في المؤمنين ـ و يعني أمثال نفسه ـ من لايَرضى بإمرته! إن هذا إلاّ تربية أهل الولاء لآل بيت الرسول صلى الله عليه و آله و سلم دون غيرهم إطلاقاً.

* * *

و روى ابن خلكان بشأن ابنه عبد اللّه ما يشبه صلابة أبيه في الدين، قال: و روي أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور، استدعى عبد اللّه بن طاووس و مالك ابن أنس، فأحضرهما. فلمّا دخلا عليه أطرق المنصور ساعة، ثم التفت إلى ابن

---

١. ابن خلكان، ج ٢، ص ٥١٠.

طاووس، و قال له: حدّثني عن أبيك. فقال: حدَّثني أبي أن أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه اللّه تعالى في سلطانه، فأدخل عليه الجَور في حكمه. فأمسك أبو جعفر ساعة، قال مالك: فضممت ثيابي خوفاً أن يُصيبني دمه. ثم قال له المنصور: ناولني تلك الدواة ـ ثلاث مرّات ـ فلم يفعل، فقال له: لِمَ لا تناولني؟ فقال: أخاف أن تَكتُبَ بها معصية، فأكون قد شاركتك فيها!فلما سمع ذلك، قال: قوما عني. قال عبد اللّه: ذلك ما كنّا نبغي. قال مالك: فما زلت أعرف لابن طاووس فضله من ذلك اليوم [١].

قلت: و هذا يتنافى مع تاريخ وفاته بسنة (١٣٢) حسبما ذكره ابن حجر[٢]؛ لأن أبا جعفر إنّما تصدَّى للخلافة بعد موت السفّاح سنة (١٣٦)[٣]. و قد ذكر ابن خلكان تلك الحكاية عن المنصور بعنوان أنه أمير المؤمنين.

كما يتنافَى هذا الموقف من ابن طاووس مع ما ذكروا عنه أنه كان على خاتم سليمان بن عبد الملك، و كان كثير الحمل على أهل البيت[٤].

و لعل عبد اللّه هذا هو ابن عطاء، الذي صحب الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام، و كان من خلّص شيعتهما كأبيه عطاء بن أبي رباح[٥]. قال الكشّي: وُلد عطاء بن أبي رباح تلميذ ابن عباس: عبد الملك، و عبد اللّه، و عريف، نجباء، من أصحاب

---

١. ابن خلكان، ج ٢، ص ٥١١.

٢. تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٢٦٧.

٣. تتمة المنتهى للقمي، ص ١٦٧.

٤. تهذيب الأحكام للشيخ أبي جعفر الطوسي، ج ٩، ص ٢٦٢. و تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ٥ ص ٢٦٨.

٥. راجع: الإرشاد للمفيد، ص ٢٦٣. و بصائر الدرجات للصفّار، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ و ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ و روضة الكافي، ج ٨، ص ٢٧٦ رقم ٤١٧. و المناقب لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٨٨ وص ٢٠٤.

أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام. ثم روى حديثاً يدل على اختصاص عبد اللّه بالصادق، و قربه منه حسبما يأتي[١].

* * *

و لطاووس مواقف و آراء تخصّه لا تخلو من طرافة و ظرافة، منها: أنه كان يكره أن يقول: حجّة الوداع، و يقول: حجة الإسلام! أخرج ذلك ابن سعد عن إبراهيم بن ميسرة عنه[٢].

و كان ابنه يقول: إن العالِم لا يخرف، يريد أباه. فقد أخرج أبو نعيم بإسناده إلى وكيع، قال: حدثنا أبو عبد اللّه الشامي، قال: أتيت طاووساً فخرج إليّ ابنه شيخ كبير، فقلت: أنت طاووس؟ فقال: أنا ابنه. قلت: فإن كنت ابنه فإن الشيخ قد خرف، يعني أباه طاووساً. فقال: إنّ العالم لا يخرف[٣].

و أخرج أبو نعيم بإسناده عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاووس عن بريدة عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم قال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه». قال أبو نعيم: غريب من حديث طاووس، لم نكتبه إلاّ من هذا الوجه[٤].

و له ذيل قوله تعالى: ﴿الْأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ حديث طريف جرى بين رسول اللّه و علي عليهما السلام. و قد تفرّد بنقله عنه وهب بن منبّه الذي وصفه أبو نعيم بالحكيم الحليم[٥].

و جاء ابن سليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاووس، فلم يلتفت إليه،

---

١. رجال الكشّي (ط نجف)، ص١٨٨.

٢. الطبقات (ط ليدن)، ج٢، ص١٣٥ س ١٨.

٣. حلية الأولياء، ج٤، ص١١.

٤. المصدر نفسه، ص٢٣.

٥. المصدر نفسه، ص٢٢ ـ ٢٣، و الآية من سورة الزخرف/ ٦٧.

فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين، فلم تلتفت إليه؟! قال: أردت أن يعلم أن للّه عباداً يزهدون فيما في يديه، يعني يدَي ابن الخليفة[١].

كما أنّ له مع سليمان بن عبد الملك موقفاً حكيماً يدلّ على صلابته في الدين و صدقه في جنب اللّه[٢].

* * *

و فسر قوله تعالى: ﴿وَ خُلِقَ ٱلإِنْسٰانُ ضَعِيفاً﴾ قال: في أُمور النساء، ليس يكون الإنسان في شيء أضعف منه في أُمور النساء[٣].

و فسر قوله تعالى: ﴿أُولٰئِكَ يُنٰادَوْنَ مِنْ مَكٰانٍ بَعِيدٍ﴾ قال: بعيد من قلوبهم[٤].

و كان يقول: لم يجهد البلاء من لم يتولّ اليتامى أو يكون قاضياً بين الناس في أموالهم، أو أميراً على رقابهم[٥].

* * *

٥ـ عكرمة مولى ابن عباس

أبو عبد اللّه عكرمة بن عبد اللّه. أصله من البربر من أهل المغرب، كان لحصين بن الحرّ العنبري، فوهبه لابن عباس، حين وُلّي البصرة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، و اجتهد ابن عباس في تعليمه القرآن و السُّنن، و سماه بأسماء العرب[٦].

---

١. حلية الأولياء، ج ٤، ص١٦.

٢. المصدر نفسه، ص١٥.

٣. المصدر نفسه، ص١٢، و الآية من سورة النساء/ ٢٨.

٤. المصدر نفسه، ص١١، و الآية من سورة فصلت / ٤٤.

٥. المصدر نفسه، ص١٣.

٦. ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ـ، ج٣، ص٢٦٥ رقم ٤٢١. و في الطبقات: كان ابن عباس يُسمّي

←

قال ابن سعد: كان يقيّده فيعلّمه القرآن و يعلّمه السُّنن[١]. فربّاه فأحسن تربيته، و علّمه فأحسن تعليمه، و أصبح فقيهاً و أعلم الناس بالتفسير و معاني القرآن. قال ابن خلكان: أصبح عكرمة أحد فقهاء مكة و تابعيها، و كان ينتقل من بلد إلى بلد. قال: و روي أن ابن عباس قال له: انطلق فأَفْتِ للناس. و قيل لسعيد بن جبير: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: عكرمة.

و أخرج الذهبي عن عكرمة قال: طلبت العلم أربعين سنة، و كنت أفتي بالباب و ابن عباس في الدار[٢].

و أخرج ابن سعد عن سلاّم بن مسكين، قال: كان عكرمة من أعلم الناس بالتفسير. و عن عمرو بن دينار، قال: دفع إليّ جابر بن زيد مسائل أسأل عنها عكرمة، و جعل يقول: هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا البحر فسلوه. و أخرج عنه أبو نعيم، قال: هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا أعلم الناس.

و كان ابن عباس لا يدع فرصةً لتعليمه، قال عكرمة: قال لي ابن عباس و نحن ذاهبون من منى إلى عرفات: هذا يوم من أيامك (أي هذه فرصة لك فاغتنمها) فَجعلتُ أَرجُنُ به و يفتح عَلَيَّ ابنُ عباس[٣].

و أخرج ابن سعد أيضاً عن خالد بن القاسم البياضي قال: مات عِكرمة و كُثَيِّر

← عبيده أسماء العرب، عكرمة و سُميع و كريب. و كان يأمرهم بالتزويج و ترك العزوبة. (ابن سعد، ج٥، ص٢١٢).

١. الطبقات، ج٥ (ط ليدن)، ص٢١٢. قال: كان يضع في رجله الكَبْل لذلك. و راجع: أيضاً، ج٢، ص١٣٣. و راجع: حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، ج٣، ص٣٢٦ رقم (٢٤٥) و في الميزان، ج٣، ص٩٥ رقم ٥٧١٦: كان يضع في رجلَي الكبل على تعليم القرآن و الفقه.

٢. ميزان الاعتدال، ج٣، ص٩٥، رقم ٥٧١٦.

٣. أرْجُنُ به، أي أوقفه فأسأله. (الطبقات، ج٥، ص٢١٢).

عَزَّة الشاعر في يوم واحد سنة (١٠٥) فرأيتهما جميعاً صُلّي عليهما في موضع واحد بعد الظهر في موضع الجنائز، فقال الناس: مات اليوم أفقه الناس و أشعر الناس[١].

و أخرج أبو نعيم عن إسماعيل بن أبيخالد، قال: سمعت الشعبي يقول: ما بقي أحد أعلم بكتاب اللّه تعالى من عكرمة. و عن سلاّم بن مسكين، قال: سمعت قتادة يقول: أعلمهم بالتفسير عكرمة.

و أخرج عن يزيد النحوي عن عكرمة، قال ابن عباس لي: انطلق فَأَفْتِ للناس، فمن سألك عمّا يعنيه فأَفْتِه، و من سألك عما لا يعنيه فلا تُفتِه، فإنك تطرح عنّي ثلثي مؤونة الناس.

و عن عمرو بن دينار، قال: كنت إذا سمعت من عكرمة يحدّث عن المغازي، كأنّه مشرف عليهم ينظر كيف كانوا يصنعون و يقتتلون. و كان سفيان الثوري يقول بالكوفة: خذوا التفسير عن أربعة: سعيد بن جبير، و مجاهد، و عطاء، و عكرمة. و في رواية: تبديل عطاء بالضحاك[٢].

و أخرج ابن حجر عن يزيد النحوي عن عكرمة، قال: قال لي ابن عباس: انطلق فأَفْتِ بالناس و أنا لك عون. قال: فقلت له: لو أن هذا الناس مثلهم مرّتين لأفتيتهم. قال: فانطلِقْ فأفتهم، فمن جاءك يسألك عمّا يعنيه فأفته، و من سألك عمّا لايعنيه فلاتُفته، فإنك تطرح عنك ثلثي مؤونة الناس.

و قال ابن جوّاس: كنّا مع شهر بن حوشب بجرجان، فقدم علينا عكرمة، فقلنا لشهر: ألا نأتيه؟ فقال: ائتوه، فإنه لم يكن أُمّة إلاّكان لها حبر، و أن مولى ابن عباس

---

١. الطبقات، ج ٥، ص٢١٦.

٢. حلية الأولياء، ج ٣، ص٣٢٦ ـ ٣٢٩.

حبر هذه الأُمّة[١]. فقد حمل هذا اللقب الرفيع من مؤدّبه ابن عباس و ورثه منه.

و قال المروزي: كان عكرمة أعلم شاكردي ابن عباس بالتفسير، و كان يدور البلدان يتعرّض[٢].

وقال قتادة: كان أعلم التابعين عطاء و سعيد بن جبير و عكرمة، قال: و أعلمهم بالتفسير عكرمة.

و قال ابن عيينة: سمعت أيّوب يقول: لو قلتُ لك: إن الحسن ترك كثيراً من التفسير، حين دخل علينا عكرمة البصرة حتى خرج منها، لصدقت[٣].

و قال ابن المديني: كان عكرمة من أهل العلم، و لم يكن في مَوالي ابن عباس أغزر علماً منه.

و قال ابن مندة: قال أبوحاتم: أصحاب ابن عباس عيال على عكرمة.

و قال ابن خيثمة: كان عكرمة من أثبت الناس فيما يروي[٤].

* * *

تلك شهادات ضافية و مستفيضة بشأن الرجل، تجعله في قمّة الفضيلة والعلم، و الثقة و الاعتماد عليه لدى الأئمّة، مما يوهن ما حيك حول الرجل من أوهام و أكاذيب مفضوحة، ليست تتناسب مع شخصيّة كانت تربية مثل ابن عباس، و موضع عنايته الخاصة.

قال أبو جعفر الطبري: و لم يكن أحد يدفع عكرمة عن التقدّم في العلم بالفقه

---

١. تهذيب التهذيب، ج٧، ص٢٦٥، و ميزان الاعتدال، ج٣، ص٩٣، رقم ٥٧١٦.

٢. المصدر نفسه. و شاگرد ـ بالكاف الفارسية ـ: التلميذ. و قد ذكره ابن حجر في مقدمة شرح البخاري ص٤٢٨ بلفظ: «كان عكرمة أعلم موالي ابن عباس و أتباعه بالتفسير».

٣. المصدر نفسه، ص٢٦٦.

٤. ابن حجر في مقدمة شرح البخاري، ص٤٢٨.

و القرآن و تأويله، و كثرة الرواية للآثار، و أنه كان عالماً بمولاه. و في تقريظ جُلّة أصحاب ابن عباس إيّاه و وصفهم له بالتقدّم في العلم و أمرهم الناس بالأخذ عنه، ما بشهادة بعضهم تثبت عدالة الإنسان، و يستحقّ جواز الشهادة. و من ثبتت عدالته لم يُقبل فيه الجرح، و ما تسقط العدالة بالظنّ، و يقول فلان لمولاه: لا تكذب عَلَيَّ، و ما أشبهه من القول الذي له وجوه و تصاريف و معان غير الذي وجّهه إليه أهل الغباوة، و من لا علم له بتصاريف كلام العرب[١].

و قال أبو نعيم: و منهم مفسّر الآيات المحكمة، و منوّر الروايات المبهمة، أبو عبد اللّه مولى ابن عباس عكرمة. كان في البلاد جوّالاً، و من علمه للعباد بذّالاً[٢].

* * *

و أما الذين طعنوا فيه، فقد قصرت أنظارهم و لم يعرفوا وجه المخرج من ذلك، مع وضوح براءة الرجل مما قيل فيه. و يتلخص في رميه بالكذب، و ميله إلى رأي الخوارج. أما الأول فلرواية رووها عن ابن عمر أنه قال لمولاه نافع: لا تكذب عليَّ كما كذب عكرمة على ابن عباس. و أما الثاني فلوهم توهّموه من سَفرته إلى المغرب عند تجواله البلاد، و أن الخوارج هناك أخذوا عنه أحاديث.

و من الواضح أنّ هكذا تشبّثات غريبة إنما تنمّ عن حسد كان يحمله مناوِئوه تجاه منزلة الرجل و شموخه في الفقه و العلم، بمعاني القرآن الكريم.

قال ابن حجر ـ بشأن الرواية عن ابن عمر ـ: إنها ضعيفة الإسناد، فضلاً عن اختلاف المتن و تباين النقل فيها. قال: إنها لم تَثْبُت؛ لأنها من رواية أبي خلف الجزّار عن يحيى البكّاء، و البكّاء متروك الحديث.

---

١. عن المقدمة لابن حجر، ص٤٢٨ ـ ٤٢٩.

٢. حلية الأولياء، ج٣، ص٣٢٦، رقم ٢٤٥.

و من ثم قال ابن حبّان: و من المحال أن يجرّح العدل بكلام المجروح. يقصد به البكّاء.

و أضاف ابن حجر: أن إسحاق بن عيسى سأل مالكاً: أَبَلَغَك أن ابن عمر قال لنافع كذا؟ قال: لا. و لكن بلغني أن سعيد بن المسيّب قال ذلك لمولاه برد![١]

قلت: و لقد كان رميه بالكذب شائعاً على عهده، و ربما على عهد سيّده ابن عباس أيضاً؛ حيث ورد الذّبّ عن نفسه صريحاً، و إنكار ابن عباس ذلك.

قال ابن حكيم: كنت جالساً مع أبي أُمامة بن سهل بن حنيف، إذ جاء عكرمة، فقال: يا أبا أُمامة، أُذكّرك اللّه، هل سمعت ابن عباس يقول: «ما حدّثكم عكرمة عنّي فصدّقوه، فإنه لم يكذب عليّ»؟ فقال أبوأُمامة: نعم[٢].

و قال أيّوب: قال عكرمة: أرأيت هؤلاء الذين يكذّبوني من خلفي، أفلا يكذّبوني في وجهي! قال ابن حجر: يعني أنهم إذا واجهوه بذلك أمكنه الجواب عنه و المخرج منه. و ذلك أن عكرمة كان يسمع الحديث من شيخ و مثله من شيخ آخر، فربما حدّث و أسنده إلى الأول، ثم يحدّث و يسنده إلى الآخر، فمن ذلك رموه بالكذب، كما قال أبو الأسود: كان عكرمة ربما سمع الحديث من رجلين، فكان إذا سئل حدّث به عن رجل، ثم يُسأل عنه بعد حين فيحدّث به عن الآخر، فيقولون: ما أكذبه! و هو صادق[٣].

قال ابن حجر: احتجّ بحديث عكرمة البخاري و أصحاب السُّنن. و تركه مسلم ـ إلاّ حديثاً واحداً ـ و إنما تركه لكلام مالك فيه (كان مالك لا يراه ثقة و يأمر

---

١. مقدمة شرح البخاري، ص٤٢٥.

٢. تهذيب التهذيب، ج٧، ص٢٦٥ و المقدمة، ص٤٢٧.

٣. مقدمة فتح الباري، ص٤٢٧.

جمعداری اموال
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أن لا يُؤخذ عنه)[١]. قال: و قد تعقّب جماعةٌ من الأئمّة ذلك، و صنّفوا في الذّبّ عن عكرمة، منهم: أبو جعفر ابن جرير الطبري، و محمّد بن نصر المروزي، و أبو عبد اللّه ابن مندة، و أبو حاتم ابن حبّان، و أبو عمرو ابن عبد البرّ، و غيرهم.

و قد لخّص ابن حجر ما قيل فيه، ثم عقّبه بالإجابة عليه، قائلاً: فأما أقوال من أوهاه، فمدارها على ثلاثة أشياء: على رميه بالكذب، و على الطّعن فيه بأنه كان يرى رأي الخوارج، و على القدح فيه بأنه كان يقبل جوائز الأُمراء. قال: أما قبول الجوائز فجمهور أهل العلم على الجواز، و قد صنّف في ذلك ابن عبد البرّ[٢] قال: على أن ذلك ليس بمانع من قبول روايته، و هذا الزهري قد كان في ذلك أشهر من عكرمة، و مع ذلك فلم يترك أحدٌ الرواية عنه بسبب ذلك[٣].

و أما تهمة البدعة فإنّها لم تثبت، و قد نفاها عنه جماعة من الأئمّة النقّاد. قال ابن أبي‌حاتم: سألت أبي عن عكرمة، فقال: ثقة. قلت: يُحتجّ بحديثه؟ قال: نعم، إذا روى عنه الثقات. و الذي أنكر عليه مالك، إنما هو بسبب رأي، على أنه لم يثبت عنه من وجه قاطع أنه كان يرى ذلك، و إنما كان يوافق في بعض المسائل[٤]

---

١. تهذيب التهذيب، ج٧، ص٢٦٨. و في الميزان، ج٣، ص٩٥: قال مطرف: سمعتُ مالكاً يكره أن يَذكُرَ عكرمة، و لا رأى أن يروي عنه.

٢. لم نجد فقيها من فقهاء ذلك العهد، كان قد سلم من ذلك، لا سيّما إذا كان الأمير صالحا، و كان الفقيه بحاجة، كما هو الشأن في مثل عكرمة. فقد قيل له: ما جاء بك إلى هذه البلاد؟ قال: الحاجة. (طبقات ابن سعد، ج٥، ص٢١٤). و في رواية: أسعى على عيالي (مقدمة الفتح، ص٤٢٦).

٣. مقدمة فتح الباري، ص٤٢٤ ـ ٤٢٧.

٤. ما من مذهب و طريقة إلاّ و يتوافق بعض مسائله مع مسائل مذاهب آخرين، و هذا لايعني التوافق في الأصول و في كل الاتجاهات. نعم، الذين في قلوبهم زيغ، يتبعون ما تشابه، ابتغاء الفتنة وسعياً وراء الفساد في الأرض.

فنسبوه إليهم. و قد برّأه أحمد و العجلي من ذلك، فقال ـ في كتاب الثقات له ـ: عكرمة مولى ابن عباس، مكّيّ تابعي ثقة، بريء مما يرميه الناس به من الحروريّة.

و قال ابن جرير: لو كان كل من أُدّعي عليه مذهب من المذاهب الرّديئة، ثبت عليه ما أُدّعي به، و سقطت عدالته، و بطلت شهادته بذلك؛ للزم ترك أكثر محدِّثي الأمصار؛ لأنه ما منهم إلاّ و قد نسبه قوم إلى ما يرغب به عنه[١].

قال الذهبي: عكرمة مولى ابن عباس، أحد أوعية العلم. تُكُلِّم فيه، لرأيه لا لحفظه، فاتّهم برأي الخوارج. و قد وثّقه جماعة، و اعتمده البخاري[٢].

* * *

و أما الكذب فلا منشأ لرميه به سوى حديث ابن عمر الآنف، و في طريقه ضعف الأمر الذي لا يصطدم مع وفرة توثيقه: أخرج ابن حجر عن البخاري قال: ليس أحد من أصحابنا إلاّ احتج بعكرمة. و قال ابن معين: إذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة فاتّهمه على الإسلام. و قال المروزي: قلت لأحمد بن حنبل: يحتج بحديث عكرمة؟ قال: نعم. قال المروزي: أجمع عامّة أهل العلم على الاحتجاج بحديث عكرمة، و اتّفق على ذلك رؤساء أهل العلم بالحديث من أهل عصرنا، منهم: أحمد بن حنبل، و إسحاق بن راهويه، و أبو ثور، و يحيى بن معين. قال: و لقد سألتُ إسحاق عن الاحتجاج بحديثه، فقال: عكرمة عندنا إمام أهل الدنيا، و تعجّب من سؤالي إيّاه. قال: و حدّثنا غير واحد أنهم شهدوا يحيى بن معين، و سأله بعض الناس عن الاحتجاج بعكرمة، فأظهر التعجّب. و قال البزّار: روى عن عكرمة مائة و ثلاثون رجلاً من وجوه البلدان، كلهم رضوا به، إلى غيرها من

---

١. فتح الباري ـ المقدمة ـ ص٤٢٧.

٢. ميزان الاعتدال، ج٣، ص٩٣، رقم٥٧١٦.

توثيقات قيّمة[١].

* * *

و يبدو من روايات أصحابنا الإمامية كونه من المنقطعين إلى أبواب آل بيت العصمة، وفقاً لتعاليم تلقّاها من مولاه ابن عباس ـ رضي اللّه عنه ـ. فقد روى محمد بن يعقوب الكليني بإسناده إلى أبي بصير، قال: كنا عند الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام و عنده حمران؛ إذ دخل عليه مولىً له، فقال: جعلتُ فداك، هذا عكرمة في الموت، و كان يرى رأي الخوارج، و كان منقطعاً إلى أبي جعفر عليه السلام.

فقال لنا أبو جعفر: أنظروني حتى أرجع إليكم، فقلنا: نعم. فما لبث أن رجع، فقال: أما إني لو أدركت عكرمة، قبل أن تقع النَفَسُ موقعها لعلّمته كلمات ينتفع بها، و لكنّي أدركته و قد وقعتِ النَفَسُ موقعها. قلت: جعلت فداك، و ما ذاك الكلام؟ قال: هو ـ واللّه ـ ما أنتم عليه، فلقّنوا موتاكم عند الموت شهادة أن لاإله إلاّ اللّه و الإقرار بالولاية[٢].

في هذه الرواية مواضع للنظر و الإمعان: أولاً دخول مولى أبي‌جعفر بذلك الخبر المفاجئ، لدليل على أنّ لعكرمة كانت منزلة عند الإمام عليه السلام، و كان الإمام يهتمّ بشأنه. ثانياً قوله: و كان منقطعاً إلى أبي جعفر، يؤيّد كون الرجل من خاصّة أصحابه، و لم يكن يدخل على غيره دخوله على الإمام عليه السلام.

و أما قوله: و كان يرى رأي الخوارج، فهو من كلام الراوي، حدساً بشأنه،

---

١. راجع: مقدمة فتح الباري، ص٤٢٨.

٢. الكافي الشريف، ج٣، ص١٢٣، رقم٥. باب تلقين الميّت من كتاب الجنائز. و المرآة، ج١٣، ص٢٧٨ ـ ٢٧٩.

حسبما أملت عليه الحياكات الشائعة عنه[١]، و إلاّ فهو متناقض مع انقطاعه إلى الإمام. كيف يختص بالحضور لدى إمام معصوم من أهل بيت النبوّة، من كان يرى رأي خارجيّ مبغض لآل أبي طالب بالخصوص؟! إن هذا إلاّ تناقض، يرفضه العقل السليم، فهذا قول ساقط لا وزن له مع سائر تعابير الحديث المتقنة.

و أخيراً فإن قوله عليه السلام : لَقِّنُوا موتاكم الخ مع اهتمامه البالغ بشأن إدراكه قبل الموت ليلقّنه؛ لدليل واضح على كونه ممن يرى رأيهم لا رأي غيرهم، و إلاّ فلا يتناسب قوله أخيراً مع فعله أولاً، فتدبّر.

و هذه الرواية رويت مع اختلاف في بعض ألفاظها، رواها البرقي في كتاب «الصفوة» بإسناده إلى أبي بكر الحضرمي،[٢] و الكشّي عن طريق محمد بن مسعود العياشي بإسناده إلى زرارة بن أعين عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام[٣].

غير أن الكشّي استنتج من قول الإمام: «لو أدركته لنفعته» أنه مثل ما يُروى «لو اتّخذت خليلاً لاتّخذت فلاناً خليلاً» لا يوجب لعكرمة مدحاً بل أوجب ضده[٤].

لكنه استنتاج غريب ناشئ عن ذهنيّته الخاصّة بشأن الرجل. قال المحقق التستري ـ ردّاً عليه ـ: إن الرواية المقيس عليها غير ثابتة، و على فرض الثبوت فهو

---

١. فقد كان طلبه الوالي على المدينة، فتغيّب عند داود بن الحصين، حتى مات عنده، غير أنّ الإمام أباجعفر و صحابته الخواصّ كانوا يعرفون موضعه. و في ذلك أيضاً دلالة على كونه من الخاصّة. (طبقات ابن سعد، ج ٥، ط ليدن، ص٣١٦).

٢. المحاسن (ط نجف) ص١١٢ ـ ١١٣، باب ١٩ المعرفة، رقم٦٣. و البحار، ج٦٨ (ط طهران)، ص١١٩ ـ ١٢٠، رقم ٤٨.

٣. رجال الكشّي (ط نجف)، ص١٨٨ رقم ٩٤.

٤. اختيار معرفة الرجال (ط مشهد)، ص٢١٦، رقم٣٨٧. و (ط مؤسسة آل البيت) ج٢، ص٤٧٧ ـ ٤٧٨.

مدح لا قدح[١]. قلت: معنى «لو أدركته لنفعتُه»[٢]: إنه لم يدركه فلم ينتفع بما كان من شأنه أن ينتفع به. و كذا معنى «إن أدركته علّمته كلاماً لم تطعمه النار»[٣]: إن كنت لقّنته لم تذقه النار أصلاً. فلازم ذلك أنه بسبب عدم هـذا الانـتفاع يكـون بمعرض لإذاقة النار ـ على بعض ذنوبه أحياناً ـ أو فوته بعض المنافع لذلك.

و على جميع هذه الفروض، لا تدل الرواية على أنه كان من المـخالفين أو الفاسقين، حاشاه من عبد صالح كان تربية مثل ابن عباس من خاصة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و هذا كما يقال: لو عمل كذا لنفعه أو لم يكن ليتضرر شيئاً، و لازمه أنه لم ينتفع بذلك، أو تضرر شيئاً.

* * *

و للمولى المجلسي العظيم كلامٌ بشأن عكرمة، عند ما نُقل عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاةِ اللّٰهِ﴾[٤] إنها نزلت بشأن أبي ذرٍّ و صهيب[٥]، على خلاف سائر المفسّرين قالوا: نزلت بشأن علي عليه السلام ليلة المبيت. قال ـ بصدد القدح في الرواية ـ: إن راويها عكرمة، و هو من الخوارج[٦].

و لعلّ هذا منه كان جَدَلاً، و إلاّ فالرواية في نفسها ضعيفة لضعف الراوي لا المروي عنه. فقد أخرجها الطبري عن طريق الحجاج بن محمد المصيصي عن ابن جريج عن عكرمة. و المصيصي ضعيف واه، قد خلط في كبره، و من ثمّ تركه

---

١. قاموس الرجال، ج٦ (ط أولى)، ص٣٢٧.

٢. كما في رواية الكشّي «لو أدركت عكرمة عند الموت لنفعته». (ط نجف)، ص١٨٨ رقم ٩٤.

٣. كما في رواية البرقي ـ المحاسن باب ١٩ (المعرفة) من كتاب الصّفوة و النّور و الرحمة، رقم ٦٣.

٤. البقرة/ ٢٠٧.

٥. الطبري، ج٢، ص١٨٦، و المجمع، ج٢، ص٣٠١.

٦. بحار الأنوار، ج٣٦ (ط بيروت) ص٤٥.

يحيى بن سعيد و أوصى ابنه بتركه[١]. و قد سمعت أبا حاتم قوله بشأن عكرمة: ثقة يحتجّ بقوله إذا روى عنه الثقات[٢].

و بعد، فلم نجد مغمزاً في عكرمة مولى ابن عباس الثقة الأمين، الأمر الذي استنتجه ابن حجر في التقريب. قال: عكرمة، ثقة ثبت، عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، و لا يثبت عنه بدعة[٣].

منهجه في التفسير

كان ينتهج منهج مولاه و شيخه و مؤدّبه ابن عباس، في حرّية الرأي و ثبات العقيدة من غير أن يهاب أحداً، أو يُثنيه عن اختياره شيء. و من ثم عرّض نفسه للقذف و الرمي، و ربّما التحمّل لما كان المناوِئون يهابون موضع سيّده ابن عباس، فوجدوا من تلميذه مندوحة ليقدحوا فيه و يجرحوه.

و إليك نموذج من تفسيره:

كان يرى من آية الوضوء[٤] نزولها بمسح الأرجل دون غَسلها، و لم يزل عمله على ذلك، و إن استُدعي مخالفة عامة الفقهاء في عصره. قال يونس: حدّثني من صحب عكرمة إلى واسط، قال: فما رأيته غسل رجليه، إنما كان يمسح عليهما[٥]. و أخرج الطبري بإسناده إلى عبد اللّه العتكي عن عكرمة، قال: «ليس على الرجلين غَسل، إنما نزل فيهما المسح». و هكذا أخرج بإسناده إلى عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس، قال: «الوضوء غَسلتان و مسحتان». و كذا عن

---

١. تهذيب التهذيب، ج٢، ص٢٠٦.

٢. المصدر نفسه، ج٧، ص٢٧٠.

٣. التقريب، ج٢، ص٣٠، رقم ٢٧٧.

٤. المائدة/ ٦.

٥. الطبرسي في مجمع البيان، ج٣، ص١٦٥. و الطبري في جامع البيان، ج٦، ص٨٣.

جمع كثير من التابعين، و لا سيّما المتأثّرين بمدرسة ابن عباس، أمثال قتادة والضحاك و الشعبي و الأعمش و غيرهم. و جماعة من الصحابة أمثال أنس بن مالك و جابر بن عبد اللّه و غيرهما، ذهبوا إلى أنّ القرآن نزل بمسح الأرجل لاغَسلها[١].

قال أمين الإسلام الطبرسي: اختُلف في ذلك، فقال جمهور الفقهاء: إن فرضهما الغَسل. و قالت الإماميّة: فرضهما المسح لا غير، و به قال عكرمة. و قد رُوي القول بالمسح عن جماعة من الصحابة و التابعين كابن عباس و أنس و أبي العالية و الشعبي. و قال الحسن البصري: بالتخيير بين الغَسل و المسح.

قال: و أما ما رُوي عن سادة أهل البيت عليهم السلام في ذلك فأكثر من أن تحصى[٢].

و للطبرسي هنا بشأن المسألة تحقيق لطيف، ينبغي لرّواد الحقيقة مراجعته.

و أخرج البيهقي بإسناده عن رفاعة بن رافع: أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يُسبغ الوضوء كما أمره اللّه به: يغسل وجهه و يديه إلى المرفقين، و يمسح رأسه و رجليه إلى الكعبين»[٣].

* * *

و هكذا في المسح على الخُفَّين ـ الذي يقول به جمهور الفقهاء ـ كان عكرمة

---

١. الطبري في جامع البيان، ج٦، ص٨٢ـ ٨٣. و أخرج البيهقي في سننه، ج١، ص٧٢ عن ابن عباس قال: ما أجد في الكتاب إلاّ غسلتين و مسحتين. كما أخرج في ص٤٤ عن رفاعة بن رافع: المسح على الرجلين.

٢. الطبرسي في مجمع البيان، ج٣، ص١٦٤.

٣. السنن الكبرى، ج١، ص٤٤، باب التسمية على الوضوء و ج٢، ص٣٤٥ باب من سها فترك ركنا، و هناك كامل الحديث. و أخرجه السيوطي في الدرالمنثور، ج٢، ص٢٦٢.

ينكره أشدّ الإنكار، و يقول: «سبق الكتابُ المسح على الخُفّين»[١]، يعني: أن القرآن نزل بالمسح على الأرجل، أمّا المسح على الخُفّين ـ على ما وردت به بعض الروايات ـ فأمر متأخّر عن نزول الآية، و لا دليل على نسخ الآية، رواية لم تثبت[٢].

و هذا الذي ذكره عكرمة هو الذي نقلته الأئمّة عن الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام.

فقد روى أبو جعفر الطوسي بإسناده إلى أبي الورد، قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه‌السلام: إن أبا ظبيان حدّثني أنه رأى علياً عليه‌السلام أراق الماء ثم مسح على الخفّين! فقال: كذب أبو ظبيان[٣] أما بلغك قول عليّ عليه‌السلام فيكم: «سبق الكتاب الخُفّين»؟ فقلت: فهل فيهما رخصة؟ فقال: لا، إلاّ من عدوٍّ تتّقيه، أو ثلج تخاف على رجليك[٤].

و لا شكّ أن ابن عباس كان يرى رأي الإمام الذي هو شاخص أهل البيت عليهم‌السلام فلا وَقْع لتكذيب عكرمة بأنه خالف شيخه، فقد افتُري عليه كما افتُري على الإمام عليه‌السلام.

* * *

و عقد أبو نعيم الأصبهاني فصلاً من حليته[٥]، أورد فيه من تفاسير مأثورة عن عكرمة، درراً و غرراً هي من جلائل الآثار و كرائم الأفكار، و يتبيّن منها مدى سعة

---

١. تهذيب التهذيب، ج٧، ص٢٦٨.

٢. ذكر ابويوسف أن سنّة المسح على الخُفّين نسخت آية المسح على الأرجل. أحكام القرآن للجصّاص، ج٢، ص٣٤٨.

٣. هو حصين بن جندب الكوفي. مات سنة ٩٠. و قد أنكروا سماعه من علي عليه‌السلام فيما يرويه عنه. تهذيب التهذيب، ج٢، ص٣٨٠. و لم يذكره الشيخ في أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام.

٤. الوسائل، ج١، ص٣٢٢، رقم٥.

٥. حلية الأولياء، ج٣، ص٣٢٩ ـ ٣٤٧.

علم الرجل و شموخ فكره الصائب، ينبغي مراجعتها فإنها ممتعة جدّاً.

٦ـ عطاء بن أبي رباح

أبو محمّد عطاء بن أبي رباح أسلم ـ و قيل : سالم ـ بن صفوان. من أصل نوبي (١٧ ـ ١١٥). كان من أجلّة فقهاء مكة و زُهّادها، و من خواصّ ابن عباس والمتربّين في مدرسته.(١) و هو الذي حضر وصيته بالطائف في جماعة من الشيوخ، و رُوي عنه حديث الإمامة و الولاية ـ على ما سبق في ترجمة ابن عباس(٢) ـ مما يدلّ على مبلغ ولائه لأهل البيت و تمسّكه بأذيالهم الطاهرة، شأن سائر المتربّين بتربية ابن عباس الصحابي المُلهَم الجليل.

و ذكره أبو نعيم في التابعين ممن رووا عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام.(٣) كما ذكر ثناء الإمام عليه، فيما أخرجه بإسناده عن أسلم المنقري، قال: كنت جالساً مع أبي جعفر فمرّ عليه عطاء، فقال: ما بقي على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحجّ من عطاء بن أبي رباح. و عن أحمد بن محمد الشافعي، قال: كانت الحلقة في الفُتيا بمكة في المسجد الحرام لابن عباس، و بعد ابن عباس لعطاء بن أبي

---

١. صرّح الكشّي (ص١٨٨ رقم ٩٢ و ٩٣) بأن عطاء بن أبي رباح تلميذ ابن عباس. و كان ولده: عبد الملك و عبد اللّه و عريف، نجباء من أصحاب الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام. و قد تقدّم في ترجمة طاووس.

٢. نقلاً عن كفاية الأثر للخزّاز الرازي، ص٢٩٠. و البحار، ج٣٦، ص٢٨٧، رقم ١٠٩.

٣. و هم أربعة: عمرو بن دينار، و عطاء بن أبي رباح، و جابر الجعفي، و أبان بن تغلب. و من الأئمّة والأعلام: ليث و ابن جُرَيج و ابن أرطأة في آخرين، راجع: حلية الأولياء، ج٣، ص١٨٨، في ترجمة الإمام، برقم ٢٣٥. و عنه كشف الغمة للأربلي، ج٢، ص١٣٤. والوحيد في التعليقة على هامش الاسترآبادي، ص٢٢١.

رباح.[١]

قال ابن سعد: و قد انتهت فتوى أهل مكة إليه و إلى مجاهد، في زمانهما، و أكثر ذلك إلى عطاء. قال: كان يعلّم الكتاب، و كان ثقة فقيهاً كثير الحديث. و عن قتادة: كان عطاء من أعلم الناس بالمناسك[٢].

قال ابن حجر: قال ابن معين: كان عطاء معلّم كُتّاب[٣]. و أخرج عن أبي نوف عن عطاء، قال: أدركتُ مئتين من الصحابة. و عن ابن عباس أنه كان يقول: تجتمعون إليّ يا أهل مكّة و عندكم عطاء! و عن ربيعة قال: فاق عطاء أهل مكة في الفتوى. و قال قتادة: قال لي سليمان بن هشام: هل بمكة أحد؟ قلت: نعم، أقدم رجل في جزيرة العرب علماً! قال: من؟ قلت: عطاء بن أبي رباح، إلى غيرها من شهادات ضافية بشأنه. و أنه من سادات التابعين فقهاً و علماً و ورعاً و فضلاً[٤].

و لابن خلكان بشأنه حكاية طريفة، قال: حكي عن وكيع، قال: قال لي أبوحنيفة النعمان بن الثابت: أخطأت في خمسة أبواب من المناسك بمكّة، فعلّمنيها حجّام! و ذلك أني أردت أن أحلق رأسي، فقال لي: أعربيّ أنتَ؟ قلت: نعم، و كنت قد قلت له: بكم تحلق رأسي؟ فقال: لا يُشارط فيه، اجلس، فجلستُ منحرفاً عن القبلة، فأومأ إليّ باستقبال القبلة. و أردت أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر، فقال: أدر شقّك الأيمن من رأسك، فأدرته. و جعل يحلق رأسي و أنا ساكت، فقال لي: كبّر، فجعلت أُكبّر، حتى قمت لأذهب، فقال: أين تريد؟ قلت:

---

١. حلية الأولياء، ج٣، ص٣١١، رقم ٢٤٤. و طبقات ابن سعد، ج٥، ص٣٤٤.

٢. الطبقات لابن سعد، ج٥، ص٣٤٤ ـ ٣٤٦. و تهذيب التهذيب، ج٧، ص٢٠١.

٣. بضمّ الكاف، جمعه كتاتيب: موضع التربية و التعليم.

٤. تهذيب التهذيب، ج٧، ص١٩٩ ـ ٢٠٣.

رحلي. فقال: صلّ ركعتين ثم امض. فقلت: ما ينبغي أن يكون هذا من مثل هذا الحجّام إلاّ و معه علم. فقلت: من أين لك ما رأيتك أمرتني به؟ فقال: رأيت عطاء ابن أبي رباح يفعل هذا[١].

قال: و كان أسود، أعور، أفطس، أشلّ، أعرج، ثم عُمي بعد ذلك. و كان مُفَلْفَل الشعر. قال سليمان بن رفيع: دخلت المسجد الحرام و الناس مجتمعون على رجل، فأطلعت، فإذا عطاء بن أبي رباح جالس كأنه غرابٌ أسود[٢].

قال محمد بن عبد اللّه[٣]: ما رأيت مفتياً خيراً من عطاء بن أبي رباح، إنما كان في مجلسه ذكر اللّه لا يفتر و هم يخوضون. فإن تكلم أو سُئل عن شيء أحسن الجواب و كان يطيل الصمت، فإذا تكلم يخيّل إلى الناس أنّه يتأيّد! و عن ابن جُرَيج: كان عطاء إذا حدّث بشيء، قلت: علمٌ أو رأيٌ؟ فإن كان أثراً قال: علمٌ، و إن كان رأياً قال: رأيٌ و عن سلمة بن كهيل: ما رأيت أحداً يريد بهذا العلم وجه اللّه إلاّ ثلاثة: عطاء، و مجاهد، و طاووس. قال الأوزاعي: مات عطاء يوم مات، و هو أرضَى أهل الأرض عند الناس[٤].

وقد وقع في إسناد القمي في تفسير قوله تعالى: **﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السّٰاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جٰاءَ أَشْرٰاطُهٰا﴾**[٥].

* * *

و للمولى المامقاني بشأنه تخليط، قال: عدّه الشيخ من أصحاب أمير

١. وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٦١، رقم ٤١٩.

٢. الوفيات، ج٣، ص٢٦٢. و راجع: الطبقات، ج٥، ص٣٤٦. و تهذيب التهذيب، ج٧، ص٢٠٠.

٣. الملقّب بالديباج و أُمّه فاطمة بنت الحسين عليه السلام. قتله المنصور سنة ١٤٥.

٤. الطبقات، ج٥، ص٣٤٥. و تهذيب التهذيب، ج٧، ص٢٠١.

٥. محمد/ ١٨.

المؤمنين عليه السلام، و قال: مخلّط. و نقل المولى الوحيد عن أبي نعيم أنه ممّن روى عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: الظاهر أنه اشتباه منه أو من أبي نعيم، فإنّ الراوي عن الباقر هو عطاء بن السائب، و هو من رؤساء العامّة. أمّا ابن أبي رباح فهو مولى عبد اللّه ابن عباس، و لقاؤه للباقر غير معلوم. نعم لقاؤه لعلي مما لا ريب فيه. و هو مخلّط و يروي عن الشيخين كثيراً، و يروي لهما أكثر[١].

قلت: كانت ولادة عطاء بن أبي رباح في السنّة الرابعة أو الخامسة من خلافة ابن الخطاب، فكيف يروي عن الشيخين؟! ثم إنه عند وفاة أمير المؤمنين كان لم يتجاوز الثالثة عشره. و قد تُوفّي بعد وفاة الإمام الباقر (٥٧ ـ ١١٤) بسنة (١١٥) ولم يذكر أحد أنه مولى لابن عباس، بل مولى بني فهر، حسبما ذكروه[٢] كما ذكروا أنّ الذي اختلط في أُخريات حياته هو ابن السائل[٣]. و سنذكر أنه أيضاً من الخواص.

قال الدكتور شوّاخ: و تفسير عطاء بن أبي رباح كان من التفاسير التي رويت شفاهاً، و استخدمها الطبري بالروايه التالية: «القاسم بن الحسن الهمذاني (ت٢٧٢) الحسين المصيصي (ت٢٢٦) حجاج بن محمد المصيصي (ت٢٠٦). ابن جُرَيج (ت١٥٠) عن عطاء بن أبي رباح» و استخدمه الثعلبي أيضاً في كتابه (الكشف و البيان)[٤].

* * *

---

١. تنقيح المقال، ج٢، ص٣٥٢ ـ ٣٥٣، رقم ٧٩١٩.

٢. راجع: قاموس الرجال للتستري، ج٦، ص٣٠٦ (ط أولى).

٣. راجع: تهذيب التهذيب، ج٧، ص٢٠٧.

٤. معجم مصنفات القرآن الكريم، ج٢، ص١٦٣، رقم ٩٩٨.

٧ـ عطاء بن السائب

أبو محمد الثقفي الكوفي أحد الأئمّة[١]. روى عن سعيد بن جبير و مجاهد و عكرمة و أبي عبد الرحمان السلمي و جماعة. و روى عنه الأعمش و ابن جُرَيج. كان أبو إسحاق يقول: عطاء بن السائب من البقايا.

قال أحمد بن حنبل: ثقة ثقة رجل صالح. و لكن جماعة رموه بالتخليط في أُخريات حياته، و من ثم وثّقوه في حديثه القديم. قال يحيى بن سعيد: ما سمعت أحداً من الناس يقول في حديثه القديم شيئاً. أمّا و لماذا هذا التحوّل بشأنه؟

قال أبو قطن عن شعبة: ثلاثة في القلب منهم هاجس: عطاء بن السائب، و يزيد بن أبي زياد، و رجل آخر.[٢] ما سبب هذا الهاجس؟

قال سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي ـ أدام اللّه ظلّه و ألبسه ثوب العافية ـ بعد أن ذكر روايته عن عليّ بن الحسين عليه‌السلام بشأن منسألة القضاء ـ: هذه الرواية تدلّ على تشيّعه، فما يذكر عنه من التوثيق فيحديثه القديم ثم اختلط و تغيّر، فلعله كان منخرطاً في العامّة ثم استبصر[٣].

قلت: بل الظاهر كونه من الشيعة من أول أمره؛ لأنه كوفي و تتلمذ على أمثال ابن جبير و مجاهد و عكرمة و السلمي و أضرابهم. أمّا سبب اختلاطه في نظر القوم فلعله بدَى منه شيء من الارتفاع لم يكن يتحمّله القوم، و كم له من نظير.

أمّا الرواية المشار إليها فهي ما رواه أبو جعفر الصدوق بإسناده إلى عطاء بن السائب عن الإمام عليّ بن الحسين عليه‌السلام، قال: «إذا كنتم في أئمة جور فاقضوا في

---

١. الخلاصة، ص٢٦٦.

٢. تهذيب التهذيب، ج٧، ص٢٠٤.

٣. معجم رجال الحديث، ج١١ (ط بيروت)، ص١٤٥، رقم ٧٦٨٨.

أحكامهم، و لا تشهروا أنفسكم فتقتلوا. و إن تعاملتم بأحكامنا كان خيراً لكم»[١].
و قد عدّه الصدوق في المشيخة[٢].

و قد كانت وفاة الإمام السجاد عام (٩٥) سنة الفقهاء. و قد عاش ابن السائب بعد ذلك ما يقرب (٤٠) سنة؛ حيث عام وفاته(١٣٦). و الرواية إن دلت على تشيّعه ـ كما هو كذلك ـ فقد كان ذلك في أوّليّات حياته.

و له رواية أُخرى عن زاذان أبي عمرة الفارسي الكوفي الضرير، مات سنة(٨٢) في قضية قضاها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيّام عمر بن الخطاب، بشأن الوديعة التي استودعها رجلان عند أمرأة... رواها حريز بن عبد اللّه السجستاني عن عطاء بن السائب من زاذان .[٣]

٨ـ أبان بن تغلب بن رباح

أبو سعيد البكري الكوفي. قال الشيخ: ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة، لقي أبا محمد السجاد، و أبا جعفر الباقر، و أبا عبد اللّه الصادق عليهم السلام و روى عنهم. و كانت له عندهم خطوة و قدم[٤].

و كان إذا قدم المدينة تقوضت له الحِلَق و أُخليت له سارية النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم .[٥]
وكان ذلك بأمر من الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام ، قال له: «اجلس في مسجد المدينة

---

١. من لايحضره الفقيه، ج٣، ص٣، رقم٣. و تهذيب الأحكام للشيخ، ج٦، ص٢٢٤، رقم٢٨/٥٣٦. وص٢٢٥، رقم ٣٢/٥٤٠.
٢. شرح مشيخة الصدوق، ص١٢٥، الملحق بالفقيه، ج٤.
٣. الكافي الشريف، ج٧، ص٤٢٨، رقم١٢. و تهذيب الأحكام، ج٦، ص٢٩٠، رقم ١١/٨٠٤.
٤. فهرست الشيخ، ص٥ ـ ٦ (ط مشهد).
٥. رجال النجاشي، ص٨ ـ ٩ (ط حجرية).

و أَفْتِ للناس، فإني أُحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك»[١]. و هكذا روى الكشّي عن الإمام أبي عبد اللّه الصادقعليه السلام كان يقول له: «جالس أهل المدينة، فإني أُحبّ أن يروا في شيعتنا مثلك». و قد استجاز الإمام أن يُفتيهم حسبما يرون، قال: إني أقعد في المسجد، فيجيئني الناس فيسألوني، فإن لم أجبهم لم يقبلوا مني، و أكره أن أُجيبهم بقولكم و ما جاء منكم. فأجازه الإمام أن يُفتي للناس حسبما علم أنه من قولهم. قال: «انظر ما علمت أنه من قولهم فأخبرهم بذلك»[٢].

قال الشيخ: و كان أبان بن تغلب قارئاً فقيهاً لغويّاً نبيلاً، و سمع العرب و حكى عنهم و صنّف كتاب «الغريب في القرآن»، و ذكر شواهده من الشعر. قال: فجاء فيما بعد عبدُ الرحمان بن محمد الأزدي الكوفي، فجمع من كتاب أبان، و محمد ابن السائب الكلبي، و أبي روق ابن عطيّة بن الحرث، فجعله كتاباً واحداً، فيما اختلفوا فيه و ما اتفقوا عليه. فتارةً يجيء كتاب أبان مفرداً، و تارة يجيء مشتركاً، على ما عمله عبد الرحمان.

قال: و لأبان ـ رحمة اللّه عليه ـ قراءة مفردة. و رفع إسناده إلى محمد بن موسى بن أبي مريم صاحب اللؤلؤ، قال: سمعت أبان بن تغلب، و ما أحدٌ أقرأ منه، يقرأ القرآن من أوّله إلى آخره، و ذكر القراءة...

قال: و لأبان كتاب الفضائل ـ ثم ذكر طريقه إليه ـ كما أن له أصلاً. قال: و مات أبان سنة (١٤١) في حياة الإمام الصادقعليه السلام. و لمّا بلغه نعيه، قال: «أما واللّه، لقد أوجع قلبي موت أبان»[٣].

---

١. رجال النجاشي، ص٧.

٢. رجال الكشّي، ص ٢٨٠ (ط نجف).

٣. الفهرست، ص٦ ـ ٧.

و أخرج النجاشي بإسناده إلى الحسين بن سعيد بن أبي الجهم، قال: حدّثني أبي عن أبان بن تغلب، في قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. و ذكر التفسير إلى آخره. قال: و لأبان قراءة مُفردة مشهورة عند القراء. و عن محمد بن موسى بن أبي مريم، قال: سمعت أبان بن تغلب، و ما رأيت أحداً أقرأ منه قطّ، يقول: «إنما الهمز رياضة»[1] و ذكر قراءته إلى آخرها. قال: و له كتاب الفضائل، و كتاب صفّين، وكتاب تفسير غريب القرآن.

قال إبراهيم النخعي : كان أبان رحمه الله مقدّماً في كل فنٍّ من العلم، في القرآن، والفقه، و الحديث، و الأدب، و اللغة، و النحو.

و عن أبان بن محمد بن أبان بن تغلب، قال: سمعت أبي يقول: دخلت مع أبي إلى أبي عبد اللّه عليه السلام فلما بَصُر به أمر بوسادة فأُلقيَت له، و صافحه و اعتنقه و سأله و رحّب به. قال: و كان أبان إذا قدم المدينة تقوّضت إليه الحلق و أُخليت له سارية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[2].

و عن عبد الرحمان بن الحجّاج، قال: كنّا في مجلس أبان بن تغلب، فجاءه شابّ فقال: يا أبا سعيد، أخبرني كم شهد مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال له أبان: كأنّك تريد أن تعرف فضل عليٍّ بمن تبعه من أصحاب رسول اللّه؟ فقال الرجل: هو ذاك. فقال: و اللّه ما عرفنا فضلهم إلاّ باتّباعهم إيّاه.

و قال أبان لأبي البلاد: تدري من الشيعة؟ الشيعة الذين إذا اختلف الناس عن

---

١. أي في إظهار الهمز مشقة و صعوبة و تكلُّف بلا ثمر، فلا بد من ترك الإظهار، الذي هو لغة قريش، كانوا لا ينبرون بالهمز، و قد نهى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عنه أيضاً.

٢. أي كانت الحِلَق و الصفوف المتراصّة من الناس تتقوض و تتفرّق لتجتمع إلى حلقة أبان. و السارية: هو الأُسطوانة، التي كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يجلس عندها.

رسول اللّه، أخذوا بقول عليّ. و إذا اختلف الناس عن عليّ، أخذوا بقول جعفر بن محمد.

قال النجاشي: و جمع محمد بن عبد الرحمان بين كتاب التفسير لأبان و بين كتاب أبي روق عطيّة بن الحرث و محمد بن السائب، و جعلها كتابا واحداً.

وعن عبد اللّه بن خفقة، قال: قال لي أبان بن تغلب: مررت بقوم يعيبون عليّ روايتي عن جعفر! فقلت: كيف تلومونني في روايتي عن رجل ما سألته عن شيء إلاّ قال: قال رسول اللّه![١]

و عن سليم بن أبي حيّة، قال: كنت عند أبي عبد اللّه، فلما أردت أن أفارقه ودّعته، و قلت: أُحبّ أن تزوّدني. فقال: ائت أبان بن تغلب، فإنه قد سمع منّي حديثاً كثيراً، فما روى لك فاروه عنّي[٢].

* * *

و قال ابن حجر: قال أحمد، و يحيى، و أبوحاتم، و النسائي: ثقة. و قال ابن عَديّ: له نُسَخ عامّتها مستقيمة، إذا روي عنه ثقة، و هو من أهل الصدق في الروايات. و إن كان مذهبه مذهب الشيعة، و هو في الرواية صالح لا بأس به. قال ابن حجر: هذا قول منصف، و قد تقدم ذكره.

وقال ابن عجلان: حدثنا أبان بن تغلب، رجل من أهل العراق، من النسّاك، ثقة. و مدحه ابن عيينة بالفصاحة و البيان. قال أبو نعيم: و كان غاية من الغايات. و قال العقيلي: سمعت أبا عبد اللّه يذكر عنه عقلاً و أدباً و صحة حديث. و قال ابن

١. و لعلّ عيبهم كان لأجل كبر سنه بالنسبة إلى الإمام، و تقدّمه بحسب الزمان.

٢. رجال النجاشي، ص٧ ـ ١٠.

سعد: كان ثقة. و ذكره ابن حبّان في الثقات[١].

و قال الحافظ شمس الدين الداودي: صنّف كتاب «معاني القرآن» لطيف، «القراءات». روى له مسلم و الأربعة[٢].

٩ـ الحسن البصري

أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري. كان أبوه مولىً لزيد بن ثابت الأنصاري، من سبي ميسان (بُلَيدة بأسفل البصرة)، و أُمّه خيرة مولاة أُم سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و تربّى في بيتها. و يقال: ربما كانت تغذّيه بلبنها ـ باذن اللّه ـ عند ما تغيب أُمّه. و يقال: إنه ولد على الرّق، ولد بالمدينة سنة(٢٢) لسنتين بقيتا من خلافة عمر، و نشأ بوادي القرى (وادٍ من أعمال المدينة على طريق الشام، واقع بين تيماء و خيبر). و تُوفّي بالبصرة مستهلّ رجب سنة(١١٠)[٣].

كان الحسن جسيماً وسيماً[٤] نابهاً فصيحاً، و كان يُشبّه في الفصاحة و البيان برؤبة العجّاج[٥]. و كان عالماً جامعاً، و فقيهاً مأموناً[٦] و عابداً ناسكاً، حسب تعبير

---

١. تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٩٣ ـ ٩٤. و ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٥.

٢. طبقات المفسرين، ج ١، ص ١.

٣. تتمة المنتهى للقمي، ص ٧. و طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ١ (ط ليدن)، ص ١١٥. و تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٦.

٤. عن عاصم الأحول، قلت للشعبي: لك حاجة؟ قال: نعم، إذا أتيت البصرة فاقرأ الحسن منّي السلام. قلت: ما أعرفه؟ قال: إذا دخلت البصرة فانظر إلى أجمل رجل تراه في عينك، و أهيبه في صدرك فاقرأه منّي السلام! (تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٥).

٥. طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ١٢١.

٦. قال قتادة: ماجالست فقيهاً قطّ إلاّ رأيت فضل الحسن عليه. و قال أيّوب: ما رأَتْ عيناي رجلاً ←

ابن سعد و غيره[١].

كان أكثر ما يقوله عن علي عليه السلام من غير أن يصرّح باسمه الشريف تقيّةً، أو يُكنّى عنه بأبي زينب[٢].

و قد اعتمد الأئمّة مراسيله؛ لأنه لا يرسل إلاّ عن ثقة. قال عليّ بن المديني: مرسلات الحسن إذا روى عنه الثقات، صحاح. و قال أبو زرعة: كل شيء يقول الحسن: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، وجدت له أصلاً ثابتاً.

قال يونس بن عبيد: سألت الحسن، قلت: يا أبا سعيد، إنك تقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و إنك لم تدركه؟! قال: يا ابن أخي، لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحدٌ قبلك، و لولا منزلتك منّي ما أخبرتك. إني في زمان كما ترى! ـ وكان في عمل الحجاج[٣] ـ كل شيء سمعتني أقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فهو عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر علياً عليه السلام[٤].

← قطّ كان أفقه من الحسن!

و قال الأعمش: ما زال الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها. و كان إذا ذكر عند أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء». (تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٥).

و قال بلال بن أبي بردة: ما رأيت رجلاً قط لم يصحب النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم أشبه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من هذا الشيخ، يعني الحسن!. و قال الشعبي: أدركت سبعين من أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فلم أر أحداً قطّ أشبه بهم منه! (طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ١١٨).

١. قال مطر الوراق: كان جابر بن زيد (توفّي سنة ١٠٣) رجل أهل البصرة، فلما ظهر الحسن، جاء رجلٌ كأنما كان في الآخرة، فهو يخبر عما رأى و عاين. (تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٤).

٢. أمالي الشريف المرتضى، ج ١، ص ١٦٢.

٣. كان ذلك أيام ولاية الحجاج على البصرة.

٤. تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٦ بالمتن و الهامش.

قال الشريف المرتضى: و كان الحسن بارع الفصاحة، بليغ المواعظ، كثير العلم. و جميع كلامه في المواعظ و ذمّ الدنيا، أو جلّه مأخوذ ـ لفظاً و معنى، أو معنى دون لفظ[١] ـ من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام، فهو القدوة و الغاية، فنقل عنه حكماً و مواعظ جليلة.

ثم قال: و كان الحسن إذا أراد أن يحدّث في زمن بني أُميّة عن أمير المؤمنين، قال: قال أبو زينب[٢].

و قال الشيخ فريد الدين العطار النيسابوري: «كان الحسن إنّما يوالي عليّاً أمير المؤمنين، و منه أخذ العلم، و كان مرجعه في طريقة العرفان»[٣].

و لأبان بن أبي عياش كلام بشأن الحسن، يدل على مغالاته في ولائه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام. قال: لما أودعه سليم بن قيس الهلالي كتابه و أوصاه أن لا يريح غير الخواصّ من الشيعة ـ: فكان أول من لقيت بعد قدومي البصرة الحسن بن أبي الحسن البصري، و هو يومئذٍ متوارٍ من الحجّاج. و الحسن يومئذٍ من شيعة عليّ بن أبي طالب ـ صلوات اللّه عليه ـ و من مفرطيهم، نادم متلهّف على ما فاته من نصرة عليّ و القتال معه. فخلوت به في شرقيّ دار أبي‌خليفة الحجّاج بن أبي عتاب الديلمي، فعرضته عليه، فبكى ثم قال: ما في حديثه شيء إلاّ حقّ، قد سمعته

---

١. قال ابن عون: كان الحسن يحدّث بالحديث و بالمعاني. و قال جرير بن حازم: كان الحسن يحدثنا الحديث يختلف فيزيد في الحديث و ينقص منه، و لكنّ المعنى واحد. (طبقات ابن سعد، ج٧، ق١، ص١١٥،ط ليدن).

٢. أمالي المرتضى، ج١، ص١٥٣ و ١٦٢. و له كلام يأتي فيه وصف علي عليه السلام نقله المرتضى (المصدر، ج١، ص١٦٢).

٣. تذكرة الأولياء، ص٣٤.

من الثقات من شيعة علي ـ صلوات اللّه عليه ـ و غيرهم[١].

قلت: كان أخذه عن علي عليه السلام بواسطة الثقات من أصحابه، و ليس مباشرة و بغير واسطة؛ لأنه لم يدرك علياً في المدينة بما يمكنه الأخذ عنه؛ لحداثة سنّه حينذاك، و لم يلق علياً بعد أن خرج الإمام إلى العراق، كما سنوضّح.

* * *

و الذي انتقصوا به الحسن أمران: أنه كان يدلّس، و كان منحرفاً عن علي عليه السلام في بدء أمره و إن كان قد تندّم بعد ذلك. و شيء ثالث: أنه كان قدريّاً، و يقول: «من كذّب بالقدر فقد كفر». و لننظر في كل هذه التهم و مبلغ اعتبار كل واحدة منها:

أمّا التدليس، فقال ابن حجر: و كان يرسل كثيراً و يدلّس. قال البزّار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم، فيتجوّز و يقول: حدّثنا و خطبنا، يعني قومه الذين حُدّثوا و خُطبوا بالبصرة[٢].

و سئل أبو زرعة: هل سمع الحسن أحداً من البدريّين؟ قال: رآهم رؤيةً، رأى عثمان و عليّاً. قيل: هل سمع منهما حديثاً؟ قال: لا، رأى عليّاً بالمدينة، و خرج عليّ إلى الكوفة و البصرة، و لم يلقه الحسن بعد ذلك. و قال عليّ بن المديني: لم ير عليّاً إلاّ أن كان بالمدينة و هو غلام، و لم يسمع من جابر بن عبد اللّه، و لا من أبي سعيد الخدري، و لم يسمع من ابن عباس، و ما رآه قطّ، كان الحسن بالمدينة أيام كان ابن عباس بالبصرة. و أما قوله: «خطَبنا ابن عباس بالبصرة»، فإنما أراد: خطَب أهل البصرة. كقول ثابت: «قدم علينا فلان» أي قدم بلدنا و أهلنا. و قال ابن المديني: و لم يسمع من أبي موسى، و قال أبو حاتم و أبو زرعة: لم يره. قال ابن

---

١. مقدمة كتاب سليم بن قيس، ص ٦٥ ـ ٦٦.

٢. التقريب لابن حجر، ج ١، ص ١٦٥ رقم ٢٦٣.

المديني: رُوي عن الحسن أن سراقة حدّثهم.! قال: و هذا إسناد ينبو عنه القلب أن يكون الحسن سمع من سراقة، إلاّ أن يكون معنى حدّثهم: حدّث الناس، قال: فهذا أشبه. و هكذا قال الترمذي: لم يثبت له سماع من علي عليه السلام[١].

و قد تقدم الجواب عن ذلك، و أنه كان لا يرسل إلاّ عن ثقة، و لذلك قال ابن المديني و أبو زرعة و غيرهما: مرسلات الحسن صحاح، و أن لها أصلاً ثابتاً وَجَدَهُ الأعلام[٢].

و كان الرجل في محذور عن تسمية الرجال، و لا سيّما إذا كان عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أو أحد أصحابه المعروفين.

قال الطبري: كان الحسن فقيهاً فاضلاً، لا يُشكّ في حديثه فيما روى، و كان كثير المراسيل و كثير الرواية عن قوم مجاهيل، و عن صحف قد وقعت إليه لقوم أخذها منهم. و روي عن مساور، قال: قلت للحسن: عمّن تُحدّث هذه الأحاديث؟ قال: عن كتاب عندنا سمعته من رجل.

قال المحقق التستري ـ تعليقاً على هذا الكلام ـ: و لعلّه إشارة إلى كتاب سليم ابن قيس الهلالي الذي وقع بيده و سمعه من أبان بن أبي عيّاش، على ما أسلفنا.

و قال ـ أخيراً ـ: و الرجل ـ كما رأيت ـ مختلف فيه، إلاّ أن الأحسن حُسنه و تقواه و تقيّته[٣].

* * *

و أما تهمة الانحراف فمستندها حكايات هي أشبه بالأوهام:

---

١. تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٦ ـ ٢٧٠.

٢. المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

٣. قاموس الرجال (ط الأولى)، ج ٣، ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

من ذلك ما أرسله صاحب كتاب الاحتجاج: أن علياًعليه‌السلام مرّ ـ بعد واقعة الجمل ـ بالحسن البصري و هو يتوضّأ. فقال: يا حسن أسبغ الوضوء، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد قتلت بالأمس أُناساً يشهدون الشهادتين و يصلّون الخمس و يُسبغون الوضوء! فقال له أمير المؤمنين: فما منعك أن تُعين علينا عدوّنا؟ فقال: لقد خرجت، و أنا لا أشكّ أن التخلّف عن أُم المؤمنين عائشة هو الكفر، فلما انتهيت إلى موضع من الخريبة (موضع وقع قتال الجمل فيه) ناداني منادٍ: ارجع يا حسن، فإنّ القاتل و المقتول في النار. فقال علي: صدقك ذاك أخوك إبليس، إن القاتل و المقتول منهم في النار[1].

و هكذا أرسل القطب الراوندي: أن علياًعليه‌السلام قال له: أسبغ طهورك يا لفتي[2]، فقال: لقد قتلت بالأمس رجالاً كانوا يُسبغون الوضوء! قالعليه‌السلام: و إنك لحزين عليهم؟ قال: نعم. فقال: فأطال اللّه حُزنك. قالوا: فما رأينا الحسن قطّ إلاّ حزيناً، كأنّه يرجع عن دفن حميم، أو خَرْبَنْدَج ضلّ حماره. فقيل له في ذلك، فقال: عُمل فيّ دعوة الرجل الصالح![3].

و ذكر ابن أبي الحديد فيمن كان يبغض علياًعليه‌السلام الحسن البصري، قال: روى عنه حماد أنه قال: لو كان عليٌّ يأكل الحشف[4] بالمدينة لكان خيراً له مما دخل فيه. و رووا عنه أنه كان من المخذّلين عن نصرته. و رُوي عنه أن عليّاًعليه‌السلام رآه و هو يتوضّأ ـ و كان ذا وسوسة ـ فصبّ على أعضائه ماءً كثيراً، فقال له: أَرَقْتَ ماءً كثيراً

١. كتاب الاحتجاج المنسوب إلى الطبرسي (؟) (ط نجف)، ج ١، ص ٢٥٠.

٢. على وزان «قبطي» قيل: معناه الشيطان بالنبطية.

٣. الخرائج و الجرائح، ج ٢، ص ٥٤٧ رقم ٨، و البحار، ج ٤١، ص ٣٠٢ رقم ٣٣، و ج ٤٢، ص ١٤٣ رقم ٥.

٤. الحَشَف: أرْدَأ التمر، أو اليابس الفاسد من التمر.

يا حسن؛ فقال: ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين أكثر! قال: أوَ ساءك ذلك؟ قال: نعم. قال: فلازلت مُسوَّءًا. قالوا: فما زال الحسن عابساً قاطباً مهموماً إلى أن مات[١].

هذا كل ما قيل بشأنه دليلاً على انحرافه عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لكنها روايات لا إسناد لها، فضلاً عما بينها من تهافت و تضارب، و قد أنكرها ابن أبي الحديد بشدّة على ما سنذكر.

قلت: و لحُسْنِ الحظّ أن واضع هذه الروايات قد ذهب عنه أن الحسن ـ و هو غلام يافع ـ لم يكن له شأن ذلك اليوم، و لم يكن حاضر البصرة يوم الجمل، و لم يخرج إلى العراق بعدُ، إلاّ في أيام طَعَنَ في السّنِّ و كبر، أيّام عبد الملك بن مروان و ما بعده. كما يظهر من رواية الورّاق: كان جابر بن زيد رجل أهل البصرة، فلما ظهر الحسن جاء رجل كأنما كان في الآخرة[٢]. و جابر بن زيد تُوفّي سنة (٩٣ أو ١٠٣).

كان الحسن عند مقتل عثمان لم يبلغ الحلم. قال ابن سعد: كان للحسن يومذاك أربع عشرة سنة. قال أبو رجاء: قلت للحسن: متى عهدك بالمدينة؟ قال: ليالي صفّين. قلت: متى احتلمت؟ قال: بعد صفّين عاماً[٣]. و قال ابن حبّان: احتلم سنة (٣٧)، و أدرك بعد صفين[٤].

و عليه فكان يوم الجمل غلاماً حوالي البلوغ ما بين (١٤ ـ ١٥) سنة، فضلاً

---

١. شرح النهج، ج ٤، ص ٩٥ ـ ٩٦.

٢. تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٤.

٣. طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ١١٤.

٤. تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٧٠.

عن كونه بالمدينة حينذاك و لم يخرج إلى العراق. و قد عرفت تصريح العلماء بذلك[١].

و إليك من كلام ابن أبي الحديد في ذلك:

قال: فأمّا أصحابنا فإنهم يدفعون ذلك عنه و ينكرونه، و يقولون: إنه كان من محبّي عليّ بن أبي طالب عليه السلام و المعظّمين له. و روى أبو عمرو ابن عبد البر في كتابه «الاستيعاب» أن إنساناً سأل الحسن عن علي عليه السلام، فقال: كان و اللّه سهماً صائباً من مرامي اللّه على عدوّه، و ربّانيّ هذه الأُمة و ذا فضلها، و ذا سابقتها، و ذا قرابتها من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يكن بالنُؤَمة عن أمر اللّه، و لا بالملومة في دين اللّه، و لا بالسروقة لمال اللّه. أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة، ذلك عليّ بن أبي طالب، يا لكع![٢]

و روى الواقدي، قال: سئل الحسن عن علي عليه السلام، و كان يُظَنُّ به الانحراف عنه، و لم يكن كما يُظَنّ، فقال: ما أقول فيمن جمع الخصال الأربع: ائتمانه على براءة، و ما قال له الرسول في غزاة تبوك: فلو كان غير النبوّة شيء يفوته لاستثناه، و قول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «الثقلان كتاب اللّه و عترتي»، و أنه لم يُؤَمَّر عليه أمير قطّ، و قد أمّرت الأمراء على غيره.

و روى أبان بن أبي عياش، قال: سألتُ الحسن البصري عن علي عليه السلام، فقال: ما أقول فيه! كانت له السابقة، و الفضل، و العلم، و الحكمة، و الفقه، و الرأي، و الصحبة، و النجدة، و البلاء، و الزهد، و القضاء، و القرابة. إنّ علياً كان في أمره عليّاً. رحم اللّه عليّاً، و صلّى عليه.

---

١. تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٦ ـ ٢٧٠.

٢. اللّكع: الأحمق و اللئيم.

فقلت: يا أبا سعيد، أتقول: «صلّى عليه» لغير النبيّ! فقال: تَرَحَّمْ على المسلمين إذا ذُكروا، و صلِّ على النبيّ و آله، و عليٌّ خير آله.

فقلتُ: أهو خير من حمزة و جعفر؟ قال: نعم. قلت: و خير من فاطمة و ابنيها؟ قال: نعم. و اللّه إنه خير آل محمد كلّهم. و من يشكّ أنه خير منهم، و قد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «و أبوهما خير منهما»! و لم يجر عليه اسم شرك، و لا شرب خمرٍ. و قد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام: «زوّجتك خير أُمّتي»! فلو كان في أُمّته خير منه لاستثناه. و لقد آخى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه، فآخى بين عليّ و نفسه. فرسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم خير الناس نفساً، و خيرهم أخاً.

فقلت: يا أبا سعيد، فما هذا الذي يقال عنك، أنك قلته في عليّ؟ فقال: يا ابن أخي، أحقن دمي من هؤلاء الجبابرة، و لولا ذلك لشالَت بي الخُشُب[1].

* * *

و ذكر أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي (ت ٤٤٩) أن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصري و إلى واصل بن عطاء و عمرو بن عبيد و عامر الشعبي، أن يخبروه بقولهم في القضاء و القدر.

فكتب إليه الحسن: «ما أعرف فيه إلا ما قاله عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنه قال: يا ابن آدم أزعمت أنّ الذي نهاك دهاك، و إنما دهاك أسفلك و أعلاك. و ربك بريء من ذاك».

و كتب إليه واصل: «ما أعرف فيه إلاّ ما قاله عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنه قال: ما تحمد اللّه عليه فهو منه. و ما تستغفر اللّه عنه فهو منك».

و كتب إليه عمرو: «ما أعرف فيه إلاّ ما قاله عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنه قال: إن

---

١. شرح النهج، ج ٤، ص ٩٥ ـ ٩٦.

كان الوزر في الأصل محتوماً، لكان الموزور في القصاص مظلوماً».

و كتب إليه الشعبي: «ما أعرف فيه إلاّ ما قاله عليّ بن أبي طالب عليه السلام: من وسع عليك الطريق، لم يأخذ عليك المضيق».

فلما قرأ الحجاج أجوبتهم، قال: قاتلهم اللّه، لقد أخذوها من عين صافية[1].

* * *

و قال الشريف المرتضى: و أحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بـالعدل، الحسن بن أبي الحسن البصري. كان يقول: من زعم أنّ المعاصي من اللّه ـ عزّ و جلّ ـ جاء يوم القيامة مسوداً وجهه، ثم قرأ: **﴿وَ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللّٰهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾**[2] ـ و ذكر عنه كثيراً من أقواله في ذلك ـ ثم قال: و روى أبو بكر الهذلي[3] أنّ رجلاً قال للحسن: إن الشيعة تزعم أنك تبغض علياً عليه السلام! فأكبّ يبكي طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: لقد فارقكم بالأمس رجلٌ كان سهماً من مرامي ربّنا ـ عزّ و جلّ ـ على عدوّه، ربّانيُ هذه الأُمّة، ذو شرفها و فضلها، و ذو قرابة من النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم قريبة، لم يكن بالنُّوَمة عن أمر اللّه، و لا بالغافل عن حق اللّـه، و لا بالسّروقة من مال اللّه، أعطى القرآن عزائمه فيما له و عليه، فأشـرف مـنها عـلى رياضٍ مونقة، و أعلام بيّنة. ذلك ابن أبي طالب، يا لكع!

---

١. كنز الفوائد (ط حجرية)، ص ١٧٠. و نقله الجزائري في زهر الربيع، ج ٢، ص ٩٦ ـ ٩٧، باختلاف في الترتيب مع نقص.

٢. الزمر / ٦٠.

٣. اسمه سُلمى، و قيل: روح، ابن عبد اللّه بن سُلمى البصري. قال ابن حجر: هو ابن بنت حميد بـن عبد الرحمان الحميري. مات سنة (١٦٧). كان من علماء الناس بأيّامهم. روى عن الحسن و ابن سيرين و الشعبي و عكرمة و قتادة. و روى عنه ابن جُرَيج و وكيع و ابن عيينة و آخرون. (تهذيب التهذيب، ج ١٢، ص ٤٥).

..قال: و أتى عليّ بن الحسين عليهما السلام يوماً الحسن البصري، و هو يقصّ عند الحِجْر، فقال: أَتُرضي يا حسن نفسَك للموت؟ قال: لا، قال: فعَمَلك للحساب؟ قال: لا، قال: فَثمّ دار للعمل غير هذه الدار؟ قال: لا، قال : فللّه في أرضه معاذٌ غير هذا البيت؟ قال: لا، قال: فَلِمَ تَشْغَلُ النّاسَ عَن التَّطْواف؟[1].

و رواه ابن خلكان بتبديل لفظ «يا حسن» بـ«يا شيخ»، و عقّبه: فما قصّ الحسن بعدها[2].

* * *

و ذكر أبو محمد الحسن بن علي ابن شعبة الحرّاني (من أعلام القرن الرابع) كتاباً للحسن البصري، بعث به إلى الإمام السبط الأكبر الحسن بن علي عليه السلام يسأله عن رأيه في القدر و الاستطاعة، و في مفتتح الكتاب ما يُنبئ عن ولاء صميم و عقيدة ثابتة كان يحملها لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جاء فيه:

«أمّا بعد فإنكم ـ معشر بني هاشم ـ الفُلك الجارية في اللُّجج الغامرة، و الأعلام النيّرة الشاهرة، أو كسفينة نوح التي نزلها المؤمنون و نجا فيها المسلمون.

كتبت إليك يا ابن رسول اللّه عند اختلافنا في القدر، و حيرتنا في الاستطاعة. فأَخبِرْنا بالذي عليه رأيك و رأي آبائك عليهم السلام فإنّ من عِلْم اللّه عِلْمكم، و أنتم شهداء على الناس، و اللّه الشاهد عليكم، ذرّية بعضها من بعض، و اللّه سميع عليم[3].

* * *

---

١. أمالي المرتضى، ج ١، ص ١٥٣ و ١٦٢.

٢. وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٧٠.

٣. تحف العقول (غفاري)، ص ٢٣١ و ذكر الكراجكي في كنز الفوائد، ص ١٧٠ مع اختلاف يسير.

و روى الصدوق بإسناده في أماليه عن أبي مسلم، قال: خرجت مع الحسن البصري و أنس بن مالك حتى أتينا باب أُمّ سلمة. فقعد أنس على الباب و دخلتُ مع الحسن، فسمعت الحسن و هو يقول:

السلام عليك يا أُمّاه و رحمة اللّه و بركاته!

فقالت: و عليك السلام، من أنت يا بُنيّ؟

فقال الحسن: أنا الحسن البصري.

فقالت: فيما جئت يا حسن!

فقال لها: جئت لتحدّثيني بحديث سمعتيه من رسول اللّه صلّى الله عليه و آله و سلّم في عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقالت أُم سلمة: واللهِ لأُحدثنَّك بحديث سمعَتْه أُذناي من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و إلاّ فصمّتا، و رأته عيناي و إلاّ فعُميتا، و وعاه قلبي و إلاّ فطبع اللّه عليه، و أخرس لساني إن لم يكن سمعت رسول اللّه صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول لعليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«يا علي، ما من عبد لقي اللّه يوم يلقاه جاحداً لولايتك إلا لقي اللّه بعبادة صنم أو وثن».

قال أبو مسلم: فسمعت الحسن البصري و هو يقول: اللّه أكبر، أشهد أنّ علياً مولاي و مولى المؤمنين.

فلما خرج قال له أنس بن مالك: ما لي أراك تكبّر؟! قال: سألت أُمّنا أُمّ سلمة أن تحدِّثني بحديث سمعَتْه من رسول اللّه صلّى الله عليه و آله و سلّم في عليّ، فقالت لي: كذا و كذا... فقلت: اللّه أكبر أشهد أنّ علياً مولاي و مولى كلّ مؤمن.

قال أبومسلم: فسمعت عند ذاك أنس بن مالك و هو يقول: أشهد على رسول

اللّه صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال هذه المقالة ثلاث مرات أو أربع مرات[١].

* * *

و أمّا القول بالقَدَر، ـ حسبما يفسّره أهل العدل ـ [٢]فقد عرفت من السيّد نسبته إليه، قال: «و أحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن البصري؛ قال: كل شيء بقضاء اللّه و قدره إلاّ المعاصي»[٣].

و لكن الأشاعرة ـ و هم جمهور أهل السنّة ـ لم يَرُقْهم ذلك بشأن مثل الحسن البصري الإمام المعترف به لدى الجميع، فجعلوا يتأوّلون كلامه في ذلك أو يحملونه على رأيه القديم، و قد تاب منه و رجع إلى رأي الجماعة، كما زعموا.

قال أبو عبد اللّه الذهبي: و أما مسألة «القدر» فصحّ عنه الرجوع عنها، و أنها كانت زلقة لسانٍ[٤].

---

١. بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ رقم ٤ عن أمالي الصدوق مجلس ٤٧ (ط نجف)، ص ٣٨٩.

٢. و هم المعتزلة و الإمامية من الشيعة. قالوا: كل شيء بقضاء اللّه و قدره، و حتى أفعال العباد الاختياريّة، إنما تقع بإقداره تعالى، و إن كانت المعاصي إنما تقع منهيّاً عنها غير مرضيّة لديه تعالى، و إن المكلّفين إنما يرتكبونها عن اختيارهم و عن إقداره تعالى، اختباراً لهم و تصحيحاً للتكليف. و هذا معنى قول الحسن: «كل شيء بقضاء اللّه و قدره إلاّ المعاصي»، لأنّ اللّه لا يرضى لعباده الكفر، فكيف يجبرهم عليه؟! (وقد عرفت فيما نقلناه عن الكراجكي في كتابه إلى الحَجاج).

فالمعصية إنّما تقع لا عن رضى اللّه و كانت منهيّاً عنها ألبتة، غير أنّ اللّه تعالى أقدر العباد على فعلها اختباراً، و لولاه لم يصحّ التكليف و لا الذمّ و العقاب.

أما الأشاعرة فراقهم القول بأن «الخير و الشر» كليهما من اللّه، يقعان وفق إرادته تعالى، السابقة على إرادة العباد. و أنّ كل ذلك من فعل اللّه و ليس من فعل العبد في شيء.! (الملل و النحل للشهرستاني، ج ١، ص ٩١ ـ الأشعرية ـ).

٣. أمالي المرتضى، ج ١، ص ١٥٣.

٤. ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٤٨٣ عند ترجمة سميّة البغدادي برقم ١٨٢٨.

و روى ابن سعد عن حماد بن زيد عن أيّوب، قال: نازلت الحسن في القدر غير مرّة، حتى خوّفته السلطان، فقال: لا أعود فيه بعد اليوم. و عن أبي هلال، قال: سمعت حُمَيداً و أيّوب يتكلّمان، فسمعت حُمَيداً يقول لأيّوب: لوددتُ أنّهُ قُسم علينا غُرْم، و أن الحسن لم يتكلم بالذي تكلّم به، قال أيّوب: يعني في القدر![1].

قال عبد الكريم الشهرستاني: و رأيت رسالة نُسبت إلى الحسن البصري كتبها إلى عبد الملك بن مروان[2] و قد سأله عن القول بالقدر و الجبر، فأجابه فيها بما يوافق مذهب القدرية. و استدل فيها بآيات من الكتاب و دلائل من العقل. قال: و لعلّها لواصل بن عطاء، فما كان الحسن ممّن يخالف السلف في أن القدر خيره و شرّه من اللّه تعالى. فإن هذه الكلمات كالمجمع عليها عندهم. قال: و العجب أنه حُمل هذا اللفظ (الخير و الشر كلّه من اللّه) الوارد في الخبر، على البلاء و العافية، و الشدة و الرخاء، و المرض و الشفاء، و الموت و الحياة، إلى غير ذلك من أفعال اللّه تعالى، دون الخير و الشر، و الحسن و القبيح، الصادرين من اكتساب العباد، وكذلك أورده جماعة من المعتزلة في المقالات عن أصحابهم[3].

* * *

و للحسن البصري آراء معروفة في التفسير، و كانت روايته المشهورة عن طريق عمرو بن عبيد المعتزلي (تُوفّي سنة ١٤٤)، و استخدمه الثعلبي في كتابه

---

١. الطبقات، ج٧، ق١، ص١٢٢.

٢. ينسب له القاضي عبد الجبار رسالة في العدل و التوحيد، أرسلها إلى عبد الملك بن مروان. (هامش الأُصول الخمسة، ص١٣٧). قال المحقق التستري: و الرسالة رأيتها في مكتبة الطهراني بكربلاء، و هي كما قال الشهرستاني رسالة حسنة مشتملة على أدلّة متقنة.(قاموس الرجال، ج٣، ص١٣٧).

٣. الملل و النحل، ج١، ص٤٧.

«الكشف و البيان». و توجد منه بقايا في تاريخ الطبري بهذه الرواية: «حدّثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن...». قال شواخ: و يبدو أن الطبري كان يستخدم نقول ابن إسحاق، كما قال فؤاد سزكين. و توجد بقايا كثيرة من هذا الكتاب في كتب التفسير[1].

و له أيضاً «نزول القرآن» و كتاب «العدد في القرآن»، على ما ذكره الشيخ حسن خالد[2].

١٠ـ علقمة بن قيس

أبو شِبْل أو أبو شُبَيْل النَخَعي الكوفي، كنّاه بذلك عبد اللّه بن مسعود؛ إذ كان علقمة عقيماً لا يولد له. ولد في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، روى عن علي عليه السلام و ابن مسعود ـ و كان خصّيصاً به ـ و حذيفة و أبي الدرداء و سلمان (رضي اللّه عنهم). و روى عنه ابن أخيه الأسود بن يزيد بن قيس، و ابن اخته إبراهيم بن يزيد النخعي، و إبراهيم بن سويد النخعي، و عامر الشعبي، و أبو وائل شقيق بن سلمة.

و شهد صفيّن مع علي عليه السلام، و قاتل حتى خضب سيفه دماً، و عُرجت رجله، و أُصيب أخوه أُبَيّ بن قيس. و كان يقال له: أُبيّ الصلاة، قيل له ذلك لكثرة صلاته.

قال نصر بن مزاحم: و قطعت رجل علقمة بن قيس الفقيه، فكان يقول: ما أحبّ؛ أن رجلي أصحّ ما كانت، لما أرجو بها من حسن الثواب من ربّي. و لقد كنت أُحب أن أُبصِر في نومي أخي و بعض إخواني، فرأيت أخي في النوم، فقلت له: يا أخي، ماذا قَدِمتم عليه؟ فقال: التقينا نحن و القوم فاحتججنا عنداللّه عزّ

---

١. معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦١ رقم ٩٩٦.

٢. معجم المفسرين، ج ١، ص ١٤٨.

و جلّ فحججناهم. فما سُررتُ بشيء مذ عَقَلْتُ، كَسُرُوري بتلك الرؤيا[١].

قال الخطيب: و كان علقمة مقدَّماً في الفقه و الحديث، و ورد المدائن في صحبة علي عليه السلام، و شهد معه حرب الخوارج بالنهروان. و عن الأعمش عن مسلم البطين، قال: رؤي علقمة خاضباً سيفه يوم النهروان مع علي عليه السلام، كما شهد صفين أيضاً مع علي عليه السلام[٢].

و غزا خراسان و أقام بخوارزم سنتين، و دخل مرو فأقام بها مدّة. قال ابن سعد: كانت سنتين أيضاً.

* * *

كان علقمة أعلم الناس بعبد اللّه بن مسعود، و كان أحد الستّة من أصحاب عبد اللّه الذين يُقرئون الناس و يعلّمونهم السنّة، و يصدر الناس عن رأيهم[٣]. وكان أشبه الناس بابن مسعود، هدياً و سمتاً و دلاًّ. قال أبو المثنى رياح: إذا رأيت علقمة فلا يضرّك أن لا ترى عبد اللّه، أشبه الناس به سمتا و هدياً. و إذا رأيت إبراهيم فلا يضرّك أن لا ترى علقمة. و كان من الربانيين، على حدّ تعبيرهم.

و كان ابن مسعود تعجبه قراءة علقمة، كان حسن الصوت. فكان يقول له: زدنا فداك أبي و أُمّي، فإني سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: حسن الصوت زينة للقرآن. و كان يقول: رتّل فداك أبي و أُمّي! و كان عبد اللّه يقول: ما أقرأ شيئاً ولا أعلّمه إلاّ علقمة يقرؤه و يعلّمه. قال الشعبي: إن كان أهل بيت خلقوا للجنة

---

١. وقعة صفين لنصر بن مزاحم، ص٢٨٧.

٢. تاريخ بغداد، ج١٢، ص٢٩٧.

٣. و هم: علقمة بن قيس، و الأسود بن يزيد، و مسروق بن الأجدع، و عبيدة بن قيس بن عمرو السلماني، و عمرو بن شرحبيل، و الحارث بن قيس الجعفي، قُتل مع عليّ(ع). (تاريخ بغداد، ج١٢، ص٢٩٩).

فهم أهل هذا البيت علقمة و الأسود.

كان علقمة قويّ الحافظة، قال: ما حفظت و أنا شابّ فكأنما أقرأه في وِرقة.

و كان يتحاشا فضول الأُمراء و السلاطين. كان يقول: لا أُصيب من دنياهم شيئاً إلاّ أَصابوا من ديني أفضل منه.

أخرج ابن سعد بإسناده إلى إبراهيم النخعي: أن أبا بردة (ابن أبي موسى الأشعري) كتب علقمة في الوفد إلى معاوية. فكتب إليه علقمة: امحُني، امحُني. ولمّا جُمعت لابن زياد البصرة و الكوفة، سأل أبا وائل أن يصحبه، قال فأتيت علقمة، فقال لي: اعلم أنك لا تصيب منهم شيئاً إلاّ أَصابوا منك أفضل منه.

كان يقول: تذاكروا العلم، فإن حياته ذكره. و كان ثقة كثير الحديث، مجمعاً على وثاقته.

و من حسن معاشرته مع أهله أنه كان يقول لامرأته: اطعمينا من ذلك الهنيء المريء، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾[1].

تُوفّي بالكوفة سنة (٦٢) في ولاية عبيد اللّه بن زياد في خلافة يزيد[2].

* * *

و عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[3] قال الكشّي:

---

١. النساء/ ٤.

٢. الطبقات، ج٦، ص٥٧ ـ ٦٢. و تهذيب التهذيب، ج٨، ص٢٧٧ ـ ٢٧٨. و تاريخ بغداد، ج١٢، ص٢٩٦ ـ ٣٠٠.

٣. رجال الطوسي، ص٥٠ رقم ٧٢ و ص٥٣ رقم ١١٥ و فيه: قتل بصفين و أخوه أُبي بن قيس. و هكذا نقل عنه ابن داود (ص١٣٤ رقم ١٠٠٧) و زاد: هو و أخوه. و هكذا العلاّمة في الخلاصة ←

وكان علقمة فقيهاً في دينه، قارئا لكتاب اللّه، عالماً بالفرائض. شهد صفّين و أُصيبت إحدى رجليه فعرج منها. و كان الحارث أخوه أيضاً فقيهاً جليلاً، و كان أعور. و أما أخوه الآخر أُبيّ بن قيس فقُتل يوم صفّين(١).

كان علقمة بن قيس من الثقات العشرة الذين خُصّوا بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد روى ثقة الإسلام الكليني في كتاب الرسائل عن عليّ بن إبراهيم القمي بإسناده، قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً بعد منصرفه من النهروان، أعرب فيه عن موضعه في إمرة المؤمنين. و أشهد عليه ثقاته من أصحابه المقرّبين، و أمر كاتبه عبيد اللّه بن أبي رافع أن يقرأه على ملإٍ من الناس.

قال: فدعا كاتبه عبيد اللّه بن أبي رافع ـ و كان أبو رافع كاتب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ـ فقال له: أدخل عليّ عشرة من ثقاتي، فقال: سمّهم لي يا أمير المؤمنين، فقال: أدخِلْ: أصبغ بن نُباتة، و أبا الطفيل عامر بن واثلة الكناني، و زرّ بن حُبَيش الأسدي، و جويرية بن مسهّر العبدي، و خندف بن زهير الأسدي، و حارثة بن مضرب الهمداني، و الحارث بن عبد اللّه الأعور الهمداني، (و مصباح النَخعي(٢)) و علقمة بن قيس، و كميل بن زياد، و عمير بن زرارة، فدخلوا عليه

← (ص١٢٩ رقم ٥).

قلت: و الظاهر زيادة الواو في نسخة الشيخ زيادة من نساخ الكتاب. لأن علقمة أصيب برجله في صفين و لم يقتل. و تُوفّي سنة (٦٢ أو ٧٢). و المقتول أخوه أُبيّ بن قيس. فالصحيح في العبارة: «قتل بصفّين أخوه أُبيّ بن قيس» و اللّه العاصم.

١. رجال الكشّي، ص٩٣ رقم ٣٦ و ٣٧ و ٣٨.

٢. زيادة في طبعة النجف. ليست في نسخة صاحب الوسائل، و هي الصحيحة، لأنه زيادة على العشرة. و لم يعهد من أصحابه عليه السلام من يحمل هذا الاسم، لكن في عبارة المامقاني ما يدلّ على أنه

←

الخ[١].

و عدّه الفضلُ بن شاذان من التابعين الكبار و من رؤسائهم و زُهّادهم. روى الكشّي عنه قال: و من التابعين الكبار و رؤسائهم و زهّادهم: جندب بن زهير، و عبد اللّه بن بديلة، و حِجر بن عَديّ، و سليمان بن صرد، و المسيّب بن نجيّة، و علقمة، و الأشتر، و سعيد بن قيس، و أشباههم كثير. أفناهم الحرب، ثم كثروا بعد ذلك حتى قُتلوا مع الحسين عليه السلام، و بعده[٢].

١١ـ محمد بن كعب القُرَظي[٣]

أبو حمزة، و قيل: أبو عبد اللّه، المدني. سكن الكوفة ثم المدينة. و قال في الخلاصة: المدني ثم الكوفي أحد العلماء. قال ابن عون: ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي[٤]. و قال ابن سعد ـ في ترجمة أبي بُردة ـ: روى عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم قال: سيخرج من الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد بعده. قال ربيعة: فكنّا نقول: هو محمد بن كعب القرظي، و الكاهنان قريظة و النضير[٥].

← وصف لعلقمة هكذا: و مصباح النخع علقمة بن قيس، و هو من أجمل الأوصاف وصفه به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على ذلك الفرض. راجع: تنقيح المقال، ج٢، ص٢٥٩ رقم ٨٠٧١.

١. كشف المحجة للسيد رضي الدين أبي القاسم ابن طاووس، ص١٧٣ (ط نجف). و رواه صاحب الوسائل (ج ٢٠، ص٨٩) في الفائدة السابعة من الخاتمة.

٢. رجال الكشّي، ص٦٥ رقم ١٩.

٣. كان أبوه من سبي قريظة ممن لم يحتلم و لم ينبت فخلّوا سبيله. تهذيب التهذيب، ج٩، ص٤٢٢ نقلاً عن البخاري.

٤. خلاصة تذهيب التهذيب، ص٣٥٧.

٥. طبقات ابن سعد، ج٧، ق٢، ص١٩٣.

قال ابن حجر: روى عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، و عبد اللّه بن مسعود، و أبي ذر، و أبي الدرداء، و زيد بن أرقم، و عبد اللّه بن عباس، و عبد اللّه بن جعفر ابن أبي طالب، و البراء بن عازب، و جابر بن عبد اللّه، و أنس و غيرهم/ و عن ابن سعد: كان ثقة/ عالماً كثير الحديث/ ورعاً/ و قال العجلي: مدنيّ تابعيّ ثقة، رجل صالح، عالم بالقرآن. و قال ابن حبّان: كان من أفاضل أهل المدينة، علماً و فقهاً.

تُوفّي سنة (١٠٨) و هو ابن (٧٨). قيل: مات في حادث سقوط سقف المسجد، فمات هو و جماعة معه تحت الهدم[١].

ملحوظة: قال الترمذي: سمعت قتيبة يقول: بلغني أنّ محمد بن كعب وُلد في حياة النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم. قال ابن حجر: و هذا لا حقيقة له، إنما الذي وُلد في عهده هو أبوه. أما هو فقد وُلد في آخر خلافة علي عليه السلام سنة (٤٠)[٢].

قلت: روايته عن علي و ابن مسعود و أبي ذر و أمثالهم تدل على سبق ولادته سنة (٤٠) بكثير، و لا سيّما مع التصريح بأنه مات سنة (١٠٨) و هو ابن (٧٨). فيبدو أنّ ولادته كانت في خلافة عمر سنة (٢٠).

و أيضاً روى ابن شهر آشوب بإسناده إلى محمد بن منصور السرخسي عن محمد بن كعب القرظي، أنه رأى رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم في المنام، و أعطاه (١٨) تمرة، فتأوّل أنه يعيش (١٨) سنة. فنسي ذلك، حتى رأى يوماً ازدحام الناس على الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام و هو في طريقه إلى خراسان، و بين يديه طبق تمر، فناوله الإمام (١٨) تمرة. فسأله الزيادة، فقال: لو زادك جدّي رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم

---

١. تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٤٢٠ ـ ٤٢٢ رقم ٦٨٩.

٢. المصدر نفسه، ص ٤٢١ ـ ٤٢٢.

لزدناك. انتهى ملخّصاً[١].

قلت: و لعل هذه القصّة منسوبة إلى ابنه حمزة أو عبد اللّه أو أحد أحفاده؛ لأن سفرة الإمام إلى خراسان كانت في سنة (٢٠٠)[٢].

نعم روى الصدوق رحمه الله هذه الرواية ناسباً لها إلى أبي حبيب النباجي[٣].

١٢ـ أبو عبد الرحمان السُّلَمي

هو عبد اللّه بن حُبَيْب الكوفي. كان من أصحاب ابن مسعود، و شهد مع عليّ عليه السلام صفّين. كان ثقة كثير الحديث. قال ابن عبد البرّ: هو عند جميعهم ثقة، وكان قارئاً و معلّماً للقرآن[٤]. و كان عاصم قد أخذ عنه القراءة عن عليّ عليه السلام.

و أخرج ابن عساكر بإسناده إلى أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن أبي عبد الرحمان السلمي قال: «ما رأيت أحداً أقرأ لكتاب اللّه من عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٥].

و قد ذكرنا حديثه عن تعلّم الصحابة لتفسير القرآن عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم[٦]. تُوفّي سنة (٧٢).

١٣ـ مسروق بن الأجدع

أبوعائشة الهَمْداني الوادعي الكوفي، الفقيه العابد. أخذ العلم عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام و لم يتخلّف عن حروبه. و هكذا روى عن ابن مسعود، و كان خصّيصاً

---

١. مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٤٢. و البحار، ج ٤٩، ص ١١٨ ـ ١١٩ رقم ٥ (ط بيروت).

٢. تتمة المنتهى، ص ٢٩٤.

٣. البحار، ج ٤٩، ص ٣٥ رقم ١٥. و عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢١٠ ـ ٢١١ (ط نجف).

٤. تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ١٨٣ رقم ٣١٧.

٥. جامع الأخبار و الآثار للأبطحي، ج ١، ص ٢٧٢.

٦. راجع: الطبري ـ التفسير ـ، ج ١، ص ٢٧ و ٢٨ و ٣٠.

بالتلمذة لديه. و روى عن معاذ بن جبل، و الخبّاب بن الأرت، و أُبيّ بن كعب. كان أبوه الأجدع بن مالك أفرس فارسٍ باليمن، و كان عمرو بن معديكرب خاله.

قال الشعبي: ما رأيت أطلب للعلم منه. و كان أعلم بالفتوى من شُريح، و من ثم كان شريح يستشيره إذا أعوزه الرأي.

قال عليّ بن المديني: ما أُقدّم على مسروق من أصحاب عبد اللّه بن مسعود أحداً. و كان من أصحابه الذين يعلّمون الناس السنّة. كان مقرئاً و مُفتياً معاً. قال ابن حجر: مناقبه كثيرة،[١] مات سنة (٦٣).

و كان على غزارة من العلم، حريصاً على الأخذ من كبار العلماء من صحابة الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم. و قد تقدَّم حديث اجتماعه مع أصحاب محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم فوجدهم كالإخاذ، يروي الواحدُ الرجلَ، و يروي الرجلين، و العشرة، و المائة. و الإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم[٢]، يعني علياً عليه السلام.

* * *

و اتّهم بالانحراف عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و لابن أبي الحديد بشأنه و شأن الأسود بن يزيد الآتي، و كذا مرّة الهمداني و الشعبي كلام ننقله بتفصيله:

قال: ذكر شيخنا أبوجعفر الإسكافي رحمه الله و وجدته أيضاً في كتاب «الغارات» لإبراهيم بن هلال الثقفي: و قد كان بالكوفة من فقهائها من يعادي علياً عليه السلام و يُبغضه، مع غلبة التشيّع على الكوفة.

فمنهم مُرّة الهمداني. روى أبو نعيم الفضل بن دُكَين عن فِطر بن خليفة، قال: سمعت مُرَّةً يقول: لأن يكون عليٌّ جملاً يستقي عليه أهلُه خير له مما كان عليه!

---

١. تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ١٠٩ ـ ١١١.

٢. مرّ ذلك في صدر الكلام عن تفاوت الصحابة في العلم.

و عن عمرو بن مرّة، قال: قيل لمرّة: كيف تخلّفت عن عليٍّ؟ قال: سبقنا بحسناته، و ابتلينا بسيّئاته.

و روى ابن دُكَين عن الحسن بن صالح، قال: لم يصلّ أبو صادق[1] على مرّة الهمداني. و قال ـ في أيام حياته ـ: و اللّه لا يظلّني و إيّاه سقفُ بيتٍ أبداً. قال: و لما مات لم يحضره عمرو بن شُرَحبيل[2]، قال: لا أحضره لشيء كان في قلبه على عليّ بن أبي طالب. قال إبراهيم بن هلال: فحدّثنا المسعودي عن عبد اللّه بن نُمَير بهذا الحديث. قال: ثم كان عبد اللّه بن نمير[3] يقول: و كذلك أنا، و اللّه لو مات رجل في نفسه شيء على عليٍّ عليه السلام لم أحضره، و لم أُصلّ عليه.

* * *

قال: و منهم الأسود بن يزيد، و مسروق بن الأجدع. روى سَلَمة بن كُهَيل: أنهما كانا يمشيان إلى بعض أزواج النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فيقعان في عليّ عليه السلام. فأما الأسود فمات على ذلك. و أما مسروق فلم يمت حتى كان لا يصلّي للّه تعالى صلاة إلاّ صلّى بعدها على عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لحديث سمعه من عائشة في فضله[4].

---

١. ذكر الشيخ فيمن عرف بكنيته من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أبا صادق. و هو ابن عاصم ابن كليب الجرمي، عربي كوفي (رجال الطوسي، ص٦٣ رقم ١٢). و قال ابن حجر: أزدي كوفي، اسمه مسلم أو عبد اللّه. ذكره ابن حبّان في الثقات و كان ورعاً مستقيم الحديث. (تهذيب التهذيب، ج١٢، ص١٣٠).

٢. أبو ميسرة الهمداني الكوفي صاحب ابن مسعود، العابد الزاهد الثقة الجليل مات سنة ٦٣. (تهذيب التهذيب، ج٨، ص٤٧).

٣. أبو هاشم الهمداني الكوفي. قال ابن سعد: كان ثقة. كثير الحديث صدوق. مات سنة ١٩٩ (تهذيب التهذيب، ج٦، ص٥٧ ـ ٥٨).

٤. في مسند أحمد بن حنبل بإسناده عن مسروق قال: قالت لي عائشة: إنك من وُلدي و من أحبّهم

←

عن ليث بن أبي سُليم، قال: كان مسروق يقول: كان عليّ كحاطب ليل. قال: فلم يمت مسروق حتى رجع عن رأيه هذا.

و روى سَلَمة بن كُهَيل، قال: دخلت أنا و زُبيد اليمامي على امرأة مسروق بعد موته، فحدّثتنا، قالت: كان مسروق و الأسود بن يزيد يفرطان في سبّ عليّ بن أبي طالب، ثم ما مات مسروق حتى سمعته يصلّي عليه. و أمّا الأسود فمضى لشأنه. قال: فسألناها: لم ذلك؟ قالت: شيء سمعه من عائشة، ترويه عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فيمن أصاب الخوارج.

و عن أبي إسحاق، قال: ثلاثة لا يؤمَنون على عليّ بن أبي طالب عليه السلام: مسروق، و مرّة، و شُريح، و روى أنّ الشعبي رابعهم.

و عن الشعبي: أن مسروقاً ندم على إبطائه عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام[1].

* * *

و روى الكشّي عن أبي الحسن عليّ بن محمد بن قتيبة صاحب الفضل بن

← إليّ، فهل عندك علم من المُخدَج؟ (هو ذو الخويصرة ذو الثدية رأس الخوارج) فقلت: نعم، قتله عليّ ابن أبي طالب، على نهر يقال لأعلاه: تامرّا و لأسفله النهروان، بين لخاقيق و طرفاء. قالت: ابغني على ذلك بيّنة، فأقمت رجالاً شهدوا عندها بذلك، قال: فقلت لها: سألتك بصاحب القبر، ما الذي سمعتِ من رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم فيهم؟ فقالت: نعم سمعته يقول: «إنهم شر الخلق و الخليقة، يقتلهم خير الخلق و الخليقة، و أقربهم عند اللّه وسيلة». (شرح النهج لابن أبي‌الحديد، ج ٢، ص ٢٦٧).

و في كتاب صفّين للمدائني، عن مسروق، أن عائشة قالت له ـ لما عرفت أنّ علياً عليه السلام قتل ذا الثدية ـ: لعن اللّه عمرو بن العاص، فإنه كتب إلي يُخبرني أنه قتله بالإسكندرية، ألا إنه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «يقتله خير أُمّتي من بعدي». (شرح النهج، ج ٢، ص ٢٦٨).

١. شرح النهج، ج ٤، ص ٩٦ ـ ٩٨.

شاذان، و تلميذه و راوية كتبه، قال: سُئل أبو محمد الفضل بن شاذان عن الزهّاد الثمانية، فعدّ منهم أربعة كانوا مع عليّ عليه السلام زهّاداً أتقياء، و هم: الربيع بن خثيم، و هرم بن حيّان، و أويس القرني، و عامر بن عبد قيس. و الأربعة الباقون لم يكونوا على تلك الصفة، أحدهم مسروق بن الأجدع، قال: و كان عشّاراً لمعاوية. و مات في عمله ذلك، بموضع أسفل من واسط على دجلة، يقال له: الرصافة، و قبره هناك[1].

و روى الطبري الإمامي ـ في المسترشد ـ: أن مسروقاً و مرّة الهمداني رغبا عن الخروج مع عليّ عليه السلام و أخذا أُعطياتهما منه، و خرجا إلى قزوين. و كان مسروق يلي الخيل لعبيد اللّه بن زياد. و مات عاشراً، و أوصى أن يُدفن مع مقابر اليهود. و كان يعلّل ذلك بأنه سوف يخرج من قبره و ليس من يؤمن بالله و رسوله سواه. قال: و كان من المحرِّضين لنصرة عثمان، و يقول لأهل الكوفة: انهضوا إلى خليفَتكم و عصمة أمركم[2].

و روى الثعلبي ـ في تفسيره ـ أنه وقف ـ في صفّين ـ بين الصَّفَّين، و تلا قوله تعالى: ﴿وَ لاٰ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾[3].

هذا كل ما ذُكر بشأن الرجل و القدح فيه، و لننظر مدى صحته:

* * *

أما مسألة إبطائه عن عليّ ـ على ما رُوي عن الشعبي[4] ـ أو تخلّفه عن

---

١. رجال الكشّي ذيل ترجمة عوف العقيلي، رقم ٣٤، ص ٩٠ ـ ٩١ (ط نجف).

٢. قاموس الرجال، ج٨، ص٤٧٥ ـ ٤٧٦.

٣. النساء/ ٢٩. القاموس، ج٨، ص٤٧٦.

٤. أخرج عنه ابن سعد في الطبقات (ج ٦، ص ٥١) قال: و لم يكن شهد معه شيئاً من مشاهده!

صفّين[١] ـ على ما ذكره الطبري الإمامي ـ فتتنافى مع نصّ أصحاب التراجم وغيرهم، على أنه شهد مشاهده كلّها؛ قال ابن حجر العسقلاني: قال وكيع[٢] وغيره: «لم يتخلّف مسروق عن حروب عليّ عليه السلام»[٣].

و أخرج ابن سعد بإسناده عن محمد بن المنتشر عن مسروق بن الأجدع، قال: كان فسطاطي أيام الحكمين إلى جنب فسطاط أبي موسى الأشعري، فأصبح الناس ذات يوم قد لحقوا بمعاوية من اللّيل. فلما أصبح أبو موسى رفع رفرف فسطاطه، فقال: يا مسروق، إن الإمرة ما أُؤتمر فيها، و أن المُلك ما غُلب عليه بالسيف[٤].

قال الخطيب: و كان مسروق ممّن حضر مع عليّ عليه السلام حرب الخوارج بالنهروان. و أخرج بإسناده عن ابن أبي ليلى، قال: شهد مسروق النهر مع عليّ،

---

١. جاء في كامل ابن الأثير، ج٣، ص٢٧٨ ـ ٢٧٩ (ط دار صادر بيروت): أن علياً عليه السلام لمّا عسكر بالنُخَيلة، تخلّف عنه نفر من أهل الكوفة، منهم: مرّة الهمداني و مسروق، و أخذا أُعطياتهما و قصدا قزوين. فأما مسروق فإنه كان يستغفر اللّه من تخلّفه عن عليّ بصفّين.

٢. هو: وكيع بن الجرّاح بن مليح الرواسي الكوفي. كان حافظاً ثقة مأموناً و عابداً ناسكاً صدوقاً، وكان جهبذاً من العلماء الأعلام، ما رُؤي أخشع منه و لا أرغب منه عن الدنيا. و قد أجمع على صدقه و أمانته و وثاقته الأئمّة من أصحاب الحديث، و كان معروفاً بالتشيّع لآل بيت الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، قال ابن معين: رأيت عند مروان بن معاوية لوحاً مكتوباً فيه أسماء الشيوخ ونعوتهم، و كان فيه: «و وكيع رافضي». و قال محمد بن مروان: ما وصف لي أحد إلاّ رأيته دون الصفة إلاّ وكيع، فإني رأيته فوق ما وصف لي. ولد سنة (١٢٨)، و تُوفّي سنة (١٩٦). مات يوم عاشوراء في طريقه راجعاً من حج بيت اللّه الحرام. (تهذيب التهذيب، ج١١، ص١٢٥ ـ ١٣٠).

٣. تهذيب التهذيب، ج١٠، ص١١١.

٤. الطبقات، ج٤، ق١، ص٨٤. عند ترجمة أبي موسى (ط ليدن).

فلما قتلهم قام عليّ و في يده قَدُوم فضرب باباً، و قال: صدق اللّه و رسوله[١].

قلت: هذا الذي روى عن الشعبي، لعلّه كسائر ما رُوي عنه أنه لم يشهد الجمل من الصحابة سوى عليّ و عمّار و طلحة و الزبير. قالوا ـ إن صحّت الرواية ـ: فهذا من أفحش كذبه[٢]، و الظاهر أنه مكذوب عليه؛ لأنه هو القائل عن تثاقل أهل المدينة للخروج مع عليٍّ عليه السلام في واقعة الجمل: ما نهض في تلك الفتنة إلاّ ستة بدريّون، منهم: أبو الهيثم ابن التّيهان، و خزيمة بن الثابت ذوالشهادتين و غيرهما[٣].

* * *

و أما ما ذكروه من أنه وقف بين الصَّفَّين في صِفّين، و جعل يثبّط الناس عن أمير المؤمنين عليه السلام و تلا قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بِالْباطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ. وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ. إِنَّ اللّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً**﴾[٤]، ففيه مواضع من الخلط و الاشتباه:

أولاً: إن هذا متناف مع قولهم: إنه تخلّف عن حرب صفّين، في نفر من أهل الكوفة، و خرج إلى قزوين يرافقه مُرَّة الهَمْداني[٥]. و الأرجح ـ إن صح الخبر ـ أنه مسروق العكّي، كانت له رُؤية، و كان مع معاوية يحرّضه على عدم الطاعة لعلي عليه السلام[٦].

---

١. تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٣٢. القَدُوم: آلة للنحت و النجر.

٢. قاموس الرجال، ج٥، ص١٩٠.

٣. الكامل في التاريخ، ج٣، ص٢٢١.

٤. النساء/ ٢٩.

٥. قاموس الرجال، ج٨، ص٤٧٥ ـ ٤٧٦. و كامل ابن الأثير، ج٣، ص٢٧٨ ـ ٢٧٩.

٦. ذكره ابن حجر في الإصابة، ج٣، ص٤٠٨، رقم ٧٩٣٤.

و **ثانياً**: هذا من كلام أبي موسى الأشعري لأهل الكوفة، كان يثبّطهم عن النهوض مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند ما أتاهم رُسُل الإمام لينهضوا بهم إلى حرب الجمل. و قد ذكره الطبري في حوادث سنة (٣٦).فكان فيما قال: أيّها الناس، إنها فتنة صمّاء، النائم فيها خير من اليقظان، و القاعد فيها خير من القائم. فأغمدوا السيوف، و انصلوا الأسنّة. و قد جعَلَنا اللّهُ إخواناً، و حرّم علينا دماءنا و أموالنا، و قال تعالى: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَأْكُلُوا أَمْوٰالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبٰاطِلِ.. وَلاٰ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾**. و قال: **﴿وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزٰاؤُهُ جَهَنَّمَ﴾**[1].

و **ثالثاً**: إنّ هذا الموضوع عن لسانه، قد حصل فيه خلط غريب، بموجَب أن الكذوب تخونه ذاكرته!

فقد أخرج ابن سعد عن الشعبي ـ و كان يزعم أنه لم يخرج في شيء من حروب عليّ عليه السلام ـ قال: كان مسروق إذا قيل له: أبطأت عن عليٍّ و عن مشاهده؟ ولم يكن شهد معه شيئاً من مشاهده، فأراد أن يناصّهم الحديث، قال: أُذكِّركم باللّه، أرأيتم لو أنه حين صفّ بعضكم لبعض، و أخذ بعضكم على بعض السلاح، يقتل بعضكم بعضاً، فُتح باب من السماء، و أنتم تنظرون، ثم نزل منه ملاك حتى إذا كان بين الصَّفَّين، قال: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَأْكُلُوا أَمْوٰالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبٰاطِلِ إِلاّٰ أَنْ تَكُونَ تِجٰارَةً عَنْ تَرٰاضٍ مِنْكُمْ وَ لاٰ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾** أكان ذلك حاجزاً بعضكم عن بعض؟ قالوا: نعم، قال: فو اللّه لقد فتح لها باباً من السماء، و لقد نزل بها ملك كريم على لسان نبيّكم صلى الله عليه و آله و سلم و أنها لمحكمة في المصاحف،

---

١. الطبري ـ التاريخ ـ (ط دار المعارف مصر)، ج ٤، ص ٤٨٢ ـ ٤٨٣. و الآيات من سورة النساء (رقم ٢٩ و ٩٣).

ما نسخها شيء.

هكذا روى ابن سعد روايتين بهذا اللفظ، أسندهما إلى الشعبي.

ثم أخرج عن عاصم رواية مرسلة، قال: و ذُكر أن مسروقاً بنفسه أتى صفّين فوقف بين الصَّفَّين ثم قال: يا أيّها الناس، أرأيتم لو أن الخ ثم انساب بين الناس فذهب!

و لعل ذاكر الخبر ـ و هو مجهول الهويّة ـ اشتبه عليه لفظة «حتى إذا كان بين الصَّفَّين..» في الخبر المزعوم، فزعم أنّ الضمير يعود إلى مسروق، في حين أنه عائد إلى المَلَك، حسب المزعومة![1]

و يحتمل أن مسروقاً هذا هو العكّي صاحب معاوية. كان من وجوه أهل الشام و كانت له صحبة. كان يحرّض معاوية على الخروج من الطاعة و القيام بطلب دم عثمان، فكان شديداً على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تلك المواقف. ذكره ابن حجر في الإصابة[2].

* * *

و أما القول بأنه كان عشّاراً لمعاوية[3]، و أن زياداً استعمله على السلسلة، و مات بها سنة (٦٢ أو ٦٣)[4]، و كان مسروق متذمّراً من عمله ذلك، و كان يقول: لم يدعني ثلاثة: زياد، و شريح، و الشيطان، اكتنفوني و لم يزالوا يزينونه لي حتى أوقعوني فيه. و كان يقول: ما عملت عملاً قط أخوف عليّ من أن يُدخلني النار من

١. راجع: طبقات ابن سعد، ج٦ (ط ليدن)، ص٥١ ـ ٥٢.
٢. الإصابة، ج٣، ص٤٠٨، رقم٧٩٣٤.
٣. الكشّي، ص٩٠ ـ ٩١ رقم ٣٤. و قاموس الرجال، ج٨، ص٤٧٦.
٤. تهذيب التهذيب، ج١٠، ص١١١.

عملي هذا. و كان بها حتى مات. قال ابن سعد: و مات بالسلسلة بواسط، و قبره هناك يزار[١]. و أخرج عن أُمّ قيس، قالت: مررت على مسروق بالسلسلة، و معي ستّون ثوراً تحمل الجُبُنّ و الجوز، فسألها مسروق، قال: ما أنتِ؟ قالت: مكاتبة. قال: خلّوا سبيلها فليس في مال المكاتب زكاة[٢].

و روى الكشّي عن الفضل بن شاذان: أن مسروقاً كان عشّاراً لمعاوية، و مات في عمله ذلك بموضع أسفل من واسط على دجلة يقال له: الرصافة، و قبره هناك[٣].

فهذا كله مما لانستطيع الموافقة عليه، حيث مخالفته مع واقع التاريخ:

أولاً: إذا كانت السنتان اللتان استعمله زياد فيهما على السلسلة، هما الأخيرتان من حياة مسروق؛ إذ قد تُوفّي في عمله ذلك، فهذا يعني بعد عام الستين، الأمر الذي لاينسجم مع كون هلاك زياد في سنة (٥٣) المتّفق عليه عند أرباب التاريخ[٤].

فلعلّ مسروقاً هذا غير ابن الأجدع المتوفّى سنة (٦٣). إما ابنُ وائل الحضرمي[٥]، أو العكّي[٦]، أو غيرهما.

---

١. الطبقات، ج٦، ص٥٥ ـ ٥٦ (ط ليدن).

٢. المصدر نفسه، ج٨، ص٣٦٤ (ط ليدن).

٣. رجال الكشّي، ص٩١.

٤. الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٩٣ حوادث سنة ٥٣ (ط دار صادر).

٥. و قد كان في أوائل الخيل لعبيد اللّه بن زياد في واقعة الطفّ. و سنذكره.

٦. ذكره ابن حجر في الإصابة (ج ٣، ص٤٠٨ رقم ٧٩٣٤). و كان من وجوه أهل الشام عند معاوية، و قد أتاه رسل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالطاعة، فكان مسروق العكّي ممّن هدّد معاوية لو أجاب، و جعل يحرضه على التمرّد و الطلب بدم عثمان!

ثانياً: إنّ سِلْسِلَ، طَسُّوجٌ[1] من ثمانية طساسيج كورة شاذقُباذ، و تسمّى كورة دجلة. قال ياقوت: كورة بشرقي بغداد، و تشتمل على ثمانية طساسيج: رستقُباذ، و مهروذ، و سِلْسِل، و جلولاء، و البنديجين، و براز الروز، و الدسكرة، و الرستاقين. قال: و يضاف إلى كل واحدة من هذه لفظة «طسُّوج» أي ناحية كذا[2].

و عليه فمن البعيد جداً أن يستعمل مثل مسروق بن الأجدع ـ العالم الكبير و الراوي القدير ـ لمثل تلك المنطقة الصغيرة البعيدة عن مراكز العلم و الثقافة، و لا سيّما إذا كان العمل مثل عمل العَشّارين! الأمر الذي لا نكاد نصدقه بشأن مثل ابن الأجدع الإمام القدوة الذي هو أحد الأعلام. و من ثم رجّحنا أن يكون العامل غير هذا.

و ثالثاً: ذكر الخطيب البغدادي: أن مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني ثم الوادعي، و يُكنّى أبا عائشة، تُوفّي سنة (٦٣) بالكوفة، و كان له (٦٣) سنة[3].

غير أن ابن الأثير قال: و تُوفّي بمصر مسروق بن الأجدع سنة (٦٢ أو ٦٣)[4].

كما ذكر ابن حجر أنه تُوفّي بسِلْسِل[5]. فهناك ثلاثة أقوال في موضع قبره، و الصحيح هو القول الأول، بدليل الاعتبار. أما الذي تُوفّي بمصر فلعله العكّي صاحب معاوية. أما العامل بسلسلة العشار فيحتمل كونه ابن وائل، واللّه العالم.

* * *

---

١. بفتح الطاء و تشديد السين المضمومة، بمعنى الناحية. قال الفيروزآبادي: بلدة بشاطئ دجلة.

٢. معجم البلدان، ج٣، ص٣٠٤ ـ ٣٠٥. و قال في ص٢٣٦: سِلْسِل نهر في سواد العراق، يضاف إلى طَسُّوج من محافظة شاذقباذ من الجانب الشرقي.

٣. تاريخ بغداد، ج١٣، ص٢٣٥.

٤. الكامل في التاريخ، ج٤، ص١١٠.

٥. تهذيب التهذيب، ج١٠، ص١١١.

و أما أنه كان على الخيل لعبيد اللّه بن زياد ـ على ما جاء في المسترشد[١] ـ فلعلّه من الوهن بمكان؛ لأنّ ذاك هو مسروق بن وائل الحضرمي من أجناد الكوفة، الذين خرجوا لقتال الحسين بن عليّ عليهما السلام في واقعة الطفّ بكربلاء. قال أبو مخنف عن عطاء بن السائب عن عبد الجبار بن وائل الحَضْرمي عن أخيه مسروق بن وائل، قال: كنت في أوائل الخيل ممن سار إلى الحسين، فقلت: أكون في أوائلها لَعلّي أُصيب رأس الحسين، فأُصيب به منزلة عند عبيد اللّه بن زياد...[٢]. و كان قد أدرك حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، و قدم عليه في وفد حضرموت[٣].

* * *

أمّا دفاعه عن عثمان فلعله كان لمحض الحفاظ على الوحدة دون تفرقة الكلمة، و ليس عن عقيدة بشأنه في نفسه، و من ثم ذكروا أنه روى عن أبي بكر وعمر و عليّ و ابن مسعود و أُبيّ بن كعب، و لم يروِ عن عثمان شيئاً[٤].

و كذا احترامه لعائشة كان لموضع حرمتها من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم محضاً، و قد كان من المعترضين عليها في اضطراب موقفها بشأن عثمان. أخرج ابن سعد عن الأعمش عن خَيْثَمة عن مسروق عن عائشة، قالت حين قتل عثمان: تركتموه كالثوب النقيّ من الدنس، ثم قرّبتموه تذبحونه كما يُذبَح الكبش، هلاّ كان هذا قَبل هذا؟ فقال لها مسروق: هذا عَمَلُكِ، أنتِ كتبتِ إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه،

---

١. قاموس الرجال، ج٨، ص٤٧٥.

٢. تاريخ الطبري، ج٥، ص٤٣١ (ط دار المعارف).

٣. الإصابة، ج٣، ص٤٠٨ رقم ٧٩٣٣. و الاستيعاب بهامشه، ج٣، ص٥٣١ ـ ٥٣٢. و أُسد الغابة ج ٤، ص٣٥٤.

٤. طبقات ابن سعد، ج٦، ص٥١ (ط ليدن).

فأنكرت!![١]

* * *

و من غريب الأمر أن المامقاني ذكر مسروق بن الأجدع تارة بعنوان أنّه أحد الزُّهاد الثمانية، و عدّه من المذمومين. و أُخرى وصفه بالهمداني الكوفي، و عدّه من الأعلام و الفقهاء، و رجّح حُسْن حاله[٢].

و اعترض عليه التستري بأنهما واحد، و لا وجه للافتراق في الشخصيّة و الوصف[٣].

١٤ ـ الأسود بن يزيد

أبو عبد الرحمان النخعي الكوفي، من كبار التابعين المخضرمين، من أصحاب عبد اللّه بن مسعود. و روى عن حذيفة و بلال و عليّ عليه السلام، كان على جانب عظيم من الفهم لكتاب اللّه، ثقة صالح، ورع ناسك. ذكره ابن حبّان في الثقات، و قال: كان فقيهاً زاهداً. روى عنه ابنه عبد الرحمان، و أخوه عبد الرحمان، و ابن اخته إبراهيم بن يزيد النخعي و غيرهم. و ذكره جماعة ممّن صنَّف في الصحابة، لإدراكه. تُوفّي سنة (٧٥).

قال ابن سعد: روى عن عمر و عليّ و ابن مسعود و سلمان، و لم يروِ عن عثمان شيئاً[٤].

و لم يَسلم الأسود ممّا رمى به زميله ابن الأجدع، و الكلام فيه قدحاً و مدحاً

---

١. الطبقات، ج٣، ق١، ص٥٧، س ٢٠ ـ ٢٥.

٢. تنقيح المقال، ج٣، ص٢١١ برقم ١١٧٠٢ و ١١٧٠٣

٣. قاموس الرجال، ج٨، ص ٤٧٥ ـ ٤٧٦.

٤. تهذيب التهذيب، ج ١، ص٣٤٢ ـ ٣٤٣ و الطبقات، ج٦، ص٤٦ ـ ٥٠.

ما مرّ في مسروق. و سنذكر أن عامة الكوفيين، و لا سيّما أصحاب عبد اللّه بن مسعود، كان الغالب عليهم الميل مع عليّ عليه السلام، حسب تربية شيخهم و كبيرهم الصحابي الجليل[1].

١٥ ـ مُرّة الهَمْداني

أبو إسماعيل ابن شراحيل الهمداني السكسكي الكوفي، المعروف بمرّة الطيب و مرّة الخير، لقّب بذلك لعبادته. روى عن أبي ذرّ و حذيفة و ابن مسعود و عليّ عليه السلام. و عنه إسماعيل السدّي و الشعبي و عطاء بن السائب و عمرو بن مرّة و طائفة.

قال العجلي: تابعي ثقة، كان عابداً ناسكاً كثير السجود و الركوع. قيل: أدرك النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و لم يره. مات سنة (٧٦)[2].

و قد استوفينا الكلام في مسروق ما يتضح به حال مرّة أيضاً، كشأن سائر الكوفيين من أصحاب ابن مسعود، كانوا مع عليّ عليه السلام، و من ثمَّ أصبحوا عرضة السهام.

١٦ ـ عامر الشعبيّ

أبو عمرو عامر بن شراحيل الحميري الكوفي، من شعب هَمْدان. روى عن مسروق بن الأجدع و ابن عباس و عليّ عليه السلام، و كثير من الصحابة و التابعين. كان فقيها بارعاً، قويّ الحافظة. قال: ما كتبت سوداء على بيضاء، و لا حدّثني رجل

---

١. راجع: الطبقات لابن سعد، ج٦، ص٥، س٤: كان أصدق الناس عند الناس على عليّ عليه السلام أصحاب عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه و عنهم.

٢. الطبقات، ج١٠، ص٨٨ ـ ٨٩ و الخلاصة، ص٣٧٢.

بحديث إلاّ حفظته، و لا حدّثني رجل بحديث فأحببت أن يعيده عليّ. قال العجلي: سمع من (٤٨) صحابياً، و لا يكاد يرسل إلاّ صحيحاً.

قال ابن أبي حاتم عن أبيه: و سئل عن الفرائض التي رواها الشعبي عن عليّ عليه السلام، فقال: هذا عندي ما قاسه عَلَى قول عليّ، و ما أرى عليّاً كان يتفرّغ لهذا. قال ابن حبّان في ثقات التابعين: كان فقيهاً شاعراً، مولده سنة (٢٠) و مات سنة (١٠٩)، و كان فيه دعابة. و قال أبو جعفر الطبري: كان ذا أدب و فقه و علم. و قال أبو اسحاق: كان واحد زمانه في فنون العلم[١].

هذا، و لم يكن حظ الشعبي من التهم بأحسن من سابقيه، كسائر الكوفيين كانوا معرض التهم.

١٧ ـ عمرو بن شرحبيل

أبو ميسرة الهمداني الوادعي الكوفي. روى عن عليّ عليه السلام و عبد اللّه بن مسعود، و كان من أصحابه، و من النفر الستة الذين كانوا يُقرئون الناس و يعلّمونهم السنّة، و يصدر الناس عن رأيهم[٢]. و هكذا روى عن حذيفة و سلمان و قيس بن سعد بن عبادة و أشباههم من خلّص الأصحاب. قال عاصم بن بهدلة عن أبي وائل: ما اشتملت همدانية على مثل أبي ميسرة. كان صوّاما قوّاماً، ناسكاً زاهداً، من أفاضل أصحاب ابن مسعود. و كان إمام مسجد بني وادعة بالكوفة.

كان موضع ثقة ابن مسعود، سأله يوماً قال: ما تقول يا أبا ميسرة في ﴿الخُنَّسِ،

---

١. تهذيب التهذيب، ج٥، ص٦٥ ـ ٦٩.

٢. تاريخ بغداد، ج١٢، ص٢٩٩.

﴿اَلْجَوٰارِي الْكُنَّسِ﴾[١]؟ قال عمرو: قلت: لا أعلمها إلاّ بقر الوحش. قال: و أنا لا أعلم فيها إلاّ ما قُلتَ. تُوفّي سنة (٦٣) في ولاية عبيد اللّه بن زياد[٢].

قال الشهيد الثاني ـ في درايته ـ: تابعي فاضل من أصحاب ابن مسعود[٣].

و كانت له صحبة أو رؤية، كان ممن روى حديث الغدير، حسبما ذكره الخوارزمي[٤].

و ذكر ابن حجر في الإصابة عن الطبراني أنه أخرج من رواية عبد العزيز بن عبد اللّه القرشي عن سعيد بن أبي عروبة عن القاسم بن عبد الغفّار عن عمرو بن شرحبيل، قال: سمعتُ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «اللهم أنصر من نصر علياً، اللّهم أكرم من أكرم علياً، اللهم أخذل من خذل عليّاً...»[٥].

و في نسخة الإصابة: شراحيل، بدل شرحبيل. و هو خطأ في النسخة؛ إذ لم يرد لشراحيل والد عمرو، ذِكر في كتب التراجم إطلاقاً. مع أنه ذكره ابن عبد البرّ[٦]، و كذا ابن الأثير،[٧] بهذا العنوان: عمرو بن شرحبيل. فيبدو أن نسخة الإصابة قد أصابها تصحيف.

نعم ذكر ابن عبد البر أنه غير عمرو بن شرحبيل الهمداني، أبي ميسرة صاحب ابن مسعود، و ذكر أنه لم يقف على نسبه، لكن رجّح ابن الأثير كونهما واحداً.

---

١. التكوير / ١٥.

٢. الطبقات لابن سعد، ج٦، ص ٧١ ـ ٧٤ و تهذيب التهذيب، ج٨، ص٤٧.

٣. قاموس الرجال، ج٧، ص ٢١١.

٤. الغدير للعلامة الأميني، ج١، ص٥٧ رقم ٩٣.

٥. الإصابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٥٤٣ رقم ٥٨٦٩.

٦. الاستيعاب بهامش الإصابة، ج٢، ص٥٢٦.

٧. أُسد الغابة، ج٤، ص١١٤.

قلت: و هو الصحيح؛ لأنّ ولادته كانت في أوائل الهجرة أو قبلها، فهو و إن كان تابعيّاً، لكنه أدرك النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و إن لم تكن له صحبة لصغر سنّه، غير أنّه يجوز سماعه منه و هوصبي مراهق.

١٨ ـ زيد بن وهب

أبو سليمان الجهني الكوفي. رحل إلى النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم و هاجر إليه فلم يدركه، قُبض صلى الله عليه و آله و سلم و هو في الطريق. و هو معدود في كبار التابعين، روى عن عليّ عليه السلام و ابن مسعود و حذيفة و أبي الدرداء و أبي ذرّ، و روى عنه خلق كثير، منهم الأعمش، قال: إذا حدّثك زيد بن وهب عن أحد، فكأنّك سمعته من الذي حدّثك عنه. و قد وثّقه أصحاب التراجم. أخرج ابن حجر عن ابن خراش قال: كوفي ثقة و روايته عن أبي ذرّ صحيحة[١].

سكن الكوفة، و كان في الجيش الذي مع عليّ عليه السلام في حربه الخوارج. و هو أوّل من جمع خطب عليّ عليه السلام في الجُمَع و الأعياد و غيرها. تُوفّي سنة (٩٦) و قد عُمّر طويلاً.

١٩ ـ أبو الشعثاء الكوفي

هو سليم بن أسود المحاربي الكوفي. روى عن أبي ذرّ و حذيفة و سلمان وابن عباس و ابن مسعود، و كان خصّيصاً به. قال أبو حاتم: لا يُسأل عن مثله. و ذكره ابن حبان في الثقات.

---

١. تهذيب التهذيب، ج٣، ص٤٢٧. أُسد الغابة، ج٢، ص٢٤٢. الإصابة، ج١، ص٥٨٣ رقم ٣٠٠١. الشافي ٤ / ٢٨٨، الهامش ٣. قاموس الرجال، ج٤، ص٢٨١.

قال الواقدي: شهد مع عليّ عليه السلام مشاهده. تُوفّي سنة (٨٢)[١].

٢٠ ـ أبو الشعثاء الأزدي

هو جابر بن زيد الأزدي اليحمدي الجُوفي[٢] البصري. روى عن ابن عباس و عكرمة و غيرهما. قال ابن عباس: لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً من كتاب اللّه. قال العجلي: تابعي ثقة. قال ابن سعد: مات سنة (١٠٣). قال قتادة ـ لما مات جابر بن زيد ـ: اليَومَ مات أعلم أهل العراق. و كان يخلف الحسن في الفتوَى[٣].

٢١ ـ الأصبغ بن نُباتة

التميمي ثم الحنظلي، أبو القاسم الكوفي. من أصحاب عليّ و الحسن بن علي عليهما السلام.

قال العجلي: كوفي تابعي ثقة. قال ابن سعد: كان شيعيّاً، و كان على شرطة عليّ عليه السلام.

قال ابن حبّان: فُتن بحبّ عليّ، فأتى بالطامّات[٤] فاستحق الترك. قال ابن عَديّ: و إذا حُدّث عنه ثقة فهو عندي لا بأس بروايته، و إنما أتى الإنكار من جهة من روى عنه[٥].

قال سيدنا الخوئي ـ دام ظله ـ: هو من المتقدمين من سلفنا الصالحين، ذكره

---

١. تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ١٦٥.

٢. نسبة إلى درب الجُوف، محلة بالبصرة.

٣. تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٣٨ رقم ٦١. و راجع: الحلية لأبي نَعيم، ج ٣، ص ٨٥.

٤. قال العقيلي: كان يقول بالرجعة !

٥. تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٣٦٢ رقم ٦٥٨.

النجاشي. و قال الأصبغ بن نُباتة المجاشعي: كان من خاصّة أمير المـؤمنين عليه السلام وعُمّر بعده، روى عنه عهد الأشتر، و وصيّته إلى محمد ابنه.

و هو من العشرة الذين دعاهم الإمام أمير المؤمنين للحضور لديه. فقد روى ابن طاووس من كتاب الرسائل للكليني أنه عليه السلام دعا كاتبه عبد اللّه بن أبي رافع، فقال: أَدخِل عليَّ عشرةً من ثقاتي. فقال: سَمِّهم لي يا أمير المؤمنين. فقال: أدخل: أصبغ بن نباتة، و أبا الطُفيل عامر بن واثلة الكناني، و زِرّ بن حُبيش، و جويريّة بن مسهَّر... حسبما أوردناه في ترجمة علقمة بن قيس[1].

٢٢ ـ زِرُّ بنُ حُبَيْش

الأسدي أبو مريم الكوفي مخضْرم أدرك الجاهلية. كان من أصحاب ابن مسعود، و من ثقات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على ما ذكرنا من حديث العشرة في ترجمة علقمة. قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث. قال عاصم: كان زِرّ من أعرب الناس. و كان ابن مسعود يسأله عن العربيّة. قال: كان أبو وائل[2] عثمانياً و كان زرّ علويّاً، و كان مُصلّاهما في مسجد واحد، و كان أبو وائل معظّماً لزِرّ. قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب: كان قارئاً فاضلاً. قال أبو جعفر البغدادي: قلت لأحمد: فزِرّ و علقمة و الأسود؟ قال: هؤلاء أصحاب ابن مسعود، و هم الثبت فيه. مات سنة (٨٣)، و كان ابن (١٢٧)[3].

---

١. معجم رجال الحديث، ج٣، ص٢١٩ رقم ١٥٠٩.

٢. هو شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي. أدرك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و لم يره. قال عاصم: قيل لأبي وائل: أيهما أحب إليك، عليّ أو عثمان؟ قال: كان عليّ أحب إليّ ثم صار عثمان! مات بعد الجماجم سنة (٨٢). (تهذيب التهذيب، ج٤، ص٣٦١ رقم ٦٠٩).

٣. تهذيب التهذيب، ج٣، ص٣٢١ ـ ٣٢٢، رقم ٥٩٧.

٢٣ ـ ابن أبي ليلى

هو محمد بن عبد الرحمان بن أبي ليلى الأنصاري، أبو عبد الرحمان الكوفي الفقيه، قاضي الكوفة. قال أبو حاتم، عن أحمد بن يونس، ذكره زائدة، فقال: كان أفقه أهل الدنيا. و قال العجلي كان فقيهاً صاحب سُنّة، صدوقاً جائز الحديث، وكان عالماً بالقرآن، و كان من أحسب الناس، و كان جميلاً نبيلاً. و أوّل من استقضاه على الكوفة يوسف بن عمر الثقفي. قيل: كان سيّئ الحفظ و لا سيما عند ما اشتغل بالقضاء فساء حفظه. قالوا: لا يُتّهم بشيء من الكذب، و إنما ينكر عليه كثرة الخطاء. قال الساجي: كان سيّئ الحفظ لا يتعمد الكذب، فكان يُمدح في قضائه، فأمّا في الحديث فلم يكن حجة. قال: و كان الثوري يقول: فقهاؤنا ابن أبي ليلى و ابن شبرمة. و قال ابن خزيمة ليس بالحافظ، و إن كان فقيهاً عالماً. تُوفّي سنة (١٤٨)[١].

٢٤ ـ عبيدة بن قيس بن عمرو السلماني

كان من أصحاب عليّ عليه السلام و ابن مسعود. أسلم قبل وفاة النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم بسنتين، و لم يلقه. كان ابن سيرين من أروى الناس عنه: و كان يقول: أدركت الكوفة و بها أربعة ممّن يُعَدّ في الفقه، و عدّه ابن المديني في الفقهاء من أصحاب ابن مسعود. قال ابن نمير: و كان شريح إذا أشكل عليه الأمر كتب إلى عبيدة. تُوفّي سنة (٧٢)[٢].

* * *

---

١. تهذيب التهذيب، ج٩، ص٣٠١ـ٣٠٣ رقم ٥٠١.

٢. المصدر، ج٧، ص٨٤ رقم ١٨٥.

٢٥ ـ الربيع بن أنس البكري

و يقال: الحنفي البصري ثم الخراساني. روى عن أنس بن مالك و أبي العالية و الحسن البصري، و أرسل عن أُمّ سلمة. و عنه أبو جعفر الرازي و الأعمش ومقاتل بن حيان و غيرهم. قال العجلي و أبو حاتم: صدوق. و قال ابن معين: كان يتشيّع فيفرط. و ذكره ابن حبّان في الثقات. تُوفّي سنة (١٣٩ أو ١٤٠)[١].

٢٦ ـ الحارث بن قيس الجُعفي الكوفي

من أصحاب ابن مسعود، و كانوا معجبين به قال. عليّ بن المديني: قُتل مع عليّ عليه السلام، و عدّه ابن حبان في الثقات[٢].

٢٧ ـ قتادة بن دِعامة

قتادة بن دِعامة، أبو الخطاب السَّدُوسي البصري، ولد أكمه[٣]. كان تابعيّاً وعالماً كبيراً، كان فقيه أهل البصرة عالماً بالأنساب و أشعار العرب. قال أبو عبيدة: كان أجمع الناس، و كان يَنيخُ على باب داره كل يوم من يأتيه فيسأله عن خبر أو نسب أو شعر[٤]. و كان أحفظ الناس، لا ينسى ما حفظه أو قُرِئ عليه و لو مرةً واحدة. قال عليّ بن المديني: انتهى علم البصرة إلى يحيى بن أبي كثير، و قتادة. كما انتهى علم الكوفة إلى أبي إسحاق، و الأعمش. و انتهى علم الحجاز إلى ابن شهاب، و عمرو بن دينار[٥].

---

١. تهذيب التهذيب، ج٣، ص٢٣٨ رقم ٤٦١.

٢. المصدر نفسه، ج٢، ص١٥٤ رقم ٢٦٦.

٣. الأكمه: الذي ولد أعمى.

٤. وفيات الأعيان لابن خلكان، ج٤، ص٨٥ رقم ٥٤١.

٥. المصدر نفسه، ج٦، ص١٤٠ رقم ٧٩١.

قال مطر بن الورّاق: ما زال قتادة متعلّماً حتى مات[١]. قال قتادة: ما قلت لمحدّث قطّ: أعِد عَلَيَّ. و ما سمعت أذُناي شيئاً قطّ، إلاّ وعاه قلبي. و قال: ما في القرآن آية إلاّ قد سمعت فيها بشيء.

قال أبو حاتم: سمعت أحمد بن حنبل و ذكر قتادة، فأطنب في ذكره، فجعل ينشر من علمه و فقهه و معرفته بالاختلاف و التفسير، و وصفه بالحفظ و الفقه. وقال: قلّما تجد من يتقدّمه، أمّا المِثل فلعلّ. و قال الأثرم: سمعت أحمد يقول: كان قتادة أَحفظ أهل البصرة، لم يسمع شيئاً إلاّ حفظه. و قرئ عليه صحيفة جابر مرةً واحدةً فحفظها، و كان يقول: الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر. و قال له سعيد بن المسيّب ـ لما رأى منه العجيب من حفظه ـ: ما كنت أظنّ أنّ اللّه خلق مثلك.

و قال ابن حبّان ـ في الثقات: كان من علماء الناس بالقرآن و الفقه و من حفّاظ أهل زمانه[٢].

كانت ولادته سنة (٦١). قال أبو إسحاق إبراهيم بن علي الذهلي: ولد عمر بن عبد العزيز، و هشام بن عروة، و الزهري، و قتادة، و الأعمش، ليالي قتل الحسين ابن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، و كانت شهادته عليه السلام يوم عاشوراء سنة (٦١) للهجرة[٣]. و تُوفّي بواسط في الطاعون سنة (١١٨).

* * *

و غُمز فيه بأنه كان يقول بالقدر. قال ابن سعد: كان ثقة، مأموناً، حجّة في

---

١. تهذيب التهذيب، ج٨، ص٣٥٣ رقم ٦٣٥. و الجرح و التعديل، ج٧ (ج ٣، ق ٢)، ص١٣٣ ـ ١٣٥. رقم ٧٥٦.

٢. تهذيب التهذيب، ج٨، ص٣٥٤ ـ ٣٥٥. و طبقات ابن سعد، ج٧، ق ٢، ص١.

٣. الوفيات، ج٦، ص٨٠ رقم ٧٨١.

الحديث، و كان يقول بشيء من القدر. و أخرج ابن خلكان عن أبي عمرو بن العلاء، قال: حسبُك قتادة، فلولا كلامه في القدر[١].

و لكن مع ذلك فقد اعتمده القوم و اعتبروه حجة في الحديث، كما قال ابن سعد. قال عليّ بن المديني: قلت ليحيى بن سعيد: إنّ عبد الرحمان يقول: أترك كل من كان رأساً في بدعة، يدعو إليها. قال: كيف تصنع بقتادة، و ابن أبي رواد، و عمر ابن ذرّ؟! و ذكر قوماً، ثم قال يحيى: إن تركت هذا الضرب، تركت ناساً كثيراً[٢].

قلت: رميه بالقدر، أو شيء من القدر، إنّما جاء من قبل قوله بالعدل، حسبما كان يقوله شيخه الحسن البصري، على ما تقدم في ترجمته. و كانت العامّة ممّن تأثّروا بمذهب أبي موسى الأشعري و حفيده أبي الحسن الأشعري، كانوا يرون خلاف ذلك، و أنّ الأفعال كلها مخلوقة لله و عن إرادته، و ليس للعبد اختيار في عمله... عقيدة جاهلية أُولى، كانت تمكّنت من نفوس العرب، و لم تكد تنخلع بعد، ما دامت العامة و على رأسهم الأشعريّان، منحرفين عن تعاليم آل بيت الرسول ـ صلوات اللّه عليهم أجمعين ـ.

* * *

هذا، و قد عُرف قتادة السدوسي بالولاء لأهل البيت و على رأسهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و في التاريخ منه مواقف مشرّفة سجّلها أهل السير و الحديث:

أخرج ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني بإسناده عن أبان بن عثمان البجلي، قال: حدّثني الفُضيل البرجمي، قال: كنت بمكة، و خالد بن عبد اللّه

---

١. الطبقات، ج٧، ق ٢، ص١. و الوفيات، ج٤، ص٨٥.

٢. تهذيب التهذيب، ج٨، ص٣٥٣.

القسري(١) أمير، و كان في المسجد عند زمزم، فقال: ادعوا لي قتادة، فجاء شيخ أحمر الرأس و اللّحية، فدنوت لأسمع.

فقال خالد: يا قتادة، أخبرني بأكرم وقعة كانت في العرب، و أعزّ وقعة كانت في العرب، و أذلّ وقعة كانت فى العرب!

فقال قتادة: أصلح اللّه الأمير، أخبرك بأكرم وقعة، و أعزّ وقعة، كانت في العرب واحدة!

فقال خالد: ويحك، واحدة؟! قال: نعم، أصلح اللّه الأمير. قال: أخبرني؟

قال قتادة: بدرا قال: و كيف ذا؟ قال: إن بدراً أكرم اللّه بها الإسلام و أهله، و بها أعزّ اللّه الإسلام و أهله. فلما قُتلت قريش يومئذ، ذُلّت العرب؛ فكانت أذلّ وقعة في العرب.

فقال له خالد: كذبت لعمر اللّه، إن كان، في العرب يومئذٍ من هو أعزّ منهم(٢).

ثم قال خالد: ويلك يا قتادة، أخبرني ببعض أشعارهم؟

قال: خرج أبو جهل يومئذٍ، و قد أعلم ليُرىٰ مكانه، و عليه عمامة حمراء، و بيده تُرس مذهّب، و هو يقول:

ما تنقم الحرب الشموس منّي   بازل عامين حديث السنّ

لمثل هذا ولدتني أُمّي

---

١. كان عاملاً لهشام بن عبد الملك على العراقين. و كان ملحداً زنديقاً مخنّثاً عدوّاً للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام. كان يقول: لو أمرني هشام بتخريب الكعبة لهدّمتها و نقلت حجارتها إلى الشام. كان أبوه من أصل يهود تيماء. و كان أبوه عبد اللّه بن يزيد مع معاوية في صفّين. و كانت أُمّه رومية نصرانية، كان بنى لها قبّة في مسجد الكوفة. و كان إذا أذن المؤذّن ضُرب لها الناقوس، و إذا خطب الخطيب رفع النصارىٰ أصواتهم حولها. (سفينة البحار، ج ١، ص ٤٠٦ ـ خ ل د).

٢. غلبته حميّة جاهلية، فلم يرضه الاعتراف بذلّة العرب يومذاك.

فقال خالد: كذب عدوّ اللّه، إن كان، ابن أخي لأفرس منه، يعني خالد بن الوليد، و كانت أُمه من بني قسر. ويلك يا قتادة، من الذي كان يقول: أوفي بميعادي و أحمي عن حسب؟

فقال: أصلح اللّه الأمير، ليس هذا يومئذٍ، هذا يوم أُحد، خرج طلحة بن أبي طلحة، فخرج إليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام و هو يقول:

أنا ابن ذي الحوضين عبد المطلب و هاشم المُطعِم في العام السغب
أوفي بميعادي و أحمي عن حسب

و هنا لم يتحمل خالد سماع منقبة لأمير المؤمنين عليه السلام فقال ـ مغضباً ـ: كذب لعمري أبو تراب، ما كان كذلك.

فعند ذلك قام قتادة، و قال: أيها الأمير، ائذن لي في الانصراف، فجعل يفرج بيده و يخرج و هو يقول: زنديقٌ و ربّ الكعبة، زنديقٌ و ربّ الكعبة[١].

قال المحدّث القمّي: هذا يُنبؤك عن ولاء قتادة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

* * *

و له أيضاً مع الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام مواقف نذكرمنها:

أخرج الكليني أيضاً بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي، قال: كنت جالساً في مسجد رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم إذ أقبل رجل، فقال لي: أتعرف أبا جعفر؟ قلت: نعم، فما حاجتك؟ قال: هيّأت له أربعين مسألة أسأله عنها، فما كان من حق أخذته، و ما كان من باطل تركته. فما انقطع كلامه حتى أقبل أبو جعفر و حوله أهل خراسان و غيرهم يسألونه عن مناسك الحجّ. فمضى حتى جلس مجلسه، و جلس الرجل

---

١. روضة الكافي (ج ٨، ص ١١١ ـ ١١٣) الحديث رقم ٩١. و البحار، ج ١٩، ص ٢٩٨ ـ ٣٠٠.
٢. سفينة البحار، ج ٢، ص ٤٠٥ (ق ت د).

قريباً منه. فلما انصرف الناس، التفت أبو جعفر إليه، فقال له: من أنت؟ قال: أنا قتادة بن دِعامة البصري.

فقال له أبو جعفر: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال: ويحك يا قتادة، إن اللّه تعالى خلق خلقاً من خلقه، فجعلهم حُججاً على خلقه، و هم أوتادٌ في أرضه، قوّام بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه أظلّة عن يمين عرشه.

فسكت قتادة طويلاً،ثم قال: أصلحك اللّه، و اللهِ لقد جلست بين يدي الفقهاء، و قُدّام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم، ما اضطرب قدّامك!

فقال أبو جعفر: أتدري أين أنت؟ بين يدَي بيوت أذن اللّه أن تُرفع و يُذكر فيها اسمه، يسبّح له فيها بالغدوّ و الآصال، رجال لا تُلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر اللّه و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة، فأنت ثَمَّ و نحن أولئك!

فقال قتادة: صدقت و اللّه، جعلني اللّه فداك، و اللّه ما هي بيوت حجارة و لا طين[1].

و أخرج ـ أيضاً ـ عن زيد الشحّام، قال: دخل قتادة على أبي جعفر عليه السلام وجرى بينهما كلام حتى انتهى إلى تأويل قوله تعالى: **﴿وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ. سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَ أَيَّاماً آمِنِينَ﴾**[2]، فقال له الإمام: ذلك من خرج من بيته بزاد و راحلة وكراء حلال، يروم هذا البيت، عارفاً بحقّنا،يهوانا قلبه، كما قال عزّ و جلّ:

---

١. الكافي الشريف، ج٦، ص٢٥٦ من كتاب الأطعمة. و البحار، ج١٠، ص١٥٤، رقم ٤ و ج٢٣ ص٣٢٩ رقم ١٠.

٢. سبأ/ ١٨.

﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾[١]. و لم يعن البيت فيقول إليه: فنحن و اللّه دعوة إبراهيم عليه السلام مَن هوانا قلبه قُبلت حِجّته. يا قتادة، فإذا كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنّم يوم القيامة.

قال قتادة: لا جرم، و اللّه لا فسّرتها إلاّ هكذا. فقال له أبو جعفر: يا قتادة، إنما يعرف القرآن من خوطب به[٢].

قلت: هذا النمط من الكلام يُعدّ من أسرار الولاية، لا يبوحون به إلاّ لأصحاب السرّ... و لا سيّما مع إذعان قتادة لهذا الخطاب و تحمّله هذا العتاب و استسلامه للأمر. و لعلّ انقداحة حصلت في نفسه بعد هذا التقريع، و هكذا تفعل الموعظة بأهلها إن صادقت نفوساً مستعدّة.

* * *

له كتاب في التفسير. و يرى فؤاد سزكين أنه ربّما كان تفسيراً كبيراً ضخماً. فقد استخدمه الخطيب البغدادي، كما في مشيخته. قال شواخ: و استخدمه الطبري أكثرمن (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف مرة. و ربّما نقل كل مادته نقلا، بالرواية التالية: «حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة». و قد عرف الثعلبي عدا ذلك روايتين أُخريين لهذا الكتاب، كما يظهر من كتابه «الكشف و البيان»[٣].

٢٨ ـ زيد بن أسلم

أبو أُسامة العدوي المدني، الفقيه المفسّر، أحد الأعلام. كان مولى عمر بن

---

١. ابراهيم / ٣٧.

٢. روضة الكافي (ج ٨، ص ٣١١ ـ ٣١٢) حديث رقم ٤٨٥ ـ و البحار، ج ٢٤، ص ٢٣٧ رقم ٦، و ج ٤٦، ص ٣٤٩ رقم ٢.

٣. معجم مصنّفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٣ رقم ٩٩٩.

الخطاب، و بَرع حتى أصبح من كبار التابعين المرموقين، كانت له حلقة في مسجد المدينة، يحضرها جُلّ الفقهاء، و ربّما بلغوا أربعين فقيهاً. قال الذهبي: و لزيد تفسير يرويه عنه ولده عبد الرحمان، و كان من العلماء الأبرار. قال ابن عجلان: ما هِبت أحداً هيبتي زيد بن أسلم[١].

قال ابن حجر: أخذ العلم من جماعة، منهم عليّ بن الحسين عليهما السلام، قال: و قال يعقوب بن شيبه: ثقة من أهل الفقه و العلم و كان عالماً بتفسير القرآن[٢]. و قد عدّه الشيخ أبو جعفر الطوسي من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام، و قال: كان يجالسه كثيراً[٣]، و له رواية عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام.

فقد روى ابنه عبد الرحمان عنه عن عطاء بن يسار عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: «كلُّ مُسكرٍ حرامٌ، و كلُّ مُسكرٍ خمرٌ»[٤].

و روى عبد الرحمان (و في نسخة عبد اللّه) عن أبيه زيد بن أسلم عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم: «طلبُ العلم فريضة على كلِّ مسلم، ألاَ إنّ اللّه يُحبُّ بغاة العلم»[٥]. و من ثم عدّه الشيخ في رجال الصادق أيضاً[٦].

واستغرب سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي ـ دام ظلّه ـ أن يكون زيد مولى عمر،

---

١. طبقات المفسرين للداودي، ج ١، ص ١٧٦ ـ ١٧٧ رقم ١٧٥. و تقريب ابن حجر، ج ١، ص ٢٧٢.

٢. تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٣٩٥ و ٣٩٦ رقم ٧٢٨.

٣. رجال الطوسي، ص ٩٠ رقم ٥.

٤. الكافي الشريف، ج ٦، ص ٤٠٨، رقم ٣.

٥. المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠ أول حديث في فرض العلم و فضله.

٦. رجال الطوسي، ص ١٩٧ رقم ٢٢.

و يُدرك الصادقعليه السلام [١].

لكن زيداً تُوفّي سنة (١٣٦)[٢]. و كانت إمامة مولانا الصادقعليه السلام بعد وفاة أبيه الباقرعليه السلام من سنة (١١٤) حتى نهاية عام (١٤٨).

هذا، و قد أُخذ على زيد أنه كان يُكثر من التفسير برأيه. قال الذهبي: تناكد[٣] ابن عَديّ بذكره في الكامل، فإنه ثقة حجّة، فروى عن حمّاد بن زيد، قال: قَدِمت المدينة و هم يتكلّمون في زيد بن أسلم، فقال لي عبيد اللّه بن عمر: ما نعلم به بأساً إلاّ أنه يفسّر القرآن برأيه[٤].

وقال مالك: كان زيد يحدّث من تلقاء نفسه، فإذا قام فلا يجترئ عليه أحد! و ثّقه أحمد[٥].

قلت: و هذا نظير ما كان يُؤخذ على الحسن البصري كثرة إرساله، و المحذور نفس المحذور، فتنبّه.

٢٩ ـ أبو العالية

رُفَيْع بن مِهران الرياحي البصري، أدرك الجاهلية، و أسلم بعد وفاة النبيّصلى الله عليه وآله وسلم بسنتين. قال العجلي: تابعي ثقة من كبار التابعين المشهورين بالتفسير. روى عن عليّعليه السلام و عبد اللّه بن مسعود، و أُبيّ بن كعب، و عبد اللّه بن عباس، و حذيفة، و أبي ذر، و أبي أيُّوب، و غيرهم من أكابر الأصحاب، و هو

---

١. معجم رجال الحديث، ج٧، ص٣٣٥ رقم ٤٨٣٣.

٢. تهذيب التهذيب، ج٣، ص٣٩٦.

٣. التناكد: التضايق والتعاسر.

٤. ميزان الاعتدال، ج٢، ص٩٨ رقم ٢٩٨٩.

٥. خلاصة تذهيب التهذيب، ص١٢٧.

مجمع على وثاقته.

قال ابن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة من أبي العالية، و بعده سعيد بن جبير، و بعده السدّي، و بعده الثوري. مات سنة (٩٣)، و هو أوّل من أذّن بماوراء النهر[١].

و قال الحافظ شمس الدين الداودي: قرأ القرآن على أُبيّ بن كعب و غيره، و سمع من ابن مسعود و عليّ و طائفة. و عنه قتادة و خالد الحذّاء و الربيع بن أنس و أبو عمرو بن العلاء و طائفة.

و عن أبي خلدة عنه قال: كان ابن عباس يرفعني على سريره، و قريش أسفل منه، و يقول: هكذا العلم، يزيد الشريف شرفاً، و يُجلسُ المملوك على الأسرّة.

قال: ثقة كثير الإرسال، و له تفسير رواه عنه الربيع بن أنس البكري، خرّج حديثه الجماعة[٢].

وقال السيوطي: و تُروَى عن أُبَيّ بن كعب نسخة كبيرة في التفسير، يرويها أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبيّ. قال: و هذا إسناد صحيح، و قد أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم منها كثيراً. و كذا الحاكم في مستدركه، و أحمد في مسنده[٣].

قال الدكتور شوّاخ ـ عند الكلام عن تفسير الربيع بن أنس البكري البصري الخراساني المتوفّى سنة (١٣٩): و قد أخذ منه الثعلبي في كتابه «الكشف و البيان»

---

١. تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٦.

٢. طبقات المفسرين، ج ١، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ رقم ١٧٠.

٣. الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠

على أنه تفسير أبي العالية[١].

٣٠ ـ جابر الجُعفي

هو جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث الجُعفي أبو عبد اللّه، و يقال أبو يزيد الكوفي عربي صميم، روى عن عكرمة و عطاء و طاووس و خيثمة و المغيرة ابن شبيل و جماعة. و عنه شعبة و الثوري و مسعر و غيرهم. تُوفّي سنة (١٢٨).

ذكر ابن حجر عن أبي نعيم عن الثوري: إذا قال جابر حدّثنا و أخبرنا فذاك. و قال ابن مهدي عن سفيان: ما رأيت أورع في الحديث منه. و قال ابن عليّة عن شعبة: جابر صدوق في الحديث. و قال يحيى بن أبي بكير عن شعبة: كان جابر إذا قال: حدّثنا و سمعت، فهو من أوثق الناس. و عن زهير بن معاوية: كان إذا قال: سمعت أو سألت، فهو من أصدق الناس. و قال وكيع: مهما شككتم في شيء فلا تشكّوا في جابر ثقةً[٢].

قال عادل نويهض: تابعي، فقيه إمامي، من أهل الكوفة. كان واسع الرواية غزير العلم بالدين. أثنى عليه بعض رجال الحديث، و اتّهمه آخرون بالقول بالرجعة. مات بالكوفة، له «تفسير القرآن»[٣]. و هكذا قال الزركلي في الأعلام[٤].

و عدّه الطوسي في رجال الإمامين محمد بن عليّ الباقر، و جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام[٥].

---

١. معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٦ رقم ١٠٠٤.

٢. تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٤٧.

٣. معجم المفسرين، ج ١، ص ١٢٣.

٤. الأعلام للزركلي، ج ٢، ص ٩٢.

٥. رجال الطوسي، ص ١١١ و ١٦٣.

و قال السيد الصدر بشأنه: جابر بن يزيد الجعفي إمام في الحديث و التفسير، أخذهما عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام[١].

و قال النجاشي: جابر بن يزيد، أبو عبد اللّه، و قيل: أبو محمد الجُعفي، عربي قديم، لقي أبا جعفر و أبا عبد اللّه. و مات في أيّامه سنة (١٢٨)، له كتب منها: التفسير، ثم ذكر سنده إليه.

و عدّه المفيد في رسالته «العدديّة» ممن لا مطعن فيهم و لا طريق لذّم واحد منهم. و عدّه ابن شهر آشوب من خواصّ أصحاب الصادق عليه السلام. و روى العلامة بإسناده إلى الحسين بن أبي العلاء: أنّ الصادق عليه السلام ترحّم عليه، و قال: إنه كان يصدق علينا.

و روى الكشّي بإسناده إلى المفضل بن عمر الجُعفي، قال: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير جابر. فقال: لا تحدّث به السفلة فيذيعونه.[٢] و هذا يدل على أنّ تفسيره كان فيه شيء من الارتفاع. و هناك روايات تدل على أنه كان يحمل أسراراً من آل بيت الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و من ثم رفضه القوم بالغلوّ و الرفض، ولكن مع صدق الحديث و الورع في الإيمان. و كفى به مدحاً و إخلاصاً في الدين.

قال النجاشي: و كان في نفسه مختلطاً. و هذا يعني الاعتلاء في عقيدته بشأن أئمة أهل البيت عليهم السلام فحسبوه غلوّاً. روى أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشّي بإسناده إلى ابن أبي عمير عن عبد الحميد بن أبي العلاء، قال: دخلت المسجد حين قُتل الوليد، فإذا الناس مجتمعون، فأتيتهم فإذا جابر الجعفي عليه

---

١. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ص٣٢٦.

٢. راجع: معجم رجال الحديث لسيّدنا الخوئي، ج ٤، ص١٧ ـ ٢١.

عمامة خزّ حمراء، و إذا هو يقول: حدّثني وصيّ الأوصياء و وارث علم الأنبياء محمد بن عليّ عليه السلام... قال: فقال الناس: جُنَّ جابر، جُنَّ جابر[١].

و من ثم، قال جرير: لا استحلّ أن أروي عن جابر، كان يؤمن بالرجعة. و قال أبو الأحوص: كنت إذا مررت بجابر الجعفي سألت ربّي العافية. إلى أمثال ذلك ممّا لم يتحمله عقول العامّة[٢].

و من ثَمَّ كان أبو جعفر الباقر عليه السلام يوصيه بأن لا يذيع من أسرارهم شيئاً ولا يحدّث الناس بما لا تطيقه عقولهم. قال له: يا جابر، حديثنا صعب مستصعب، لا يتحمله إلاّ مؤمن ممتحن[٣].

و إلاّ فلا غمز في الرجل، كما قال شعبة: جابر صدوق في الحديث [٤].

و لسيدنا الأستاذ الخوئي ـ دام ظلّه ـ كلام يشيد به من شأن جابر، لشهادة الأجلاّء بجلالة قدره و علوّ مرتبته،[٥] و كفى.

قيمة تفسير التابعي

لقد اهتم أرباب التفسير بالمأثور من تفاسير الأوائل، و لا سيّما الصحابة والتابعين لهم بإحسان. و لم يكن ذلك منهم إلاّ عناية بالغة بشأنهم و بمواضعهم الرفيعة من التفسير.

إنّ ذلك الحجم المتضخّم من التفسير المنقول عن السلف الصالح، و أكثرها

---

١. اختيار معرفة الرجال (ط المصطفوي)، ص١٩٢ رقم ٣٣٧.

٢. تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٤٩.

٣. اختيار معرفة الرجال، ص١٩٣ برقم ٣٤١.

٤. تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٤٧.

٥. معجم رجال الحديث، ج ٤، ص ٢٥

الساحق من التابعين. بعد أن كان المأثور عن ابن عباس منقولاً عن طريق متخرّجي مدرسته التابعين أيضاً. إنّ ذلك إن دلّ فإنما يدلّ على مبلغ الاهتمام بتفاسيرهم، و الإجلال بمقامهم الرفيع. و ليس إلاّ لأنّهم أقرب عهداً بنزول الوحي، و أطول باعاً في الإحاطة بأسباب النزول، و أسهل تناولاً لفهم معاني القرآن الكريم. فإن كان القرآن قد نزل بلغة العرب و على أساليب كلامهم، فإنّ الأوائل أصْفى ذهناً و أقرب تناوشاً لتصاريف اللغة و مجاري ألفاظها و تعابيرها. إنّهم أعرف بمواضع اللغة في عهد خلوصها، و أطول يداً في البلوغ إلى مجانيها من ثمرات و أعواد.

كما أنّهم أمسّ جانباً بأحاديث الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و العلماء من صحابته الأخيار. فَهُم أقرب فهماً لأبعاد الشريعة في أُصولها و الفروع، و الإحاطة بجوانب الكتاب و السنّة و السيرة الكريمة.

فكان الاهتمام بشأنهم، و الرجوع إلى آرائهم و نظراتهم، و معرفة أقوالهم في التفسير، إنما هو لمكان تقدمهم و سبقهم في الحيازة على قصب السبق في هذا المضمار، شأن كل متأخّر في التفسير يرجع إلى آراء سلفه. لا ليتقلدها أو يتعبّد بها، بل ليستعين بها و يستفيد في سبيل الوصول إلى أقصاها، و الصعود على أعلاها. فكان تمحيصاً و تحقيقاً في الاختيار، لا تقليداً، أو تعبّداً برأي.

و لا شكّ أنّ الإحاطة بآراء العلماء سلفاً و خلفاً، لهي من أكبر وسائل التوسعة في الفكر و الإجالة في النظر، و بالتالي أكثر توسعاً في العلوم و المعارف و الصعود على مدارج الفضيلة و الكمال. هكذا تقدّم العلم و ازدهرت معارف الإنسان.

فلآراء السلف قيمتها و وزنها في سبيل الرقي على مدارج الكمال. و لولاه لتوقّف العلم على نقطته الأولى، و لم يخط خطواته تلك الواسعة، في مسيرته هذه الحثيثة، نحو التكامل و الازدهار.

قال الإمام بدر الدين الزركشي: و في الرجوع إلى قول التابعي روايتان عن أحمد. و اختار ابن عقيل[١] المنع. و حكوه عن شعبة[٢].

لكن عمل المفسرين على خلافه، و قد حكوا في كتبهم أقوالهم، كالضحّاك ابن مزاحم (١٠٥) و سعيد بن جبير (٩٥) و مجاهد بن جَبْر (١٠٣) و قتادة بن دعامة (١١٧) و أبي العالية الرياحي (٩٠) و الحسن البصري (١١٠) و الربيع بن أنس (١٣٩) و مقاتل بن سليمان (١٥٠) و عطاء بن أبي سلمة الخراساني (١٣٥) ومرّة بن شراحيل الهمدانى (٧٦) و علي بن أبي طلحة الوالبي (١٤٣) و محمد بن كعب القرظي (١١٩) و أبي بكر الأصمّ عبد الرحمان بن كيسان، و إسماعيل بن عبد الرحمان السدّي الكبير(١٢٧) و عكرمة مولى ابن عباس (١٠٥) و عطيّة بن سعد بن جنادة العَوْفي (١١١) و عطاء بن أبي رباح (١١٤) و عبد اللّه بن زيد بن أسلم (١٦٤).

و من المبرّزين في التابعين، الحسن، و مجاهد، و سعيد بن جبير. ثم يتلوهم عكرمة و الضحّاك.

قال: و هذه تفاسير القدماء المشهورين، و غالب أقوالهم تلقّوها من الصحابة. و لعل اختلاف الرواية عن أحمد إنّما هو فيما كان من أقوالهم و آرائهم[٣].

قلت: إن أُريد التعبّد بأقوالهم، فلا. و لعل المانعين يريدون ذلك، و لكنّا ذكرنا أنّ اعتبار آرائهم و نظراتهم إنّما كان لأجل تقدّمهم، و كونهم أقرب عهداً إلى نزول

---

١. هو عبد اللّه بن محمد بن عقيل الهاشمي: ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل المدينة. كان كثير العلم تُوفّي سنة (١٤٥).

٢. هو شعبة بن الحجاج أبو بسطام الواسطي ثم البصري أجمع الناس حديثاً و أوثقهم رواية. تُوفّي سنة (١٦٠).

٣. البرهان للزركشي، ج ٢، ص١٥٨.

الوحي، و أصفى ذهنا لفهم معانيه. و كان الرجوع إليهم لأجل التمحيص و النقد، لا التعبّد المحض.

و من ثمّ اهتم القدماء بضبط تفاسيرهم و جمعها و تهذيبها، و سار على منهاجهم المتأخّرون و لا يزال.

* * *

قال الحافظ أبو أحمد ابن عَديّ: للكلبي[1] أحاديث صالحة، و خاصّة عن أبي صالح[2]، و هو معروف بالتفسير، و ليس لأحد تفسير أطول منه و لا أشبع فيه. و بعده مقاتل بن سليمان (١٥٠) إلاّ أنّ الكلبي يُفضَّل عليه.

ثم بعد هذه الطبقة أُلّفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة و التابعين، كتفسير سفيان بن عُيينة(١٩٨) و وكيع بن الجراح (١٩٦) و شعبة بن الحجاج (١٦٠) و يزيد بن هارون (٢٠٦) و المفضل بن صالح (١٨١)وعبد الرزاق بن همّام الصنعاني (٢١١) و إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه (٢٣٨) و روح بن عبادة (٢٠٥) و يحيى بن قريش، و مالك بن سليمان الهروي، و عبد بن حميد بن نصر الكشّي (٢٤٩) و عبد اللّه بن الجراح (٢٣٧) و هُشيم بن بشير (٢٨٣) و صالح ابن محمد اليزيدي، و علي بن حجر بن أياس السعدي (٢٤٤) و يحيى بن محمد ابن عبد اللّه الهروي، و علي بن أبي طلحة (١٤٣) و ابن مردويه أحمد بن موسى الأصبهاني(٤٠١) و سُنَيد بن داود (٢٢٠) و النسائي، و غيرهم. و وقع في مسند

---

١. هو أبو المنذر هشام بن أبي النضر محمد بن السائب الكلبي الكوفي. كان أعلم الناس بعلم الأنساب. كان من أصحاب الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام. و كان إلى جنب علمه بالأنساب عالماً بالتفسير كبيراً. تُوفّي سنة (١٤٦).

٢. هو باذام مولى أمّ هانئ بنت أبي طالب. و هو صاحب التفسير الذي رواه عن ابن عباس.

أحمد بن حنبل و البزار و معجم الطبراني و غيرهم، كثيرمن ذلك. ثم إنّ محمد بن جرير الطبري[١] جمع على الناس أشتات التفاسير، و قرّب البعيد، و كذلك عبد الرحمان بن أبي حاتم الرازي، و أضرابهم[٢].

قال جلال الدين السيوطي: و كتاب ابن جرير الطبري أجلّ التفاسير وأعظمها، ثم ابن أبي حاتم، و ابن ماجة، و الحاكم، و ابن مردويه، و أبو الشيخ بن حيّان، و ابن المنذر، في آخرين. و كلها مسندة إلى الصحابة و التابعين و أتباعهم، وليس فيها غير ذلك. إلاّ ابن جرير، فإنّه يتعرّض لتوجيه الأقوال و ترجيح بعضها على بعضٍ، و الإعراب و الاستنباط، فهو يفوقها بذلك.

ثم قال: فإن قلت: فأيّ التفاسير تُرشد إليه، و تأمر الناظر أن يعوّل عليه؟

قلت: تفسير الإمام أبي جعفر ابن جرير الطبري، الذي أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يُؤلَّف في التفسير مثله. قال النوري ـ في تهذيبه ـ: كتاب ابن جرير في التفسير لم يُصنّف أحدٌ مثله.

قال: و قد شرعتُ في تفسير جامع لجميع ما يُحتاج إليه، من التفاسير المنقولة، و الأقوال المقولة، و الاستنباطات، و الإشارات، و الأعاريب، و اللغات، و نكت البلاغة، و محاسن البدائع و غيره، ذلك بحيث لا يحتاج معه إلى غيره أصلاً، و سمّيته بمجمع البحرين و مطلع البدرين. و هو الذي جعلتُ هذا الكتاب (الإتقان) مقدمةً له. والله أسأل أن يعين على إكماله، بمحمدٍ و آله[٣].

---

١. أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري قال الذهبي: الإمام الجليل المفسر، ثقة صادق، فيه تشيّع يسير، و موالاة لا تضرّ. (ميزان الاعتدال، ج٣، ص٤٩٨ ـ ٤٩٩، رقم ٧٣٠٦)

٢. البرهان للزركشي، ج٢، ص١٥٨ ـ ١٥٩.

٣. الإتقان، ج٤، ص٢١٢ ـ ٢١٤.

و هكذا ذكر في مقدمة الإتقان: أنه جعله مقدّمة للتفسير الكبير الذي شرع فيه، و سمّاه بمجمع البحرين و مطلع البدرين، الجامع لتحرير الرواية و تقرير الدراية[١].

لكنه لم يذكر أنه أتمّه و أخرجه للنشر أم لا.[٢] و الظاهر أنه لم يتمّه؛ إذ لا أثر له إطلاقاً. نعم أخرج كتابه «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» حافلاً بأقوال الصحابة و التابعين و أتباعهم، مستوعباً و مستقصياً كل ما ورد بذلك من نقول و روايات؛ و بذلك كان أجمع كتاب في هذا الباب (التفسير النقلي). و ليس فيه شيء من تقرير الدراية أصلاً، و قد أصبح بذلك مخزناً كبيراً يجمع في طيّه من كل رطب و يابس، و الاعتبار فيها إنما هو بذكر السند، و هو المعيار لتمييز الصحيح عن السقيم عند العلماء.

* * *

و قال أحمد بن عبد الحليم: إذا لم تجد التفسير في القرآن و لا في السنّة،و لا وجدته عن الصحابة، فقد رَجَعَ كثير من الأئمّة في ذلك إلى أقوال التابعين:

كمجاهد بن جَبْر، فإنه كان آية في التفسير، كما قال محمد بن إسحاق: حدّثنا أبان بن صالح عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أُوقفه عند كل آية منه و أسأله عنها. و قال: ما في القرآن آية إلاّ و قد سمعت فيها شيئاً. و عن ابن أبي مليكة قال: رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن و معه ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كلّه؛ و لهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد

---

١. الإتقان، ج ١، ص ١٤.

٢. كشف الظنون لحاجي خليفة، ج ٢، ص ١٥٩٩.

فحسبك به.

و كسعيد بن جبير، و عكرمة، و عطاء بن أبي رباح، و الحسن البصري، و مسروق بن الأجدع، و سعيد بن المسيّب، و أبي العالية، و الربيع بن أنس (١٣٩) البصري الخراساني، و قتادة، و الضحاك بن مزاحم، و غيرهم، من التابعين و تابعيهم، و من بعدهم[١].

و قال: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد، و عطاء بن أبي رباح، و عكرمة، و غيرهم من أصحاب ابن عباس كطاووس، و أبي الشعثاء، و سعيد بن جبير و أمثالهم. و كذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود؛ و من ذلك ما تميّزوا به على غيرهم. و علماء أهل المدينة في التفسير، مثل زيد بن أسلم (١٣٦) الذي أخذ عنه التفسير مالك، و كذا ابنه عبد الرحمان[٢].

* * *

و عدّ السيوطي من مبرّزي التابعين مجاهداً، قال خصيف: كان أعلمهم بالتفسير، و لهذا عَلَّى تفسيره الشافعي و البخاري و غيرهما من أهل العلم ـ كما قال ابن تيميّة ـ و كان غالب ما أورده الفريابي في تفسيره عنه.

و منهم سعيد بن جبير. قال الثوري: خذوا التفسير من أربعة: عن سعيد بن جبير، و مجاهد، و عكرمة، و الضحاك. و قال قتادة: كان أعلم التابعين أربعة: كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، و كان عكرمة أعلمهم بالسير، و كان الحسن أعلمهم بالحلال و الحرام، و كان أعلمهم بالتفسير سعيد بن جبير.

و منهم عكرمة مولى ابن عباس. قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب اللّه من

---

١. مقدمته في أُصول التفسير، ص٤٩ ـ ٥٠.

٢. مقدمته في أُصول التفسير، ص٢٣ ـ ٢٤.

عكرمة. و كان ابن عباس يجعل في رجليه الكبل، يعلّمه القرآن و السُّنن.

و منهم الحسن البصري، و عطاء بن أبي رباح، و عطاء بن أبي سلمة الخراساني، و محمد بن كعب القُرَظي، و أبو العالية، و الضحّاك، و عطيّة، و قتادة، و زيد بن أسلم، و مرّة الهمداني، و أبو مالك.

و يليهم الربيع بن أنس، و عبد الرحمان بن زيد بن أسلم،[1] في آخرين. فهؤلاء قدماء المفسّرين، و غالب أقوالهم تلقّوها عن الصحابة.

ثم بعد هذه الطبقة أُلِّفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة و التابعين، كتفسير سفيان بن عيينة، و وكيع بن الجرّاح، و شعبة بن الحجاج، و يزيد بن هارون، و عبد الرزاق، و آدم بن أبي أياس، و إسحاق بن راهويه، و روح بن عبادة، و عبد بن حميد، و سُنَيد، و أبي بكر ابن أبي شيبة و آخرين[2].

* * *

هذا، و قد تعلّل بعضهم في اعتبار ما ورد من تفاسير التابعين؛ إذ ليس لهم سماع من رسول اللّه صلّى الله عليه و آله و سلّم فهي من آرائهم، و يجوز عليهم الخطاء، كما لم يُنصّ على عدالتهم كما نُصّ على عدالة الصحابة. فقد نُقل عن أبي حنيفة أنّه قال: ما جاء عن رسول اللّه فعلى الرأس و العين، و ما جاء عن الصحابة تخيّرنا، و ما جاء عن التابعين فهم رجال و نحن رجال.

وقال شعبة بن الحجاج: أقوال التابعين ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟!

---

١. تُوفّي سنة (١٨٢). قال ابن خزيمة كان من أهل العبادة و التقشّف، و لم يكن من أجلاس الحديث. (تهذيب التهذيب، ج٦، ص١٧٧ ـ ١٧٩).

٢. الإتقان، ج٤، ص٢١٠ ـ ٢١٢.

و قد عرفت عن أحمد روايتين، أحداهما بالقبول، و الأخرى بالرفض.

قال الأستاذ الذهبي: و الذي تميل إليه النفس، هو أنّ قول التابعي في التفسير لا يجب الأخذ به، إلاّ إذا كان ممّا لا مجال للرأي فيه، فإنه يُؤخذ به حينئذٍ عند عدم الريبة. فإن ارتبنا فيه، بأن كان يأخذ من أهل الكتاب، فلنا أن نترك قوله و لا نعتمد عليه. أمّا إذا أجمع التابعون على رأي فإنه يجب علينا أن نأخذ به و لا نتعدّاه إلى غيره[١].

* * *

قلت: إن كان أُريد التعبّد بأقوال التابعين و التسليم لآرائهم، فهذا لا وجه له، و لا مبرّر لذلك، فإنهم ـ كما قال أبو حنيفة ـ رجال و نحن رجال.

لكن مقصود البحث غير ذلك، و إنما هو الاعتبار العقلاني، بالنظر إلى أسبقيّتهم و أقربيّتهم إلى منابع الوحي و مهبط التنزيل، و أمسّ بجوانب الشريعة، و أقرب تناولاً إلى أعتاب أعلام الصحابة و الأئمّة الهداة، كما نبّهنا، فضلاً عن أنهم أعرف بمواضع اللغة و أساليب العرب الفصحى، ممّن نزل القرآن بلغتهم و على أساليب كلامهم المعروف.

فكانت آراؤهم و نظراتهم المستنبطة من أصول متينة، المستقاة من مناهل صافية و ضافية، من خير الوسائل السليمة لفهم معاني القرآن الكريم؛ فهي بالاستعانة بها و الاستفادة منها أقرب منها إلى التعبّد و التقليد.

و قد عرفت أن جُلّ التابعين من متخرّجي مدارس الصحابة الأوّلين كعبد اللّه ابن مسعود، و ابن عباس، الذي كان هذا بدوره متخرّجاً من مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. فجملة علومهم و أصول معارفهم مستندة إلى منابع أصيلة منتهية

---

١. التفسير و المفسّرون، ج ١، ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

إلى مصدر الوحي الأمين، الأمر الذي يجعل الفرق واضحاً بين من كان شأنهم هذا، و بين من كان مستقى علمه بعيد المنال، ينتهي إليه بوسائط كثيرة، و في جهد بليغ. كما هي حالتنا الحاضرة بالنسبة إلى حالة التابعين، و هم على مشارف المنابع الأولى يستقون منها بالمباشرة، و عن متناول قريب.

وعلى أيّ حال، فإن اجتهاد من كانت المنابع في متناوله القريب، أصوب وأسدّ و أبين طريقاً، ممن كان على مراحل من منابع الاجتهاد. و لا أقل من كون اجتهاد السابقين دلائل تنير الدرب لاجتهاد اللاحقين، الأمر الذي لا ينبغي إنكاره.

ميزات تفسير التّابعي

يمتاز التفسير في عهد التابعين بمميّزات، تفصلها عن تفاسير الصحابة من وجوه:

أولاً: التوسّع فيه. فقد تعرّض التابعون لمختلف أبعاد التفسير، و خاضوا معاني القرآن، من مختلف الجهات و المناحي. بينما كان تفسير الصحابة مقتصراً على جوانب محدودة من اللغة، و شأن النزول، و بعض المفاهيم الشرعية؛ لرفع ما أُبهم على الناس من هذه الجهات فحسب. فقد خطا تفسير التابعي خطوات أوسع، و في جوانب أكثر.

و من ثم فإن التفسير في هذا العهد يشمل جوانب الأدب و اللغة في أبعاد مترامية، و هكذا التاريخ لأمم سالفة، و أُمم معاصرة مجاورة لجزيرة العرب، تاريخ حياتهم و بلادهم، على ما وصلت إليهم من أخبارهم، و حتى بعض لغاتهم و ثقافاتهم، ممّا يمسّ جانب القرآن. و هكذا دخل في التفسير بحوث كلاميّة نشأت ذلك العهد، و ارتبطت مع كثير من آي القرآن بعض الربط، كآيات الصفات والمبدأ و المعاد، و ما شابه.

و قد أخذ هذا التوسع بازدياد مطّرد، و في أبعاد مستجدّة كلّما توسّعت العلوم والمعارف، و ازداد التعرُّف إلى آداب و ثقافات كان يملكها أُمم يدخلون في دين اللّه أفواجاً، و معهم علومهم و معارفهم، يحملونها و يجعلونها في خدمة الإسلام والمسلمين، و كانت لم تزل تتّسع مع اتساع رقعة الإسلام.

و لا يزال حجم التفسير يتضخّم؛ حيث و فرة العلوم و المعارف المساعدة لحلّ قسط وافر من مشاكل غامضة، ممّا تحتضنه كثير من آيات كونية أو لافتة إلى خبايا أسرار الوجود. و للعلم و الفلسفة في جميع مناحيهما حظهما الأوفر في هذا المجال.

* * *

ثانياً: تشكّله و ثبته، ثم تدوينه.

كان التفسير على عهد الصحابة كحاله في عهد الرسالة، منتشراً على أفواه الرجال، و مبثوثاً بين أظهرهم، محفوظاً في الصدور، لقصر خطاه و قرب مداه. و مقتصراً على بضع كلمات لبضع آيات، كانت خافية المنفاد، أو مبهمة المراد حينذاك.

أما و كونه منتظماً رتيباً، و مثبتاً ذا تشكيل و تدوين، فهذا قد حصل أو أُخذ في الحصول على عهد التابعين و تابعي التابعين. كان أحدهم يعرض القرآن من بدئه إلى الخَتم، على شيخه يقرؤه عليه، يقف لدى كل آية آية يسأله عنها و يستفهمه معانيها، أو يستعلم منه مقاصدها و مراميها، و لا يجوزها حتى يدوّنها في سجلّ، أو يثبتها في دفتر أو لوح، كان يحمله معه. و هكذا أخذ التفسير يتشكل و يتدوّن ذلك العهد.

قال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عبّاس ثلاث مرّات، أقف عند كل آية، أسأله فيم أُنزلت، و كيف نزلت. قال ابن أبي مليكة: رأيت مجاهداً يسأل ابن

عباس عن تفسير القرآن، و معه ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله. و من ثم قيل: أعلمهم بالتفسير مجاهد[١].

و كان ابن عباس يجتهد في تربية عكرمة مولاه، فربّاه فأحسن تربيته، و علّمه فأحسن تعليمه، حتى أصبح فقيهاً، و أعلم الناس بالتفسير و معاني القرآن[٢].

ولقتادة كتاب في التفسير، و ربما كان كبير الحجم ضخماً. فقد استخدمه الخطيب البغدادي، كما استخدمه الطبري في أكثر من ثلاثة آلاف موضع من تفسيره[٣].

و هكذا لجابر بن يزيد الجُعفي[٤]، و الحسن البصري[٥]، و أبان بن تغلب[٦]، و زيد بن أسلم[٧]، و غيرهم كتب معروفة في التفسير و علوم القرآن.

قال عادل نويهض: أبان بن تغلب مقرئ جليل، مفسّر، نحويّ، لغوي، محدّث، من أهل الكوفة. وثّقه أحمد و ابن معين و أبو حاتم. خرّج له مسلم والأربعة. من آثاره «معاني القرآن» و «غريب القرآن». و لعلّه أول من صنّف في هذا الموضوع. تُوفّي سنة (١٤١)[٨].

و سنذكر في فصل قادم بدء التدوين في التفسير، الأمر الذي تحقق منذ عهد

---

١. و قد سبق ذلك في ترجمته.

٢. راجع: ترجمته هنا.

٣. الشواخ في معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٣، رقم ٩٩٩.

٤. فهرست مصنّفي الشيعة، ص ٩٣.

٥. الشواخ، ج ٢، ص ١٦١.

٦. طبقات المفسرين، ج ١، ص ١.

٧. الطبقات للداودي، ج ١، ص ١٧٦.

٨. معجم المفسرين، ج ١، ص ٧ ـ ٨.

التابعين.

و ثالثاً: النظر و الاجتهاد. كانت هي ميزة كبرى حُظي بها عهد التابعين، أن قام عديد من كبار العلماء ذاك العهد، فاعملوا النظر في كثير من مسائل الدين، و منها مسائل قرآنية كانت تعود إلى: معاني الصفات، و أسرار الخليقة، و أحوال الأنبياء والرسل، و ما شاكل. فكانوا يعرضونها على شريعة العقل، و يحاكونها وفق حكمه الرشيد، و ربما يُؤوّلونها إلى ما يتوافق مع الفطرة السليمة.

و أوّل مدرسة أخذت في الاجتهاد و إعمال النظر لاستنباط معاني القرآن، مدرسة مكة، التي أشادها الصحابي الجليل تلميذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الموفّق، عبد اللّه بن عباس. و كان متخرّجوا هذه المدرسة هم الذين أسّسوا بنيان الاجتهاد في التفسير، و على يدهم شاعت و ذاعت طريقة الاجتهاد في مناحي الشريعة المقدسة، على الإطلاق.

ثم مدرسة الكوفة، تأسّست على يد عبد اللّه بن مسعود، و تخرّجت منها علماء أفذاذ، أصحاب نظر و اجتهاد. و أصبحت مدرسة الكوفة بعدئذ معهد الدراسات الإسلامية، يقصدها روّاد العلم من جميع أطراف البلاد؛ حيث محطّ جُلّ الصحابة، و لا سيّما بعد مهجر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. فقد ارتحل إليها العلمُ برمّته، و أخذت مجامع الكوفة تحتضن الكبار من علماء الإسلام يومذاك، و عليهم دارت رحى العلم و فاضت ينابيع المعارف إلى أرجاء البلاد.

و لم تدم مدرسة مكة طويلاً، و أخذت بالأُفول بعد وفاة صاحبها و مؤسسها عام(٦٨)، و تفرّق متخرجيها و انتشارهم في أكناف الأرض. فقد ارتحلوا إلى خراسان و مصر و الشام و سائر الديار.

غير أن مدرسة الكوفة أخذت تزدهر و تزداد صيتاً و نشاطاً مع تقادم الأيام.

و هاتان المدرستان هما الأساس لنشر العلم و بثّ المعارف بين العباد، و إن

كانت إحداهما أخذت في الاندثار، بينما الأخرى استمرت في الازدهار و التوسّع و الانتشار.

و أكثر العلماء التابعين بل الغالبية الساحقة، هم المتخرجون من هاتين المدرستين.

فكان لهما الفضل الكبير على الأمة، في تثقيفهم و التنشيط في السعي وراء العلم و المعرفة. و يعود الفضل في ذلك إلى الصحابيَين الجليلين : ابن عباس وابن مسعود، و على رأسهما الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

* * *

هذا مجاهد بن جبر، متخرّج مدرسة ابن عباس، و قد أجمعت الأُمة على إمامته و الاحتجاج بكلامه[١].

رُمي بحرّية الرأي في التفسير، و إن شئت فقل: حُظي بقوة الفهم و حدّة النظر و وفور العقل و الذكاء.

نعم، حيث كانت عقليّة الجمود هي الساطية على غوغاء الناس حينذاك، كان توجيه هكذا تهم إلى أمثال هؤلاء الأفذاذ، يبدو طبيعيا في ظاهر الحال.

قيل له: أنت الذي تفسّر القرآن برأيك؟! فبكى، و قال: إنّي إذن لجريء. لقد حملت التفسير (أي أصول مبانيه و طرائق استنباط معانيه) عن بضعة عشر رجلاً من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم.

نعم كان مجاهد يحمل ذهنيّة متحرّرة عن قيود الأوهام، و عقليّة واعية تمكّنه من إدراك الحقائق و لمسها في واقع أمرها، دون الاقتصار على الظاهر و الاقتناع

---

١. هكذا ذكر الذهبي. و عن سفيان: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. و عن الأعمش: إذا نطق خرج من فيه اللؤلؤ. راجع: ترجمته فيما قدّمنا.

بالقشور.

إنه كان يعرض الآي القرآنية ـ لغرض فهم معانيها ـ على المتفاهم العام من الألفاظ و الكلمات، ثم على مباني الشريعة و شواهد التاريخ و نحوها، ممّا كان متعارفاً لفهم المعاني لدى العرف العام. لكن من غير أن يقتنع بذلك، حتى يعرضها على فهم العقل و توافق الفطرة، من غير أن يختفي عنه شيء من الشواهد و دقائق الكلام.

قال ـ في تفسير قوله تعالى: **﴿فَقُلْنٰا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خٰاسِئِينَ﴾** ـ:[١] لم يُمسَّخُوا قردةً، و إنما هو مثل ضربه اللّه، كما قال: **﴿كَمَثَلِ الْحِمٰارِ يَحْمِلُ أَسْفٰاراً﴾**[٢]، قال: إنه مُسخت قلوبهم، فجعلت كقلوب القردة، لا تقبل وعظاً و لا تتّقي زجراً[٣].

و قد تكلمنا عن تفسيره هذا لهذه الآية، في ترجمته السالفة، و ذكر أوجه ترجيحه، و كلام السلف و علماء المفسرين بشأنه.

و قال ـ في تفسير قوله تعالى: **﴿رَبَّنٰا أَنْزِلْ عَلَيْنٰا مٰائِدَةً مِنَ السَّمٰاءِ تَكُونُ لَنٰا عِيداً لِأَوَّلِنٰا وَ آخِرِنٰا وَ آيَةً مِنْكَ﴾** ـ[٤] قال: مَثَلٌ ضرب لم ينزل عليهم شيء، قال أبو جعفر الطبري: قال قوم: لم ينزل على بني إسرائيل مائدة، فقال بعضهم: إنما هذا مثل ضربه اللّه تعالى لخلقه، نهاهم به عن مسألة نبيّ اللّه الآيات. ثم أسند ذلك إلى مجاهد[٥].

---

١. البقرة/ ٦٥.

٢. الجمعة/ ٥.

٣. راجع: مجمع البيان ـ الطبرسي ـ، ج١، ص١٢٩. و الطبري، ج١، ص٢٦٣. و تفسير مجاهد، ص٧٥ ـ ٧٦.

٤. المائدة/ ١١٤.

٥. جامع البيان للطبري، ج٧، ص٨٧.

و عند تفسير قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١] ، قال: تنتظر الثواب من ربها. قيل له: إن أُناساً يقولون: إنه تعالى يُرى، فيرون ربهم: فقال: لا يراه من خلقه شيء[٢].

قال الأستاذ الذهبي: إن مثل هذا التفسير عن مجاهد، أصبح متّكئاً قويّاً للمعتزلة فيما بعد، فيما ذهبوا إليه من مذاهب عقليّة.

قلت: ليس مجاهد وحده ممن فتح باب الاجتهاد و النظر في مفاهيم القرآن، بل كان يرافقه ـ ذلك العهد ـ كثيرٌ من أرباب العقول الراجحة، ممّن سمّاهم اللّه تعالى ﴿**أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾، و هم وفرة في أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و التابعين لهم بإحسان. و في هذا التأليف تنويهٌ بِجِلّةٍ من أعلامهم.

كما أن المعتزلة ليسوا هم وحدهم ـ ممن تبعوا طريقة العقل الرشيد، و نبذوا الجمود في الرأي وراء الظهور. ففيما عدى السلفيين الحُفاة الجُفاة و أذنابهم الأشاعرة العراة، خَلْق كثيرٌ و زرافاتٌ من الأُمّة المرحومة، واكبوا أهل الاعتزال أو سبقوهم في هذا المضار، و لا يزال.

* * *

و من الموصوفين بحرّية الرأي و الاجتهاد في التفسير، عكرمة مولى ابن عباس، الذي ربّاه فأحسن تربيته و علّمه فأحسن تعليمه، حتى أصبح من الفقهاء و أعلم الناس بالتفسير و معاني القرآن[٣].

كان يرى مسح الأرجل في الوضوء مستفاداً من الكتاب، كما فهمه شيخه ابن

---

١. القيامة/ ٢٣.

٢. تفسير الطبري، ج ٢٩، ص ١٢٠. و قد أسبقنا الحديث عن ذلك أيضاً في ترجمته.

٣. ابن خلكان، ج ٣، ص ٢٦٥ رقم ٤٢١.

عباس، و يرفض ما استظهره سائر الفقهاء، و يُخطّؤهم في استظهار الخلاف[١].

و هكذا في المسح على الخُفّين كان ينكره أشدّ الإنكار. كان يقول: «سبق الكتابُ المسح على الخُفّين»[٢]، يعني: أن الكتاب جاء بالمسح على الأرجل. أمّا المسح على الخُفّين فأمر حادث، لا يجوز ترك القرآن بذلك.

أمّا القوم فكانوا يرون المسح على الخُفّين ناسخا للمسح على الأرجل. ذكر الجصّاص أن أبا يوسف كان يرى أنّ سُنّة المسح على الخُفّين نسخت آية المسح على الأرجل[٣].

* * *

و زيد بن أسلم مولى عمر، الفقيه المفسّر،برع حتى أصبح من كبار التابعين المرموقين. كانت له حلقة في مسجد المدينة يحضرها جُلّ الفقهاء و ربّما بلغوا أربعين فقيهاً. له تفسير يرويه عنه ولده عبد الرحمان. قال ابن حجر: أخذ العلم من جماعة، منهم علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، و عدّه أبو جعفر الطوسي من أصحاب الإمام السجاد. قال: كان يجالسه كثيراً. له رواية عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

و قد أُخذ عليه حرّيته في الرأي و الاجتهاد، على خلاف مذهب الاحتياط والوقوف لدى المأثور. قال حمّاد: قدمت المدينة و هم يتكلّمون في زيد بن أسلم. فقال لي عبيد الله بن عمر: ما نعلم به بأساً إلاّ أنه يُفسّر القرآن برأيه.

١. راجع: الطبري، ج٦، ص٨٢ـ ٨٣ و الطبرسي، ج٣، ص١٦٥.

٢. تهذيب التهذيب، ج٧، ص٢٦٨.

٣. أحكام القرآن للجصّاص، ج٢، ص٣٤٨.

والمعروف عن أهل المدينة أنّهم أصحاب وقف و احتياط[١].

* * *

هذا، و قد راج التفسير العقلي فيما بعد، و لا سيّما عند المعتزلة و مَن حذا حذوهم في تقديم العقل على ظاهر النقل.

* * *

هذا أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني (٢٥٥ ـ ٣٤٤) قد وضع تفسيره على أساس من التفكير الصحيح، وفق ما يرتضيه الدين الإسلامي الحنيف، من نبذ التقليد و التمسّك بعُرى التحقيق **﴿أَفَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرآنَ أَمْ عَلىٰ قُلُوبٍ أَقْفٰالُهٰا﴾**، **﴿وَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّٰاسِ مٰا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ..﴾**[٢].

هو عند ما يُفسّر قوله تعالى: **﴿قٰالَ رَبِّ اجْعَلْ لي آيَةً. قٰالَ آيَتُكَ أَنْ لاٰ تُكَلِّمَ النّٰاسَ ثَلاٰثَةَ اَيّٰامٍ اِلاّٰ رَمْزاً. وَ اذْكُرْ رَبّكَ كَثيراً و سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْاِبْكٰارِ﴾**[٣] بأنّ زكريّا لما طلب من اللّه تعالى آيةً تدلّه على حصول العلوق (انعقاد النطفة في رحم زوجه) قال: آيتك أن لا تكلم، أي تصير مأموراً بأن لا تتكلّم ثلاثة أيّام بلياليها مع الخلق (أي إذا جاءك الأمر بذلك، فاعلم أن الحمل بيحيى قد تحقق عند ذلك) أي تكون مشتغلاً بالذكر و التسبيح و التهليل، معرضاً عن الخلق و الدنيا، شاكراً لله تعالى على إعطاء مثل هذه الموهبة. فإن كانت لك حاجة، دُلَّ عليها بالرمز. فإذا أُمرت بهذه الطاعة فاعلم أنه قد حصل المطلوب.

---

١. طبقات المفسرين للداودي، ج١، ص١٧٦. و ميزان الاعتدال للذهبي، ج٢، ص٩٨، و راجع: ترجمته هنا.

٢. محمد / ٢٤، النحل / ٤٤.

٣. آل عمران / ٤١.

يقول الإمام الرازي بشأنه ـ و هو أشعري يخالفه في المذهب ـ: «و هذا القول عندي حسن معقول. و أبو مسلم حسن الكلام في التفسير، كثيرالغوص على الدقائق و اللطائف»[١].

هذه شهادة راقية من أكبر عَلَم من أعلام التحقيق في الفلسفة و الكلام، بشأن ألمع شخصية بارزة، مارس عقله و شاور لُبّه عند تفهّم القرآن، ممّن نبذ التقليد و أخذ في التدقيق.

و أنت إذا قارنت هذا التفسير لهذا الموضع بالذات، مع سائر التفاسير التي عرضها القوم، تجد الفرق بائناً و البون شاسعاً.

* * *

ذكر أبو جعفر الطبري: أنّ عدم التكلم هناكان عن عجز، سلبه اللّه القدرة على الكلام، فيما سوى التسبيح و التحميد؛ و ذلك تمحيصاً له من هفوته و خطأ قيله في سؤاله الآية. قيل: إنه لما سمع نداء الملائكة يبشرونه بيحيى، جاءه الشيطان من فوره، و قال له: يا زكريا، إنّ الصوت الذي سمعت ليس من عند اللّه، إنما هو الشيطان يسخر بك. قالوا: فشكّ زكريا في مكانه، و قال: ﴿أَنّى يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾[٢]. و من ثم طلب من اللّه أن يجعل له آية، يرتفع بها شكه، فعاتبه اللّه على مسألته تلك و أنه لا ينبغي لنبيّ أن يشكّ.

قال الطبري ـ فيما رواه ـ: إنما عوقب بذلك، لأن الملائكة شافهته مشافهة بذلك، فبشّرته بيحيى، فلما سأل الآية بعد كلام الملائكة مشافهةً، أخذ اللّه عليه

---

١. التفسير الكبير، ج٨، ص ٤٠ـ ٤١.
٢. آل عمران/ ٤٠.

بلسانه، فكان لا يقدر على الكلام إلاّ إيماءً[١].

وقال القرطبي: لما بُشّر بالولد. و لم يبعد عنده هذا في قدرة اللّه، طلب آية يعرف بها صحة هذا الأمر، و كونه من عند اللّه، فعاقبه اللّه بأن أصابه السكوت عن كلام الناس؛ لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة إيّاه.[٢] و هكذا أكثر المفسرين من أصحاب النقل في التفسير كابن كثير و أضرابه[٣].

غير أن أرباب التحقيق رفضوا تلك النقول المنافية لأُصول العقيدة الإسلامية، و لا سيّما فيما يمسّ جانب عصمة الأنبياء و صيانتهم عن إمكان غلبة الشيطان على مشاعرهم.

قال الشيخ محمد عبده: و من سخافات بعض المفسرين، و التي لا تليق بمقام الأنبياء عليهم السلام زعمهم أن زكريّا عليه السلام اشتبه عليه وحي الملائكة و نداؤهم، بوحي الشياطين؛ و لذلك سأل سؤال التعجّب، ثم طلب آيةً للتثبُّت. روى ابن جرير فيما روى: أنّ الشيطان هو الذي شكّكه في نداء الملائكة، و قال له: إنه من الشيطان.

قال: و لولا الجُنُون[٤] بالروايات مهما هزلت و سمجت، لما كان لمؤمن أن يكتب مثل هذا الهزء و السخف الذي ينبذه العقل، و ليس في الكتاب ما يشير إليه. و لو لم يكن لمن يروي مثل هذا إلاّ هذا، لكفى في جرحه، و أن يُضرب بروايته على وجهه. فعفا اللّه عن ابن جرير، إذ جعل هذه الرواية ممّا ينشر.

ثم فسّر الآية وفق ما فسّرها أبو مسلم: ﴿**قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً**﴾، أي علامة

---

١. جامع البيان للطبري، ج٣، ص١٧٦ ـ ١٧٧.

٢. الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص٨٠.

٣. راجع: تفسير ابن كثير، ج١، ص٣٦٢.

٤. أي الشغف بجمع الأخبار مهما كان نمطها.

تتقدم هذه العناية و تؤذن بها ﴿قَالَ آيَتُكَ اَنْ لاٰ تُكَلِّمَ اَلنّٰاسَ...﴾، أي تترك ذلك مختاراً لتفرغ لعبادة اللّه[1].

* * *

و هكذا في قصة إبراهيم الخليل و الطيور الأربعة: ﴿قٰالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلىٰ كُلِّ جَبَلٍ جُزْءً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً﴾[2].

قال الرّازي: أجمع أهل التفسير علىٰ أنّ المراد: قطّعهن، غير أبي مسلم فإنّه أنكر ذلك، و قال: إن إبراهيم عليه السلام لما طلب إحياء الميّت من اللّه تعالى أراه اللّه مثالاً قرّب إليه الأمر، و المراد ب‍«فصرهن إليك» : الإمالة و التمرين على الإجابة، أي فعوّد الطيور الأربعة أن تصير بحيث إذا دعوتها أجابتك و أتتك، فإذا صارت كذلك فاجعل على كل جبل واحداً حال حياته ثم ادعهنّ يأتينك سعياً. و الغرض منه ذكر مثال محسوس في عَود الأرواح إلى الأجساد على سبيل السهولة. و أنكر القول بأن المراد منه: فقطّعهن.

قال: و احتجّ على مذهبه بوجوه:

الأوّل: أن المشهور في اللغة في قوله «فصرهنّ»: أمِلهنّ. أمّا التقطيع و الذبح فليس في الآية ما يدل عليه. فكان إدراجه في الآية إلحاقاً لزيادةٍ بالآية لم يدل الدليل عليها، و أنه لا يجوز.

الثاني: أنه لو كان المراد ب‍«صرهنّ» : قطّعهن، لم يقل: «إليك»، فإن ذلك لا

---

١. تفسير المنار، ج٣، ص٢٩٨ ـ ٢٩٩. و لسيدنا العلامة الطباطبائي هنا كلام غريب رجّح رأي سائر المفسرين و جوّز اشتباه الأمر على الأنبياء لولا عنايته تعالى برفعه منهم هو عجيب منه. راجع: الميزان ج ٣، ص١٩٤.

٢. البقرة/ ٢٦٠.

يتعدّى بإلى، و إنما يتعدّى بهذا الحرف إذا كان بمعنى الإمالة. فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال في الكلام تقديم و تأخير، و التقدير: فخذ إليك أربعة من الطير فصرهنّ؟ قلنا: التزام التقديم و التأخيرمن غير دليل مُلجئ إلى التزامه خلاف الظاهر.

و أيضاً الضمير في «يأتينك» عائد إليها لا إلى أجزائها، و على قولكم: إذا سعى بعض الأجزاء إلى بعض كان الضمير في «ياتينك» عائداً إلى أجزائها لا إلى الطيور أنفسها[١].

ثم إنّ الإمام الرازي يذكر حجج المشهور رادّاً على أبي مسلم. و قد نقلها صاحب تفسير المنار و ضعّفها، و أيّد مذهب أبي مسلم في تفسير الآية في شرح و تفصيل، ثم قال:

و جملة القول: أن تفسير أبي مسلم لهذه الآية هوالمتبادر الذي يدلّ عليه النظم، و هو الذي يُجلّي الحقيقة في المسألة، و أخذ في تقريب ذلك. و أخيراً قال: و لله درّ أبي مسلم، ما أدقّ فهمه و أشدّ استقلاله فيه[٢].

و هذه أيضاً شهادة بشأن أبي مسلم، من أكبر علماء التفسير في العصر الأخير.

* * *

هذا، و لأمثال أبي مسلم مواقف مشرفَة تجاه سائر المفسرين الظاهريين، كانت نوافذ قلوب أمثاله متفتّحة، يسيرون في ضوء العقل، و على مناهج التفكير المتين[٣].

و هذا إن دلّ فإنما يدلّ على مدى قوّة الاجتهاد و دوره المجيد في تفسير

---

١. التفسير الكبير، ج٧، ص٤١ ـ ٤٢.

٢. راجع: تفسير المنار، ج٣، ص٥٦ ـ ٥٨.

٣. و سنعرض نماذج من تفاسيرهم التي جاء نسجها على نفس المنوال، في فصول قادمة إن شاء اللّه.

القرآن الكريم، و الذي فتح بابه بمصراعين، نُبَهاء السلف الصالح أيّام الصحابة والتابعين، و استمرت طريقتهم الحميدة سُنّةً حسنةً متّبعة حتى اليوم.

* * *

قال الرازي في تفسير قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها. فَلَمّا تَغَشّاها حَمَلَتْ حَمْلاً خَفيفاً فَمَرَّتْ بِهِ، فَلَمّا أَثْقَلَتْ دَعَوا اللّهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّاكِرينَ. فَلَمّا آتاهُما صالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فيما آتاهُما، فَتَعالَى اللّهُ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾**[1].

قال ـ بعد إيراد إشكال و اعتراضات على ظاهر الآية ـ: إذا عرفت هذا فنقول: في تأويل الآية وجوه صحيحة سليمة خالية عن هذه المفاسد:

الأول: فما ذكره القفّال[2]؛ أنه تعالى ذكر هذه القصّة على تمثيل ضرب المثل، و بيان أنّ هذه الحالة هي صورة حالة هؤلاء المشركين في جهلهم و قولهم بالشرك.

قال: و تقرير هذا الكلام، كأنّه تعالى يقول: هو الذي خلق كل واحد منكم من نفس واحدة، و جعل من جنسها زوجها إنساناً يساويه في الإنسانية. فلما تغشّى الزوج زوجته و ظهر الحمل، دعا الزوج و الزوجة ربهما لئن آتيتنا ولداً صالحاً سويّاً لنكوننّ من الشاكرين. فلما آتاهما اللّه ولداً صالحاً سويّاً، جعل الزوج والزوجة للّه شركاء فيما آتاهما؛ لأنّهما تارةً ينسبون ذلك الولد إلى الطبائع كما هو قول الطبائعيين، و تارةً إلى الكواكب كما هو دأب المنجّمين، و تارة إلى الأصنام والأوثان كما هو قول عبَدة الأصنام.

---

١. الأعراف/ ١٨٩ ـ ١٩٠.

٢. تُوفّي سنة (٣٦٥ ق).

ثم قال الرازي: و هذا جواب في غاية الصحّة و السّداد، ثم ذكر بقية الوجوه، فراجع[١].

* * *

و قد حمل العلاّمة جار اللّه الزمخشري آية عرض الأمانة على السماوات والأرض (الأحزاب: ٧٢) على ضرب من التمثيل، ثم قال: و نحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب، و ما جاء القرآن إلاّ على طرقهم و أساليبهم؛ من ذلك قولهم: لوقيل للشحم: أين تذهب؟ لقال: أسوي العوج. و كم و كم لهم من أمثال على ألسنة البهائم و الجمادات[٢].

* * *

و يروي ابن كثير ـ في تفسير قوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ...﴾**[٣] بإسناده إلى ابن جريج عن عطاء ـ قال: هذا مَثَل، يعني أنها ضرب مثل لا قصّة وقعت[٤].

* * *

رابعاً: رواج الإسرائيليات في هذا العهد.

ففي هذا الدور دخل كثير من الإسرائيليات في التفسير؛ و ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب، في الإسلام في هذا العهد بالذات، و كان لا يزال عالقاً بأذهانهم من الأقاصيص و أساطير أسلافهم، ما يعود إلى بدء الخليقة و أسرار

---

١. التفسير الكبير، ج١٥، ص٨٦ـ٨٧.

٢. الكشّاف، ج٣، ص٥٦٥.

٣. البقرة/ ٢٤٣.

٤. تفسير ابن كثير، ج١، ص٢٩٨.

الوجود و بدء الكائنات و أخبار الأُمم الخالية و أحاديث الأنبياء، و كثيرمن القصص الأسطورية التي جاءت في التوارة، و سائر الكتب السالفة.

و كانت النفوس ميّالة لسماع تفاصيل ما جاء إجمالها في القرآن الكريم، و لا سيّما فيما يعود إلى أحداث يهودية أو نصرانية، ممّا جاء في العهدين. فكان المسلمون يستمعون إلى أقاصيص هؤلاء، و يصغون مسامعهم إلى تلكم الأساطير.

و قد تساهل التابعون ـ رغم مناهي النبيّ ﷺ و أصحابه الكرام ـ فزجّوا في التفسير بكثير من هذه الإسرائيليات، بدون تحرٍ و تمحيص. و أكثر من روى عنه ذلك من مسلمي أهل الكتاب: عبد اللّه بن سلام، و كعب الأحبار، و وهب بن منبّه، وعبد الملك بن جريج، و أضرابهم.

الأمر الذي يؤخذ على التابعين مساهلتهم هذه، كما هو مأخوذ على من جاء بعدهم، و سارعلى نفس المنوال من غير رويّة و تحقيق[١].

و سوف نستعرض هذه الناحية عرضاً موسّعاً، عند الكلام عن أسباب الوهن في التفسير بالمأثور، و أنّ الروايات التفسيرية غير نقية، هي بحاجة إلى تنقيح.

منابع التفسير في عهد التابعين

كان التلقّي في التفسير هوالعنصر الأوْلى، و الأداة المُفضّلة لفهم كتاب اللّه تعالى، ذلك العهد؛ إذ كان التابعون يسيرون في أثر الصحابة و كانوا تربيتهم بالذّات، فانتهجوا منهجهم بطبيعة الحال. غير أنهم أخذوا بالتوسع و التفتّح إلى آفاق واسعة الأرجاء، حسب توسع رقعة الإسلام و دخول الأقوام في دين اللّه

---

١. راجع: أحمد أمين فجر الإسلام، ص٢٠٥ و التفسير و المفسرون، ج١، ص١٣٠.

أفواجاً، و معهم علومهم و آدابهم و ثقافاتهم، كما نبّهنا. فازداد التبصّر و التفتّح إلى آفاق أوسع، و التطلّع إلى أرجاء أبعد.

و لا شك أنه كلّما ازداد علم الرجل و تنوّعت ثقافاته و ترامت معارفه، فإنه يزداد تبصّره و يتوسّع تفكيره و تفهّمه للأُمور، مهما كان نمطها،و أيّاً كان نسجها.

و بعد، فيمكننا تنويع المصادر التي كان التابعون يعتمدونها لفهم معاني كلام اللّه تعالى، و تبيين مقاصده و مراميه، إلى الأُمور التالية:

أوّلاً: مراجعة الكتاب نفسه؛ حيث القرائن و الدلائل في كلام أيّ متكلّم، خير شهود على كشف مراده و الوقوف على مرامه. و هكذا القرآن ينطق بعضُه ببعضٍ و يشهد بعضُه على بعضٍ، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ثانياً: ملاحظة ما تلقّوه من أقوال الصحابة و أحاديث رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم بشأن تبيين معاني الكتاب.

حيث الأسئلة حول لفيف من معاني القرآن كانت كثيرة على عهده صلى الله عليه و آله و سلم، وكان عليه البيان، كما كان عليه البلاغ. و من تلك الأسئلة و أجوبتها كانت وفرة وفيرة مدّخرة على أيدي الصحابة، يؤدّونها إلى الذين اتّبعوهم بإحسان.

و قد تقدم حديث مسروق بن الأجدع، و وصفه لعلوم الأصحاب المتلقّاة من النبيّ الكريم.

ثالثاً: مراعاة أسباب النزول و المناسبات المستدعية لنزول آية أو آيات أو سورة و نحوها؛ حيث كانت في متناولهم القريب، و هم الذين نقلوها إلينا فيما نقلوه من الآثار و الأخبار.

وحيث كانت الآيات النازلة بشأنها ناظرة إلى جوانب و خصوصيات تحتضنها تلك الحوادث و المناسبات، فإنها بدورها تصبح خير دلائل على رفع كثير من الإبهام الوارد في ألفاظ تلكم الآيات بالذات. و كان أصحاب ذلك العهد

(عهد التابعين) إمّا حضروا تلك المشاهد بأنفسهم، أو بإمكانهم الملاقاة مع شهود القضايا، و الأخذ منهم مشافهة.

و هذا من أكبر المصادر لرفع الإبهام عن وجه كثير من الآيات، و كان في متناولهم القريب.

رابعاً: مراجعة اللغة في صميمها، و لا سيّما أشعار العرب، و هي ديوانها و دائرة معارفها، للوقوف على مزايا اللغة و أساليب كلام العرب. و القرآن نزل على نمطها و على نفس نسجها في التعبير و البيان، و إن كان في أُسلوب أرقى و على نسج أقوى.

و كان ابن عباس يُوصي أصحابه بل يحضّهم على مراجعة أشعار العرب للتعرّف على غريب القرآن. و لقد عُدّ زعيم هذه الناحية من التفسير بالخصوص، حتى لقد قيل بشأنه: إنه هو الذي أبدع الطريقة اللغويّة لتفسير القرآن[١].

كان يقول: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا حرف من القرآن الذي أنزله اللّه بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا ذلك منه.

و أيضاً قوله: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب[٢].

خامساً: أنحاء العلوم و المعارف التي تعرّف إليها المسلمون، بفضل التوسع في رقعة الإسلام. و ازدحام وفود الآداب و الثقافات المستوردة عليهم، يحملها أُمم ذووا حضارات عريقة، كانوا يدخلون في دين اللّه أفواجاً.

و قد أسلفنا أنّ التوسّع في الاطلاع على العلوم و المعارف، مهما كان نمطها،

---

١. المذاهب الإسلامية لتفسير القرآن، ص٦٩. التفسير و المفسرون، ج١، ص٧٥.

٢. الإتقان، ج١، ص١١٩.

فإنه يزيد في قوّة الفهم و إمكان لمس حقائق الأُمور، و يرتفع مستوى قدرة الاستنباط بدرجات، لا يبلغها من أعوزه النيل منها بنسبة إعوازه.

و هكذا استفاد التابعون ـ و من بعدهم ـ بالعلوم و المعارف المستجدّة، و المستزادة مع تقادم الأيام، استفادوا بها في فهم معاني كلام اللّه تعالى، و قد ﴿أَنْزَلَهُ الَّذي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ﴾[1].

سادساً: اعتمادهم على ما فتح اللّه عليهم من طريق الاجتهاد و النظر في كتاب اللّه تعالى، و قد روت لنا كتب التفسير كثيراً من أقوال هؤلاء التابعين في التفسير، قالوها بطريق الرأي و النظر و الاجتهاد، ممّا لم يصل إلى علمهم شيء فيها عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو عن أحد الصحابة. فكانوا يُعملون النظر فيها، بإمعان النظر في دلائل و قرائن كانت تساعدهم على فهم الآية، ممّا مرّت الإشارة إلى بعضها، و غير ذلك من أدوات الفهم، و وسائل البحث و التنقيب.

الأمر الذي ساعد على فتح باب الاجتهاد بشأن التفسير، و في سائر شؤون الشريعة، و استمرّت الطريقة المرضيّة عبر التاريخ، و قد نوّهنا عنها.

سابعاً: استنادهم إلى نصوص من كتب العهدين، ممّا جاء إجماله في القرآن، و تعرّضت لتفاصيلها كتب السالفين، ممّا لم يحتمل فيه التحريف. كجوانب من تاريخ أنبياء بني إسرائيل و سيرة ملوكهم، و ما شابه من قصصهم و أخبارهم.

و ذلك ككثير من قصص إبراهيم الخليل و لوط و يوسف. ففي التوراة ما في القرآن من تفاصيل أخبارهم، سوى أنّ القرآن جاء بالصحيح المعقول منها، مختزلاً، بينما في التوراة صور محرّفة و مرفوضة لدى العقل السليم، سوى بعض لقطات و خطفات جاءت سليمة، يمكن الاستفادة منها أحياناً. الأمر الذي كان

---

١. الفرقان/ ٦.

نبهاء الصحابة و التابعين يعنونه بالذات[١]، دون الاستناد المطلق من غير تحرٍّ أو تحقيق ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَ أُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٢].

* * *

أما الأخذ من أهل الكتاب، و الانصياع لهم في كل ما يسطّرون، فهذا كان ممّا يتحاشاه الصحابة و التابعون، نعم سوى شراذم من غوغاء العوام، أو أهل الدغل من الساسة الحاكمة على البلاد، على ما نسرد قصّتهم في فصله القادم إن شاء اللّه.

فالذي ذكر الذهبي، من اعتماد التابعين، في فهم معاني كتاب اللّه تعالى، على ما أخذوه من أهل الكتاب ممّا جاء في كتبهم،[٣] فإنه ـ على إطلاقه ـ مرفوض. و قد فنّدنا مزاعم الرجوع إلى أهل الكتاب، فيما حسبوه بشأن الصحابي الجليل عبد اللّه بن عباس.

---

١. و هذا نظير ما وقف عليه المولى أبو الكلام آزاد، بشأن «ذي القرنين» من الدلائل في التوراة، أنه كورش، الملك الفارسي الذي قام بإعادة بناء البيت و تحريره و إيراد أبناء إسرائيل، الذين كان قد اضطهدهم الطاغية بخت نصر ملك بابل يومذاك.

٢. الزمر / ١٧.

٣. التفسير والمفسرون، ج ١، ص ٩٩.

المرحلة الرابعة

دور أهل البيت في التفسير

* العترة إلى جنب القرآن
* دورهم في التفسير دور تربية و تعليم
* خلط التفسير بالتأويل عن بعض
* الوضع عن لسان الأئمة
* نماذج من تفاسير أهل البيت

دور أهل البيت في التفسير

العترة إلى جنب القرآن

(هم ورثة الكتاب و حملته و خزنة علومه و معارفه)

﴿ثُمَّ اَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا﴾[1]

أوصى رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم بشأن العترة الطاهرة، إلى جنب كتاب اللّه العزيز الحميد، و جعلهما خلَفه الباقي في أُمته. و عبّر عنهما بالثَقَلين ـ محرّكةً: كل شيء نفيس مصون[2] و لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض. كناية عن تواصل مسيرهما حتى انقضاء العالم. يتداومان علَمَين للأُمّة ما أن تمسكوا بهما لن يضلّوا أبداً.

حديث مستفيض، بلفظ «كتاب اللّه و عترتي» أو «كتاب اللّه و أهل بيتي» أو

---

١. فاطر /٣٢.

٢. قال السيد محمد مرتضى الزبيدي: الثَقَل ـ محركةً ـ: متاع المسافر و حشمه. و كلّ شيء خطير نفيس مصون، لهُ قدر و وزن، ثقَلٌ عند العرب. قال الفيروزآبادي: و منه حديث «إني تارك فيكم الثَقَلين كتاب اللّه و عترتي». قال الزبيدي: جعلها ثَقَلين إعظاماً لقدرهما و تفخيماً لهما. قال ثعلب: سماهما ثَقَلين؛ لأنّ الأخذ بهما و العمل بهما ثقيل. (تاج العروس بشرح القاموس، ج٧، ص ٢٤٥).

بالجمع بين التعبيرين «عترتي أهل بيتي» ليكون أحدهما تبييناً للآخر و توضيحاً له. و على التعابير، فهو متفق على صحته و إحكام طرقه و أسانيده.

قال العلامة الأميني: هذا الحديث ممّا اتفقت الأمّة و الحُفّاظ على صحته[1].

و قال الحافظ ابن حجر الهيثمي: و لهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع و عشرين صحابياً[2].

---

١. الغدير، ج٦، ص ٣٣٠ (ط بيروت) بالهامش رقم ٤.

٢. الصواعق المحرقة باب وصية النبيّ بشأن أهل البيت، ص١٣٦.

و إليك الأهمّ من مصادر هذا الحديث في الصحاح المعروفة:

أ ـ روى مسلم في صحيحه (ج ٧، ص١٢٣) في باب فضائل علي من كتاب فضائل الصحابة، بعدة أسانيد عن زيد بن أرقم، قال: خطب رسول الله ﷺ بغديرخم، فحمد الله و أثنى عليه و وعظ وذكر، ثم قال:

«أمّا بعد ألاَ أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب. و أنا تارك فيكم ثَقَلين، أَوّلها كتاب اللّه، فيه الهدى و النور، فخذوا بكتاب اللّه و استمسكوا به... ثم قال: وأهل بيتي. أُذكِّركم اللّه في أهل بيتي؛ قالها ثلاثاً.

فسُئل زيد عمّن يكون أهل بيته؟ قال: من حرمت عليه الصدقة، هم آل علي و آل عقيل وآل جعفر و آل عباس، و نفى أن تكون نساؤه منهم. رواه مسلم هنا بأربعة طرق كلها صحاح.

ب ـ و روى الترمذي في سننه (ج ٧، ص٦٦٥) باب مناقب أهل النبيّ ﷺ بإسناده عن جابربن عبد اللّه، قال: رأيت رسول اللّه ـ ص ـ في حجّته يوم عرفة و هو على ناقته القصواء يخطب، يقول: «يا أيها الناس إنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب اللّهو عترتي أهل بيتي».

و بإسناده أيضاً عن زيد بن أرقم عنه ـ ص ـ: «إني تارك فيكم ما أن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتابُ اللّه، حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، و لن

←

→ يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض. فانظروا كيف تخلفوني فيهما. الحديث رقم ٣٧٨٦ و ٣٧٨٨.

ج ـ و رواه الدارمي في سننه (ج ٢، ص ٤٣٣) بإسناده إلى زيد بن أرقم، كما في صحيح مسلم.

د ـ و روى أحمد في مسنده (ج ٣، ص ١٤) بإسناده إلى أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللّه ـ ص ـ: «إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض. و عترتي أهل بيتي، و أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض...» و في ص ١٧: فانظروني بم تخلفوني فيهما. و راجع: ص ٢٦ و ص ٥٩.

و في ج ٤، ص ٣٦٧ عن زيد بن أرقم على ما رواه مسلم، و كذا في، ص ٣٧١ إشارة.

و في ج ٥، ص ١٨٢ عن زيد بن ثابت: إني تارك فيكم خليفتين، و ص ١٨٩.

هـ ـ و أخرج الحاكم في المستدرك (ج ٣، ص ١٠٩) عن زيد بن أرقم: «إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب اللّه تعالى و عترتي. فانظروا كيف تخلفوني فيهما...» وص ١١٠ و، ص ١٤٨.

قال الحاكم بشأن الحديث بأسانيده في المواضع الثلاثة: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

و ـ والمتّقي الهندي في كنز العمّال (مؤسّسة الرسالة)، ج ١، ص ٣٨١ رقم ١٦٥٧. و ص ٣٨٤ رقم ١٦٦٧.

ز ـ و أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء، ج ٩، ص ٦٤.

ح ـ و مرتضى الحسيني الفيروزآبادي في فضائل الخمسة، ج ٢، ص ٤٣ ـ ٥٣.

ط ـ و ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة، ص ١٣٦ و ص ٧٥. و فيه أيضاً بدل «عترتي» «سنّتي»، لكنّه لم يسنده إلى أصل وثيق.

ى ـ قال ابن كثير ـ في تفسيره (ج ٤، ص ١١٣) ذيل آية المودة في القُربَى من سورة الشورى.

و قد ثبت في الصحيح أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال ـ في خطبته بغديرخم ـ: «إني تارك فيكم الثَقَلين، كتاب اللّه و عترتي. و أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»، و جعل يسرد أحاديث ←

والمستفاد من حديث الثَقَلين أُمور:

أوّلاً: لزوم مودّتهم. قال ابن حجر الهيثمي: و في هذه الأحاديث، لا سيما قوله ـ ص ـ: انظروا كيف تخلفوني فيهما، و أُوصيكم بعترتي خيراً، و أُذكّركم اللّه في أهل بيتي» الحث الأكيد على مودّتهم و مزيد الإحسان إليهم و احترامهم وإكرامهم و تأدية حقوقهم الواجبة و المندوبة، كيف و هم أشرف بيت وُجد على وجه الأرض فخراً و حسباً و نسباً.

قال: و في قوله ـ ص ـ: «لا تقدموهما فتُهلَكوا، و لا تقصروا عنهما فتُهلَكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم» دليل على أنّ من تأهّل منهم للمراتب العليّة والوظائف الدينية كان مقدّماً على غيره. و يدل عليه التصريح بذلك بشأن قريش، فأهل البيت النبوي الذين هم غرّة فضلهم و محتد فخرهم و السبب في تميّزهم على غيرهم، بذلك أحرى و أحق و أولى ... و أخيراً قال: و صحّ عن أبي بكر أنه قال: ارقبوا محمداً في أهل بيته، أي احفظوا عهده و ودّه في أهل بيته[1].

و عند ذكره لتأويل الآية: ﴿وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾[2] أسند إلى أبي سعيد الخدري، أنّ النبيّ ﷺ قال: «وقفوهم أنهم مسؤولون عن ولاية عليّ». قال: وكأن هذا هو مراد الواحدي بقوله: روى ـ في الآية ـ أنهم مسؤولون عن ولاية عليّ

← وردت بنفس التعبير، قالها رسول اللّه ﷺ في مواطن كثيرة؛ حيث كان يجد مجتمع أصحابه، و لاسيّما في أخريات سنّي حياته الكريمة.

١. الصواعق المحرقة، ص١٣٦ ـ ١٣٧. و الرواية عن أبي بكر هذه أخرجها البخاري في الصحيح، قال: «ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته» (جامع البخاري، ج٥، ص٢٦) باب مناقب قرابة النبيّ ـ ص ـ و أخرجه بأسناد آخر في باب مناقب الحسنين (ج ٥، ص٣٣).

٢. الصافات/ ٢٤.

و أهل البيت؛ لأن اللّه أمر نبيّه أن يعرّف الخلق أنه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلاّ المودة في القُربى. و المعنى: أنهم يُسأَلون هل وَالوُهم حقّ الموالاة كما أوصاهم النبيّ ـ ص ـ أم أضاعوها و أهملوها، فتكون عليهم المطالبة و التبعة[1].

قال الهيثمي: و أشار الواحدي بقوله: «كما أوصاهم» إلى الأحاديث الواردة في ذلك، و هي كثيرة، ثم ذكر طرفاً منها، و من جملتها حديث الثَقَلين. و ذكر متنوّع متونه، و في رواية «كتاب اللّه و سنّتي». و قال: و هي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب؛ لأن السنّة مُبيّنة له فأغنى ذكره عن ذكرها. قال: و الحاصل أنّ الحث وقع على التمسّك بالكتاب و بالسُّنة، و بالعلماء بهما من أهل البيت. و أخيراً قال: و يُستفاد من مجموع ذلك بقاءالأمور الثلاثة إلى قيام الساعة.

ملحوظة: قال الهيثمي: إن للحديث طرقاً كثيرة وردت عن نيّف و عشرين صحابياً. و في بعض تلك الطرق أنه ـ ص ـ قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة، و في أُخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه و قد امتلأت الهجرة بأصحابه، و في ثالثة أنه قال ذلك غديرخم، و في رابعة أنه قال لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف.

قال: و لا تنافي؛ إذ لا مانع من أنه ـ ص ـ كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن و غيرها، اهتماماً بشأن الكتاب العزيز و العترة الطاهرة[2].

ثانياً: تداومُ إمامتهم ما تداومت أيّام هذه الأُمة عبر الأزمان، و كونهم مراجع الخلق بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في فهم الشريعة و معاني القرآن، مرجعيّة عاصمة،

---

١. أخرجه الحافظ الكبير الحاكم الحسكاني بعدة طرق. راجع: شواهد التنزيل، ج٢، ص١٠٦ـ١٠٨.

٢. الصواعق المحرقة، ص٨٩ـ ٩٠

نظيرعصمة القرآن، و مرجعيّته عبر الخلود.

قال السيد الأمين العاملي ـ بعد ذكر أحاديث الثقلين التي رواها أجلاّء علماء السنّة و أكابر محدِّثيهم، في صحاحهم بأسانيدهم المتعدّدة، و اتفق على روايتها الفريقان:

«دلت هذه الأحاديث على عصمة أهل البيت من الذنوب و الخطأ، لمساواتهم فيها بالقرآن الثابت عصمته، في أنهم أحد الثقلين المُخلَّفين في الناس، و في الأمر بالتمسّك بهم كالتمسّك بالقرآن. و لو كان الخطاء يقع منهم لما صحّ الأمر بالتمسّك بهم الذي هو عبارة عن: جعل أقوالهم و أفعالهم حجّة. و في أن المتمسّك بهم لا يضلّ كما لا يضلّ المتمسّك بالقرآن. و لو وقع منهم الذنب أو الخطأ لكان المتمسّك بهم يضلّ. و أن في اتّباعهم الهدى و النور كما في القرآن، ولو لم يكونوا معصومين لكان في اتّباعهم الضلال. و في أنهم حبل ممدود من السماء إلى الأرض كالقرآن، و هو كناية عن أنهم واسطة بين اللّه تعالى و بين خلقه، و أنّ أقوالهم عن اللّه تعالى، و لو لم يكونوا معصومين لم يكونوا كذلك.

و في أنهم لن يفارقوا القرآن و لا يفارقهم مدة عمر الدنيا. و لو أنهم أخطأوا أو أذنبوا لفارقوا القرآن و فارقهم.

و في عدم جواز مفارقتهم بتقدّمٍ عليهم بجعل نفسه إماماً لهم، أو تقصير عنهم و ائتمامٍ بغيرهم، كما لا يجوز التقدّم على القرآن بالإفتاء بغير ما فيه، أو التقصير عنه باتّباع أقوال مخالفيه.

و في عدم جواز تعليمهم و ردّ أقوالهم، و لو كانوا يجهلون شيئاً لوجب تعليمهم، و لم يُنْهَ عن ردّ قولهم.

قال: و دلّت هذه الأحاديث أيضاً على أن منهم من هذه صفته في كل عصر و زمان بدليل قوله ـ ص ـ: إنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، و أن اللطيف

الخبير أخبره بذلك. و ورود الحوض كناية عن انقضاء عمر الدنيا، فلو خلا زمان من أحدهما لم يصدق أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض[1].

ثالثاً: أنّهم الراسخون في العلم و المصداق الأوفى لوصف أهل الذكر، الذين يعلمون تفسير القرآن و تأويله، فهم وحدهم مراجع الأُمّة، في فهم معاني الكتاب ودرس آياته عبر العصور، إنهم أبواب الهدى و مصابيح الدُّجى و سفن النجاة.

قال الهيثمي ـ في مقارنة لطيفة بين «الكتاب» و «العترة» ـ: سَمّى رسول اللّه ـ ص ـ القرآن و عترته ثَقَلين؛ لأن الثَقَل كل نفيس خطيرمصون. و هذان كذلك؛ إذ كل منهما مَعدن للعلوم اللّدُنيّة و الأسرار و الحكم العليّة و الأحكام الشرعية؛ و لذا حثّ رسول اللّه ـ ص ـ على الاقتداء و التمسّك بهم و التعلم منهم، و قال: «الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت». و قيل: سُمّيا ثقلين؛ لثقل وجوب رعاية حقوقهما.

ثم الذين وقع الحثّ عليهم منهم إنما همالعارفون بكتاب اللّه و سنّة رسوله؛ إذ همالذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض، و يؤيده الخبر السابق «و لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم». و تُميّزوا بذلك عن بقية العلماء؛ لأن اللّه أذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيراً، و شرّفهم بالكرامات الباهرة و المزايا المتكاثرة.

• و في أحاديث الحثّ على التمسّك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسّك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك؛ و لهذا كانوا أماناً لأهل الأرض ـ حسبما يأتي ـ.

ويشهد لذلك قوله ـ ص ـ: «في كل خلف من أُمّتي عدول من أهل بيتي

---

١. أعيان الشيعة، ج ١، ص ٣٧٠ في السابع من دلائل فضل عليّ عليه السلام على سائر الصحابة، و نقله الغدير، ج ٣، ص ٢٩٧ـ ٢٩٨.

ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين و امتحال المبطلين و تأويل الجاهلين، ألا إنّ أئمّتكم وفدكم إلى اللّه عزّ و جلّ فانظروا من توفدون».

ثم أحق من يتمسّك به منهم إمامهم و عالمهم علي بن أبي طالب ـ كرّم اللّه وجهه ـ لمزيد علمه و دقائق مستنبطاته، و من ثَمَّ قال أبو بكر: عليٌّ عترة رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم[١].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَ مَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ﴾[٢]: أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى وجود هذا المعنى في أهل بيته و أنهم أمان لأهل الأرض كما كان هو أماناً لهم. و في ذلك أحاديث كثيرة، منها ما رواه الحاكم و صحّحه على شرط الشيخين: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق و أهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس».

وقال: و جاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً: «إنما مَثَل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا». و في رواية مسلم: «و من تخلف عنها غرق». و في رواية: «هلك»، «و إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطةٍ في بني إسرائيل، من دخله غُفر له»[٣].

روى ثقة الإسلام الكليني بإسناده إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنّ اللّه تبارك و تعالى طهّرنا و عصمنا و جعلنا شهداء على خلقه و حجّته في أرضه. و جعلنا مع القرآن، و جعل القرآن معنا، لا نفارقه و لا يفارقنا».

و روى ـ أيضاً ـ عن الإمام أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام قال ـ في قول اللّه عزّ

---

١. الصواعق المحرقة، ص ٩٠ و ٩١.

٢. الأنفال / ٣٣.

٣. الصواعق المحرقة، ص ٩٠ و ٩١.

و جلّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هٰؤُلَاءِ شَهِيداً﴾[١] ـ: نزلت في أمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصّة. في كل قرن منهم إمام منّا شاهد عليهم، و محمد صلى الله عليه وآله وسلم شاهد علينا»[٢].

و في كلامه عليه السلام إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «يحمل هذا الدين في كل قرن عدول، ينفون عنه تأويل المبطلين و تحريف الغالين و انتحال الجاهلين، كما ينفي الكير خبث الحديد»[٣].

و سأل عبيدة السلماني و علقمة بن قيس و الأسود بن يزيد النخعي، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من ذا يسألونه عما إذا أشكل عليهم فهم معاني القرآن؟ فأجابهم الإمام عليه السلام: «سلوا عن ذلك آل محمد»[٤].

وقال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام لعمرو بن عبيد[٥]: «فإنما على الناس أن يقرأوا القرآن كما أُنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره، فالاهتداء بنا و إلينا يا عمرو»[٦].

وقال عليه السلام: «إن العلم الذي نزل مع آدم ـ كناية عن العلم الذي كان يحمله

---

١. النساء/ ٤١.

٢. الكافي الشريف، ج١، ص١٩٠ و ١٩١ رقم ١ و ٥.

٣. اختيار معرفة الرجال لأبي عمرو الكشّي، ص٤ رقم ٥. و الكير: زقّ أو جلد غليظ ذو حافات ينفخ فيه الحداد لإلانة الحديد.

٤. بصائر الدرجات للصفار، ص١٩٦ رقم ٩.

٥. عمرو بن عبيد هذا كان من زعماء المعتزلة و من العلماء الزهاد، و كان منقطعاً إلى آل أبواب البيت موالياً لهم، و له معهم مواقف مشرفة. قال حفص بن غياث: ما وُصف لي أحد إلاّ وجدته دون الصفة، إلاّ عمرو بن عبيد فوجدته فوق ما وُصف لي. قال: و ما لقيت أحداً أزهد منه. تُوفّي سنة ١٤٢. (تهذيب التهذيب، ج٨، ص ٧٠).

٦. تفسير فرات الكوفي، ص٢٥٨ رقم ٣٥١.

الأنبياء منذ البداية ـ لم يرفع، و العلم يتوارث، و كان عليّ عليه السلام عالمَ هذه الأُمّة. قال: و إنه لم يمت منّا عالم قطّ إلاّ خلّفه من أهله من عَلِمَ مثل عِلْمه، أو ما شاء اللّه...»[١].

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّا أهل بيت لم يزل اللّه يبعث منا من يعلم كتابه من أوّله إلى آخره»[٢].

نعم كان ذلك هو مقتضى تلازم الكتاب و العترة، فلا يمكن الاهتداء بأحدهما بعيداً عن الآخر؛ إذ كما أنّ للكتاب موضع التشريع و التأسيس، كان للعترة موضع التفصيل و التّبيين، كما كان ذلك لرسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم.

هكذا عرفت الصحابة و الذين اتبعوهم بإحسان، هذا الموضع الرفيع لآل البيت، و لا سيّما رأسهم و رئيسهم الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فكانوا يراجعونهم فيما أُشكل عليهم من مسائل الشريعة و مفاهيم القرآن، مذعنين لهم هذا المقام السامي.

هذا الصحابي الجليل عبد اللّه بن مسعود، و من أكابر الصحابة قدراً و أجلاّئهم شأناً، تراه يُذعن برفعة مقام شاخص هذا البيت الإمام أمير المؤمنين. و أنه قد تتلمذ على يده حتى في حياة صادق الرسالة الأمين ـ صلوات اللّه عليه ـ.

أخرج أبو جعفرالطوسي ـ في أماليه ـ بإسناده إلى ابن مسعود، قال: قرأت على النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم سبعين سورة من القرآن أخذتها من فيه، و قرأت سائر القرآن على خير هذه الأُمّة و أقضاهم بعد نبيّهم، عليّ بن أبي طالب صلوات اللّه عليه[٣].

---

١. الكافي الشريف، ج ١، ص ٢٢٢ رقم ٢.

٢. بصائرالدرجات، ص ١٩٤ رقم ٦.

٣. الأمالي ـ للطوسي، ج ٢، ص ٢١٩. و إذ كنّانعرف أن السور المكية (٨٦) سورة. نعرف أن ابن ←

أخرج ابن عساكر في ترجمة الإمام بإسناده إلى عبيدة السلماني قال: سمعت عبد اللّه بن مسعود يقول: لو أعلم أحداً أعرف بكتاب اللّه منّي تبلغه المطايا... فقال له رجل: فأين أنت من عليّ؟ قال: به بدأت، إنّي قرأت عليه[١].

و أخرج عن زاذان عنه، قال: قرأت على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم تسعين سورة، و ختمت القرآن على خير الناس بعده. قيل له: من هو؟ قال: علي بن أبي طالب[٢].

و هو القائل: القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا له ظهر و بطن. و أن عليّ بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر و الباطن[٣].

وأخرج الحاكم الحسكاني بإسناده عن علقمة، قال: كنت عند رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فسئل عن عليّ، فقال: «قسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأُعطي عليّ تسعة أجزاء، و أُعطي الناس جزءً واحداً»[٤].

و لابن عباس الصحابي العظيم أيضاً شهادات راقية بشأن الإمام. و كذا غيره من أجلاّء الأصحاب، قد مرّت الإشارة إليها في ترجمة الإمام، و هكذا تصريحات من أعلام التابعين لا نعيد ذكرها.

الأمر الذي دعا بنبهاء الأُمة في جميع الأدوار، أن يجعلوا من أئمة أهل البيت، قدوتهم في كل أبعاد الشريعة، و لا سيّما طريقة فهم القرآن و استنباط معانيه والوقوف على دقائق تعابيره و ظرائف نكاته. و كان قولهم هو فصل الخطاب والقول الفصل في جميع الأبواب.

← مسعود قد تعلم القرآن من عليّ عليه السلام في وقت مبكّر، أيام كونهم في مكة قبل الهجرة إلى المدينة.

١. تاريخ دمشق ـ ترجمة الإمام ـ، ج٣، ص٢٥ ـ ٢٦ رقم ١٠٤٩.

٢. المصدر رقم ١٠٥١ و راجع: سعد السعود لابن طاووس، ص٢٨٥ والبحار، ج٨٩، ص١٠٥.

٣. ابن عساكر رقم ١٠٤٨.

٤. شواهد التنزيل، ج١، ص١٠٥ رقم ١٤٦.

هذا أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني صاحب الملل والنحل (٤٦٧ ـ ٥٤٨) يحاول ـ عند دراسته لتفسير القرآن ـ أن يجعل رائده علماً من أعلام هذا البيت الرفيع، معتقداً أن الصحيح من القول، لا يوجد إلاّ عندهم لا عند غيرهم.

وإليك بعض كلامه بهذاالشأن:

«وخصّ الكتاب بِحَمَلَةٍ من عترته الطاهرة و نَقَلَةٍ من أصحابه الزاكية الزاهرة، يتلونه حق تلاوته، و يدرسونه حق دراسته، فالقرآن تركته، و هم ورثته، و هم أحد الثقلين، و بهم مجمع البحرين، و لهم قاب قوسين، و عندهم علم الكونين، والعالمون..

«و كما كانت الملائكة عليهم السلام معقبات له من بين يديه و من خلفه تنزيلاً، كذلك كانت الأئمّة الهادية، و العلماء الصادقة معقبات له من بين يديه و من خلفه تفسيراً وتأويلاً ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]. فتنزيل الذكر بالملائكة المعقبات، و حفظ الذكر بالعلماء الذين يعرفون تنزيله و تأويله، و محكمه ومتشابهه، و ناسخه و منسوخه، و عامّه و خاصّه، و مجمله و مفصّله، و مطلقه ومقيّده، و نصّه و ظاهره، و ظاهره و باطنه. و يحكمون فيه بحكم اللّه، من مفروغه و مستأنفه، و تقديره و تكليفه، و أوامره و زواجره، و واجباته و محظوراته، وحلاله و حرامه، و حدوده و أحكامه، بالحق و اليقين، لا بالظنّ و التخمين، أولئك الذين هداهم اللّه و أولئك هم أولو الألباب.

«و لقد كانت الصحابة ـ رضي اللّه عنهم ـ متّفقين على أن علم القرآن مخصوص بأهل البيت عليهم السلام؛ إذ كانوا يسألون علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل خُصصتم أهل البيت دوننا بشيء سوى القرآن؟ و كان يقول: لا و الذي فلق الحبّة و

---

١. الحجر/ ٩.

برأ النسمة إلاّ بما في قِراب سيفي هذا. فاستثناء القرآن بالتخصيص دليل على إجماعهم بأنّ القرآن و علمه تنزيله و تأويله مخصوص بهم.

«و لقد كان حبر الأمّة عبد اللّه بن عباس رضي الله عنه مصدر تفسير جميع المفسّرين، و قد دعا له رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بأن قال: اللهمّ فقّهه في الدين و علّمه التأويل. تتلمذ لعليّ رضي الله عنه حتى فقّهه في الدين و علّمه التأويل.

قال: «و لقد كنت على حداثة سنّي أسمع تفسير القرآن من مشايخي سماعاً مجرّداً، حتى وفقت فعلّقته على أستاذي ناصر السنّة أبي القاسم سلمان بن ناصر الأنصاري رضي الله عنه تلقّفا. ثمّ أطلعني مطالعاتٌ كلمات شريفة عن أهل البيت و أوليائهم ـ رضي اللّه عنهم ـ على أسرار دفينة و أُصول متينةٍ في علم القرآن، و ناداني مَن هو في شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة الطيّبة: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ﴾**[1] فطلبت الصادقين طلب العاشقين، فوجدت عبداً من عباد اللّه الصالحين، كما طلب موسى عليه السلام مع فتاه، **﴿فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً﴾**[2]. فتعلّمت منه مناهج الخلق و الأمر، و مدارج التضادّ و الترتيب، و وجهي العموم و الخصوص، و حكمي المفروغ و المستأنف. فشبعت من هذا المعاء الواحد دون الأمعاء التي هي مآكل الضُلاّل و مداخل الجهّال، و ارتويتُ من شرب التسليم بكأس كان مزاجه من تسنيم، فاهتديت إلى لسان القران: نظمه و ترتيبه و بلاغته و جزالته و فصاحته و براعته»[3].

---

١. التوبة/ ١١٩.

٢. الكهف/ ٦٥.

٣. عن مقدمة تفسيره الذي أسماه «مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار». مخطوط.

و من طريف ما يُذكرهنا، ما شهد به مثل الحجاج بن يوسف الثقفي بشأن هذا البيت الرفيع، حسبما رواه علي بن إبراهيم القمّي في تفسيره: أن أباه حدّثه عن سليمان بن داود المنقري عن أبي حمزة الثمالي عن شهر بن حوشب، قال: قال لي الحجاج بن يوسف: بأنّ آية في كتاب اللّه قد أعيتني! فقلت: أيّها الأمير، أيّة آية هي؟ فقال: قوله: ﴿وَ إِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[1]، و اللّه لآمر باليهودي و النصراني فيضرب عنقه، ثم أرمقه بعيني، فما أراه يحرّك شفتيه حتى يَخْمُدَ! فقلت: أصلح اللّه الأمير، ليس على ما تأوّلت! قال: كيف هو؟ قلت: إن عيسى بن مريم ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلايبقى أهل ملّةٍ يهودي و لا نصراني إلاّ آمن به قبل موته، و يصلّي خلف المهدي. قال: ويحك، أنّى لك هذا، و من أين جئت به؟! فقلت: حدّثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فقال: جئت بها، و اللّه من عين صافية[2].

كان الحجّاج قد حَسِبَ أنّ الضمير في قوله تعالى «قبل موته» يعود إلى «من أهل الكتاب» فجاء تفسير الإمام بإرجاع الضميرإلى المسيح؛ و بذلك زالت علّته.

و أورد الإمام الرازي الحديث بلفظ آخر، ناسباً له إلى محمد ابن الحنفيّة، قال: فأخذ ينكث في الأرض بقضيب، ثم قال: لقد أخذتها من عين صافية[3].

دور أهل البيت في التفسير

كان الدور الذي قام به أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم، هو دور تربية و تعليم، و إرشاد إلى معالم التفسير، و أنه كيف ينبغي أن يُفهم معاني كلامه

---

١. النساء / ١٥٩.

٢. تفسير القمّي، ج ١، ص١٥٨. و نقله الطبرسي في المجمع، ج ٣، ص١٣٧.

٣. التفسير الكبير، ج ١١، ص ١٠٤..

تعالى، و كيف الوقوف على دقائق و رموز هذا الوحي الإلٰهي الخالد. فقد كانت تفاسيرهم للقرآن، المأثورة عنهم عليهم السلام تفاسير نموذجيّة، كانوا قد عرضوها على الأمة و على العلماء، لكي يتعرّفوا إلى أساليب التفسير، تلك الأساليب المعتمدة على أُصول متينة و قواعد رصينة. و أن في الجم الغفير من التفسير الوارد عنهم عليهم السلام ما يُنبؤك عن حرصهم الشديد على تعليم هذه الأُمة كيف يفسرون القرآن الكريم، و ايقافهم على نكت و ظرف من هذا الكلام البارع. نعم كانوا عليهم السلام ورثة القرآن العظيم، و حملته إلى الناس، في أمانة صادقة و أداءٍ و إيفاء كريم.

و سوف نذكر نماذج من تفاسيرمأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، هي شواهد على كونها مناهج تعليمية لكيفيّة التفسير، و طريقة استنباط معانيه الحكيمة.

الخلط في التفاسير المأثورة

هناك في التفسير المأثور عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بعض الخلط بين تفسير الظاهر و تفسير الباطن، كما حصل خلط بين بعض التطبيقات و التفسير؛ حيث كان المنصوص عليه مصداقاً أو من أبرز مصاديق الآية، فحسَبَها البعض تفاسير. فكان من الضروري التمييز بين الأمرين، و فصل أحدهما عن الآخر، ليُعرف وجه الصواب.

من ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: **﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ﴾** بأنّهم آل محمّد صلى الله عليه و آله و سلم. فقد وردت هذه الآية في سورة النحل: **﴿مٰا أَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ إِلاّٰ رِجٰالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنٰاتِ وَ الزُّبُرِ﴾**[1].

---

١. ٤٣/١٦.

و في سورة الأنبياء ﴿وَ مٰا أَرْسَلْنٰا قَبْلَكَ إِلاّٰ رِجٰالاً نُوحي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ﴾[١].

وظاهر الآيتين يقضي بكون الخطاب موجّهاً إلى المشركين، الذين استغربوا نزول الوحي على بشرٍ أو على رجل منهم؛ حيث قالوا: ﴿مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ عَلىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾[٢]، و قال تعالى: ﴿أَكٰانَ لِلنّٰاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾[٣].

فرفعاً لاستغرابهم أفسح لهم المجال كي يتساءلوا بذلك أهل الكتاب ممن يلونهم و كانوا يعتمدونهم. و من ثمّ جاءت في الآية الأُولىٰ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنٰاتِ وَ الزُّبُرِ﴾، أي لا تعلمون الكتاب و لا تاريخ الأنبياء و الأُمم السالفة، فعليكم بمراجعة من يعلم ذلك من أهل الكتاب.

كما جاء تعقيب الآية الثانية بقوله: ﴿وَ مٰا جَعَلْنٰاهُمْ جَسَداً لاٰ يَأْكُلُونَ الطَّعٰامَ وَ مٰا كٰانُوا خٰالِدِينَ﴾ حيث استغرابهم أن يكون النبيّ إنسانا يأكل الطعام و يمشي في الأسواق.

هذا هو ظاهر معنى الآيتين: تفسير «أهل الذكر» بـ«أهل الكتاب».

لكن ورد في تأويلهما ما يقضي بالعموم، بأن تشمل الآية كل ذوي العلم من أهل الثقافة و المعرفة، و على رأسهم أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

و ذلك بإلقاء الخصوصيات المكتنفة بالكلام، و الأخذ بعموم اللفظ و عموم الملاك (أي عموم مناط الحكم) و هو ما يقتضيه العقل من رجوع الجاهل إلى العالم إطلاقاً، و في جميع مجالات العلم و المعرفة، بما يعم جميع الثقافات.

---

١. ٢١/ ٧.

٢. الأنعام/ ٩١.

٣. يونس/ ٢.

فهذا من التأويل الذي هو مفاد باطن الآية، و ليس من التفسير الذي هو مفاد ظاهرها.

هذا المولى محسن الفيض الكاشاني، حسب من هذه الروايات الواردة بتفسير الآية بأهل البيت، تفسيراً حقيقياً حسب ظاهر اللّفظ. قال: في الكافي والقمّي و العياشي عنهمعليهم السلام في أخبار كثيرة: رسول اللّه «الذكر» و أهل بيته المسؤلون و هم «أهل الذكر» و أضاف: أن المستفاد من هذه الأخبار أن المخاطبين بالسؤال هم المؤمنون دون المشركين، و أن المسؤول عنه هو كل ما أشكل عليهم دون كون الرسل رجالاً. قال: و هذا إنما يستقيم إذا لم يكن «وما أرسلنا» ردّاً للمشركين، أو كان «فاسألوا...» كلاماً مستأنفاً، أو كانت الآية ممّا غيّر نظمه، و لا سيّما إذا علّق قوله «بالبيّنات و الزبر» بقوله «أرسلنا»، فإن هذا الكلام، بينهما. و أما أمر المشركين بسؤال أهل البيت عن كون الرسل رجالاً لا ملائكة، مع عدم إيمانهم بالله و رسوله، فممّا لا وجه له[1].

انظر إلى هذا التكلّف الذي وقع فيه لتوجيه ما حسبه تفسيراً للآية، فلو أنه أخذه تأويلاً لها مستخلصاً عموم المراد من ظاهر اللفظ؛ و ذلك لعموم مناط الحكم في المراجعة و السؤال؛ لكان قد استراح بنفسه.

نعم، وردت الآية بشأن المشركين، و هم جهال، ليسألوا أهل الكتاب؛ لأنهم علماء. و هذا الدستور العقلاني عام في ملاكه و مناطه، فليكن عاماً في خطابه و شموله. هكذا يستفاد العموم من اللفظ و يستخلص الشمول من الملاك، و يُسمّى ذلك تأويلاً، أي مآل الكلام في نهاية المراد.

و هكذا قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ

---

١. راجع: تفسير الصافي، ج ١، ص ٩٢٥.

مَعِينٍ﴾[1] فقد فسّرها قوم حسبما ورد من روايات في تأويلها، فحسبوها مفسرات. قال علي بن إبراهيم ـ بصدد تفسير الآية ـ: أرأيتم أن أصبح إمامكم غائباً فمن يأتيكم بإمام مثله، و اكتفى بذلك. و استشهد بحديث الرضا عليه السلام سئل عن هذه الآية، فقال: ماؤكم: أبوابكم، أي الأئمّة عليهم السلام. و الأئمّة أبواب اللّه بينه و بين خلقه، ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ﴾، يعنى بعلم الإمام[2].

و كناية «الماء المعين» عن العلم الصافي عن أكدار الشبهات، أمر معروف، قال تعالى: ﴿وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً﴾[3]. و هكذا جاء في تفسير الصافي للمولى محسن الفيض[4].

غير أن ذلك تأويل للآية و ليس تفسيراً لها؛ حيث أخذ «الماء» في مفهومه الأعم من الحقيقي و الكنائي، أي فيما يورث الحياة و يوجب تداومها و بقاءها، إن مادّياً أو معنوياً، ليشمل الماء الزلال و العلم الصافي جميعاً، و بهذا المعنى العام يشمل كلا الأمرين. فاستخلاص مثل هذا العموم من لفظ الآية، يعتبر تأويلاً لها.

و في رواية الصدوق ـ في الإكمال ـ تصريح بذلك؛ حيث سئل الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام عن تأويل هذه الآية بالذات، فقال: إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون؟! ليمتاز التأويل عن التفسير.

و قوله تعالى: ﴿وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً و نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما

---

١. الملك / ٣٠.

٢. تفسير القمّي، ج ٢، ص ٣٧٩.

٣. الجن / ١٦.

٤. تفسير الصافي، ج ٢، ص ٧٢٧.

مِنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَحْذَرُونَ﴾[١].

فالآية ـ حسب ظاهرها ـ وردت بشأن قوم موسى و استضعاف فرعون لهم، فأراد اللّه أن يرفع بهم و يستذلّ فرعون و قومه.

لكن الآية في مفادها العام وعد بنصر المستضعفين في الأرض و رفعهم على المستكبرين، في أيّ عصر و في أيّ دور، سُنّة اللّه التي جرت في الخلق. لكن على شرائط يجب توفّرها كما توفّرت حينذاك على عهد موسى و فرعون، فإن عادت الشرائط و تهيّأت الظروف، فإن السنّة تجري كما جرت أول الأمر.

و بذلك جاء تأويل الآية بشأن مهديّ هذه الأُمّة، و استخلاص المستضعفين في الأرض على يده من نير المستكبرين.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ـ: «لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها، ثم تلا هذه الآية»[٢].

و في كتاب الغيبة قال أميرالمؤمنين عليه السلام ـ: «هم آل محمد ـ صلوات الله عليه ـ يبعث اللّه مهديّهم بعد جهدهم، فيعزّهم و يذلّ أعدائهم». و الروايات بهذا المعنى كثيرة جداً[٣].

فقد جاء ذكر موسى و قومه و فرعون و قومه، و المقصود ـ في باطن الآية ـ كل مستضعف في الأرض و مستكبر فيها.

قال الإمام السجاد: و الذي بعث محمداً بالحق بشيراً و نذيراً، إنّ الأبرار منا

---

١. القصص / ٥.

٢. يقال: شمس الفرس شموساً و شماساً، إذا استعصى على راكبه. و الضروس: الناقة السيئة الخلق تعضّ حالبها.

٣. راجع: تفسير الصافي، ج٢، ص٢٥٣.

أهل البيت، و شيعتهم بمنزلة موسى و شيعته، و إن عدوّنا و أشياعهم بمنزلة فرعون و أشياعه[١].

و عبثاً حاول بعضهم جعل ذلك تفسيراً مباشراً للآية، و أخذ فرعون و هامان لفظاً كنائياً بحتاً عن مطلق العتاة في الأرض[٢].

و نظير هذه الآية في شمولها العام، و تأويلها بشأن المهديّ المنتظر ـ عجل اللّه تعالى فرجه الشريف ـ قوله تعالى: **﴿وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ اٰمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمٰا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ اَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاٰ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾**[٣].

فإنّ مصداقها الحقيقي المنطبق على بسيط الأرض كلّه، إنّما يتحقّق بظهور المهديّ و إظلال الإسلام على كافّة وجه الأرض، عند ذلك تكون العبادة للّه في الأرض خالصة من الشرك، لا يشرك به أحد من خلقه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: نزلت في القائم و أصحابه[٤]، أي بشأنهم في تأويل الآية.

و هكذا قوله تعالى: **﴿وَ لَقَدْ كَتَبْنٰا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ اَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهٰا عِبٰادِيَ الصّٰالِحُونَ﴾**[٥].

قال الإمام الباقر عليه السلام: هم أصحاب المهدي في آخر الزمان.

---

١. تفسير الصافي، ج ٢، ص ٢٥٤.

٢. راجع في ذلك: محاولة القمّي في تفسيره، ج ٢، ص ١٣٣.

٣. النور/ ٥٥.

٤. الغيبة للنعماني، ص ٢٣٠ رقم ٣٥.

٥. الأنبياء/ ١٠٥.

و قد فصّل الكلام في ذلك الطبرسي في مجمع البيان، فراجع[1].

و قوله تعالى: **﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً ـ إلى قوله ـ مَتَاعاً لَكُمْ﴾**[2].

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: إلى علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه[3].

لا شكّ أن العلم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الجسد. فكما يجب على الإنسان أن يعرف أنّ الطعام الصالح و الغذاء النافع الكافل لسلامة الجسد و صحّة البدن، هو الذي يأتيه من جانب اللّه، و أنه تعالى هوالذي هيّأه له ترفيهاً لمعيشته، كذلك يجب عليه أن يعلم أن العلم النافع و الغذاء الصالح لتنمية روحه و تزكية نفسه هو الذي يأتيه من جانب اللّه، و على يد أوليائه المخلصين الذين هم أئمة الهدى و مصابيح الدجى، فلا يستطرق أبواب البعداء الأجانب عن مهابط وحي اللّه، و مجاري فيضه المستدام.

قال الحكيم الربّاني الفيض الكاشاني: لأن الطعام يشمل طعام البدن و طعام الروح جميعاً كما أنّ الإنسان يشمل البدن و الروح. فكما أنه مأمور بأن ينظر إلى غذائه الجسماني ليعلم أنه نزل من عند اللّه، فكذلك غذاؤه الروحاني الذي هو العلم، ليعلم أنه نزل من عنده تعالى بأن صبّ أمطار الوحي إلى أرض النبوّة و شجرة الرسالة، و ينبوع الحكمة، فأخرج منها حبوب الحقائق و فواكه المعارف، ليغتذي بها أرواح القابلين للتربية. فقوله عليه السلام: «علمه الذي يأخذه عمن يأخذه» أي ينبغي له أن يأخذ علمه من مهابط الوحي و منابع الحكمة، أهل بيت رسول

---

١. مجمع البيان، ج٧، ص٦٦ـ ٦٧.

٢. عبس / ٢٤ـ ٣٢.

٣. رجال الكشّي، ص١٠ ـ ١١ (ط نجف).

اللّه ﷺ الذين أخذوا علومَهم من مصدر الوحي الأمين، خالصةً صافيةً ضافيةً.

قال: و هذا تأويل الآية، الذي هو باطن الآية، مراداً إلى جنب ظاهرها حسبما عرفت[١].

الوضع عن لسان الأئمّة

من المؤسف جداً أن نجد كثرة الوضع في التفاسير المنسوبة إلى السلف الصالح، و لا سيّما أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ حيث وجد الكذّابون ـ من رفيع جاه آل الرسول ﷺ بين الأُمّة، و مواضع قبولهم من الخاصة و العامة ـ أرضاً خصبة استثمروها لترويج أباطيلهم و تنفيق بضائعهم المزجاة. فصاروا يضعون الحديث و يختلقون لها أسانيد، يرتفعون بها إلى السلف و الأئمّة المرضيّين؛ كي تُحظى بالقبول و التسليم.

و في أكثر هذه المفتريات ما يتنافى و قدسيّة الإسلام و تتعارض مع مبانيه الحكيمة، فضلاً عن منافرتها لدى الطبع السليم و العقل الرشيد.

ولحسن الحظّ، أن غالبية أسانيد هذه الروايات المفتعلة، أصبحت مقطوعة أو موهونة برجال ضعاف أو مشهورين بالوضع و الاختلاق.

و من ثم فإن الجوامع الحديثية التي حوت على أمثال هكذا تفاسير مأثورة نقلاً عن الأئمّة عليهم السلام لم تكد تصح منها إلاّ القليل النادر، على ما نُنبّه عليه.

* * *

ففي مثل تفسير أبي النضر محمد بن مسعود العياشي (تُوفّي سنة ٣٢٠) الذي كان من أجمع التفاسير المأثورة، قد أصبح مقطوع الإسناد، حذف أسانيده بعضُ

---

١. تفسير الصافي، ج ٢، ص ٧٨٩ بتصرف و تلخيص.

الناسخين لعذر غير وجيه، و بذلك أُسقط مثل هذا التفسير الثمين عن الحجّية والاعتبار. و الذي وصل إلينا من هذا التفسير هو قسم من أوّله، مع حذف الإسناد، و يا للأسف.

و هكذا تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي (تُوفّي حدود ٣٠٠) و قد أُسقطت أسانيده أيضاً. و مثلهما تفسير محمد بن العباس ماهيار المعروف بابن الحجّام (تُوفّي حدود ٣٣٠) لم يوجد منه سوى روايات مقطوعة الإسناد.

هذه تفاسير كانت بروايات مسندة إلى أئمة أهل البيت، و قد أصبحت مقطوعة الإسناد فاقدة الاعتبار، لا يجوز الاستناد إليها في معرفة آراء الأئمّة عليهم السلام في التفسير.

* * *

و أما مثل تفسير أبي الجارود، زياد بن المنذر الهمداني الخارفي الملقّب بُسرحوب[1] (تُوفّي سنة ١٥٠) الذي يرويه عن الإمام أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام فضعيف كما لا اعتبار به؛ لأنه من زعماء الزيديّة ـ المنحرفين عن طريقة الأئمّة، و إليه تُنسب الفرقة الجارودية أو السرحوبيّة. فقد ورد لعنه عن لسان الصادق عليه السلام، قال: لعنه اللّه، إنه أعمى القلب أعمى البصر. و قال فيه محمد ابن سنان: أبو الجارود لم يمت حتى شرب المُسكر و تولّى الكافرين[2].

وعن أبي بصير قال: ذكر أبو عبد اللّه الإمام الصادق عليه السلام ثلاثة نفر: كثير النوا، و سالم بن أبي حفصة، و أبا الجارود. فقال: كذّابون مُكذّبون كفّار، عليهم لعنة

---

١. سُرحوب: اسم ابن آوىٰ. و يقال: إنه شيطان أعمى يسكن البحر.

٢. فهرست ابن النديم، ص٢٦٧.

اللّه[١].

* * *

والتفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام فيه تفسير فاتحة الكتاب و آيات متقطّعة من سورة البقرة حتى الآية رقم (٢٨٢) إلى قوله تعالى: «و لا يأب الشهداء إذا ما دعوا». و هذا آخر الموجود من هذا التفسير. زعموا أنه من إملاء الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري، أملاه على أبي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، و أبي الحسن علي بن محمد بن سيّار، كانا من أهل استرآباد، و حضرا سامرآء في طلب العلم لدى الإمام عليه السلام. و الراوي عنهما أبو الحسن محمد ابن القاسم الخطيب، المعروف بالمفسّر الاسترآبادي.

غير أنّ النفرين الأوّلين مجهولان، و الراوي عنهما أيضاً مجهول، فهنا ثلاثة مجاهيل حفّوا بهذا التفسير المبتور[٢].

* * *

و هناك لأحمدَ بن محمد السياري (تُوفّي سنة ٢٦٨) تفسير متقطع مختصر اعتمد المأثور عن الأئمّة، غير أنه ضعيف الحديث، فاسد المذهب، مجفوّ الرواية، كثير المراسيل، حسبما وصفه أرباب التراجم. و كان القمّيون ـ المحتاطون في نقل الحديث ـ يحذفون من كتب الحديث ما كان برواية السيّاري[٣].

* * *

---

١. معجم رجال الحديث للإمام الخوئي، ج٧، ص٣٢٣.

٢. راجع: الذريعة للطهراني، ج٤، ص٢٨٥، و معجم رجال الحديث، ج١٢، ص١٤٧ و ج١٧، ص١٥٦ ـ ١٥٧.

٣. راجع: الذريعة، ج١٧، ص٥٢. و المعجم، ج٢، ص٢٨٢ ـ ٢٨٤.

وتفسير النعماني المنسوب إلى أبي عبد اللّه محمد بن إبراهيم النعماني من أعلام القرن الرابع (تُوفّي سنة ٣٦٠) تفسير مجهول، لم يعرف واضعه، و إنما نُسب إلى النعماني عفواً و لم يثبت. فقد عُزي هذا التفسير المشتمل على توجيه الآيات المتعارضة ـ فيما زعمه واضعه ـ إلى ثلاثه من شخصيات لامعة في تاريخ الإسلام، هم: السيد المرتضى علم الهدى، و سعد بن عبد اللّه الأشعري القمّي، و النعماني هذا. والجميع مكذوب عليهم، يتحاشاه قلم عَلَم من أعلام الدين القويم[1].

* * *

وأما التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمّي (تُوفّي سنة ٣٢٩) فهو من صنع أحد تلاميذه المجهولين، هو: أبو الفضل العباس بن محمد العلوي، أخذ شيئاً من التفسير بإملاء شيخه علي بن إبراهيم، و مزجه بتفسير أبي الجارود، الآنف، و أضافه إليه شيئاً ممّا رواه هو عن غير طريق شيخه بسائر الطرق، فهو تفسير مزيج ثلاثي الأسانيد. و لم يُعرف لحدّ الآن من هذا العباس العلويّ، واضع هذا التفسير.

كما أن الراوي عن أبي الفضل هذا أيضاً مجهول، فلم يصح الطريق إلى هذا التفسير. كما لم يعتمده أرباب الجوامع الحديثية، فلم يرووا عن الكتاب، و إنما كانت رواياتهم عن علي بن إبراهيم بإسنادهم إليه لا إلى كتابه، فهو تفسير مجهول الانتساب[2].

---

١. راجع ما كتبناه بشأن هذه الرسالة المجهولة الانتساب في كتابنا «صيانة القرآن من التحريف»، ص٢٢٢ ـ ٢٢٥.

٢. راجع: الذريعة، ج ٤، ص٣٠٢ ـ ٣٠٣. و الصيانة، ص٢٢٩ ـ ٢٣١.

و في القرن الحادي عشر قام مؤلّفان كبيران، هما: السيد هاشم بن سليمان البحراني المتوفًى سنة (١١٠٧ أو ١١٠٩). و عبد علي بن جمعة الحويزي المتوفًى (١٠٩١)، فجمعا المأثور من أحاديث أهل البيت الواردة في التفسير، من الكتب الآنفة، و ما جاء عرضاً في سائر الكتب الحديثيّة، أمثال الكافي و كتب الصدوق وكتب الشيخ، و نحوها.

فجاء ما جمعه السيد البحراني باسم «البرهان»، و الشيخ الحويزي باسم «نور الثقلين». و قد اشتملا على تفسير كثير من الآيات القرآنية، بصورة متقطّعة، و لكن حسب ترتيب السور، من كل سورة آيات، و من غير وفاء بتفسير كامل الآية، سوى الموضع الذي تعرض له الحديث المأثور.

* * *

غير أنّ غالبيّة هذه الروايات ممّا لا يوزن بالاعتبار؛ حيث ضعف إسنادها، أو إرسالها، أو مخالفة مضامينها مع أُصول العقيدة أو مباني الشريعة، فضلاً عن مخالفة العلم أو العقل الرشيد، الأمر الذي يوهن صدور مثلها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ إذ يجب تنزيه ساحتهم عن صدور مثل هذه الأخبار الضعاف.

و لنأخذ لذلك مثلاً التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمّي، فإنّه من أحسن التفاسير المعتمدة على النقل المأثور، سوى اشتماله على بعض المعايب ـ و من حسن الحظ إنها قليلة إلى جنب محاسنه الكثيرة ـ و من ثم فإنها معدودة في جنب محاسنه غير المعدودة «كفى المرء نبلاً أن تعدّ معايبه» و لنَشِر إلى بعضها كنماذج:

فقد جاء فيه، تفسيراً لقوله تعالى: ﴿الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها

زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثيراً وَ نِساءً﴾[١]: أنّ حوّاء برأها اللّه من أسفل أضلاع آدم ... تجد ذلك في مواضع من هذا التفسير[٢].

في حين أنّ المراد هنا: الجنس، أي من جنسه، كما في قوله تعالى: ﴿وَ اللّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً، وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَنِينَ وَ حَفَدَةً﴾[٣].

و قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آياتِهِ اَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً﴾[٤].

وقصة خلقة حواء من ضلع آدم، ذات منشأ إسرائيلي تسرّب في التفسير.

* * *

و هكذا قصة الملكين ببابل هاروت و ماروت، كفرا ـ و العياذ باللّه ـ و زنيا وعبدا للصنم، و مسخت المرأة نجمة في السماء[٥]، و غيرذلك ممّا ينافي عصمة الملائكة المنصوص عليها في القرآن الكريم[٦].

وقصّة الجنّ و النسناس، خلقوا قبل الإنسان، فكانوا موضع عبرة الملائكة[٧].

و كذا تسمية آدم و حوّاء وليدهما بعبد الحارث، فجعلا للّه شريكا[٨].

و قصّة: أنّ الأرض على الحوت، و الحوت على الماء، و الماء على الصخرة،

---

١. النساء/ ١.

٢. تفسير القمّي (ط نجف)، ج ١، ص ٤٥ و ص ١٣٠ و ج ٢، ص ١١٥.

٣. النحل/ ٧٢.

٤. الروم/ ٢١.

٥. تفسير القمّي، ج ١، ص ٥٦.

٦. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥١.

٧. المصدر، ج ١، ص ٣٦.

٨. المصدر، ص ٢٥١.

والصخرة على قرن ثور أملس، و الثور على الثرى ... ثم لا يعلم بعدها شيء[١].

كلها أساطير بائدة، جاءت في هذا التفسير عفواً، و من غيرما سبب معقول.

* * *

و جاء فيه ما ينافي عصمة الأنبياء كما ينافي مقام قداستهم بين الناس.

فتلك قصة داود و أوريا ـ على ما جاءت في الأساطير الإسرائيلية ـ جاءت في هذا التفسير مع الأسف[٢].

و هكذا قصة زينب بنت جحش على ما ذكرته القصص العامّية[٣].

وقصة شكّ زكريا و عقوبته بصوم ثلاثة أيام و غلق لسانه[٤].

وقصة حجر موسى[٥] و ابتلاء أيّوب و نتن جسده[٦]، و فوات سليمان صلاة العصر[٧]، و همّ يوسف بارتكاب الفاحشة[٨]، و أنه الذي نسي ذكر ربّه[٩]، و أن موسى دُفن بلا غسل و لا كفن[١٠]، و قوله للرّب: إن لم تغضب لي فلست لك

---

١. تفسير القمّي، ج ٢، ص٥٨ ـ ٥٩.

٢. المصدر، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٢.

٣. المصدر، ص١٧٢ ـ ١٧٣.

٤. تفسير القمّي، ج ١، ص ١٠١ ـ ١٠٢.

٥. المصدر، ج ٢، ص١٩٧.

٦. المصدر، ص٢٣٩ ـ ٢٤٠.

٧. المصدر، ج ٢، ص٢٣٤.

٨. المصدر، ج ١، ص٣٤٢.

٩. المصدر، ص٣٤٤ ـ ٣٤٥.

١٠. المصدر، ج ٢، ص١٤٦.

بنبيّ[١].

وما إلى ذلك من أساطير أُلصقت بأنبياء اللّه العظام، و حاش الأئمّة عليهم السلام أن يتكلموا بمثلها.

* * *

و جاء فيه ما ينافي العلم، فقد ورد بشأن الخسوف و الكسوف غرائب وعجائب:

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً**﴾[٢].

أن من الأوقات التي قدّرها اللّه، البحر الذي بين السماء و الأرض، و أن اللّه قدّر فيها مجاري الشمس و القمر و النجوم و الكواكب. ثم قدّر ذلك كلّه على الفلك، ثم وكّل بالفُلك مَلَكاً معه سبعون ألف ملك، يديرون الفُلك، فإذا دارت الشمس و القمر والنجوم و الكواكب معه، نزلت في منازلها.

و إذا كثرت ذنوب العباد و أراد الله أن يستعتبهم بآية، أمر الملَك الموكَّل بالفُلك أَن يزيل الفُلك الذي عليه مجرى الشمس و القمر و النجوم و الكواكب. فيأمر الملَك أولئك السبعين ألف ملَك أن يزيلوا الفُلك عن مجاريه. فيزيلونه فتصير الشمس في البحر فيطمس حرّها و يغيّر لونها، و كذلك يفعل بالقمر. فإذا أراد اللّه أن يخرجهما و يردّهما أمَرَ الملَك أن يردّ الفُلك إلى مجاريه، فتخرج الشمس من الماء و هي كدرة، والقمر مثل ذلك.

و جاء في مساحة الأرض و الشمس و القمر: أن الأرض مسيرة خمسمئة عام،

---

١. تفسير القمّي، ج ٢، ص ١٤٥.

٢. الإسراء/ ١٢.

مسيرة أربعمئة عام خراب، و مسيرة مائة عام عمران. و الشمس ستون فرسخاً في ستين، و القمر أربعون فرسخاً في أربعين.

و علّل أحرّية الشمس من القمر بما يلي:

أن اللّه خلق الشمس من نور النار و صفو الماء، طبقا من هذا و طبقا من هذا، حتى إذا صارت سبعة أطباق، ألبسها اللّه لباساً من نار، فمن هنالك صارت الشمس أحرّ من القمر.

قلت: فالقمر؟ قال: إن اللّه خلق القمر من ضوء النار و صفو الماء طبقا من هذا و طبقا من هذا، حتى إذا صارت سبعة أطباق، ألبسها اللّه لباساً من ماء، فمن هناك صار القمر أبرد من الشمس[١].

* * *

و جاء فيه من قصص أساطيرية ما ينافي العقل و العادة.

كقصة الرجل الذي عُقلت رجله بالهند أو من وراء الهند، و قد عاش ما عاشت الدنيا[٢].

و قصة ملك الروم و حضور الإمام الحسن و يزيد لديه، و محاكمته لهما في أسئلة غريبة، طرحها عليهما[٣].

و قصة عناق كانت لها عشرون أصبعاً في كل أَصبع ظفران كالمنجلين[٤].

و قصة إسرافيل كان يخطو كل سماء خطوة، و أنه حاجب الرب تعالى[٥].

---

١. راجع: تفسير القمّي، ج ٢، ص ١٤ ـ ١٧.

٢. المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٦ ـ ١٦٧.

٣. المصدر، ج ٢، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٢

٤. المصدر، ص ١٣٤.

٥. المصدر، ص ٢٨.

و كان الوزغ ينفخ في نار إبراهيم و الضفدع يُطفئها[١].

و أن يأجوج و مأجوج يأكلون الناس[٢].

* * *

كما فسّرت كلمات بأشياء أو بأشخاص لا مناسبة بينهما.

فقد فسّرت البعوضة بأمير المؤمنين عليه السلام[٣]. و كذا دابة الأرض به[٤]، و هكذا الساعة في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ أي بعلي عليه السلام[٥]. و الورقة بالسقط، والحبّة بالولد[٦]. و المشرقَين برسول اللّه و عليّ عليهما السلام. و المغربين بالحسن والحسين عليهما السلام، و كذا البحرين بعليّ و فاطمة عليهما السلام. و البرزخ برسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم[٧]، و كذا الثقلان في قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَاالثَّقَلانِ﴾ بالعترة و الكتاب[٨]. و فُسّر الفاحشة بالخروج بالسيف[٩].

* * *

---

١. تفسير القمّي، ج ٢، ص ٧٣.

٢. المصدر، ص ٧٦.

٣. المصدر، ج ١، ص ٣٥.

٤. المصدر، ج ٢، ص ١٣٠ ـ ١٣١.

٥. المصدر، ص ١١٢، الفرقان/ ١١.

٦. المصدر، ج ١، ص ٢٠٣.

٧. المصدر، ج ٢، ص ٣٤٤.

٨. المصدر، ج ٢، ص ٣٤٥، الرحمن/ ٣١.

٩. المصدر، ج ٢، ص ١٩٣.

نماذج مختارة من صحاح التفاسير المأثورة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام

و بعد، فإليكم نماذج من تفاسير مأثورة عن أهل البيت عليهم السلام، هي مناهج تعليمية لكيفية دراسة القرآن الكريم و طريقة استنباط معانيه الحكيمة. أخذنا الأهم منها مأخوذة من كتب ذوات اعتبار، و في أسانيد صحيحة لا غبار عليها.

فمنها: ما ورد في تفسير آية الوضوء، و آية التقصير في الصلاة، و آية خمس الغنائم، و قطع يد السارق، و تحريم الخمر، و جزاء قتل المؤمن، و الطلاق الثلاث، ومتعة النساء و الحج، و الرجعة قبل الحشر الأكبر، و مسألة البداء في التكوين.

و إليك: ـ

الأوّل ـ آية الوضوء

قوله تعالى: ﴿وَ امْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[1].

أ ـ مسح الرأس:

روى ثقة الإسلام أبو جعفر الكليني بإسناده عن طريق علي بن إبراهيم إلى زرارة، سأل أبا جعفر الباقر عليه السلام قال: ألا تُخبرني من أين علمت و قلت: إن المسح ببعض الرأس؟

فضحك الإمام عليه السلام ثم قال: يا زرارة، قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم و نزل به الكتاب. ثمّ فصّل الكلام فيه و قال: لأن اللّه عزّ و جلّ يقول: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ فعرفنا أن الوجه كلّه ينبغي أن يُغسل، ثم قال: ﴿وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾. ثم فَصَل بين الكلامين فقال: ﴿وَ امْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ فعرفنا حين قال: «برؤوسكم» أن المسح

---

١. المائدة/ ٦.

ببعض الرأس، لمكان الباء...[١]

يعني أنه غيّر الأُسلوب و زاد حرف الربط «الباء» بين الفعل و متعلقه، مع عدم حاجة إليه في ظاهر الكلام؛ حيث كلا الفعلين (الغسل و المسح) متعدّيان بأنفسهما، يقال: مسحه مسحاً، كما يقال: غسله غسلاً[٢]. فلا بدّ هناك من نكتة معنوية في هذه الزيادة غير اللازمة حسب الظاهر؛ إذ زيادة المباني تدل عل زيادة المعاني.

و قد أشار عليه السلام إلى هذا السرّ الخفيّ بإفادة معنى التبعيض في المحل الممسوح، استنباطاً من موضع الباء هنا. ذلك أنه لو قال: و امسحوا رؤوسكم، لاقْتَضى الاستيعاب، كما في غسل الوجه.

فقوله: ﴿وَ امْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ يستدعي التكليف بالمسح مرتبطا بالرأس، أي أن التكليف هو حصول ربط المسح بالرأس، الذي يتحقق بأوّل إمرار اليد المبتلّة بأوّل جزء من أجزاء الرأس؛ إذ حين وضع اليد على مقدّم الرأس ـ مثلا ـ و إمرارها، يحصل ربط المسح بالرأس، و عنده يسقط التكليف؛ لأنّ المكلّف به قد حصل بذلك. و لا تعدّد في الامتثال، كما قُرِّر في الأصول.

فكانت زيادة «الباء» هي التي دلّتنا على هذه الدقيقة في شريعة المسح، بعد ورود القول به من رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم. فيا له من استنباط رائع مستند إلى دقائق الكلام.

هذا، و غير خفي أن هذه الاستفادة الكلاميّة لا تعني استعمال الباء في معنى

---

١. الكافي الشريف، ج٣، ص٣٠ رقم ٤. و الآية من سورة المائدة.

٢. قال ابن مالك:

علامة الفعل المعدّى أن تصل   ها غير مصدر به نحو عمل.

التبعيض ـ كما وهمه البعض ـ بل إن بُنية الكلام و تركيبه الخاص (بزيادة ما لا لزوم فيه ظاهراً) هو الذي أفاد هذا المعنى، أي كفاية مسح بعض الرأس. فالتبعيض في الممسوح مستفاد من جملة الكلام لا من خصوص الباء؛ إذ ليس التبعيض من معاني الباء ألبتة، فلا موضع لما نازع بعضهم في كون الباء تفيد التبعيض.

قال الشيخ محمد عبده: و نازع بعضهم في كون الباء تفيد التبعيض، قيل: مطلقا، و قيل: استقلالاً. و إنما تُفيده مع معنى الإلصاق، و لا يظهر معنى كونها زائدة..

قال: و التحقيق أنّ معنى الباء: الإلصاق لا التبعيض أو الآلة، و إنّما العبرة بما يفهمه العربي من: مسح بكذا أو مسح كذا، فهو يفهم من: مسح رأسَ اليتيم أو على رأسه، و مسح بعنق الفرس أو ساقه أو بالركن أو الحجر، أنه أمرّ يده عليه. لا يتقيّد ذلك بمجموع الكف الماسح، و لا بكل أجزاء الرأس أو العنق أو الساق أو الركن أو الحجر الممسوح. فهذا ما يفهمه كلّ من له حظّ من هذه اللّغة، ممّا ذكر، و من قوله تعالى: **﴿فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَ الأَعْنَاقِ﴾**[1] ـ على القول الراجح المختار أنّ المسح باليد لا بالسيف ـ و من مثل قول الشاعر:

ولما قضينا من منى كل حاجة   و مسّح بالأركان من هو ماسح

وأخيراً ينتهي إلى القول بأنّ ظاهر الآية الكريمة أن مسح بعض الرأس يكفي في الامتثال، و هو ما يُسمّى مسحاً في اللّغة، و لا يتحقق إلاّ بحركة العضو الماسح ملصقاً بالممسوح، فلفظ الآية ليس من المجمل[2].

و هكذا استدل الإمام عليه السلام لعدم وجوب استيعاب الوجه و اليدين في

---

١. سورة ص/ ٣٣.

٢. تفسير المنار، ج٦، ص٢٢٦ ـ ٢٢٧.

مسحات التيمم بدخول «الباء»، في قوله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾[1]، إذ لم يقل: امسحوا وجوهكم و أيديكم، لئلا يفيد الاستيعاب فيهما.

* * *

و لم يحتمل محمد بن إدريس الشافعي في آية الوضوء «وامسحوا برؤوسكم» غير هذا المعنى، أي المسح لبعض الرأس. قال: «وكان معقولاً في الآية أنّ مَن مسح من رأسه شيئاً فقد مسح برأسه، و لم تحتمل الآية إلاّ هذا، و هو أظهر معانيها، أو مسح الرأس كلّه. قال: و دلّت السنّة على أنّ ليس على المرء مسح رأسه كله. و إذا دلّت السنّة على ذلك، فمعنى الآية: أنّ من مسح شيئاً من رأسه أجزأه»[2].

و زاد ـ في الأمّ ـ «إذا مسح الرجُلُ بأي رأسه شاء إن كان لا شعر عليه، و بأي شعر رأسه، بأصبع واحدة أو بعض أصبع أو بطن كفّه، أو أَمَرَ من يمسح به أجزأه ذلك. فكذلك إن مسح نزعتيه أو إحداهما أو بعضهما أجزأه؛ لأنه من رأسه»[3].

و قد بيّن وجه المعقولية في الآية بقوله: «لأنه معلوم أن هذه الأدوات موضوعة لإفادة المعاني، فمتى أمكننا استعمالها على فوائد مضّمة بها وجب استعمالها على ذلك، و إن كان قد يجوز و قوعها صلة للكلام و تكون ملغاةً. لكن متى أمكننا استعمالها على وجه الفائدة، لم يجز لنا إلغاؤها، و من أجل ذلك قلنا: إن الباء في «الآية» للتبعيض. و يدل على ذلك أنّك إذا قلت: مسحت يدي بالحائط كان معقولاً مسحها ببعضه دون جميعه، و لو قلت: مسحت الحائط كان المعقول مسحه جميعه دون بعضه. فقد وضح الفرق بين إدخال الباء و بين إسقاطها، في

---

١. المائدة / ٦.

٢. أحكام القرآن للشافعي... جمع و ترتيب أبي بكر البيهقي صاحب السنن، ج ١، ص ٤٤.

٣. الأمّ للشافعي، ج ١، ص ٤١.

العرف و اللغة. ثمّ أيّد ذلك بما رواه عن إبراهيم[١]، قال: إذا مسح ببعض الرأس أجزأه، قال: و لو كانت «امسحوا رؤوسكم» كان مسح الرأس كله. قال: فأخبر إبراهيم أن «الباء» للتبعيض، و قد كان عند أهل اللغة مقبول القول فيها[٢].

قال الرازي: حجّة الشافعي أنه لو قال: مسحت المنديل، فهذا لا يصدق إلاّ عند مسحه بالكلّية، أما لو قال: مسحت يدي بالمنديل، فهذا يكفي في صدقه مسح اليدين بجزء من أجزاء ذلك المنديل[٣].

و هذا الذي ذكره الشافعي، و إن كان يتوافق ـ في ظاهره ـ مع نظرة الإمام الصادقعليه‌السلام، و لعلّه ناظر إليه، لكنه يتخالف معه في مواضع:

أحدها: زعمه أن «الباء» استعملت ـ هنا ـ بمعنى التبعيض نظير «من» التبعيضيّة، في حين أنه لم تأت «الباء» في اللغة للتبعيض، و لا شاهد عليه ألبتة. وإستناده إلى كلام إبراهيم النخعي غير وجيه؛ لأنه لم يصرح بذلك، بل إنّ كلامه ككلام الإمام الصادق يهدف إلى أن موضع «الباء» هنا أفاد إجزاء مسح بعض الرأس ـ بالبيان الذي تقدم ـ و هذا يعني أنّ «الباء» ـ في موضعها الخاص هنا ـ تفيد التبعيض في مسح الرأس و هذا غير كونها مستعملة في معنى التبعيض، كما عرفت.

الثاني: أن التمثيل بالمنديل غير صحيح؛ لأن المنديل ممّا يمسح به و ليس ممسوحاً؛ إذ لا يقال ـ في العرف و اللغة ـ: مسحت المنديل، فقولنا: مسحت يدي

---

١. هو إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي الفقيه، كان مفتي أهل الكوفة، قال ابن حجر: كان رجلاً صالحاً فقيهاً متوقّياً قليل التكلف، مات سنة (٩٦) و هو مختف من الحجاج (تهذيب التهذيب، ج ١، ص ١٧٧).

٢. أحكام القرآن لأبي بكر الجصّاص، ج ٢، ص ٣٤١.

٣. التفسير الكبير، ج ١١، ص ١٦٠.

بالمنديل، يفيد كون اليد هي الممسوحة لا المنديل.

الثالث: أن الشافعي لم يشترط أن يكون المسح باليد، قال: فإذا رشّ الماء على جزء من رأسه أجزأه[1]. و لا ندري كيف يكون الرشّ مسحاً؟! و لعله أخذ بالملاك قياساً[2]، خروجاً عن مدلول لفظ الشرع.

* * *

والحنفيّة قالوا بكفاية مسح ربع الرأس من أيّ الأطراف، و يُشترط أن يكون بثلاث أصابع. أما المالكية و الحنابلة فقد أوجبوا مسح الرأس كله، و أغفلوا موضع «الباء»[3].

كما أن المذاهب الأربعة جميعاً أغفلوا جانب «الباء» في آية التيمّم، فأوجبوا مسح الوجه كله، و كذا مسح اليدين مع المرفقين[4].

يقول القرطبي ـ و هو مالكي المذهب ـ: و أما الرأس فهو عبارة عن الجملة التي منها الوجه، فلمّا عينّ اللّه الوجه للغسل بقي باقيه للمسح، و لو لم يذكر الغسل للزم مسح جميعه، ما عليه شعر من الرأس و ما فيه العينان و الأنف و الفم. قال: و قد أشار مالك في وجوب مسح الرأس إلى ما ذكرناه، فإنه سُئل عن الذي يترك بعض رأسه في الوضوء، فقال: أرأيت أن ترك غسل بعض وجهه أكان يجزئه؟ قال: و وَضَحَ بهذا الذي ذكرناه أنّ الأُذنين من الرأس، و أنّ حكمهما حكم الرأس.

---

١. راجع: الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري، ج ١، ص ٦٠ـ ٦١.

٢. زعماً بأن المطلوب هو بلّ بعض الرأس بالماء بأيّ سبب كان، حتى و إن لم يصدق عليه المسح! و هو من القياس المستنبط، و هو غير حجّة عندنا بعد إن كان خروجاً عن لفظ النصّ الوارد في الشريعة.

٣. راجع: الفقه على المذاهب، ج ١، ص ٥٦ و ٥٨ و ٦١.

٤. المصدر، ص ١٦١.

و أما «الباء» فجعلها مؤكّدة زائدة ليست لإفادة معنى في الكلام. قال: و المعنى: وامسحوا رؤوسكم[١].

ب ـ مسح الرجلين

من المسائل المستعصية التي أشغلت فراغاً كبيراً في التفسير و الأدب الرفيع، هي مسألة مسح الأرجل في الوضوء مستفاداً من كتاب اللّه تعالى.

فقد زعم بعضهم أنّ القراءة بالخفض تتوافق مع مذهب الشيعة الإماميّة في وجوب المسح، و القراءة بالنصب تتوافق مع سائر المذاهب. و لكل من الفريقين دلائل و شواهد من السنّة أو الأدب و لغة العرب، يجدها الطالب في مظانّها.

غير أن الوارد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآية الكريمة، هو التصريح بأن القرآن نزل بالمسح على الأرجل، و هكذا نزل به جبرائيل، و عمل به رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، و أمير المؤمنين و أولاده الأطهار، و هكذا خيار الصحابة و جلّ التابعين لهم بإحسان.

فقد روى الشيخ بإسناده الصحيح إلى سالم و غالب ابني هذيل، عن أبي جعفر عليه السلام سألاه عن المسح على الرجلين؟ فقال: هوالذي نزل به جبرئيل عليه السلام[٢].

يعني: أن الذي يبدو من ظاهر الكتاب هو وجوب مسح الرجلين، عطفاً على الرؤوس. و لايجوز كونه عطفا على الوجوه و الأيدي، لاستلزامه الفصل بالأجنبي، و هو لا يجوز في مثل القرآن. و هذا سواء قرئ بخفض الأرجل أم بنصبها.

أمّا على قراءة الخفض فظاهر، و قد قرأ بها ابن كثير و أبو عمرو و حمزة من السبعة، و شعبة أحد راويي عاصم. لكن مقتضاها المسح لبعض الأرجل، كما في

---

١. تفسير القرطبي، ج٦، ص٨٧.

٢. الاستبصار، ج١، ص٦٤ رقم ١/١٨٩.

الرأس.

أم قُرئ بالنصب عطفا على المحل؛ لأن محل «برؤوسكم» نصب مفعولاً به لامْسَحوا، و هو فعلٌ متعد يقتضي النصب. و قد أُقحمت «الباء» إقحاماً لحكمة إفادة التبعيض، حسبما عرفت.

و قد قرأ النصب أيضاً ثلاثة من السبعة: نافع و ابن عامر و الكسائي. و حفص الراوي الآخر لعاصم، و هي القراءة المسندة إلى أبي عبد الرحمان السُّلَمي عن أمير المؤمنين عليه السلام. و قد مضى شرحها في فصل القراءات من التمهيد[1].

غير أن القراءة بالنصب تستدعي الاستيعاب،[2] لتعلّق الفعل «امسحوا» بالممسوح بلا واسطة، و حيث حُدّدت الأرجل بالكعبين كالأيدي بالمرفقين، كان ظاهره إرادة استيعاب ما بين الحدّين (من رؤوس الأصابع إلى الكعبين)، الأمر الذي يؤكد صحّة قراءة النصب، و هي القراءة التي جرى عليها المسلمون، و هي المختارة حسب الضوابط التي قدّمناها. و على أيّ تقدير، سواء أقرئ بالخفض أم بالنصب، فهو عطف على الرؤوس، و ليس عطفاً على الأيدي، فلا موجب لإرادة الغسل في الأرجل.

و من ثَمَّ فظاهر الكتاب هو «المسح» كما نصّ عليه أئمة أهل البيت. و عن

---

١. التمهيد، ج ٢، ص ١٥٩ و ٢٣٢.

٢. أي الاستيعاب طولاً من رؤوس الأصابع إلى الكعبين. فقد روى الكليني بإسناده الصحيح إلى أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن المسح على القدمين كيف هو؟ فوضع كفّه على الأصابع فمسحها إلى الكعبين إلى ظاهر القدم، فقلت: لو أن رجلاً قال بأصبعين من أصابعه هكذا؟ قال: لا إلاّ بكفّه. (الكافي الشريف، ج ٣، ص ٣٠ رقم ٦).

أما ما ورد من الاجتزاء بثلاثة أصابع (أنّ المسح على بعضها ـ المصدر رقم ٤) فهو ناظر إلى جانب العرض.

مولانا أمير المؤمنينعليه السلام: ما نزل القرآن إلاّ بالمسح[١]. و عن ابن عباس: أنّ في كتاب اللّه المسح، و يأبى الناس إلاّ الغسل[٢].

و هذا استنكار على العامّة في مخالفتهم لظاهر القرآن؛ المتوافق مع قواعد الفنّ في الأدب و الأُصول.

قال الشيخ محمد عبده: و الظاهر أنه عطف على الرأس، أي وامسحوا بأرجلكم إلى الكعبين.

قال: اختلف المسلمون في غَسل الرجلين و مسحهما، فالجماهير على أن الواجب هو الغَسل، و الشيعة الإماميّة أنه المسح. و ذكر الرازي عن القفّال أن هذا قول ابن عباس و أنس بن مالك و عكرمة و الشعبي و أبي جعفر محمد بن علي الباقر، قال: و عمدة الجمهور في هذا الباب عمل الصدر الأول، و ما يؤيّده من الأحاديث القولية. و قد أسهب المقال و نَقل عن الطبري اختياره الجمع بين الأمرين، ثم أردفه بكلام الآلوسي و تحامله على الشيعة بما يوجد مثله في كتب أهل السنّة، في كلام يطول، و إن شئت فراجع[٣].

الثاني ـ آية قصر الصلاة

من الآيات التي وقعت موضع بحث و جدل من حيث دلالتها على المراد، هل المقصود بيان صلاة الخوف فقط أم يعم صلاة المسافر أيضاً، فما وجه دلالتها؟

ذهب المفسرون إلى تعميم دلالتها استناداً إلى فعل النبيّعليه السلام و الأئمّة و سائر المسلمين، منذ العهد الأول كانوا يقصرون من الصلاة استناداً إلى هذه الآية

---

١. راجع: الوسائل للحر العاملي، ج١، ص٢٩٥ رقم ١٠٩٥/٨.

٢. المصدر، رقم ٧.

٣. تفسير المنار، ج٦، ص٢٢٧ ـ ٢٣٥.

الكريمة، الواردة ـ بظاهرها ـ في صلاة الخوف فقط.

قال تعالى: **﴿وَ إِذٰا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاٰةِ، إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا. إِنَّ الْكٰافِرِينَ كٰانُوا لَكُمْ عَدوّاً مُبِيناً. وَ إِذٰا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاٰةَ فَلْتَقُمْ طٰائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ، فَإِذٰا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرٰائِكُمْ، وَ لْتَأْتِ طٰائِفَةٌ أُخْرىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ. وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وٰاحِدَةً...﴾**[1].

ظاهر العبارة،أنّ جملة الشرط «إن خفتم» قيد في الموضوع، يعني القصر في الصلاةـ عند الضرب في الأرض ـ مشروط بوجود الخوف، و من ثَمَّ جاء شرح صلاة الخوف في الآية التالية لها.

والفتنة ـ هناـ : الشدّة و المحنة و البلاء، أي خوف أن يفجعوكم بالقتل و النهب والأسر، كما في قوله تعالى: **﴿عَلىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾**، و قوله: **﴿وَاْحذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ﴾**، و **﴿وَ إِنْ كٰادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾**[2] أي يفجعوك ببلية و شدة و مصيبة.

قال الطبرسي: ظاهر الآية يقتضى أن القصر لا يجوز إلاّ عند الخوف. لكنّا قد علمنا جواز القصر عند الأمن ببيان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، و يحتمل أن يكون ذكر الخوف في الآية قد خرج مخرج الأعم الأغلب عليهم في أسفارهم، فإنهم كانوا يخافون الأعداء في عامتها، و مثلها في القرآن كثير[3].

---

١. النساء/ ١٠١ـ ١٠٢.

٢. يونس/ ٨٣، المائدة/ ٤٩، الإسراء/ ٧٣.

٣. مجمع البيان، ج٣، ص١٠١.

قال المحقق الفيض: قيل: كأنهم أَلِفُوا الإتمام و كان مظنّة لأن يخطر ببالهم أنّ عليهم نقصاناً في التقصير، فرفع عنهم الجناح؛ لتطيب نفوسهم بالقصر و يطمئنُّوا إليه[١].

* * *

و روى أبو جعفر الصدوق بإسناده الصحيح عن زرارة و محمد بن مسلم، إنهما قالا: قلنا للإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: ما تقول في الصلاة في السفر، كيف هي، و كم هي؟

فقال: إن اللّه عزّ و جلّ يقول: ﴿وَ إِذٰا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ اَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاٰةِ﴾[٢] فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التمام في الحضر.

قالا: قلنا: إنما قال اللّه ـ عزّ و جلّ ـ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنٰاحٌ﴾ و لم يقل: افعلوا، فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام في الحضر؟

فقال عليه السلام: أو ليس قد قال اللّه ـ عزّ و جلّ ـ: ﴿إِنَّ الصَّفٰا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعٰائِرِ اللّٰهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمٰا﴾[٣]، ألا ترون أن الطواف بهما واجب مفروض؛ لأن اللّه ـ عزّ و جلّ ـ ذكره في كتابه و صنعه نبيّه عليه السلام، و كذلك التقصير في السفر شيء صنعه رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم، و ذكره اللّه تعالى ذكرهُ في كتابه.

قالا: قلنا له: فمن صلّى في السفر أربعاً أيعيد أم لا؟

قال: إن كان قد قُرئت عليه آية التقصير و فسّرت له، فصلّى أربعاً أعاد و إن لم

---

١. تفسير الصافي، ج ١، ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩.

٢. النساء / ١٠١.

٣. البقرة / ١٥٨.

يكن قرئت عليه و لم يعلمها فلا إعادة عليه. و الصلاة كلها في السفر، الفريضة ركعتان، كل صلاة، إلاّ صلاة المغرب، فإنها ثلاث ليس فيها تقصير، تركها رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في السفر و الحضر ثلاث ركعات. و قد سافر رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذي خُشُب[1] ـ و هي مسيرة يوم من المدينة، يكون إليها بريدان: أربعة و عشرون ميلاً ـ فقصّر و أفطر؛ فصارت سُنّة، و قد سمّى رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قوماً صاموا حين أفطر العُصاة.

قال: فهم العصاة إلى يوم القيامة، و إنا لنعرف أبناءهم و أبناء أبنائهم إلى يومنا هذا[2].

* * *

و هذا الحديث ـ على طوله ـ مشتمل على فوائد جمّة:

أوّلاً: عدم منافاةٍ بين وجوب التقصير في السفر، و بين قوله تعالى في الآية الكريمة: «فليس عليكم جناح»، نظير نفي الجناح الوارد في السعي بين الصفا و المروة، فإنه واجبٌ بلا شك.

وإنّما جاء هذا التعبير لدفع توهّم الحظر؛ حيث شعر المسلمون بأنّ التكليف هو التمام، كما في سائر العبادات، لا تختلف سفراً و حضراً، سوى الصوم و الصلاة؛ فدفعاً لهذا الوهم نزلت الآية الكريمة.

ثانياً: إن الآية دلّت على مشروعيّة القصر في السفر، و قد فعله رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و فعله المسلمون، و كذلك الأئمّة بعده، و لم يُتمّ أحدٌ منهم الصلاة في

---

١. قال ياقوت الحموي: بضم أوله و ثانيه، وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة. معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٧٢.

٢. من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ رقم ١٢٦٦.

السفر. فمقتضى قواعد علم الأصول، عدم جواز الإتمام؛ لأن الصلاة عبادة، و هي توقيفيّة، و لم يُعلم مشروعية التمام في السفر، لا من الآيه و لا من فعل الرسول وصحابته الأخيار، فمقتضى القاعدة عدم الجواز.

لأن الشكّ دائر بين التعيين و التخيير، و الشكّ في التكليف في مقام الامتثال، يقتضي الأخذ بالاحتياط، الذي هو القصر في الصلاة؛ إذ يشكّ في مشروعية ما زاد على الركعتين، و لا تصح عبادةٌ مع الشكّ في مشروعيتها.

ثالثاً: إن الإمام عليه السلام لم يتعرض للخوف الذي جاء شرطاً في الآية، فكأنه عليه السلام فهم أنه موضوع آخر مستقل موضوع السفر، و ليس قيداً فيه. فالخوف بذاته سبب مجوّز للتقصير، كما أن السفر أيضاً سبب، و لا ربط لأحدهما بالآخر.

فالآية و إن كانت ظاهرة في القيد، و أنّ أحدهما قيد للآخر، لكن فعل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و أصحابه و سائر الأئمّة، دلّنا على هذا التفصيل، و أن كلاً منهما موضوع مستقل لجواز القصر. و هكذا فهم الإمام عليه السلام، و فهمه حجّة علينا بالإضافة إلى عمل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم.

الثالث ـ آية الخمس

قال تعالى: ﴿**وَ اعْلَمُوا أَنَّ مٰا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبىٰ**﴾[١].

نزلت هذه الآية بعد واقعة بدر؛ حيث لم يخمّس رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم غنائم بدر. قال عبادة بن الصامت: فاستقبل رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم بالمسلمين الخمس فيما كان من كل غنيمة بعد بدر[٢]، و هي عامّة تشمل كل الغنائم الحربية. عن ابن

---

١. الأنفال/ ٤١.

٢. الدر المنثور، ج٣، ص١٨٧. و الطبري، ج١٠، ص٣.

عباس، قال: كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم إذا بعث سريّة فغنموا، خمّس الغنمية[١].

ولكن جاء في تفسير أهل البيت: شمول الآية لكل ما يغنمه الإنسان في حياته من تجارة أو صناعة أو زراعة. فكل ما ربحه الإنسان في مكاسبه، ممّا هو فاضل مؤونته ـ مؤونة نفسه و عياله ـ طول السنة، ففيه الخمس[٢].

هكذا ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام حيث أخذوا من لفظ «الغنيمة» عمومها اللّغوي الشامل لكلّ ربح و فائدة؛ لأن «الغُنم» مطلق الفوز بالشيء،كما قاله الخليل في العين، فقوله: «ما غنمتم» كان الموصول عاماً يشمل كل ما فاز به الإنسان من غنيمة أو ربح أو فائدة.

قال الإمام أبو جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام :«فأما الغنائم و الفوائد، فهي واجبة عليهم في كل عام. قال اللّه تعالى: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبىٰ...﴾**. و الغنائم و الفوائد ـ يرحمك اللّه ـ فهي الغنيمة يغنمها المرء، و الفائدة يفيدها، و الجائزة من الإنسان للإنسان التي لها خطر، و الميراث الذي لا يحتسب...»[٣].

وعن الإمام أبي الحسن موسى عليه السلام سأله سماعة عن الخمس، فقال: في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير[٤].

قال الطبرسي: قال أصحابُنا: إن الخمس واجب في كل فائدة تحصل للإنسان من المكاسب و أرباح التجارات، و في الكنوز و المعادن و الغوص و غير ذلك.

---

١. الدر المنثور، ج٣، ص١٨٥.

٢. راجع: الوسائل، ج٦، ص٣٤٩.

٣. الوسائل، ج٦، ص٣٤٩ رقم ٥ / ١٢٥٨٦.

٤. المصدر نفسه، ص٣٥٠ رقم ٦.

قال: و يمكن أن يستدلّ على ذلك بهذه الآية، فإنّ في عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم «الغُنم» و «الغنيمة»[١].

* * *

و أمّا مستحق هذا الخمس، فهم آل الرسول و ذرّيّته الأطيبون، إن شاؤوا أخذوه و إن شاؤوا تركوه للمعوزين من فقراء المسلمين، أو في وجوه البرّ و في سبيل اللّه.

و قد سأل نجدة الحروري عبد اللّه بن عباس عن ذوي القربى الذين يستحقون الخمس، فقال: إنا كنّا نرى أنّا هم، فأبى ذلك علينا قومُنا، فقال: لمن تراه؟ فقال ابن عباس، هو لقربى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قسّمه لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضاً رأيناه دون حقّنا فرددناه عليه و أبينا أن نقبله. و كان عرض عليهم أن يعين ناكحهم، و أن يقضي عن غارمهم، و أن يُعطي فقيرهم، و أبَى أن يزيدهم على ذلك.

وأخرج ابن المنذر عن عبد الرحمان بن أبي ليلى، قال: سألت عليا عليه السلام عن الخمس، فقلت: يا أمير المؤمنين، أخبرني كيف كان صُنع أبي بكر و عمر في الخمس نصيبكم؟ فقال: أما أبو بكر فلم تكن في ولايته أخماس. و أما عمر، فلم يزل يدفعه إليّ في كل خمس.حتى كان خمس السوس و جِنديسابور، فقال ـ و أنا عنده ـ: هذا نصيبكم أهل البيت من الخمس، و قد أحلّ ببعض المسلمين واشتدّت حاجتهم. فقلت: نعم. فوثب العبّاس بن عبد المطلب، فقال: لا تعرض في الذي لنا... ثم قال: فو اللّه ما قبضناه و لا قدرت عليه في ولاية عثمان.

وعن زيد بن أرقم، قال: آل محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذين أُعطوا الخمس، آل علي و آل

---

١. مجمع البيان، ج ٤، ص ٥٤٤.

عباس و آل جعفر و آل عقيل[١].

و في الصحيح عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال: ذو القربى هم قرابة الرسول. و الخمس لله و للرسول و لنا. و في حديث الرضا عليه السلام :فما كان للّه فلرسوله، و ما كان لرسول اللّه فهو للإمام[٢].

والصحيح عندنا: أنّ الخمس كلّه للإمام ـ الذي هو وليّ أمر المسلمين ـ يضعه حيث يشاء، نعم عليه أن يعول منه فقراء بني هاشم من نصف الخمس، فإن احتاجوا زادهم من عند نفسه. و المسألة محرّرة في الفقه، على اختلاف في الأقوال.

الرابع ـ آية القطع

روى أبو النضر محمد بن مسعود العياشي، بإسناده إلى زرقان صاحب ابن أبي داود قاضي القضاة، قال: أُتي بسارق إلى محضر المعتصم، و قد أقرّ على نفسه بالسرقة، و سأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه. فجمع الخليفة لذلك الفقهاء، و قد أحضر محمد بن علي الجواد عليه السلام، فسألهم عن موضع القطع.

فقال ابن أبي داود: من الكرسوع (طرف الزند) و استدلّ بآية التيمّم، و وافقه قوم. و قال آخرون: من المرفق، نظراً إلى آية الوضوء.

فالتفت الخليفة إلى الإمام الجواد مستفهماً رأيه في ذلك، فاستعفاه الإمام. لكنه أصرّ على معرفة رأيه، و أقسم عليه باللّه أن يُخبره برأيه.

فقال الإمام: أما إذا أقسمت عليَّ باللّه، إني أقول: إنّهم أخطأوا فيه السُنّة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أُصول الأصابع، فيترك الكف.

---

١. الدر المنثور، ج٣، ص١٨٦.

٢. الوسائل، ج٦، ص٣٥٧.

قال الخليفة: و ما الحجّة في ذلك؟

قال الإمام: قول رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «السجود على سبعة أعضاء، الوجه واليدين و الركبتين و الرجلين» فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق، لم يبق له يدٌ يسجد عليها، و قد قال اللّه تعالى: **﴿وَ أَنَّ الْمَسٰاجِدَ لِلّٰهِ﴾**، يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها **﴿فَلاٰ تَدْعُوا مَعَ اللّٰهِ أَحَداً﴾**[1]، و ما كان لله لم يُقطع.

فأُعجب المعتصم ذلك، و أمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكّف[2].

انظر إلى هذه الالتفاتة الرقيقة التي تَنبَّه لها الإمام و لم يلتفت إليها سائر الفقهاء، ذلك أن اليد في آية القطع وقعت مجملة قد أُبهم المراد منها، فلا بدّ من تبيينها إما من السنّة أو الكتاب ذاته. و قد التفت الإمام عليه‌السلام لوجه التبيين إلى السنّة مدعمةً بنصّ الكتاب، فبيّن أنّ راحة الكف هي إحدى المواضع السبعة التي يجب على المصلّي أن يسجد عليها، و ذلك بنص الحديث الوارد عن الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، و هذا كبيان الصغرى. ثم أردفه ببيان الكبرى المستفادة من الآية الكريمة الشاملة بعمومها لكل مسجد، سواء الموضع الذي يسجد فيه، أو العضو الذي يسجد عليه، كل ذلك للّه. و ما كان للّه لا تشمله عقوبة الحد، لأن العقوبة إنما ترجع إلى ما للعبد المذنب، و لا تعود على ما كان للّه تعالى، و هو استنباط ظريف جدّاً.

* * *

و ممّا يُستغرب في المقام ما ذكره الجزيري تعليلاً بوجوب القطع من مفصل

---

١. الجنّ / ١٨.

٢. تفسير العياشي، ج ١، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ و راجع: الوسائل، ج ١٨ باب ٤ حد القطع، ص ٤٨٩ ـ ٤٩١. و الآية من سورة المائدة / ٣٨.

الكف، أي الزند، قال: لأن السرقة تقع بالكف مباشرة، و الساعد و العضد يحملان الكف، و العقاب إنما يقع على العضو المباشر للجريمة، و لذلك تقطع اليمنى أوّلاً؛ لان التناول يكون بها في غالب الأحيان[١].

قلت: هذا التعليل يقتضي وجوب القطع من مفصل الأصابع، كما عليه فقهاء الإمامية و به رواياتهم؛ لأن الأصابع هي التي تناوش المتاع المسروق، و الكف تحمل الأصابع.

و قد ذكر ابن حزم الأندلسي أن عليّاً عليه السلام كان يقطع الأصابع من اليد و نصف القدم من الرجل. و كان عمر يقطع كل ذلك من المفصل. و أمّا الخوارج فرأوا القطع من المرفق أو المنكب[٢].

الخامس ـ تحريم الخمر

لم ترد آية في المنع عن شرب الخمر، بلفظ التحريم صريحاً، و إنما هو أمر بالاجتناب عنه أو ممّا ينبغي الانتهاء منه، ممّا هو ظاهر في الإرشاد إلى حكم العقل محضاً، الأمر الذي قد يوهم أنها غير محرّمة في شريعة الإسلام!

ومن ثَمَّ سأل المهديُّ العباسيُّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن ذلك، قال: هل هي محرّمة في كتاب اللّه عزّ و جلّ؟ فإن الناس إنما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم لها؟

فقال له الإمام: بل هي محرّمة في كتاب اللّه، يا أمير المؤمنين.

قال: في أيّ موضع هي محرّمة في كتاب اللّه، يا أبا الحسن؟

فقال: في قول اللّه عزّ و جلّ: **﴿قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما**

---

١. الفقه على المذاهب، ج ٥، ص ١٥٩.

٢. المحلّى، ج ١١، ص ٣٥٧ رقم ٢٢٨٤.

بَطَنَ وَ الْاِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ..﴾[١].

قال عليه السلام : أمّا «ما ظهر» فهو الزّنَى المُعلَن، و نصب الرايات التي كانت ترفعها الفواجر للفواحش في الجاهلية، و أمّا «ما بطن» فيعني ما نكح من الآباء، كان الناس قبل البعثة إذا كان للرجل زوجة و مات عنها، تزوّجها ابنُه من بعده إذا لم تكن أمّه.

قال: و أما «الإثم» فإنّها الخمرة بعينها. و قد قال تعالى في موضع آخر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ، وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا...﴾[٢].

فالتفت المهديّ إلى علي بن يقطين ـ و كان حاضر المجلس و من وزرائه ـ و قال: يا عليّ، هذه و اللّه فتوىً هاشميّة! فقال ابن يقطين: صدقت و اللّه يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذي لم يُخرج هذا العلم منكم أهل البيت، فما صبر المهديّ أن قال: صدقت يا رافضي، و كان يعرف منه الولاء لآل البيت[٣].

وبهذه المقارنة الدقيقة بين آيتين قرآنيتين يُعرف التحريم صريحاً في كتاب اللّه، الأمر الذي أعجب المهديّ العباسي، و استعظم هذا التنبّه الرقيق و الذكاء المرهف الذي حظي به البيت الهاشمي الرفيع.

وهكذا روي عن الحسن تفسير «الإثم» في الآية «بالخمر»[٤].

قال العلامة المجلسي: المراد بالإثم ما يوجبه، و حاصل الاستدلال أنه تعالى حكم في تلك الآية بكون ما يوجب الإثم محرماً، و حكم في الآية الأخرى بكون

---

١. الأعراف/ ٣٣.

٢. البقرة/ ٢١٩.

٣. الكافي الشريف، ج٦، ص٤٠٦.

٤. مجمع البيان للطبرسي، ج٤، ص٤١٤.

الخمر و الميسر ممّا يوجب الإثم، فثبت بمقتضاهما تحريمهما[١].

* * *

والكناية بالإثم عن الخمر؛ لأنّها أُمّ الخبائث و رأس كل إثم[٢]، كان قد شاع ذلك الوقتَ و قبلَه، و تعارف استعماله. أنشد الأخفش:

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول

وقال آخر:

نهانا رسول اللّه أن نقرب الخنا و أن نشرب الإثم الذي يوجب الوزرا[٣]

و أيضاً قال قائلهم في مجلس أبي العباس:

نَشرب الإثم بالصُّواع جِهاراً و تَرى المِسْكَ بيننا مُسْتَعاراً[٤]

و قد صرّح الجوهري بوروده في اللغة، قال: و قد تُسمّى الخمر إثماً، ثُمّ أنشد البيت الأول. كذلك عدّها الفيروزآبادي أحد معانيه.

* * *

و أما إنكار جماعة أن يكون الإثم اسماً للخمر، فهو إنما يعني الإطلاق الحقيقي دون المجاز و الاستعارة، فكل معصية إثم، غير أن الخمر لشدة تأثيمها

---

١. مرآة العقول بشرح الكافي، ج ٢٢، ص ٢٦٤.

٢. أخرج الكليني بإسناده إلى أبي عبد اللّه، قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم «أن الخمر رأس كل إثم» (الكافي الشريف، ج ٦، ص ٤٠٣).

٣. مجمع البيان، ج ٤، ص ٤١٤.

و الخنا: الفحش من الكلام، و استعير لكل أمر قبيح. و قد كنّى بالإثم عن الخمر فإنّها؛ إذ لو كان بمعنى الوزر لم يكن يوجب الوزر، و لم يصح تعلّق الشرب به.

٤. ذكره ابن سيده. (ابن منظور ـ لسان العرب).

و الصواع: إناء يشرب فيه. و مستعار: متداول، أي نتعاوره بأيدينا نشتّمه.

سُمّيت إثماً؛ لأنها رأس المآثم و أصلها و أساسها، كما نبّهنا. و إلى هذا يرجع كلام ابن سيده، قال: وعندي أنه إنما سمّاها إثماً؛ لأن شربها إثم، فهو من الإطلاق الشائع الدائر على الألسن، وضعاً ثانوياً عرفياً بكثرة الاستعمال. نعم ليس من الوضع اللغوي الأصل.

و إلى هذا المعنى أيضاً يرجع إنكار ابن الأنباري أبي بكر النحوي أن يكون الإثم من أسماء الخمر[١]، لا إنكار استعماله فيها مجازاً شائعاً. قال الزبيدي: و قد أنكر ابن الأنباري تسمية الخمر إثماً، و جعله من المجاز، و أطال في ردّ كونه حقيقة[٢]. قلت: وهو كذلك بالنظر إلى أصل اللغة.

وأنكره ابن العربي رأساً قال: «لا حجة فيما أنشده الأخفش؛ لأنه لو قال: شربت الذنب أو شربت الوزر لكان كذلك، و لم يوجب أن يكون الذنب أو الوزر اسماً من أسماء الخمر، كذلك الإثم. قال: و الذي أوجب التكلم بمثل هذا الجهلُ باللغة، و بطريق الأدلّة في المعاني».

لكن الفارق أن العرب استعملت «الإثم» في الخمر و تعارف استعماله في عرفهم، حتى خُصّ به على أثر الشياع. أما «الذنب» و «الوزر» فلم يتعارف استعمالهما في ذلك، و لو تعارف لكان كذلك.

قال القرطبي ـ في ردّه ـ: أنّه مرويّ عن الحسن، و ذكره الجوهري مستشهداً بما أنشده الأخفش، و هكذا أنشده الهروي في غريبَيه، على أن الخمر: الإثم.. قال: فلا يبعد أن يكون «الإثم» يقع على جميع المعاصي و على الخمر أيضاً لغةً، فلا

---

١. لسان العرب لابن منظور، ج ١٢، ص ٧.

٢. تاج العروس بشرح القاموس، ج ٨، ص ١٧٩.

تناقض[١].

السادس ـ قتل المؤمن متعمّداً

قال تعالى: **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزٰاؤُهُ جَهَنَّمُ خٰالِداً فِيهٰا وَ غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذٰاباً عَظِيماً﴾**[٢].

هذه الآية دلّت على أن قاتل المؤمن مخلّد في النار، و لا يخلّد في النار إلاّ الكافر الذي يموت على كفره؛ لأن الإيمان مهما كان فإنه يستوجب المثوبة، و لا بدّ أن تكون في نهاية المطاف، على ما أسلفنا[٣].

كما أنها صرّحت بأن اللّه قد غضب عليه و لعنه، و لا يلعن اللّه المؤمن إطلاقاً، كما في الحديث عن الإمام أبي جعفر عليه السلام[٤].

ومن ثَمَّ وقعت أسئلة كثيرة من أصحاب الأئمّة بشأن الآية الكريمة:

روى الكليني بإسناده إلى سماعة بن مهران، سأل أبا عبد اللّه عليه السلام عن الآية، فقال: «من قتل مؤمنا على دينه فذلك المتعمّد الذي قال اللّه عزّ و جلّ: و أعدّ له عذاباً عظيماً». قال: فالرجل يقع بينه و بين الرجل شيء فيضربه بسيفه فيقتله؟ قال: «ليس ذلك المتعمّد الذي قال اللّه عزّ و جلّ...».

و هكذا أسئلة أُخرى من عبد اللّه بن بكير و عبد اللّه بن سنان، و غيرهما بهذا

---

١. تفسير القرطبي، ج٧، ص٢٠١.

٢. النساء/ ٩٣.

٣. في الجزء الثالث من التمهيد، ص٤٠٨ـ٤٠٩ و الجزء الثاني، بحث المنسوخات رقم ٢١/٥٢، ص٣٣٩.

٤. في حديث طويل رواه الكليني في الكافي الشريف، ج٢، ص٣١. و الوسائل، ج١٩، ص١٠ رقم ٢.

الشأن[١].

فقد بيّن الإمامعليه السلام أن من يقتل مؤمناً لإيمانه، إنما عمد إلى محاربة اللّه ورسوله وابتغاء الفساد في الأرض، و ليس عمله لغرض شخصيّ يرتبط بذاته، إنما هو إرادة محق الإيمان من على وجه الأرض. و لا شكّ أنه كافر محارب لله ورسوله، و مخلّد في النار ـ إن مات على عقيدة الكفر ـ و غضب اللّه عليه، و لعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً.

وهكذا سار مفسرو الشيعة على هدى الأئمة في تفسير الآية[٢].

أمّا سائر المفسرين ففسّروه بقتل العمد الموجب للدية[٣]، و لم يبيّنوا وجه الخلود في النار، و الغضب و اللعنة من اللّه.

السابع ـ الطلاق الثلاث

ممّا وقع الخلاف بين الفقهاء قديماً و لا يزال هي مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد، فقد ذهب فقهاء الإمامية إلى أنها طلاق واحد لعدم فصل الرجوع بينهنّ. أمّا باقي الفقهاء فأقرّوها ثلاثاً و كانت بائنة.

و قد عدّ أئمة أهل البيتعليهم السلام ذلك مخالفاً للكتاب و السنّة، قال تعالى:

---

١. الكافي الشريف، ج٧، ص٢٧٥ ـ ٢٧٦. و راجع: تفسير العياشي، ج١، ص٢٦٧ رقم ٢٣٦.

٢. راجع: التبيان للطوسي، ج٣، ص٢٩٥. و مجمع البيان للطبرسي، ج٣، ص٩٣. و الصافي للكاشاني، ج ١، ص٣٨٢. و الميزان للطباطبائي، ج٥، ص٤٢. و كنز الدقائق للمشهدي، ج٢، ص٥٧٦. و العياشي ج ١، ص٢٦٧.

٣. راجع: الرازي، ج ١٠، ص٢٣٧. و القرطبي، ج٥، ص٣٢٩. و ابن كثير، ج ١، ص٥٣٦. والمنار، ج٥، ص ٣٣٩.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[١]، و قال: ﴿اَلطَّلاقُ مَرَّتانِ فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ - إلى قوله - فَإِنْ طَلَّقَها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾[٢].

فقد روى عبد اللّه بن جعفر بإسناده إلى صفوان الجمّال عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام أن رجلاً قال له : إنّي طلّقت امرأتي ثلاثاً في مجلس؟ قال: ليس بشيء، ثم قال: أما تقرأ كتاب اللّه: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ كُلُّما خالف كتاب اللّه و السنّة فهو يردّ إلى كتاب اللّه و السنّة[٣].

و بإسناده إلى إسماعيل بن عبد الخالق، قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: طلّق عبد اللّه بن عمر إمرأته ثلاثاً، فجعلها رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم واحدة، و ردّه إلى الكتاب والسنّة[٤].

* * *

قال الشيخ: معنى قوله تعالى: ﴿فطلّقوهنّ لعدّتهنّ﴾ أن يطلّقها و هي طاهر من غير جماع، و يُستوفَى باقي الشروط[٥]، أي يكون الطلاق في حالةٍ تمكّنها أن تعتدّ عدّتها..

فمعنى «لعدّتهنّ»: لِقِبَلِ عدّتهن، و هكذا قرئ أيضاً. قال الشيخ: و لاخلاف أنه أراد ذلك - أي تفسيراً و توضيحاً للآية - و إن لم تصح القراءة به[٦].

و في سنن البيهقي عن ابن عمر: قرأ النبيّ - ص - «في قبل عدتهن»، و في

---

١. الطلاق/ ١.

٢. البقرة/ ٢٢٩- ٢٣٠.

٣. قرب الإسناد للحميري، ص ٣٠. الوسائل، ج ١٥، ص ٣١٧ رقم ٢٥.

٤. قرب الإسناد، ص ٦٠. و الوسائل رقم ٢٦.

٥. تفسير التبيان، ج ١٠، ص ٢٩ - ٣٠.

٦. كتاب الخلاف، ج ٢، ص ٢٢٤ كتاب الطلاق.

رواية: «لقبل عدتهنّ»[١].

و في شواذّ ابن خالويه : ﴿فطلّقوهن في قُبُل عدتهنّ﴾ عن النبيّ و ابن عباس ومجاهد[٢].

قال الطبرسي: إنه تفسير للقراءة المشهورة: «فطلقوهن لعدتهنّ» أي عند عدتهنّ، و مثله قوله: «لا يجلّيها لوقتها» أي عند وقتها[٣].

فقال الزمخشري: فطلقوهن مستقبلات لعدتهنّ، كقولك: أتيته ليلة بقيت من الشهر، أي مستقبلاً لها. و في قراءة رسول اللّه ﷺ : «في قبل عدتهنّ»[٤].

قال الرازي: اللام ـ هنا ـ بمنزلة «في»، نظير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذي اَخْرَجَ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾[٥]. و الآية بهذا المعنى؛ لأن المعنى فطلقوهن في عدتهنّ، أي في الزمان الذي يصلح لعدتهنّ[٦].

قال الزمخشري: اللام في «لأول الحشر» هي اللام في قوله تعالى: ﴿يا لَيْتَنى قَدَّمْتُ لِحَياتي﴾[٧]، و قولك: جئته لوقت كذا. و المعنى: أخرج الذين كفروا عند أول الحشر. و معنى «أوّل الحشر»: أن هذا أول حشرهم إلى الشام، و كانوا من سبط لم يصبهم جلاء قطّ، و هم أوّل من أُخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب

---

١. السنن الكبرى، ج٧، ص٣٢٧.
٢. الشواذ لابن خالويه، ص١٥٨.
٣. مجمع البيان، ج١٠، ص٣٠٢ـ٣٠٣
٤. الكشاف، ج٤، ص٥٥٢.
٥. الحشر / ٢.
٦. التفسير الكبير، ج٣٠، ص٣٠.
٧. الفجر / ٢٤.

إلى الشام، أو هذا أول حشرهم[١].

قال ابن المنير ـ في الهامش ـ: كأنّه يريد أنها اللام التي تصحب التاريخ، كقولك: كتبت لعام كذا و شهر كذا.

إذن فمعنى الآية الكريمة: فطلقوهنّ لمبدأ عدّتهنّ، أي في زمان يمكن بدء العدّة منه.

* * *

والطلاق ينقسم ـ في الشريعة ـ إلى طلاق سُنّةٍ و طلاق بدعةٍ. و الأوّل ما كان مجتمعاً للشرائط، ففي المدخول بها: أن تكون في طهر غير مواقع فيه، فتُطلّق تطليقةً ثم تُترَك حتى تنقضي عدّتها، ثم يُعقد عليها و تُطلّق ثانية على نفس الشرائط، و هكذا في الثالثة. و هذا من أحسن طلاق السُنّة.

ويجوز أن يراجعها زوجها في عدّتها و يطأها ثم يطلّقها، أو يطلّقها بعد الرجوع من غير وطء. و هذا من الطلاق العِدّي، كل هذا من الطلاق السُّنّي الجائز بالاتفاق. و يقابله الطلاق البِدعي، و هو الطلاق غير المستجمع للشرائط.

قال الشيخ: الطلاق المحرّم (البدعي) هو أن يطلّق مدخولاً بها، غير غائب عنها غيبة مخصوصة، في حال الحيض، أو في طهر جامعها فيه، فإنه لا يقع عندنا (الإماميّة) و العقد ثابت بحاله. و قال جميع الفقهاء: إنه يقع و إن كان محظوراً، ذهب إليه أبو حنيفة و أصحابه، و مالك، و الأوزاعي، و الثوري، و الشافعي.

وقال ـ أيضاً ـ: إذا طلّقها ثلاثاً بلفظ واحد كان مبدعاً، وقعت واحدة عند تكامل الشروط عند أكثر أصحابنا، و فيهم من قال: لا يقع شيء أصلاً. و قال الشافعي: المستحب أن يطلّقها طلقةً، فإن طلّقها ثنتين أو ثلاثاً في طهر لم يجامعها

---

١. الكشاف، ج ٤، ص ٤٩٩.

فيه، دفعةً أو متفرّقة، كان ذلك مباحاً غير محظور، و وقع، و به قال أحمد وإسحاق و أبو ثور.

و قال قوم: إذا طلّقها في طهر واحد ثنتين أو ثلاثاً، دفعةً واحدة أو متفرّقة، فعل محرّماً و عصى و أثم. و في الفقهاء من قال بالحرمة إلاّ أنه يقع، و هم أبو حنيفة و أصحابه و مالك[١].

والخلاصة أن الشافعي و أحمد لا يريان ذلك طلاق بدعة، فيجيزان الطلاق الثلاث بلفظ واحد و إن كان الثاني و الثالث لغير عدّة، فإنّه جائز و نافذ أيضاً.

أمّا أبو حنيفة و مالك فيريانه بدعة و إثماً، لكنه يقع نافذاً[٢].

وعلى أيّ تقدير، فالمذاهب الأربعة متّفقة على وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد. قال الجزيري: فإذا طلّق الرجل زوجته ثلاثاً دفعةً واحدة، بأن قال لها: أنتِ طالق ثلاثاً، لزمه ما نطق به من العدد، في المذاهب الأربعة، و هو رأي الجمهور[٣].

* * *

و هذا من جملة الموارد التي خالف الفقهاءُ صريحَ الكتاب، لزعم أنه وردت السُنّة به، إمّا تأويلاً لنص الآية أو نسخاً لها فيما زعموا. حاشا فقهاء الإمامية، لم يخالفوا الكتاب في شيء، كما هم عملوا بالسُنّة الصحيحة الواردة عن طرق أهل

---

١. راجع: الخلاف، ج ٢، ص ٢٢٤ م ٢. و ص ٢٢٦ م ٣.

٢. راجع: صحيح النسائي، ج ٦، ص ١١٦ الهامش.

٣. الفقه على المذاهب الأربعة، ج ٤، ص ٣٤١.

لكن في كتاب مسائل الإمام أحمد بن حنبل الذي جمعه أبو داود السجستاني صاحب السنن (ص ١٦٩): أن أبا داود قال: سمعت أحمد، سئل عن الرجل يطلّق امرأته ثلاثاً بكلمة واحدة، فلم ير ذلك، لكنه في موضع آخر (ص ١٧٣) في البكر تطلّق ثلاثاً، قال: هي ثلاث لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره.

البيت عليهم السلام.

و قد أصرّ أئمة أهل البيت على أن مثل هذا الطلاق (ثلاثاً بلفظ واحد) مخالف لصريح الكتاب، و ما كان مخالفاً للكتاب فهو باطل يجب ضربه عرض الجدار.

إذ قوله تعالى: ﴿فطلقوهنّ لعدّتهنّ﴾ يشمل الطلاق الثاني و الطلاق الثالث، لم يقعا للعدّة؛ حيث كانت العدة عدةً للطلقة الأُولى فحسب.

قال الإمام الصادق عليه السلام لابن أشيم: «إذا طلّق الرجل امرأتـه عـلى غـير طـهر و لغير عدة كما قال اللّه عزّ و جلّ، ثلاثاً أو واحدةً، فليس طلاقه بطلاق. و إذا طلّق الرجل امرأته ثلاثاً و هي على طهر من غير جماع بشاهدين عدلين فقد وقـعت واحدة و بطلت الثنتان. و إذا طلّق الرجل امرأته ثلاثاً على العدّة كما أمر اللّه عزّ و جلّ فقد بانت منه و لا تحلّ له حتى تنكح زوجاً غيره»[١].

إذن فالطلقة الثانية وكذا الثالثة، لم تقع للعدّة حسبما ذكره اللّه تعالى في كتابه، و من ثمّ وقع الطلاق الثلاث بلفظ واحد، موضع إنكار رسـول اللّـه صلى الله عليه وآله وسلم فـي الجرأة، على مخالفة صريح الكتاب:

أخرج النسائي من طريق مَخْرمَة عن أبيه بكـير بـن الأشـجّ، قـال: سـمعت محمود بن لبيد قال: أُخبِرَ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم عن رجل طلّق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً، فقام غضبان، ثم قال: أيُلعَب بكتاب اللّه و أنا بين أظهركم! حتى قام رَجلٌ و قال: يا رسول اللّه، ألا أَقتلُه؟[٢]

و ذكر الشارح المراد به قوله تعالى: ﴿اَلطَّلاٰقُ مَرَّتٰانِ ـإلى قوله ـ وَ لاٰ تَتَّخِذُوا

---

١. وسائل الشيعة للحر العاملي، ج١٥، ص٣١٩ رقم ٢٨.
٢. سنن النسائي، ج٦، ص١١٦و راجع: ابن جزم، المحلّى، ج١٠، ص١٦٧.

آياتِ اللهِ هُزُواً﴾[١]، فإن معناه: التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع، والإرسال مرةً واحدةً. و لم يُرد بالمرتين التثنية، و مثله قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾[٢] أي كرّةً بعد كرّةَ، لا كرّتين اثنتين. و معنى قوله: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾[٣] تخيير لهم ـ بعد أن علّمهم كيف يُطلّقون ـ بين أن يُمسكوا النساء بحسن العشرة ـ وهو الرجوع إليها ـ و بين أن يُسرّحوهنّ السراح الجميل الذي علّمهم. و الحكمة في التفريق ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلك أَمْراً﴾ أي قد يقلب الله تعالى قلب الزوج بعد الطلاق، من بُغضها إلى محبّتها[٤].

وهكذا روى أصحاب السنن: أن ركانة طلّق امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، فحزن عليها و ندم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ذكر ندمه و حزنه الشديد على ذلك، فسأله رسول الله: كيف طلّقتها ثلاثاً؟ قال: في مجلس واحد! فقال رسول الله: إنما تلك واحدة فارجعها إن شئت، فراجعها.

و في حديث ابن عباس: أن عبد يزيد طلّق زوجته و تزوّج بأُخرى، فأتت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فشكت إليه. فقال النبيّ لعبد يزيد: راجعها، فقال: إني طلقتها ثلاثاً يا رسول الله. قال: قد علمتُ، راجعها، و تلا: ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ إذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[٥].

قال أبو داود: أنّ ركانة طلّق إمرأته ألبتّة (أي الثلاث البائن) فجعلها

---

١. البقرة/ ٢٢٩ ـ ٢٣١.

٢. الملك/ ٤.

٣. البقرة / ٢٢٩.

٤. هامش النسائي، ج٦، ص١١٦، الطّلاق / ١.

٥. سنن البيهقي، ج٧، ص٣٣٩.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واحدة.

و معنى ذلك: أنّ الثلاث بلفظ واحد ـ من غير مراجعةٍ بينهن ـ تكون الواحدة منهن للعدّة، دون مجموع الثلاث.

فتلاوة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للآية تلميح إلى عدم وقوع الثلاث جميعاً للعدّة سوى واحدة، و من ثم كانت رجعية و ليست بائنة.

* * *

و من غريب الأمر أن جمهور الفقهاء، مع علمهم بأن الثلاث بلفظ واحد مخالف للكتاب و السنّة. أمّا الكتاب فلما عرفت، و أمّا السنّة فلما رواه مسلم في الصحيح بإسناده إلى ابن عباس، قال: كان الطلاق على عهد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم و أبي بكر و سنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم: فأمضاه عليهم[1].

نرى الفقهاء مع علمهم بذلك، فإنهم تبعوا سُنّة عمر، و تركوا صريح الكتاب و سُنّة الرسول و الصحابة المرضيّين.

يقول الجزيري: إنّ الأئمّة سلموا جميعاً بأن الحال في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان كذلك، و لم يطعن أحد منهم في حديث مسلم. و كل ما احتجّوا به: أنّ عمل عمر و موافقة الأكثرين له مبنيّ على أن الحكم كان مؤقّتاً، فنسخه عمر بحديث لم يذكره لنا، والدليل على ذلك الإجماع. قال: و لكن الواقع أنه لم يوجد إجماع، فقد خالفهم كثيرمن المسلمين. و ممّا لا شكّ فيه أنّ ابن عباس من المجتهدين المعوّل عليهم في الدّين، فتقليده جائز، و لايجب تقليد عمر فيما رآه... قال: و لعلّه كان

---

١. صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٣.

تحذيراً للناس من إيقاع الطلاق على وجه مغاير للسُنّة، فإن السُنّة أن تُطلّق المرأة في أوقات مختلفة، فإذا تجرّأ أحد على تطليقها دفعةً واحدةً فقد خالف السُنّة، و جزاؤُه أن يعامل بقوله زجراً له[١].

* * *

وناقَش ابن حزم الأندلسي فيما أخرجه النسائي عن طريق مخرمة، عن أبيه بكير بن عبد اللّه بن الأشجّ، أنه سمع محمود بن لبيد... الخ بأن خبر محمود مرسل لا حجة فيه، و أن مخرمة لم يسمع من أبيه شيئاً.

و كذا ناقش فيما أخرجه مسلم، عن طريق محمد بن رافع، بإسناده إلى ابن عباس، بجهالة ابن رافع هذا[٢].

أما محمود بن لبيد فزعموا أنه لم تصحّ له رؤية و لا سماعٌ من النبيّ؛ لأنّه كان طفلاً لم يبلغ الحلم يومذاك.

لكن ذكر الواقدي و غيره: أنه مات سنة ست و تسعين، و هو ابن تسع و تسعين سنة، قال ابن حجر: على هذا يكون له يوم مات النبيّ ثلاث عشرة سنة، و هذا يقوي قول من أثبت الصحبة، و هو قول البخاري. و من ثمّ قال ابن عبد البرّ: قول البخاري أولى، يعني في إثبات الصحبة، و هو الذي روى أن النبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أسرع يوم مات سعد بن معاذ حتّى تقطّعت نعالنا. قال الترمذي: رأى النبيّ و هو غلام صغير[٣].

قلت: لا يقلّ هذا عن ابن عباس الذي كان يوم مات النبيّ ابن ثلاث عشرة سنة

---

١. الفقه على المذاهب، ج ٤، ص ٣٤١ ـ ٣٤٢.

٢. المحلّى، ج ١٠، ص ١٦٨.

٣. تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٦٥ ـ ٦٦.

أيضاً.

أما عدم سماع مخرمة من أبيه فليس يضرّه، بعد أن كان يروي من كتاب أبيه. قال أبو طالب: سألت أحمد عنه، قال: ثقة و لم يسمع من أبيه إنما يروي من كتاب أبيه. و قال مالك: حدثني مخرمة بن بكير و كان رجلاً صالحاً. قال أبو حاتم: سألت إسماعيل بن أبي أويس، قلت: هذا الذي يقول مالك بن أنس:حدّثني الثقة، من هو؟ قال: مخرمة بن بكير بن الأشجّ. و قال الميموني عن أحمد: أخذ مالك كتاب مخرمة فنظر فيه، فكلّ شيء يقول فيه: بلغني عن سليمان بن يسار، فهو من كتاب مخرمة، يعني عن أبيه عن سليمان[1].

و أما المناقشة في إسناد مسلم بجهالة ابن رافع، و لا حجة في مجهول!

فيدفعها أن مسلماً رواه من طريق إسحاق بن إبراهيم و محمد بن رافع، جميعاً عن عبد الرزّاق.

أمّا محمد بن رافع فقد وثّقه الأئمّة كلمةً واحدةً. قال البخاري: حدّثنا محمد ابن رافع بن سابور، و كان من خيار عباد اللّه. و قال النسائي: حدّثنا محمد بن رافع الثقة المأمون. و قال أبو زرعة: شيخ صدوق. و قال الحاكم: هو شيخ عصره بخراسان في الصدق و الرحلة[2].

و هكذا إسحاق بن إبراهيم بن مخلّد المعروف بابن راهويه المروزي، هو أحد الأئمّة المرموقين بخراسان ممّن قلّ نظيره. قال أبو زرعة: ما رُؤي أحفظ من إسحاق. و قال أحمد: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثله. قال: لا أعرف له بالعراق

---

١. تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٧٠.

٢. تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٦١.

نظيراً[١].

فقد صحّ قول الجزيري: لم يطعن أحد في حديث مسلم؛ حيث كان طعن ابن حزم موهوناً إلى حدّ بعيد.

* * *

و بعد، فممّا يُبعث على الاعتزاز ذلك موقف فقهاء الإمامية جنباً إلى جنب، من صراحة الكتاب و الصحيح من سنّة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم حتى و إن خالفهم الجمهور. و هذا من بركات تعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام الثابتين على صلب الشريعة و الحافظين لناموس الدين، ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم.

الثامن ـ حديث المتعة

قال تعالى: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[٢].

أ ـ متعة النساء

وقع الخلاف في هذه الآية الكريمة، هل هي منسوخة الحكم، و ما ناسخها، هل هو الكتاب أم السُنّة الشريفة؟

ذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى أنها محكمة لا يزال حكمها ثابتاً في الشريعة، ليس لها ناسخ لا في الكتاب و لا في السنّة، و إليه ذهب جملة الأصحاب و التابعين.

و خالفهم فقهاء سائر المذاهب، نظراً لمنع عمر ذلك، و كان يشدّد عليه، كما

---

١. تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٢١٧ و ٢١٨.

٢. النساء / ٢٤.

افترضوا له دلائل من الكتاب و السُنّة، لم تثبت عند أئمة النقد و التمحيص..

* * *

قال ابن كثير: و قد استُدِلّ بعموم هذه الآية على نكاح المتعة. و لا شكّ أنه كان مشروعاً في ابتداء الإسلام، ثم نُسخ بعد ذلك... و قد رُوي عن ابن عباس وطائفة من الصحابة القول بإباحتها للضرورة، و هو رواية عن أحمد. و كان ابن عباس، و أُبيّ بن كعب، و سعيد بن جبير، و السدّي يقرأون ﴿**فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ** ـ إلى أجل مسمّى ـ **فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً**﴾ ـ قراءةً على سبيل التفسير ـ و قال مجاهد: نزلت في نكاح المتعة.

قال: و لكن الجمهور على خلاف ذلك[1].

* * *

و قال ابن قيّم الجوزي: الناس في هذا (حديث المتعة) طائفتان: طائفة تقول: إن عمر هو الذي حرّمها و نهى عنها، و قد أمر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم باتّباع ما سنّه الخلفاء الراشدون و لم تر هذه الطائفة تصحيح حديث سبرة بن معبد في تحريم المتعة عام الفتح، فإنه من رواية عبد الملك بن الربيع بن سبرة الجهني، عن أبيه عن جده، و قد تكلم فيه ابن معين. و لم ير البخاري إخراج حديثه في صحيحه مع شدّة الحاجة إليه، و كونه أصلاً من أُصول الإسلام، و لو صحّ عنده لم يصبر عن إخراجه و الاحتجاج به. قالوا: و لو صحّ حديث سبرة لم يُخفَ على ابن مسعود، حتى يُروى عنه: أنهم فعلوها، و يحتج بالآية. و أيضاً لو صحّ لم يقل عمر: إنها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أنا أنهىٰ عنها و أُعاقب عليها، بل كان يقول: إنه صلى الله عليه و آله و سلم حرّمها و نهى عنها. قالوا: و لو صحّ لم تُفعل على عهد الصديق و هو

---

١. تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٤٧٤.

عهد خلافة النبوّة حقّاً. قال: و الطائفة الثانية رأت صحة حديث سبرة، و لو لم يصحّ فقد صحّ حديث علي عليه السلام أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم حرّم متعة النساء، فوجب حمل حديث جابر على أنّ الذي أخبر عنها بفعلها لم يبلغه التحريم، و لو لم يكن قد اشتهر حتى كان زمن عمر، فلمّا وقع فيها النزاع ظهر تحريمها و اشتهر. قال: و بهذا تأتلف الأحاديث الواردة فيها[١].

* * *

و ذهب القرطبي ـ من المفسرين ـ إلى أن الآية ليست بشأن المتعة، و إنما هي بشأن النكاح التام. قال: و لا يجوز أن تحمل الآية على جواز المتعة؛ لأن النبيّ ـ ص ـ نهى عن نكاح المتعة و حرّمه؛ و لأنّ اللّه تعالى قال: «فانكحوهن بإذن أهلهنّ» و معلوم أن النكاح بإذن الأهلين هو النكاح الشرعي بوليّ و شاهدين، و نكاح المتعة ليس كذلك.

قال: و قال الجمهور: المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام، و نسختها آية ميراث الأزواج؛ إذ كانت المتعة لا ميراث فيها. و قالت عائشة و القاسم بن محمد: تحريمها و نسخها في القرآن، و ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إِلاّ عَلىٰ أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ** ﴾[٢]، و ليست المتعة نكاحاً و لا ملك يمين.

و نُسب إلى ابن مسعود أنه قال: المتعة منسوخة نسختها الطّلاق و العدة و الميراث.

و قال بعضهم: إنها أُبيحت في صدر الإسلام ثم حُرّمت عدة مرات. قال ابن

---

١. زاد المعاد لابن قيم، ج ٢، ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

٢. المؤمنون/ ٥ ـ ٦.

العربي: و أما متعة النساء فهي من غرائب الشريعة؛ لأنها أبيحت في صدر الإسلام، ثم حرّمت يوم خيبر، ثم أُبيحت في غزوة أوطاس، ثم حرّمت بعد ذلك، و استقر الأمر على التحريم. و ليس لها أخت في الشريعة إلاّ مسألة القبلة؛ لأن النسخ طرأ عليها مرّتين، ثم استقرت بعد ذلك.

و قال غيره ـ ممّن زعم أنه جمع طرق الأحاديث في ذلك ـ: إنها تقتضي التحليل والتحريم سبع مرات.

و قال جماعة: لا ناسخ لها سوى أنّ عُمر نهى عنها... و روى عطاء عن ابن عباس، قال: ما كانت المتعة إلاّ رحمة من اللّه رحم بها عباده، و لولا نهي عمر عنها ما زنى إلاّ شقيٌّ[١].

وهكذا روى ابن جرير الطبري بإسناده إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شقيٌّ»[٢]. و يروى «إلاّ شفيً» بالفاء المفتوحة، أي قليل من الناس[٣].

* * *

قال ابن حزم الأندلسي: كان نكاح المتعة ـ و هو النكاح إلى أجلٍ ـ حلالاً على عهد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ثم نسخها اللّه تعالى على لسان رسوله، نسخاً باتّاً إلى يوم القيامة.

و قد ثبت على تحليلها بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من السلف، منهم من

---

١. تفسير القرطبي، ج ٥، ص ١٣٠ ـ ١٣٢.

٢. تفسير الطبري، ج ٥، ص ٩.

٣. قال ابن الأثير: من قولهم: غابت الشمس إلاّ شفيً، أي قليلاً من ضوئها عند غروبها. و قال الأزهري: «إلاّ شفيً» أي إلاّ أن يُشفي، يعني يُشرف على الزِّنَى و لا يواقعه. فأقام الاسم وهو الشفَى مقام المصدر الحقيقي، و هو الإشفاء على الشيء.

الصحابة: أسماء بنت أبي بكر[١]، و جابر بن عبد اللّه الأنصاري[٢]، و ابن مسعود[٣]، و ابن عباس[٤]، و عمرو بن حريث[٥]، و أبو سعيد الخدري[٦]، و سلمة و معبد ابنا أُميّة بن خلف[٧].

---

١. أخرج أبو داود الطيالسي في مسنده، ص٢٢٧ عن مسلم القُرِيّ قال: دخلنا على أسماء بنت أبي بكر فسألناها عن متعة النساء، فقالت: فعلناها على عهد النبيّ. (الغدير، ج٦، ص٢٠٩).

و في محاورة جرت بين ابن عباس و عروة بن الزبير في المتعة، فقال له ابن عباس: سل أُمّك يا عريّة. (زاد المعاد لابن قيم الجوزي، ج١، ص٢١٣). و كذا بينه و بين عبد اللّه، فقال له ابن عباس: أول مجمر سطع في المتعة مجمر آل الزبير (العقد الفريد، ج٤، ص١٤). و في محاضرات الراغب (ج ٢، ص ٩٤): عيّر عبدُ اللّه بن الزبير عبد اللّه بن عباس بتحليله المتعة، فقال له: سل أُمّك كيف سطعت المجامر بينها وبين أبيك: فسألها، فقالت: ما ولدتك إلاّ في المتعة.

راجع تفصيل القصّة في مروج الذهب للمسعودي (ج ٣، ص٩٠ـ ٩١). و راجع أيضاً صحيح مسلم (ج ٤، ص٥٥ ـ ٥٦).

٢. يأتي الحديث عنه، و هو الذي أعلن صريحاً أنها كانت مباحة مند عهد الرسول فإلى النصف من خلافة عمر، حتى نهى عنها عمر لأسباب يأتي ذكرها. و يُفنّد من زعم أنه كان بمنع رسول اللّه أيّام حياته.

٣. فقد ذكر النووي عنه أنه قرأ ﴿فما استمتعتم به منهن إلى أجل.﴾ (شرح مسلم، ج٩، ص١٧٩).

٤. و هو المشتهر بفتواه الإباحة في ربوع مكة، و سارت عنه الركبان في سائر البلدان (فتح الباري، ج٩ ص ١٤٨).

٥. و هو الذي استمتع بمولاة فأحبلها في أيام عمر. (فتح الباري، ج٩، ص١٤٩).

٦. و هو الذي واكب جابراً في الإعلان بإباحة المتعة منذ عهد الرسول. (عمدة القارئ للعيني، ج٨ ص ٣١٠) و (فتح الباري، ج٩، ص ١٥١).

٧. نسب ذلك إلى كل منهما؛ أخرج عبد الرزاق بسند صحيح: أنه لم يَرُعْ عمر إلاّ أمّ أراكة قدخرجت

←

قال: و رواه جابر عن جميع الصحابة، مدّة رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم و مدّة أبي بكر و عمر إلى قرب آخر خلافته.

قال: و من التابعين: طاووس و عطاء و سعيد بن جبير و سائر فقهاء مكّة[١].

* * *

و بعد، فالذي يشهد به التاريخ و متواتر الحديث، أنّ المتعة (النكاح المؤقّت) كانت ممّا أحلّه الكتاب و جرت به السُنّة و عمل بها الأصحاب، منذ عهد الرسالة و تمام عهد أبي بكر و نصفاً من خلافة عمر، حتى نهى عنها و شدّد عليه لأسباب وعلل، كان يرى أنّها تخوّله صلاحية المنع.

أخرج مسلم من طريق عبد الرزّاق قال: أخبرنا ابن جُريج عن عطاء، قال: قدم جابر بن عبد اللّه معتمراً فجئناه في منزله، فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة، فقال: نعم، استمتعنا على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم و أبي بكر و عمر...

وأيضاً عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير قال: سمعت جابر بن عبد اللّه يقول: كنا نستمتع بالقُبضة من التمر و الدقيق، الأيام على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم و أبي بكر، حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث[٢].

و في حديث قيس عنه قال: رخّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل... ثم قرأ عبد اللّه: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحلَّ اللّهُ لَكُمْ وَ لا تَعْتَدُوا اِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾**[٣].

← حبلى فسألها عمر، فقالت: استمتع بي سلمة، و في أخرى: معبد. (فتح البـاري، ج٩، ص١٥١) و (الإصابة، ج٢، ص٦٣).

١. المحلّى لابن حزم، ج٩، ص٥١٩ ـ ٥٢٠ رقم ١٨٥٤.

٢. صحيح مسلم، ج٤، ص١٣١.

٣. المصدر نفسه، ص١٣٠. و الآية من سورة المائدة/ ٨٧.

و كان استشهاده بهذه الآية تدليلاً على أنّ اللّه يُحبّ أن يؤخذ برخصه، و لا سيّما الطيّبات، ما لم ينه عنه الشارع الحكيم ذاته. إشارة إلى أنّ نَهْي مثل عمر لا تأثير له في حكم شرعي مستدام بذاته.

أما قضية عمرو بن حريث فهو ما أخرجه الحافظ عبد الرزاق في مصنّفه عن ابن جُريج، قال: أخبرني أبو الزبير عن جابر قال: قدم عمرو بن حريث الكوفة فاستمتع بمولاةٍ، فأُتي بها عُمَر و هي حُبلى، فسأله فاعترف، قال: فذلك حين نهى عنها عمر[1].

و قريب منها قصّة سلمة و معبد ابني أُميّة بن خلف:

أخرج عبد الرزاق بسند صحيح عن عمرو بن دينار عن طاووس عن ابن عباس، قال: لم يَرُعْ عمر إلاّ أُمّ أراكة قد خرجت حبلى، فسألها عمر، فقالت: استمتع بي سلمة بن أُميّة[2].

وذكر ابن حجر ـ في الإصابة ـ أنّ سلمة استمتع من سلمى مولاة حكيم بن أُميّة الأسلمي فولدت له فجحد ولدها.

وزاد الكلبي: فبلغ ذلك عمر فنهى عن المتعة، و روى أيضاً أنّ سلمة استمتع بامرأة فبلغ عمر فتوعّده[3].

قال ابن حجر: القصة بشأن سلمة و معبد ابني أُميّة واحدة، أُختلف فيها هل وقعت لهذا أو لهذا[4].

---

١. فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر (ج ٩، ص١٤٩). و أخرجه عبد الرزاق في مصنّفه عن ابن جريج (الغدير، ج٦، ص٢٠٦ ـ ٢٠٧).

٢. فتح الباري، ج٩، ص١٥١.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٦٣ رقم ٣٣٦٣.

٤. فتح الباري، ج٩، ص١٥١.

و أخرج مالك و عبد الرزاق عن عروة بن الزبير: أن خولة بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب، فقالت: إنّ ربيعة بن أُميّة استمتع بمرأة مولَّدة فحملت منه. فخرج عمر بن الخطاب ـ يجرّ رداءه فزعاً، فقال: هذه المتعة! و لو كنت تقدّمت فيها لرُجمت[1]، أي لو أعلنتُ بالمنع قبل ذلك.

* * *

و أخرج أبو جعفر الطبري في تاريخه بالإسناد إلى عمران بن سوادة، قال: صلّيت الصبح مع عمر، ثم انصرف و قمت معه، فقال: أحاجة؟ قلت: حاجة. قال: فالحقْ، فلحقت. فلما دخل أذن لي، فإذا هو على سرير ليس فوقه شيء. فقلت: نصيحة؟ فقال: مرحباً بالناصح غدوّاً و عشيّاً. قلت: عابت أُمّتك عليك أربعاً! فوضع رأس درّته في ذقنه و وضع أسفلها على فخذه، ثم قال: هات:

فذكر أولاً: أنه حرّم العمرة في أشهر الحج[2]. و لم يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و لا أبو بكر، و هي حلال، فاعتذر عمر: أنهم لو اعتمروا في أشهر الحج لرأوها مُجزية عن حجّهم.

والثاني: أنه حرّم متعة النساء، و قد كانت رخصة من اللّه. نستمتع بقبضة و نفارق عن ثلاث، فاعتذر عمر: أن رسول اللّه أحلها في زمان ضرروة، و الآن قد

---

١. الدر المنثور، ج٢، ص١٤١.

٢. كانت العرب في الجاهلية يرون العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور (البخاري، ج٢، ص١٧٥) و (مسلم، ج٤، ص٥٦). و قد كافح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هذه العادة الجاهلية و أصرّ على معارضتها ونقضها قولاً و عملاً، و من ثمّ فإنّ ما قام به عمر كانت محاولةً لإعادة رسم غابر خالف شريعة الإسلام.

راجع: الغدير (ج ٦، ص٢١٧) تجد الدعوة إلى الاعتمار في غير أشهر الحج عوداً إلى الرأي الجاهلي عن قصد أو غير قصد.

رجع الناس إلى السعة.

والثالث: أنه حكم بعتاق الأَمة إن وضعت ذا بطنها بغير عتاقة سيدها[١]. فقال عمر: ألحقت حرمة بحرمة و ما أردت إلاّ الخير، و استغفر اللّه.

والرابع: أنه يأخذ الرعية بالشدّة و العُنف، فأجاب عمر بما حاصله: أن ذلك ممّا لا بدّ منه في انتظام الرعيّة[٢].

قصّة المنع من المتعتين

و الذي يبتّ من الأمر بتّاً أن عمر هو الذي حال دون تداوم شريعة المتعة، و أنها كانت محلّلة حتى أصدر الخليفة المنع منها لا عن سابقة نسخ أو تحريم. تلك قولته المعروفة: «متعتان كانتا على عهد رسول اللّه، و أنا محرّمهما و معاقب عليهما: متعة النساء و متعة الحج».

و هذا الكلام و إن كان ظاهرهُ منكراً ـ كما قال ابن أبي الحديد المعتزلي[٣] ـ فله مخرج و تأويل اختلف الفقهاء فيه.

و في ذلك يقول الإمام الرازي: ظاهر قول عمر: و أنا أنهىٰ عنهما، أنهما مشروعتان غير منسوختين، و أنه هو الذي نسخهما. و ما لم ينسخه الرسول فلا ناسخ له أبداً.

ثم أخذ في تأويل كلامه بأن المراد: أنا أنهىٰ عنهما لما ثبت عندي أنّ النبيّ نسخها. قال: لأنه لو كان مراده أن المتعة كانت مباحة في شرع محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنا

---

١. الأَمة ذات الولد لا تُباع و لا تنقل لتتحرّر بعد موت سيّدها، و تكون من نصيب ولدها في الإرث.

٢. لخّصناه عن الطبري، ج ٤، ص ٢٢٥، حوادث سنة ٢٣ (ط المعارف) و نقله ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج ١٢، ص ١٢١) عن الطبري و شَرَح الغريب من ألفاظه روايةً عن ابن قتيبة.

٣. شرح النهج، ج ١، ص ١٨٢.

أنهىٰ عنها، لزم تكفيره و تكفير كل من لم يحاربه، و يفضي ذلك إلى تكفير أمير المؤمنين؛ حيث لم يحاربه و لم يرد عليه ذلك القول[١].

و أغرب القسطلاني في شرحه على البخاري، حيث قوله: إنّ نَهي عمر كان مستنداً إلى نهي النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم، و كان خافياً على سائر الصحابة، فبيّنه عمر لهـم؛ ولذلك سكتوا أو وافقوا!![٢].

اللهمّ إنّ هذا إلاّ تخرّص بالغيب، و تفسير كلام بما لا يرضى صاحبه.

و أشدّ غرابة ما ذكره القوشجي ـ في شرحه على تجريد الاعتقاد للخواجه نصير الدين الطوسي ـ قال: إن عمر قال على المنبر: أيّها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله و سلم و أنا أنهىٰ عنهنّ و أُحرّمهنّ و أُعاقب عليهنّ: متعة النساء، ومتعة الحج، و حيّ على خير العمل، ثم اعتذر بأنّ ذلك ليس ممّا يوجب قدحاً فيه، فإن مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الاجتهادية ليس ببدع!![٣]

انظر إلى هذا الرجل العالم المتجاهل، كيف يجعل من صاحب الرسالة الذي لا ينطق إلاّ عن وحي يُوحىٰ إليه، كيف يجعله عدلاً لفردٍ من آحاد أُمّته، و لا سيّما مثل ابن الخطاب الذي أعلن صريحاً و مراراً: كلّ الناس أفقه منه[٤].

* * *

و بعد، فلنعطف الكلام عن حديث المتعتين الذي أعلن به عمر على رؤوس

---

١. التفسير الكبير ج ١٠، ص٥٣ ـ ٥٤.

٢. إرشاد الساري بشرح البخاري للقسطلاني، ج ١١، ص٧٧.

٣. شرح التجريد آخر مباحث الإمامة.

٤. و قد عقد ابن أبي الحديد (شرح النهج، ج ١، ص ١٨١) باباً ذكر فيه موارد أفتى فيها عمر ثم نقضها، وراجع أيضاً نوادر الأثر في علم عمر للعلاّمة الأميني (الغدير، ج٦، ص٨٣ ـ ٣٢٥) وكان مستقاتاً في هذا العرض.

الأشهاد:

١ـ أخرج البيهقي في سُننه بالإسناد إلى أبي نضرة قال: قلت لجابر بن عبد اللّه الأنصاري: إن ابن الزبير ينهىٰ عن المتعة و إنّ ابن عباس يأمر بها! قال: على يديّ جرى الحديث، تمتّعنا مع رسول اللّه ﷺ و مع أبي بكر، فلما وُلّي عمر خطب الناس فقال:

«إنّ رسول اللّه هذا الرسول، و إنّ هذا القرآن هذا القرآن. و إنهما كانتا متعتان على عهد رسول اللّه، و أنا أنهىٰ عنهما و أُعاقب عليهما، إحداهما: متعة النساء، ولا أقدر على رجل تزوّج امرأة إلى أجل إلاّ غيّبته بالحجارة، و الأخرى: متعة الحج»[١].

٢ـ و اخرج مسلم في صحيحه أيضاً عن أبي نضرة، قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعة، و كان ابن الزبير ينهى عنها، فذكرت ذلك لجابر، فقال: على يديّ دار الحديث. تمتّعنا مع رسول اللّه ﷺ فلما قام عمر قال: «إنّ اللّه كان يُحِلّ لرسوله ما شاء بما شاء، و إن القرآن قد نزل منازله، فأتمّوا الحج و العمرة لله كما أمر اللّه، و أبتّوا نكاح هذه النساء، فلن أوتي برجل نكح امرأةً إلى أجل إلاّ رجمته بالحجارة»[٢].

٣ـ و أخرج أبو بكر الجصّاص بإسناده إلى شعبة عن قتادة، قال: سمعت أبا نضرة يقول: كان ابن عباس يأمر بالمتعة و كان ابن الزبير ينهى عنها، قال: فذكرت ذلك لجابر فقال: على يديّ دار الحديث، تمتّعنا مع رسول اللّه ﷺ فلما قام عمر قال: «إنّ اللّه كان يُحِلُّ لرسوله ما شاء بما شاء، فأتموا الحج و العمرة كما أمر

---

١. السنن الكبرى للبيهقي، ج ٧، ص ٢٠٦.

٢. صحيح مسلم، ج ٤، ص ٣٨.

اللّه، و انتهوا عن نكاح هذه النساء، لا أُوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلاّ رجمته.

قال الجصّاص: فذكر عمر الرجم في المتعة، و جائز أن يكون على جهة الوعيد والتهديد لينزجر الناس عنها[1].

٤ـ و ذكر بشأن متعة الحج، و هي إحدى المتعتين اللّتين قال عمر بن الخطاب: «متعتان كانتا على عهد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم أنا أنهىٰ عنهما و أضرب عليهما: متعة الحج و متعة النساء»[2].

و هكذا رواه الحافظ أبو عبد اللّه بن القيم الجوزي، قال: ثبت عن عمر أنه قال[3].

وقال شمس الدين السرخسي: و قد صحّ أن عمر نهى الناس عن المتعة، فقال: متعتان كانتا...[4].

و ذكره القرطبي بنفس اللفظ[5]، و الفخر الرازي بلفظ: «متعتان كانتا مشروعتين...»[6].

إلى غيرذلك من تصريحات أعلام الفقه[7] و التفسير، تنبؤك عن تواتر حديث

---

١. أحكام القرآن للجصّاص، ج ٢، ص ١٤٧ و استند السرخسي في المبسوط (ج ٥، ص ١٥٣) إلى ماروي عن عمر أنه قال: «لا أوتي برجل تزوّج امرأة إلى أجل إلاّ رجمته و لو أدركته ميّتاً لرجمت قبره».!

٢. أحكام القرآن للجصّاص، ج ١، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١.

٣. زاد المعاد، ج ٢، ص ١٨٤.

٤. المبسوط للسرخسي، ج ٤، ص ٢٧.

٥. تفسير القرطبي، ج ٢، ص ٣٩٢.

٦. التفسير الكبير، ج ١٠، ص ٥٢ ـ ٥٣.

٧. راجع: المحلّى لابن حزم، ج ٧، ص ١٠٧.

منع المتعتين منعاً مستنداً إلى عمر بالذّات، و ليس مستنداً إلى شريعة السماء.

* * *

الأمر الذي دعا بكثير من النبهاء أن يأخذوا من قولة عمر هذه دليلاً على الجواز، استناداً إلى روايته تاركين رأيه إلى نفسه، أو لا حجيّة لرأي في مقابلة الشريعة، كما لا اجتهاد في مقابلة النصّ.

يذكر ابن خلكان ـ في ترجمة يحيى بن أكثم ـ أن المأمون العباسي أمر فنُودِيَ بتحليل المتعة. فدخل عليه ابن أكثم فوجده يستاك، و يقول ـ و هو مغتاظ ـ: متعتان كانتا على عهد رسول اللّه و على عهد أبي بكر و أنا أنهى عنهما! و من أنت يا جُعَل؟![١]

و في لفظ الخطيب: و من أنت يا أحول حتى تنهى عما فعله النبيّ و أبو بكر؟![٢]

و ذكر الراغب أن يحيى بن أكثم ـ و كان قاضياً في البصرة نصبه المأمون ـ قال لشيخ بالبصرة: بمن اقتديت في جواز المتعة؟ قال: بعمر بن الخطاب! قال: كيف، و عمر كان أشد الناس فيها؟ قال: لأنّ الخبر الصحيح أنه صعد المنبر، فقال: إن اللّه و رسوله قد أحلاّ لكم متعتين و إنّي مُحرّمهما عليكم و معاقب عليهما. فقبلنا شهادته و لم نقبل تحريمه![٣]

* * *

وهناك من الصحابة و التابعين من ثبتوا على القول بالتحليل الأول منذ عهد

---

١. تاريخ ابن خلكان (وفيات الأعيان)، ج٦، ص١٤٩ ـ ١٥٠، و جُعَل معناه: لجوج.

٢. تاريخ بغداد، ج١٤، ص١٩٩.

٣. محاضرات الراغب الأصبهاني، ج٢، ص٩٤ (الغدير، ج٦، ص٢١٢).

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و لم يستسلموا لنهي عمر، و جاهروا في مخالفته إما في حياته أو بعد مماته.

هذا جابر بن عبد اللّه الأنصاري هو أوّل من جاهر بالتحليل، و أعلن بالمخالفة لنهي عمر.

وهذا أبو سعيد الخدري قد عرفت مواكبته مع جابر في إعلام المخالفة.

وعبد اللّه بن مسعود قرأ: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى...﴾ بملأٍ من الناس.

و أُبي بن كعب كان يقرأ قراءة ابن مسعود.

وسعيد بن جبير، و طاووس، و عطاء، و مجاهد، و سائر فقهاء مكة، و أضرابهم حسبما تقدم الكلام عنهم.

ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: لولا أنّ عمر نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شفيّ - أو - إلاّ شقيّ،[1] على ما سبق بيانه.

وكذلك ابن عباس في قوله: يرحم اللّه عمر، ما كانت المتعة إلاّ رحمة من اللّه رحم بها أُمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، و لولا نهيه ما احتاج إلى الزنى إلاّ شقيّ - أو - إلاّ شفيّ[2].

و قد عرّض ابن الزبير بابن عباس في قوله:إن ناساً أعمى اللّه قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة، فناداه ابن عباس: إنّك لجلفٌ جافٍ فلعمري لقد كانت المتعة تُفعل على عهد إمام المتّقين - يريد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم - فقال له ابن الزبير: فجرّب بنفسك فو اللّه لئن فعلتها لأرجمنّك بأحجارك[3].

---

١. فتح الباري، ج٥ ص٩.

٢. الدر المنثور، ج٢، ص١٤١.

٣. صحيح مسلم، ج٤، ص١٣٣. و النووي، ج٩، ص١٨٨.

وهذا ابنه عبد اللّه تراه لا يكترث بنهي نهاه أبوه تفادياً دون سُنّةٍ سنّها رسول اللّه ﷺ و نطق بها الكتاب. فقد أخرج أحمد في مسنده عن أبي الوليد، قال: سأل رجل ابن عمر عن المتعة و أنا عنده (متعة النساء)، فقال: و اللّه ما كنّا على عهد رسول اللّه ﷺ زانين و لا مسافحين[١].

* * *

وهكذا نجد كبار الصحابة و التابعين و من ورائهم الفقهاء، لم يأبهوا بنهي عمر عن متعة الحج، مع تصريحه بالمنع و إردافه لها مع متعة النساء. و ما ذلك إلاّ من جهة عدم اعتبار أيّ اجتهادٍ في مقابلة نصّ الشريعة.

هذا ابن عمر نراه كما لم يكترث بنهي أبيه عن متعة النساء، كذلك لم يكترث بنهيه عن متعة الحج:

روى الترمذي بإسناده إلى ابن شهاب أنّ سالماً حدّثه أنه سمع رجلاً من أهل الشام، و هو يسأل عبد اللّه بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال عبد اللّه: هي حلال. فقال الشامي: إن أباك قد نهى عنها! فقال عبد اللّه: أرأيت إن كان أبي نهى عنها، وصنعها رسول اللّه، أأمر أبي نتّبعُ، أم أمر رسول اللّه؟ فقال الرجل: بل أمر رسول اللّه ﷺ، فقال: لقد صنعها رسول اللّه ﷺ[٢].

وكذلك روى ابن إسحاق عن الزهري عن سالم، قال: إني لجالس مع ابن عمر في المسجد؛ إذ جاءه رجل من أهل الشام فسأله عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال ابن عمر: حسن جميل. قال: فإنّ أباك كان ينهى عنها! فقال: ويلك، فإن كان أبي نهى عنها و قد فعله رسول اللّه ﷺ و أمر به، أفبقول أبي آخذ أم بأمر رسول

---

١. مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٩٥.

٢. جامع الترمذي، ج ٣، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ رقم ٨٢٤ كتاب الحج.

اللّه؟ قم عني. قال القرطبي : أخرجه الدار قطني[١].

وهكذا نرى سعد بن أبي وقّاص لم يأبه بمنع عمر تجاه سُنّة سنّها رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، رواه الترمذي أيضاً بإسناده إلى شهاب، عن محمد بن عبد اللّه بن الحارث: أنه سمع سعد بن أبي وقّاص و الضحّاك بن قيس، و هما يذكران التمتّع بالعمرة إلى الحج، فقال الضحّاك: لا يصنع ذلك إلاّ مَن جهل أمر اللّه. فقال سعد: بئس ما قلتَ، يا ابن أخي! فقال الضحّاك: فإن عمر قد نهى عن ذلك، فقال سعد: قد صنعها رسول اللّه، و صنعناها معه.[٢]

و هذا عمران بن الحصين يحذو حذوهما في جرأةٍ و صراحةٍ،يقول: «إنّ اللّه أنزل في المتعة آية و ما نسخها بآية أُخرى. و أمرنا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بالمتعة و ما نهانا عنها، قال رجل فيها برأيه ما شاء»، يريد عمر بن الخطاب، على ما صرّح به الرازي[٣] و ابن حجر[٤]. أخرجه ابن أبي شيبة و البخاري و مسلم[٥].

وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده عنه قال: «نزلت آية المتعة في كتاب اللّه تبارك وتعالى، و عملنا بها مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فلم تنزل آية تنسخها، و لم ينه

---

١. تفسير القرطبي، ج ٢، ص٣٨٨.

٢. جامع الترمذي، ج ٣، ص ١٨٥ رقم ٨٢٣.

٣. أورده الإمام الرازي بشأن متعة النساء (التفسير الكبير، ج ١٠، ص٥٣).

٤. قال ابن حجر: لأنه أول من نهى عنها و كأنّ من بعده (عثمان و معاوية) كان تابعا له في ذلك. (فتح الباري، ج ٣، ص ٣٤٥).

٥. الدر المنثور، ج ١، ص٢١٦. و راجع: صحيح مسلم، ج ٤، ص٤٨ ـ ٤٩ أورده بألفاظ مختلفة و متقاربة تماماً. و أورده البخاري في تفسير سورة البقرة باب فمن تمتّع (ج ٦، ص٣٣) و في كتاب الحجّ باب التمتع على عهد رسول اللّه (ج ٢، ص١٧٦).

عنها النبيّ حتى مات[١].

وعمران هذا من فضلاء الصحابة و فقهائهم، و قد بعثه عمر ليفقّه أهل البصرة، ثقةً بمكان فقهه و أمانته. قال ابن سيرين: كان أفضل من نزل البصرة من الصحابة[٢].

قال الشيخ أبو عبد اللّه المفيد ـ في جواب من سأله عن قول مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام «ليس منّا من لم يقل بمتعتنا» ـ: إنّ المتعة التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام هي النكاح المؤجّل الذي كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أباحها لأُمّته في حياته و نزل بها القرآن أيضاً، فتؤكّد ذلك بإجماع الكتاب و السُنّة فيه؛ حيث يقول اللّه: ﴿وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذٰلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ، فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[٣]، فلم يزل على الإباحة بين المسلمين لا يتنازعون فيها، حتى رأى عمر بن الخطاب النهي عنها، فحظرها و شدّد في حظرها و توعّد على فعلها، فتبعه الجمهور على ذلك. و خالفهم جماعة من الصحابة و التابعين فأقاموا على تحليلها إلى أن مضوا لسبيلهم، و اختص بإباحتها جماعة من الصحابة و التابعين وأئمة الهدى من آل محمّد عليهم السلام، فلذلك أضافها الصادق عليه السلام بقوله: متعتنا[٤].

* * *

---

١. مسند الإمام أحمد، ج ٤، ص ٤٣٦.

٢. الإصابة لابن حجر، ج ٣، ص ٢٦ ـ ٢٧.

٣. النساء/ ٢٤.

٤. المسائل السروية (المسألة الأُولى) المطبوعة ضمن رسائل المفيد، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

لا نسخ و لا تحريم

و بعد، إذ عرفت أنّ القوم لم يكد أن يُصدّقوا منع عمر ذاته لشريعة سَنّها الكتاب والسُنّة، التمسوا لتبرير موقفه ذاك معاذير و تعاليل، لا تكاد تُشفي العليل و لا تروي الغليل.

قال الشيخ محمد عبده: و العمدة عند أهل السُنّة في تحريمها وجوه:

أوّلها: ما علمت من منافاتها لظاهر القرآن في أحكام النكاح و الطلاق و العدّة، إن لم نقل لنصوصه.

ثانيها: الأحاديث المصرّحة بتحريمها تحريماً مؤبّداً إلى يوم القيامة، و قد جمع متونها و طرقها مسلم في صحيحه.

ثالثها: نهي عمر عنها في خلافته، و إشادته بتحريمها على المنبر، و إقرار الصحابة له على ذلك.

قال: و كان إسناد التحريم إلى نفسه (أنا محرّمهما) فمجاز، و معناه: أنه مُبيّن لتحريمهما.

و قد شاع مثل هذا الإسناد، كما يقال: حرّم الشافعي النبيذ و أحلّه أو أباحه أبو حنيفة. لم يعنوا إنهما شرّعا ذلك من عند أنفسهما، و إنما يعنون أنهم بيّنوه بما ظهر لهم من الدليل. قال: و قد كنّا قلنا: إن عمر منع المتعة اجتهاداً منه، ثم تبيّن لنا أن ذلك خطأ، فنستغفر اللّه منه[١].

و لننظر في هذه البنود باختصار:

أما التنافي مع ظاهر الكتاب أو نصّه، فلم يتبيّن وجهه بوضوح؛ إذ المتمتّع بها زوجة عند القائل بها، و لها أحكام تغاير أحكام الدائمة، فطلاقها انقضاء أجلها،

---

١. تفسير المنار، ج٥، ص١٥ـ١٦.

و عدّتها كعدّة الأَمة[1]: نصف عدّة الحرّة الدائمة.

قال المحقق: و لا يقع بها طلاق، و تبين بانقضاء المدّة، و عدّتها: حيضتان أوخمسة و أربعون يوماً، و لا يثبت بينهما ميراث، إلاّ إذا شرط على الأشهر. و لو أخلّ بالمهر مع ذكر الأجل بطل العقد، و لو أخلّ بالأجل بطل متعة، و انعقد دائماً[2].

* * *

و ذكر الشيخ محمد عبده وجهاً آخر للتنافي مع القرآن؛ حيث قوله عزّ و جلّ في صفة المؤمنين: **﴿وَ الَّذينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ، اِلاّ عَلٰى اَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيرُ مَلُومينَ، فَمَنِ ابْتَغىٰ وَراءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْعادُونَ﴾**[3]، قال: و المرأة المتمتّع بها ليست زوجة ليكون لها مثل الذي عليها بالمعروف، و الشيعة أنفسهم لا يعطونها أحكام الزوجة و لوازمها، فلا يعدّونها من الأربع، و لا يكون بها إحصان، و ذلك قطع منهم بأنه لا يصدق على المستمتعين «محصنين غير مسافحين»، وليس لها ميراث و لا نفقة و لا طلاق و لا عدّة[4].

لكن أسبقنا أنها زوجة و إن كانت تخالف أحكامُها أحكام الدائمة. و استدل الشهيد الثاني[5] على أنها زوجة بنفس الآية؛ حيث عُدّ ابتغاء ما وراء الزوجة وملك ليمين سفاحاً. و السورة مكيّة، نزلت قبل الهجرة بفترة طويلة؛ حيث نزلت

---

١. راجع: شرائع الإسلام للمحقّق الحلّي، ج٣، ص٤١. و بداية المجتهد لابن رُشد، ج٢، ص١٠١.

٢. شرائع الإسلام، ج٢، ص٣٠٦ ـ ٣٠٧.

٣. المؤمنون/ ٥ و ٦.

٤. تفسير المنار، ج٥، ص١٣ ـ ١٤.

٥. راجع: الروضة بشرح اللمعة لزين الدين الشهيد الثاني، ج٥، ص٢٩٩ و ج٥، ص٣٣٦ (ط نجف).

بعدها ـ و هي برقم ٧٤ ـ اثنتا عشرة سورة إلى تمام العدد (٨٦) السورة المكية. و لا شكّ إنها كانت محلّلة ذلك العهد، و آخر تحريمها ـ على الفرض ـ بعد سَنة الفتح (عام أوطاس سنة ٨ للهجرة)، و لازمه أنّ المسلمين كانوا مسافحين في تلك الفترة، إذا لم يكن المتمتع بها زوجة؛ إذ لم تكن ملك يمين أيضاً.

كما أن تحليل الأَمة عند القائل بإباحته داخل في ملك يمين، بنفس دليل الحصر في الآية[١].

نعم ذكرنا أن طلاقها انقضاء أمدها، و أن لها عدّة نصف عدّة الدائمة، و نفقتها أُجرتها. و الميراث حكم تعبُّدي خاص، يمكن أن لا يجعله الشارع في موارد، منها: القاتل، و خارج الملّة، و المتقرب بالأب مع وجود المتقرب بالأبوين أو الأُم، و غير ذلك ممّا هو تخصيص في عموم الكتاب.

على أنّ فقهاء أهل السُنّة يجيزون نكاح الكتابيّة و لا يقولون بالتوارث بينهما،[٢] و ذلك تخصيص في عموم الكتاب، كما هنا حرفاً بحرف. كما أنهم لا يرون الإحصان بملك يمين[٣]، فكذلك المتعة عندنا، و هو حكم خاص ثابت في الشريعة بالتعبّد.

أما مسألة العدّة فقد عرفت أن الشيخ اشتبه عليه الأمر، فتدبّر.

* * *

و أما الأحاديث التي هي عمدة استدلالهم على التحريم، فقد ادّعى ابن رشد

---

١. الروضة بشرح اللمعة لزين الدين الشهيد الثاني، ج٥، ص٢٩٩ و ج٥، ص٣٣٦ (ط نجف).
٢. ابن رشد في بداية المجتهد ج ٢، ص ٣٨١ و ٤٧٠.
٣. المصدر نفسه.

الأندلسي تواترها[١]. لكنه كلام ملقى على عواهنه؛ إذ لا تعدو رواية التحريم إسنادها إلى ثلاثةٍ من أصحاب النبيّ ﷺ :

١ـ علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢ـ سَلَمة بن الأكوع.

٣ـ سَبْرة بن معبد الجهني.

أما الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام فمفتعلة عليه بلا شكّ؛ لأنه عليه السلام كان من أشد الناقمين على عمر في تحريمه المتعة، و لولا نهيه ما زنى إلاّ شفَى، فكيف يُؤنّب على عمر أمراً سبقه تحريم رسول اللّه، لا سيما و روايته هو بذلك؟!

على أنّ الرواي في ذلك ـ حسب إسناد البخاري[٢] ـ هو سفيان بن عيينة المعروف بالكذب و التدليس عن لسان الثقات[٣].

* * *

وكذا الرواية عن سَلَمة أيضاً لا أصل لها، و إنما هي فرية ألصقوها بصحابي كبير. و من ثمّ لم يورد البخاري رواية التحريم عنه، بل العكس أورد عنه رواية الإباحة، رغم عقد الباب للتحريم[٤].

فقد أسند عنه و جابر، قالا: كنّا في جيش فأتانا رسول اللّه ﷺ ، فقال: إنه قد أذِن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا. و أيضاً عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ : أيما

---

١. ابن رشد في بداية المجتهد ج ٢، ص٦٣.

٢. راجع: صحيح البخاري، ج٧، ص١٦ (ط مشكول) اقتصر عليه باعتباره أحسن الأسانيد.

٣. قال ابن حجر: و كان ربما دلّس لكن عن الثقات (تقريب التهذيب، ج١، ص٣١٢ رقم ٣١٨). و هكذا قال عنه الذهبي في ميزان الإعتدال (ج ٢، ص ١٧٠).

٤. قال ابن حجر: و ليس في أحاديث الباب التي أوردها التصريح بذلك، لكن قال في آخر الباب: إن علياً بيّن أنّه منسوخ (فتح الباري، ج٩، ص١٤٣).

رجل وامرأة توافقا فعِشْرَةُ ما بينهما ثلاث ليال، فإن أحبّا أن يتزايدا أو يتتاركا تتاركا.

وهنا يأتي البخاري ليجتهد في الموضوع قائلاً: قال أبو عبد اللّه: و بيّنه عليٌّ عن النبيّ أنه منسوخ!! و كذلك روى مسلم عن سلمة و جابر ـ إلى قوله ـ «أذِن لكم أن تستمتعوا» فقال مسلم: يعني متعة النساء[١].

* * *

نعم تفرّد مسلم عن البخاري في إسناد حديث النهي إلى سَلَمة، عن طريقٍ فيه ضعف، تركه البخاري لذلك.

روى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد عن عبد الواحد ابن زياد عن أبي عميس عن إياس بن سَلَمة عن أبيه قال: «رخّص رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم عام أوطاس في المتعة ثلاثاً ثمّ نهى عنها»[٢].

وأبو بكر بن أبي شيبة هذا، هو عبد الرحمان بن عبد الملك الحزامي. ضعّفه أبو بكر بن أبي داود، و قال أبو أحمد الحاكم: ليس بالمتين عندهم. و ابن حبّان مع عدّه في الثقات وصفه بأنه ربما أخطأ[٣]. و في لفظ ابن حجر: ربما خالف. قال: و لم يُخرّج عنه البخاري سوى حديثين[٤].

وكذا عبد الواحد بن زياد، كان مدلّساً، يدلّس في حديثه عن الأعمش. قال أبو داود الطيالسي: عمد إلى أحاديث كان يرسلها الأعمش فوصلها كلّها، و قد بيّنه

---

١. صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٣٠.

٢. صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٣١.

٣. ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٢، ص ٥٧٨ رقم ٤٩١٤. و المغني في الضعفاء أيضاً له، ج ٢، ص ٣٨٣ رقم ٣٥٩٨.

٤. تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٢٢٢.

القطاني. و قال ابن معين: ليس بشيء، و كانت له مناكير نقمت عليه. و وصفه الذهبي بأنه صدوق، يُغرب![١].

* * *

وهكذا حديث سبرة الجهني، لم يروه عنه سوى ابنه الربيع، و من ثَمَّ لم يُخرّجه البخاري،[٢] و إنما أخرجه مسلم بإسناده إلى عبد الملك بن الربيع بن سبرة، عن أبيه عن جدّه قال: أمرنا رسول اللّه ﷺ بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكّة، ثم لم نخرج منها حتى نهانا عنها[٣].

كما لم يُخرّج مسلم للربيع عن أبيه حديثاً غيرحديث المتعة، و لم يأت ذكره في غير هذا الباب[٤].

الأمر الذي يُثير الريب بشأن الربيع، و حديثه ذلك عن أبيه حديثاً لم يروه عنه غيره إطلاقاً؟!

قال ابن قيّم الجوزي ـ بعد تقسيمه للناس إلى طائفتين بشأن حديث المتعة، طائفة تقول: إن عمر هو الذي حرّمها و نهى عنها ـ قال: و لم تر هذه الطائفة تصحيح حديث سبرة بن معبد في تحريم المتعة، فإنه من رواية عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جدّه. و قد تكلّم فيه ابن معين، و لم ير البخاري إخراج

١. المغني في الضعفاء، ج ٢، ص ٤١٠ رقم ٣٨٦٧. و ميزان الإعتدال، ج ٢، ص ٦٧٢ رقم ٥٢٨٧.

٢. إذ لم يخرّج عن الربيع في صحيحه شيئاً، و لا عن أبيه سبرة، سوى ما علّقه في أحاديث الأنبياء فقال: و يُروىٰ عن سبرة بن معبد و أبي الشموس أن النبيّ ﷺ أمر بإلقاء الطعام، يعني من أجل مياه ثمود. و وصله الطبراني من طريق الحميدي عن حرملة بن عبد العزيز بن الربيع بن سبرة(تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٤٥٣ و ج ٦، ص ٣٣٦).

٣. صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

٤. راجع: الجمع بين رجال الصحيحين، ج ١، ص ١٣٥.

حديثه في صحيحه، مع شدة الحاجة إليه، و كونه أصلاً من أصول الإسلام، و لو صحّ عنده لم يصبر عن إخراجه و الاحتجاج به[١].

قال ابن حبّان ـ في ترجمة عبد الملك هذا ـ: منكر الحديث جدّاً، يروي عن أبيه ما لم يتابع عليه. قال: و سئل يحيى بن مَعين عن أحاديث عبد الملك عن أبيه عن جدّه، فقال: ضعاف[٢].

هذه حالة الأحاديث المُزرية، و التي استندها القوم دليلاً على التحريم، فتدبّر، و اقض ما أنت قاضٍ.

محاورة مفيدة

و يتناسب هنا أن ننقل محاورة وقعت بين الشيخ أبي عبد اللّه المفيد، و شيخ من الإسماعيلية كان على مذهب الجماعة يُعرف بابن لؤلؤ. قال المفيد: حضرت دار بعض قوّاد الدولة، و كان بالحضرة شيخ من الإسماعيلية، فسألني: ما الدليل على إباحة المتعة؟

فقلت له: الدليل على ذلك قول اللّه عزّ و جلّ: **﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مٰاوَرٰاءَ ذٰلِكُمْ اَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوٰالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مسٰافِحِينَ. فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً. وَ لاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ فِيمٰا تَرٰاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ. إنَّ اللّٰهِ كٰانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾**[٣].

فأحلّ جلّ اسمه نكاح المتعة بصريح لفظها، و بذكر أوصافها من الأجر عليها،

---

١. أوردنا تمام كلامه فيما تقدّم، راجع: زاد المعاد لابن قيم، ج٢، ص١٨٤.

٢. كتاب المجروحين و الضعفاء لأبي حاتم محمد بن حبّان، ج٢، ص١٣٢ ـ ١٣٣. و تهذيب التهذيب، ج٣، ص٢٤٥.

٣. النساء/٢٤.

و التراضي بعد الفرض له، من الإزدياد في الأجل، و زيادة الأجر فيها.

فقال: ما أنكرت أن تكون هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حٰافِظُونَ إِلاّٰ عَلَى أَزْوٰاجِهِمْ أَوْ مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغىٰ وَرٰاءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْعٰادُونَ﴾[١]. فحظر اللّه تعالى النكاح إلاّ لزوجة أو ملك يمين. وإذا لم تكن المتعة زوجة و لا ملك يمين، فقد سقط مَن أحلّها.

فقلت له: قد أخطأت في هذه المعارضة من وجهين:

أحدهما: إنّك ادّعيت أن المستمتع بها ليست بزوجة، و مخالفك يدفعك عن ذلك، و يثبتها زوجة في الحقيقة.

والثاني: إن سورة المؤمنون مكّية، و سورة النساء مدنية، و المكّي مُتقدّم على المدني، فكيف يكون ناسخاً له و هو متأخّر عنه، و هذه غفلة شديدة!

فقال: لو كانت المتعة زوجة لكانت ترث، و يقع بها الطلاق.

فقلت له: و هذا أيضاً غلط منك في الديانة؛ و ذلك أن الزوجة لم يجب لها الميراث، و يقع بهاالطلاق من حيث كانت زوجة فقط، و إنّما حصل لها ذلك بصفة تزيد على الزوجيّة[٢].

والدليل على ذلك أن الأَمة إذا كانت زوجة لم ترث و لم تُورِّث [٣]. و القاتلة لا ترث، و الذمّية لا ترث و الأَمة المبيعة تبين بغير طلاق[٤]، و الملاعنة أيضاً تبين

---

١. المؤمنون/ ٥ـ٦.

٢. يعني أن مسألة الطلاق ليست من لوازم الطبيعة للزوجيّة، بل لكونها دائمة أو نحو ذلك ممّا هو خارج الطبيعة..

٣. بناءً على أن المملوك لا يتملك.

٤. يعني إذا بيعت الأَمة المزوّجة و لم يأذن مالكها الجديد بالزواج، فإن الزوجية تنفسخ حالاً بغير طلاق.

بغير طلاق[١]، و كذلك المختلعة[٢]، و المرتدّ عنها زوجها[٣]، و المُرضَعَة قبل الفطام بما يوجب التحريم من لبن الأُم، و الزوجة تبين بغير طلاق[٤].

و كل ما عدّدناه زوجات في الحقيقة، فبطل ما توهّمت. فلم يأت بشيء.

فقال صاحب الدار ـ و هو رجل أعجمي، لا معرفة له بالفقه و إنما يعرف الظواهر ـ: أنا أسألك في هذا الباب عن مسألة: هل تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعة، أو تزوج أمير المؤمنين؟ فلو كان في المتعة ما تركاها!

فقلت له: ليس كلّ ما لم يفعله رسول صلى الله عليه وآله وسلم كان محرماً، و ذلك أنّ رسول الله و الأئمّة عليهم السلام لم يتزوّجوا الإماء و لا نكحوا الكتابيّات و لا خالعوا، و لم يفعلوا كثيراً من أشياء كانت مباحة. و بعد ان تبادلت مسائل من هذا القبيل، قال الشيخ المفيد:

فقلت له: إن أمرنا مع هؤلاء المتفقّهة عجيب، و ذلك أنهم مطبقون على تبديعنا في نكاح المتعة مع إجماعهم على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كان أذِن فيها، و أنّها عُمِلت على عهده، و مع ظاهر الكتاب و إجماع آل محمد عليهم السلام على إباحتها، و الاتفاق على أن عمر حرّمها في أيّامه، مع إقراره بأنها كانت حلالاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلو كنّا على ضلالة فيها لكنّا في ذلك على شبهة، تمنع ما يعتقده المخالف

---

١. بناءً على أن اللعان يوجب الفرقة من غير حاجة إلى طلاق.

٢. بناءً على عدم الحاجة إلى الطلاق و كفاية صيغة الخلع.

٣. إذا ارتدّ الزوج تبين منه زوجته بغير طلاق.

٤. إذا أرضعت أمّ الزوجة وليدتها، أي وليدة زوجة الرجل، حرمت عليه؛ إذ لا ينكح أبو المرتضع في أولاد صاحب اللبن. و كذا لو أرضعت الزوجة الكبيرة المدخول بها الزوجة الصغيرة حرمتا؛ لأن الأُولى أصبحت أمّ الزوجة، و الثانية بنت المدخول بها.

فينا من الضلال و البراءة منا. و فيمن خالفنا من يقول في النكاح و غيره بضد القرآن و خلاف الإجماع و المنكر في الطباع ـ ثم جعل يعدّد موارد منها[١] ـ ثم قال: و هم يتولى بعضهم بعضاً، و ليس ذلك إلاّ لاختصاص قولنا بآل محمد عليهم‌السلام[٢].

ب ـ متعة الحج

تنقسم فريضة الحج إلى تمتّع و قِران و إفراد. و الأوّل فرض مَن نأى عن مكة، و لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، فيُهلّ بالعمرة إلى الحج. فإذا طاف و سعى قصّر و خرج عن إحرامه، حتى إذا كان يوم التروية أهلّ بالحج، و ذهب إلى عرفات. و كان له بين تحلّله و إحرامه هذا أن يتمتّع بما كان قد حرم عليه لأجل إحرامه؛ و من ذلك جاءت هذه التسمية.

و لا زال يعمل بها المسلمون على مختلف مذاهبهم، جرياً مع نصّ الكتاب و سُنّة الرسول و عمل الأصحاب. غير أن عمر حاول المنع منه، لما استهجنه من توجّه الناس إلى عرفات و رؤوسهم تقطر ماءً، اجتهاداً مجرّداً في مقابلة النصّ الصريح.

و قد عرفت تشديده بشأن المتعتين، لكن تعليله لذلك يبدو أغرب.

أخرج مسلم بإسناده عن أبي موسى أنه كان يفتي بالمتعة، فقال له رجل: رويدك ببعض فتياك، فإنّك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في النُسُك بعدُ، حتى

---

١. راجع تلك الموارد في الفصول المختارة من العيون و المحاسن للشيخ المفيد، ص١٢٢ ـ ١٢٣، فإنه ممتع!

٢. الفصول المختارة، ص١١٩ ـ ١٢٣ (ط نجف).

لقيه بعدُ فسأله، فقال عمر: كرهت أن يظلّوا مُعْرِسين بهنّ في الأراك[١]، ثم يَرُوحُون في الحجّ تقطر رؤوسهم[٢].

ولعلّها بقية من عقائد قديمة[٣]، وقع مثلها في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ممّا أثار غضبه.

فقد أخرج مسلم بإسناده عن عطاء: أن جماعة من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أهلّوا بالحج مفرداً، فقدم النبيّ صباح رابعة مضت من ذي الحجة، فأمرهم أن يحلّوا و يصيبوا النساء، قال عطاء: لم يعزم عليهم و لكن أحلّهنّ لهم. فقال بعضهم لبعض: ليس بيننا و بين عرفة إلاّ خمس، فكيف يأمرنا أن نُفضي إلى نسائنا فنأتي عرفة، تقطر مذاكيرنا.

فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقام فيهم، و قال ـ مُستغرباً هذا الفضول من الكلام ـ: قد علمتم أني أتقاكم للّه و أصدقكم و أبرّكم أبرّكم، و لولا هديي لحللتُ كما تحلّون. و لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدى، فحلّوا. قال جابر: فحللنا، و سمعنا و أطعنا.

و في رواية: فكبر ذلك علينا و ضاقت به صدرورنا... و في أُخرى: كيف نجعلها متعةً و قد سمّينا الحج، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : افعلوا ما آمركم به، ففعلوا[٤].

---

١. يقال: أعرس الرجل بامرأته إذا بنى بها. و الأراك: موضع قرب نمرة.

٢. صحيح مسلم، ج ٤، ص ٤٥ ـ ٤٦ باب نسخ التحلل.

٣. قال ابن قيّم الجوزي: كانت العرب في الجاهلية تكره العمرة في أشهر الحج، و كانوا يقولون: إذا أدبر الدبر و عفا الأثر و انسلخ صفر فقد حلت العمرة لمن اعتمر. (زاد المعاد، ج ١، ص ٢١٤) و(البخاري، ج ٢، ص ١٧٥) و (مسلم، ج ٤، ص ٥٦).

٤. راجع: صحيح مسلم في عدة روايات، ج ٤، ص ٣٦ ـ ٣٨. و صحيح البخاري، ج ٢، ص ١٧٥ـ١٧٦.

و في حديث طويل أخرجه مسلم بإسناده إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، عن أبيه عن جابر، يشرح حجّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى ينتهي إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل و ليجعلها عمرة» قال: فقام سراقة بن مالك بن جُعْشُم، فقال: يا رسول اللّه، ألِعامِنا هذا أم لأبدٍ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : بل لأبدٍ أبدٍ[1].

قال العلاّمة الأميني: و لم يكن نهي عمر عن المتعتين إلاّ رأياً محضاً و اجتهاداً مجرداً تجاه النصّ، أما متعة الحج فقد نهى عنها لما استهجنه من توجّه الناس إلى الحج و رؤوسهم تقطر ماءً. لكن اللّه سبحانه أبصر منه بالحال، و نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم ذلك حين شرّع إباحة متعة الحج حكماً باتّاً أبديّاً[2].

قال ابن قيّم: و منهم من يعدّ النهي رأياً رآه عمر من عنده، لكراهته أن يظلّ الحاجّ مُعرسين بنسائهم في ظلّ الأراك. قال أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم النخعي عن الأسود بن يزيد، قال: بينما أنا واقف مع عمر بن الخطاب بعرفة عشيّة عرفة، فإذا هو برجلٍ مرجَّلٍ شعره يفوح منه ريح الطيب، فقال له عمر: أمُحرِم أنت؟ قال: نعم. فقال عمر: ما هيأتك بهيأة محرم، إنما المُحرم الأشعث الأغبر الأذفر[3]. قال: إني قدمت متمتّعاً و كان معي أهلي، إنما أَحرمت اليومَ. فقال عمر ـ عند ذلك : لا تتمتّعوا في هذه الأيّام، فإنّي لو رخّصت في المتعة لهم لعرّسوا بهنّ في الأراك ثم راحوا بهنّ حُجاجاً. قال ابن قيم: و هذا يبيّن أنّ هذا من عمر رأي

---

١. صحيح مسلم، ج ٤، ص٣٩ ـ ٤٣. و في المحلّى لابن حزم (ج ٧، ص١٠٨): بل لأبد الأبد.

٢. الغدير، ج٦، ص٢١٣.

٣. الذفر ـ بالتحريك ـ :يقع على الطيب و الكريه، و يفرق بينهما بما يضاف إليه و يوصف به. والمراد هنا الريح الكريهة.

رآه[١].

* * *

مذاهب الفقهاء في حج التمتع

ذهب الفقهاء من الإمامية إلى أفضليّة حج التمتّع على الإفراد و القِران، و أنه فرض مَن نأى عن مكة[٢].

وقالت الشافعيّة: بأفضليّة الإفراد ثم التمتع ثمّ القِران، إن كان قد اعتمر في عامه؛ لأن تأخير العمرة عن عام الحج عندهم مكروه[٣].

وقالت المالكية: بأفضليّة الإفراد ثم القِرآن ثم التمتع[٤].

والحنابلة: أفضلها التمتّع ثم الإفراد ثم القِران[٥].

والحنفيّة: أفضلها القِران ثم التمتع ثم الإفراد[٦].

والمذاهب الأربعة جميعاً قائلون بالتخيير.

التاسع ـ حديث الرجعة

قال تعالى: ﴿وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ

---

١. زاد المعاد لابن قيم، ج١، ص٢١٤. و هكذا ذهب ابن حزم أن هذا رأي رآه عمر (المحلّى، ج٧، ص١٠٢).

٢. شرائع الإسلام، ج١، ص٢٣٦ ـ ٢٤٠.

٣. الفقه على المذاهب الأربعة، ج١، ص٦٨٨.

٤. المصدر نفسه، ص٦٩٠.

٥. المصدر نفسه، ص٦٩٢.

٦. المصدر نفسه، ص٦٩٣.

يُوزَعُونَ﴾[١].

هذه الآية الكريمة أظهر آية دلّتنا على ثبوت الرّجعة، و هي الحشرة الصُغرى قبل الحشرة الكُبرى يوم القيامة؛ حيث التعبير وقع في هذه الآية بحشر فوج من كلّ أُمّة، أي جماعة منهم و ليس كلهم. أما الحشر الأكبر فهوالذي قال فيه تعالى: ﴿وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[٢]. و قد تكرّر قوله تعالى: ﴿وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾[٣].

قال الإمام الصادق عليه السلام : هذا في الرجعة، فقيل له: إنّ القوم يزعمون أنه يوم القيامة! فقال: فيحشر اللّه يوم القيامة مِن كل أُمّةٍ فوجاً و يدع الباقين؟! لا، و لكنّه في الرجعة، أما يوم القيامة فهي: ﴿وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[٤].

و مسألة الرجعة، حسبما تعتقده الشيعة الإمامية، و هي رجعة أموات إلى الحياة قبل قيام الساعة، ثم يموتون موتهم الثاني. ليست بدعاً من القول إلى جنب قدرة اللّه تعالى في الخلق، كما قصّ في كتابه من قصّة عزير، و أصحاب الكهف، و الذين خرجوا من ديارهم و هم أُلوف، و السبعين رجلاً من قوم موسى، و غير ذلك، ممّا وقع في أُمم خلت، فلا بدع أن يقع في هذه الأمة مثلها.

ولعلمائنا الأعلام بهذا الشأن دلائل و مسائل استقصوا فيها الكلام نذكر منها:

* * *

وللصدوق رحمه الله في رسالة الاعتقاد بيان وافٍ بشأن إثبات الرجعة، استشهد

---

١. النمل/ ٨٣.

٢. الكهف/ ٤٧.

٣. الأنعام/ ٢٢ و ١٢٨. يونس/ ٢٨. سبأ/ ٤٠.

٤. تفسير الصافي، ج٢، ص٢٤٧ـ ٢٤٨.

بآيات جاء فيها ذكر الإحياء لأموات في هذه الحياة، فبعثهم اللّه أحياءً بعد ما أماتهم، فعاشوا زماناً ثم ماتوا موتهم الثاني. نظير ما نقوله في الرجعة، يعود أقوام إلى الحياة ويعيشون فترة ثم يموتون قبل قيام الساعة. كل ذلك دليل على إمكان الرجعة، و أنها ليست بدعاً من القول، أو يستنكر إلى جنب قدرة اللّه تعالى في الخلق.

والآيات التي استشهد بها هي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[١]. هؤلاء قوم حزقيل ـ و يقال له ابن العجوز[٢] ـ فرّوا من القتال أو الطاعون، فأماتهم اللّه، فخرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى، فدعا اللّه أن يعيد إليهم الحياة، فأحياهم اللّه، فرجعوا إلى الدنيا و سكنوا الدور، و أكلوا الطعام و نكحوا النساء، و مكثوا ما شاء اللّه ثم ماتوا بآجالهم[٣].

٢ـ قوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ـ إلى قوله ـ و لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾[٤]. هو عُزير، و قيل: أرميا. و كلا هما مرويّ، الأول عن الإمام أبي عبد اللّه، و الثاني عن الإمام أبي جعفر عليهما السلام.

ورُوي عن عليّ عليه السلام أنّ عُزير خرج من أهله و امرأته حامل، و له خمسون سنة، ثم لما رجع و هو على سنه الأُولى وجد ابنه أكبر منه، ابن مائة سنة، و هذا من

---

١. البقرة/ ٢٤٣.
٢. و ذلك أن أُمّه كانت عجوزاً فسألت اللّه الولد و قد كبرت فوهبه اللّه لها. (مجمع البيان، ج٢، ص٣٤٦).
٣. روى ذلك حمران بن أعين عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام (مجمع البيان، ج٢، ص٣٤٧).
٤. البقرة/ ٢٥٩.

آيات اللّه[١].

٣ـ و قوله تعالى: ﴿وَ إِذْ قُلْتُمْ يا مُوسىٰ لَنْ نُؤمِنَ لَكَ حَتّٰى نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢].
قال الطبرسي: أي ثم أحييناكم لاستكمال آجالكم.

قال: و استدلّ قوم من أصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعة. و قول القائل: لا تجوز إلاّ في حياة النبيّ لتكون دليلاً على نبوّته، باطل؛ لأنه عندنا بل عند أكثر الأُمة يجوز إظهار المعجزات على أيدي الأئـمّة و الأولياء. و قال أبو القاسم البلخي: لا تجوز الرجعة مع الإعلام بها، لاستلزامه الإغراء بالمعاصي اتّكالاً على التوبة عند الكرّة. و جوابه: أنّ الرجعة التي نقول بها ليست لجميع الناس فلا إغراء؛ إذ لا قطع برجوع أيّ أحدٍ[٣].

٤ـ و قوله تعالى ـ خطاباً مع عيسى عليه السلام ـ: ﴿وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتىٰ بِإِذْنِي﴾[٤].
قال الصدوق: و جميع الموتى الذين أحياهم عيسى المسيح بإذن اللّه، عاشوا فترة ثم ماتوا بآجالهم.

٥ ـ و أصحاب الكهف ﴿لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَمِائَةٍ سِنِينَ وَ ازْدادُوا تِسْعاً﴾ ثم بعثهم اللّه، قال تعالى: ﴿فَضَرَبْنا عَلىٰ آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً، ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصىٰ لِما لَبِثُوا أَمَداً ـ إلى قوله ـ وَ كَذٰلِكَ بَعَثْناهُمْ لِيَتَساءَلُوا بَيْنَهُمْ. قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[٥].

---

١. مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٧٠.
٢. البقره/ ٥٥ ـ ٥٦.
٣. مجمع البيان، ج ١، ص ١١٥.
٤. المائدة/ ١١٠.
٥. الكهف/ ١١ ـ ٢٥.

جمعداری اموال
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قال الصدوق: و حيث كانت الرجعة في الأُمم السالفة، فلا غرو أن يقع مثلها في هذه الأمّة، كما في الحديث: يكون في هذه الأُمة ما وقع في الأمم السالفة[١].

٦ـ و زاد أبو عبد اللّه المفيد الاستدلال بقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنا أَمَتَّنا اثْنَتَيْنِ وَ اَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنا بِذُنُوبِنا فَهَلْ إلىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾[٢]، فهذا الاعتراف والاستدعاء كان يوم القيامة، و المراد بالحياتين و المماتين: الحياة قبل الرجعة والحياة بعدها. و كذا الموتتان قبل و بعد الرجعة؛ و ذلك لأنهم ندموا على ما فرط منهم في تينك الحياتين، و معلوم أن لا عمل نافعاً و لا تكليف إلاّ في الحياة الدنيا.

و قد استوفى الكلام حول الآية بمناسبة المقام، حسبما يأتي عند نقل كلامه.

٧ـ و هكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٣]. حيث سئل عن هذا النصر، فأجاب من وجوه: و قال: و قد قالت الإماميّة: إن اللّه تعالى ينجز الوعد بالنصر للأولياء قبل الآخرة عند قيام القائم، و الكرّة التي وعد بها المؤمنين في العاقبة[٤].

٨ـ و استدل الصدوق أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللّهُ مَنْ يَمُوتُ، بَلىٰ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[٥].

قال: يعني في الرجعة، و ذلك أنه يقول: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذي يَخْتَلِفُونَ فيهِ﴾[٦]،

---

١. عقائد الصدوق، ص٦٢. و البحار، ج٥٣، ص١٢٨ـ ١٢٩.
٢. غافر/ ١١.
٣. غافر/ ٥١.
٤. في أجوبة المسائل العكبرية. (البحار، ج٥٣، ص١٣٠).
٥. النحل/ ٣٨.
٦. النحل/ ٣٩.

و التبيين يكون في الدنيا[١].

٩ ـ و ذكر جار اللّه الزمخشري في حديث ذي القرنين عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، سأله ابن الكوّا: ما ذو القرنين، أمَلك أم نبيّ. فقال: ليس بملَك و لا نبيّ، و لكن كان عبداً صالحاً. ضُرب على قَرنه الأيمن في طاعة اللّه فمات، ثم بعثه اللّه. فضُرب على قَرنه الأيسر فمات، فبعثه اللّه؛ فسُمّي ذا لقرنين. و فيكم مثله[٢]، يعني نفسه عليه السلام.

قال السيد رضي الدّين بن طاووس: قول مولانا عليّ عليه السلام: «وفيكم مثله» إشارة إلى ضرب ابن ملجم له، و أنّه يعود إلى الدنيا بعد وفاته كما رجع ذو القرنين. و هذا أبلغ من روايات الشيعة في الرجعة[٣].

١٠ـ و روى الشيخ حسن بن سليمان في كتابه المحتضر حديث الأئمّة الاثني عشر، رواه سلمان الفارسي عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله ثم قال سلمان: فبكيتُ و قلتُ يا رسول اللّه، فأنّى لسلمان لإدراكهم؟ قال: يا سلمان إنّك مدركهم و أمثالك و من تولّاهم حقيقة المعرفة. قال سلمان: فشكرت الله كثيراً، ثمّ قلت: يا رسول الله، إنّي مؤجّل إلى عهدهم؟ قال: يا سلمان، اقرأ: **﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾**[٤].

قال سلمان: قلت بعهد منك يا رسول اللّه؟ قال: إي... و كل من هو منا ومظلوم فينا، ثم ليحضرن إبليس و جنوده و كل من محض الإيمان محضاً

---

١. رسالة الاعتقاد و البحار، ج٥٣، ص١٣٠.

٢. تفسير الكشاف، ج٢، ص٧٤٣ سورة الكهف/ ٨٣ـ ٨٨.

٣. سَعد السعود، ص٦٥.

٤. الإسراء/ ٦.

ومحض الكفر محضاً. حتى تؤخذ الأوتار و الثارات، و لا يظلم ربك أحداً. و نحن تأويل هذه الآية: ﴿وَ نُرِيدُ اَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾[1].

قال العلامة المجلسي: و رواه ابن عياش في المقتضب بإسناده إلى سلمان أيضاً[2].

قلت: و هذا عن تأويل الآيتين، و تفسير معاني القرآن الباطنة.

* * *

قال أبو علي الطبرسي: و استدل بهذه الآية ـ سورة النمل/ ٨٣ ـ على صحة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإمامية. بأن قال: إنّ دخول «من» في الكلام يوجب التبعيض، فدلّ ذلك على أن اليوم المشار إليه في الآية يحشر فيه قوم دون قوم، و ليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه: ﴿وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ اَحَداً﴾.

قال: و قد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أن اللّه تعالى سيُعيد عند قيام المهدي قوماً ممن تقدّم موتهم من أوليائه و شيعته، ليفوزوا بثواب نصرته و يبتهجوا بظهور دولته، و يعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقّونه من الخزي و الهوان.

قال: و لايشكّ عاقل أنّ هذا مقدور للّه تعالى غير مستحيل في نفسه. و قد فعل اللّه ذلك في الأمم الخالية، و نطق به القرآن في عدّة مواضع، مثل قصّة عُزير و غيره على ما فسّرناه في موضعه.

---

١. القصص/ ٥.

٢. بحار الأنوار، ج٥٣، ص١٤٢ ـ ١٤٤.

قال: إلاّ أنّ جماعة من الإمامية تأوّلوا ما ورد من الأخبار في الرجعة، إلى رجوع دولة الحق، دون رجوع الأشخاص بإحياء الأموات. و أوّلوا الأخبار الواردة في ذلك، ما ظنّوا أنّ الرجعة تنافي التكليف.

قال: و ليس كذلك؛ لأنه ليس فيها ما يُلجئ إلى فعل الواجب و الامتناع من القبيح، و التكليف يصحّ معها كمايصح مع ظهور المعجزات الباهرة و الآيات القاهرة.

قال: و لان الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار ليتطرّق إليها التأويل، و إنما المعوّل في ذلك إجماع الشيعة الإمامية، و إن كانت الأخبار تعضده[1].

* * *

وللعلاّمة المجلسي كلام مسهب حول مسألة الرجعة، أورد أكثر من مئتي حديث عن مصادر معتبرة، ثم يقول: و كيف يشكّ مؤمن بحقّية الأئمّة الأطهار، فيما تواتر عنهم في قريب من مئتي حديث صريح رواها نيّف و أربعون من الثقات العظام والعلماء الأعلام، في أزيد من خمسين من مؤلّفاتهم... ثم يأخذ في تعداد مَن ألّف في ذلك بالخصوص، أو أورد أحاديثه في كتابه من قدماء أصحابنا و متأخّريهم. و يأخذ بالاستشهاد بآيات، و كذا روايات عن غير طرق أهل البيت، ممّا يمسّ مسألة الرجعة أو تكون نظيرة لها، فراجع[2].

* * *

و كان بين السيد إسماعيل بن محمد الحميري و القاضي سوّار[3] مناوشة

---

١. مجمع البيان، ج٧، ص٢٣٤ ـ ٢٣٥.

٢. بحار الأنوار، ج٥٣ (باب ٢٩ الرجعة)، ص٣٩ ـ ١٤٤.

٣. هو سوّار بن عبد اللّه بن قدامة بن عنزة، و ينتهي نسبه إلى كعب بن العنبر بن عمرو بن تميم. ولاّه ←

و عداء على عهد المنصور العباسي. فممّا جرى بينهما ـ فيما رواه الشيخ أبو عبد اللّه المفيد بإسناده إلى الحرث بن عبد اللّه الربعي ـ قال: كنت جالساً في مجلس المنصور، و هو بالجسر الأكبر، و سوّار عنده، و السيد ينشده:

إن الإله الذي لا شـيء يُشبهه ... آتاكم الملك للدنيا و للدين
آتاكم اللّه ملكا لا زوال له ... حتى يقاد إليكم صاحب الصّين
و صاحب الهند مأخوذ برمّته ... وصاحب الترك محبوس على هون

حتى أتى على القصيدة و المنصور مسرور.

فقال سوّار: هذا و اللّه يا أمير المؤمنين يُعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، و اللّه إنّ القوم الذين يدين بحبّهم لَغيرُكُم، و إنه لينطوي على عداوتكم.

فقال السيد: و اللّه إنّه لكاذب، و إنّني في مديحك لصادق، و لكنه حمله الحسد؛ إذ رآك على هذه الحال. و أن انقطاعي و مودّتي لكم أهل البيت لمعرق[1] لي فيها عن أبويّ، و أن هذا و قومه لأعداؤكم في الجاهلية و الإسلام، و قد أنزل اللّه عزّ و جلّ في أهل بيت هذا **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾**[2].

→ المنصور قضاء البصرة سنة ١٣٨، و مات بها سنة ١٥٦. (تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٢٦٩).

١. يقال: أعرق الرجل، أي صار عريقاً، أي أصيلا في الشرف. أي مودّتي ذات عرق و أصالة قديمة.

٢. الحجرات/ ٤. نزلت في بني العنبر. كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سبى قوماً منهم فجاؤوا في فدائهم، فأعتق نصفهم و فادى النصف، و كانوا مذ أتوا النبيّ جعلوا ينادونه من وراء الحجرات ليخرج إليهم، و كان ذلك منهم سوء أدب؛ إذ لم يعرفوا مقام النبيّ. يقول تعالى: **﴿ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم﴾** الحجرات/ ٤ ـ ٥ (مجمع البيان، ج ٩، ص ١٣١). وكان سوّار من بني العنبر، و كان عثمانياً خرج مع أصحاب الجمل أيضاً. و في ذلك يقول السيد الحميري يهجوه بمحضر المنصور:
←

فقال المنصور: صدقت.

فقال سوّار: يا أمير المؤمنين، إنه يقول بالرجعة، و يتناول الشيخين.

فقال السيد: أمّا قوله: بأنّي أقول بالرجعة، فإن قولي في ذلك على ما قال اللّه تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[1]، و قد قال في آخر: ﴿وَ حَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[2]. فعلمت أن هاهنا حشرين: أحدهما عام و الآخر خاص. و قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾[3]، و قال اللّه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[4]، و قال اللّه تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِأَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾[5].

فهذا كتاب اللّه عزّ و جلّ. و قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «يُحشر المتكبرون في صورة الذرّ يوم القيامة»، و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «لم يجر في بني إسرائيل شيء إلاّ و يكون

← يا أمين اللّه يا منصور يا خير الولاة ... إنّ سوّار بن عبد اللّـه مـن شرّ القـضاة
نـــعثلي جمــلي لكــم غــير مــؤاتٍ ... جدّه سارق عــنز فـجرة مـن فـجرات
و الذي كان ينادي مـن وراء الحـجرات ... يا هنات اخرج إلينـا إنـنا أهـل هـنات

(الفصول المختارة للشيخ المفيد، ص ٦٠)

و راجع: اخبار السيد في الأغاني (ج ٧، ص٢٤٨ ـ ٢٩٧) و لا سيّما ما جرى بينه و بين القاضي سوّار فانّه ممتع.

١. النمل / ٨٣.

٢. الكهف / ٤٧.

٣. غافر / ١١.

٤. البقرة / ٢٤٣.

٥. البقرة / ٢٥٩.

في أُمّتي مثله حتى المسخ و الخسف و القذف». و قال حذيفة: «و اللّه ما أبعد أن يمسخ اللّه كثيراً من هذه الأُمّة قردة و خنازير».

فالرجعة التي نذهب إليها هي ما نطق به القرآن و جاءت به السُنّة. و إنّني أعتقد أنّ اللّه تعالى يردّ هذا ـ يعني سوّاراً ـ إلى الدنيا كلباً أو قرداً أو خنزيراً أو ذرّة، فإنه و اللّه متجبّر متكبّر كافر، فضحك المنصور[1].

* * *

وقال الشيخ أبو عبد اللّه المفيد، في جواب مَن سأله عن قول مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «ليس منا من لم يقل بمتعتنا و لم يؤمن برجعتنا» أ هي حشر في الدنيا مخصوص للمؤمنين أو لغيرهم من الظلمة الجائرين يوم القيامة؟

فأجاب عن المتعة بما أسلفنا، ثم قال: و أما قوله عليه السلام: من لم يؤمن برجعتنا فليس منا، فإنما أراد بذلك ما اختصه من القول به في أنّ اللّه تعالى يُحيي قوماً من أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم بعد موتهم قبل يوم القيامة. و هذا مذهب مختص به آل محمد، و قد أخبر اللّه عزّ و جلّ في ذكر الحشر الأكبر: **﴿وَ حَشَرْنٰاهُمْ فَلَمْ نُغٰادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾** و قال في حشر الرجعة قبل يوم القيامة: **﴿وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيٰاتِنٰا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾**. فأخبر أنّ الحشر حشران: حشر عام و حشر خاص. و قال سبحانه يخبر عمّن يحشر من الظالمين أنه يقول في الْقِيامَة يوم الحشر: **﴿رَبَّنٰا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنٰا بِذُنُوبِنٰا فَهَلْ إِلىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾**.

وللعامّة في هذه الآية تأويل مردود، و هو: أن المعنى بقوله: **﴿ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾** أنه

---

١. الفصول المختارة من العيون و المحاسن للشيخ أبي عبد اللّه المفيد (ص ٦١ ـ ٦٢). و نقله العلامة المجلسي في البحار (ج ٥٣، ص ١٣٠ ـ ١٣١).

خلقهم أمواتاً ثم أماتهم بعد الحياة[1].

و هذا باطل لا يجري على لسان العرب؛ لأن الفعل لا يدخل إلاّ على ما كان بغير الصفة التي انطوى اللفظ على معناها، و من خلقه اللّه ميتا لا يقال له: أماته، و إنما يقال ذلك فيمن طرأ عليه الموت بعد الحياة[2]؛ و لذلك لا يقال: جعله اللّه ميّتاً إلاّ بعد ما كان حيّاً. و هذا بيّن.

قال: و قد زعم بعضهم أن المراد بقوله: ﴿ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ الموتة التي تكون بعد حياتهم في القبور للمسائلة، فتكون الأُولى قبل الإحياء و الثانية بعده.

و هذا أيضاً باطل من وجه آخر، و هو: أن الحياة للمسائلة ليست لتكليف فيندم الإنسان على ما فاته في حياته، و ندمُ القوم على ما فاتهم في حياتهم مرّتين، يدل على أنه لم يرد حياة المسائلة، لكنه أراد حياة الرجعة التي يكون لتكليفهم الندم على تفريطهم، فلم يفعلوا فيندعون يوم العرض على ما فاتهم من ذلك[3].

* * *

و سُئل السيد المرتضى علم الهدى عن حقيقة الرجعة؛ لأنّ شذاذ الإماميّة يذهبون إلى أن الرجعة رجوع دولتهم في أيّام القائمعليه السلام، من دون رجوع أجسامهم.

فأجابرحمه الله بأنّ الذي تذهب الشيعة الإماميّة إليه: أنّ اللّه يعيد عند ظهور إمام

---

١. ذكر الفخر الرازي أن كثيراً من المفسّرين قالوا بأن الموتة الأُولى هي الحالة الحاصلة عند كون الإنسان نطفة و علقة، و رجح ذلك بقوله تعالى: ﴿كيف تكفرون باللّه و كنتم أمواتاً فاحياكم﴾، و رتب على ذلك إنكار الحياة البرزخية في القبر. (التفسير الكبير، ج٢٧، ص٣٩).

٢. أما قوله تعالى: ﴿و كنتم أمواتاً فأحياكم﴾ البقرة/ ٢٨. فلأن الميّت يصدق على ما لا حراك فيه و لا حياة منذ البداية، نظير الموات من الأرضين.

٣. المسائل السروية (ضمن رسائل المفيد)، ص٢٠٨ـ ٢٠٩.

الزمان المهدي عليه السلام قوماً ممن كان قد تقدم موته من شيعته، ليفوزوا بثواب نصرته و معونته و مشاهدة دولته، و يُعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم، فيلتذّوا بما يشاهدون من ظهور الحق و علوّ كلمة أهله.

و الدلالة على صحة هذا المذهب أن الذي ذهبوا إليه بما لا شبهة على عاقل في أنه مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه، فإنّا نرى كثيراً من مخالفينا ينكرون الرجعة إنكار مَن يراها مستحيلة غير مقدورة.

و إذا ثبت جواز الرجعة و دخولها تحت المقدور، فالطريق إلى إثباتها إجماع الإمامية على وقوعها، فإنّهم لا يختلفون في ذلك، و إجماعهم قد بيّنّا في مواضع من كتبنا أنه حجة.

و قد بيّنّا أن الرجعة لا تنافي التكليف، و أنّ الدواعي متردّدة معها؛ حيث لا يظنّ ظانّ أنّ تكليف مَن يعاد باطل. و ذكرنا أن التكليف كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة و الآيات القاهرة، فكذلك مع الرجعة؛ لأنه ليس في الجميع ملجئٌ إلى فعل الواجب و الامتناع من فعل القبيح.

فأما من تأوّل الرجعة من أصحابنا، على أن معناها رجوع الدولة و الأمر والنهي، من دون رجوع الأشخاص و إحياء الأموات، فإن قوماً من الشيعة لما عجزوا عن نصرة الرّجعة و بيان جوازها و أنها تنافي التكليف، عوّلوا على هذا التأويل للأخبار الواردة بالرجعة. و هذا منهم غير صحيح؛ لأنّ الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة، فيطرق التأويلات عليها، فكيف يثبت ما هو مقطوع على صحّته بأخبار الآحاد التي لا توجب العلم؟! و إنما المعوّل في إثبات الرجعة على إجماع الإمامية[1].

---

١. المسائل الرازيّة (المسألة الثامنة) رسائل الشريف الرضي المجموعة الأولى، ص١٢٥ـ ١٢٦ و ←

و قال الإمام كاشف الغطاء ـ ردّاً على من زعم أن القول بالرجعة ركن من أركان التشيّع ـ[1]:

«وليس التديّن بالرجعة في مذهب التشيُّع بلازم، و لا إنكارها بضارّ، و إن كانت ضروريّة عندهم، و لكن لا يناط التشيع بها وجوداً و عدماً. و ليست هي إلاّ كبعض أنباء الغيب، و حوادث المستقبل، و أشراط الساعة، مثل: نزول عيسى من السماء، وظهور الدجّال، و خروج السفياني و أمثالها، من القضايا الشائعة عند المسلمين. و ما هي من الإسلام في شيء، ليس إنكارها خروجاً منه، و لا الاعتراف بها بذاته دخولاً فيه. و كذا حال الرجعة عند الشيعة.

ثم قال: هل ترى المتهوّسين على الشيعة بحديث الرجعة قديماً و حديثاً، عرفوا معنى الرجعة و المراد بها عند من يقول بها من الشيعة؟ و أيّ غرابة واستحالة في العقول أن سيُحيي اللّه سبحانه جماعة من الناس بعد موتهم، و أي نكر في هذا بعد أن وقع مثله بنصّ الكتاب الكريم. ألم يسمع المتهوّسون قصّة ابن العجوز التي قصّها اللّه سبحانه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[2]، ألم تمرّ عليهم كريمة قوله تعالى: ﴿وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾[3]، مع أنّ يوم القيامة تحشر فيه جميع الأُمم، لا من كل أُمّة فوج.

قال: و حديث الطعن بالرجعة كان دأب علماء السنّة من العصر الأول إلى هذه

← نقلها البحار، ج٥٣، ص١٣٨ ـ ١٣٩.

١. يقول أحمد أمين: فاليهوديّة ظهرت في التشيّع بالقول بالرجعة (فجر الإسلام، ص٢٧٦)، و راجع: صفحات (٢٦٩ ـ ٢٧٠ و ٢٧٣ أيضاً).

٢. البقرة / ٢٤٣.

٣. النمل / ٨٣.

العصور، فكان علماء الجرح و التعديل منهم إذا ذكروا بعض العظماء من رواة الشيعة و محدّثيهم و لم يجدوا مجالاً للطعن فيه لوثاقته و ورعه و أمانته نبزوه بأنّه يقول بالرجعة. فكأنهم يقولون: يعبد صنماً أو يجعل للّه شريكاً. و نادرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة معروفة. و أنا لا أريد أن أُثبت ـ في مقامي هذا و لا غيره ـ صحة القول بالرجعة، و ليس لها عندي من الاهتمام قدر صغير أو كبير، و لكنّي أردت أن أدلّ (فجر الإسلام) على موضع غلطه و سوء تحامله»[١].

* * *

و قال العلامة العميد الشيخ محمد رضا المظفّر: الذي تذهب إليه الإماميّة أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن اللّه تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعزّ فريقاً و يذلّ فريقاً آخر، و يُديل المحقّين من المبطلين، والمظلومين منهم من الظالمين؛ و ذلك عند قيام مهدي آل محمد عليهم السلام.

و لا يرجع إلاّ من علت درجته في الإيمان أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت، و من بعده إلى النشور و ما يستحقّونه من الثواب أو العقاب، كما حكى اللّه تعالى في قرآنه الكريم، تمنّي هؤلاء المرتجعين الذين لم يصلحوا بالارتجاع، فنالوا مقت اللّه أن يخرجوا ثالثاً لعلّهم يصلحون: ﴿ **قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ** ﴾[٢].

نعم قد جاء القرآن الكريم بوقوع الرجعة إلى الدنيا، و تظافرت به الأخبار عن بيت العصمة. و الإمامية بأجمعها عليه إلاّ قليلون منهم تأوّلوا ما ورد في الرجعة،

---

١. أصل الشيعة و أصولها للعلامة الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، رحمه اللّه، ص٩٩ـ١٠١.

٢. المؤمن/ ١١.

بأن معناها رجوع الدولة و الأمر و النهي إلى آل البيت بظهور الإمام المنتظر، من دون رجوع أعيان الأشخاص و إحياء الموتى.

ثم يتعرّض للنقاش حول إمكان الرجعة، و الروايات الواردة بشأنها، و أنـها ممّا تواترت عن أئمة آل البيت، و لا موضع للتشنيع بها على الشـيعة، و أخـيراً يقول:

وعلى كل حال فالرجعة ليست من الأصول التي يجب الاعتقاد بها و النـظر فيها، و إنما اعتقادنا بها كان تبعاً للآثار الصحيحة الواردة عن آل البيت عليهم السلام الذين نُدين بعصمتهم من الكذب، و هي من الأُمور الغَيبيّة التي أخبروا عنها، و لا يمتنع وقوعها[١].

* * *

و فسّر الآية (النمل / ٨٣) من لا يعتقد بالرجعة بأنه حشر ثان إلى النار، بعد الحشر الأكبر من القبور.

قالوا: و المراد بالفوج هم الزعماء و قادة الضلال، يُحشرون إلى النـار فـي مقدّمة أتباعهم، فيساق أبو جهل و الوليد بن المغيرة و شعبة بن ربيعة بين يَدي كفار مكّة، و هكذا يُحشر قادة سائر الأُمم بين أيديهم إلى النار[٢].

قال الزمخشري: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي يـحبس أوّلهـم عـلى آخـرهم حـتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار. قال: و هذه عبارة عن كثرة العدد و تباعد أطرافه، كما وصفت جنود سليمان بذلك[٣].

---

١. عقائد الإمامية للمظفر، ص ٨٠ ـ ٨٤ رقم ٣٢.
٢. روح المعاني لمحمود الآلوسي، ج ٢٠، ص٢٦.
٣. الكشاف، ج٣، ص٣٨٥.

قال تعالى ـ: ﴿وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُه مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوْزَعُونَ﴾[١].

غير أنّ الذين يحشرون إلى النار هم أعداء اللّه جميعاً و ليس فريق منهم، قال تعالى: ﴿وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْداءُ اللّهِ إِلَى النّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[٢]. قوله: يوزعون، أي يدفع بعضهم بعضاً فيتدافعون إلى النار لكثرتهم و ازدحامهم.

أمّا تلك الآية فالحشر و التدافع كان بالفوج فحسب، و ليس كل أعداء اللّه. والتفسير بالزعماء و القادة أمام الأتباع و السفلة، تخرّص بالغيب لا مستند له.

العاشر ـ مسألة البداء

البداء في التكوين كالنسخ في التشريع، أمر واقع، و قد صرّح به الكتاب و تواترت به الروايات، عن أهل بيت العصمة.

و هو كالنسخ، له معنى باطل و مستحيل على اللّه تعالى، و هو عبارة عن نشأة رأي جديد. هذا المعنى مستحيل على اللّه، و لا تصحّ نسبته إليه تعالى شأنه.

وله معنى آخر، هو معقول، عبارة عن ظهور أمر بعد خفائه على الناس. كان يعلم به اللّه منذ الأزل، و قدّره كذلك منذ البدء، و لكن لمصلحة في التكليف أخفاه ثم أبداه لوقته. كما في مسألة النسخ، كان الأمد (أمد التكليف) معلوماً للّه ومقدّراً من البدء، سوى أن الناس حسبوا دوامه و استمراره استناداً إلى ظهور اللفظ في الدوام، ما لم يأت ناسخ.

و هكذا الأجل في مسألة البداء، له ظاهر يعلمه أولو البصائر في أسرار الوجود، وله واقع يعلمه علاّم الغيوب، فَيُبديه لوقته وَفق حكمته.

---

١. النمل/ ١٧.

٢. فصلت/ ١٩.

فالبداء من البدوّ، أي الظهور، إنما يحصل للناس، و كانت نسبته إلى اللّه مجازاً بالمناسبة؛ لأنه الذي يُظهره لهم. و تشبيه في التعبير، كأنّه بدا للّه، و هو في الحقيقة إبداء منه تعالى.

و إليك من دلائل الكتاب ما يدلك على هذه الحقيقة، مشفوعة بنبذ من كلمات الأئمّة الأطهار.

* * *

١ـ قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، يَمْحُو اللّٰهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[١].

الآجال مقدّرة في الأزل حسب استعدادات الأشياء و الأشخاص كلٌّ بحسب ذاته وطبعه، لولا عروض الطوارئ المغيّرة للآجال، و التي لا يعلمها سوى اللّه، ومن ثم يمحو ما يشاء و يثبت و عنده أُم الكتابُ، أي العلم النهائي المكنون في اللوح المحفوظ.

فعلمه تعالى التدبيري لأحوال الخلق علمان: علم مخزون لا يعلمه سوى اللّه، و هو المسمى باللوح المحفوظ. و علم عَلَّمه ملائكتَه و أنبياءه و سائر أوليائه، وهو الذي يصير فيه البداء، المعبّر عنه بلوح المحو و الإثبات.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن لله علمين، علم مكنون مخزون لا يعلمه إلاّ هو، من ذلك يكون البداء. و علم علّمه ملائكته و رسله و أنبياءه و نحن نعلّه»[٢].

قوله: «من ذلك يكون البداء» أي منشأ البداء هو ذلك العلم الأزلي المخزون الذي لا يتغير. فهناك علم يكون منه البداء، و هو اللوح المحفوظ، و علم يكون فيه

---

١. الرعد/ ٣٩.

٢. بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٠٩ ـ ١١٠ رقم ٢٧.

البداء، و هو لوح المحو و الإثبات.

قال عليه السلام: «من زعم أنّ اللّه عزّ و جلّ يبدو له في شيء لم يعلمه أمس، فابرؤوا منه»[١]. و هذا هو معنى البداء الباطل، المستحيل على اللّه سبحانه و تعالى.

* * *

٢ ـ و قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضىٰ أَجَلاً، وَ أَجلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾[٢].

فهناك أجلان: أجل قضى و قدّر حسب طبائع الأشياء و استعداداتها، يعلمه من يعلم من أسرار طبيعة الوجود، حسبما علّمه اللّه، و فيه البداء. و أجل مُسمّى عنده في علمه المخزون الذي لا يتغير، و يكون منه البداء حسب، تعبير الإمام الصادق عليه السلام.

و قد احتار الإمام الرازي في تفسير هذه الآية و الآية الأُولى. قال في قوله تعالى: «وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ» : اختلف المفسرون على وجوه:

الأول: «قضى أجلاً»: آجال الماضين، «و أَجَلٌ مُسمًّى» : آجال الباقين.

الثاني: أن الأول أجل الموت، و الثاني أجل القيامة.

الثالث: أن الأول أجل هذه الحياة، و الثاني أجل الحياة البرزخية.

الرابع: القبض عند النوم، و القبض عند الموت.

الخامس: مقدار ما انقضى من العمر، و مقدار ما بقي من العمر.

السادس: و هو قول الحكماء: أحدهما الآجال الطبيعية، و الثاني الآجال

---

١. بحار الأنوار، ج ٤، ص ١١١ رقم ٣٠.

٢. الأنعام/ ٢.

الاختراميّة[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ...﴾: في هذه الآية قولان: القول الأول: إنها عامة في كلّ شيء، فهو تعالى يزيد في الرزق و ينقص، و كذا في الأجل والسعادة و الشقاء و الإيمان و الكفر، و هو مذهب جماعة من السلف.

القول الثاني: إنها خاصة ببعض الأشقياء، قال: و على هذا التقرير ففي الآية وجوه:

الأول: المحو و الإثبات، بنسخ حكم سابق و إثبات حكم لاحق.

الثاني: المحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة و لا سيئة.

الثالث: إثبات الإثم بالذنب و محوه بالتوبة.

الرابع : يمحو ما يشاء، أي يتوفّى من جاء أجله. و يثبت من لم يجئ أجله فيبقيه.

الخامس: يثبت في ابتداء السنة، فإذا انتهت محاه.

السادس: يمحو نور القمر و يثبت نور الشمس.

❀ ❀ ❀

١. التفسير الكبير، ج ١٢، ص ١٥٣.

الفهارس

* فهرس الآيات القرآنية
* فهرس الأحاديث
* فهرس الرواة و الأعلام
* فهرس المواضيع

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية		الصفحة
	(١) الفاتحة	
٤	مالك يوم الدين	٣٦٩
	(٢) البقرة	
٧	ختم الله على قلوبهم و على سمعهم	١٠٣
٢٢	أنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات	٤١
٢٨	و كنتم أمواتاً فأحياكم	٢٣٦، ٥٥٨
٣٠	قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها	٢٦٥
٣٤	و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم	١٦٧
٤٣	و أقيموا الصلاة و اتوا الزكاة	٥٨، ١٧٤، ١٨٢
٥٥	و إذ قلتم يا موسىٰ لن نؤمن لك حتّى	٥٥٠
٥٦	ثم بعثناكم من بعد موتكم	٥٥٠
٦٤	فلولا فضل الله عليكم و رحمته	١٠٨
٦٥	فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين	٣٣٧، ٤٣٧
٨٨	و قالوا قلوبنا غلفٌ بل لعنهم الله	١٠٣

٩٦	يودّ أحدهم لو يعمّر ألف سنة	٢٤٨
١٠٢	و ما هم بضارّين به من أحد	١٠٢
١٤٣	و كذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء	١٥٣، ٢٩٧
١٥٥	و لنبلونّكم بشيء من الخوف و الجوع	٢١٠
١٥٨	إنّ الصفا و المروة من شعائر الله	٢٥١، ٤٩٦
١٥٩	اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاّعنون	١٥٣
١٨٥	شهر رمضان الذّي أنزل فيه القرآن	٣٨، ٣٩، ٢٥١
١٨٧	و كلوا و اشربوا حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض	٢٠٥
١٩٥	و أنفقوا في سبيل الله و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة	٢٣
٢٠٠	فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله	٢٥٠
٢٠٧	و من النّاس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله	٣٥٨
٢١٠	هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله	٢٥٦، ٢٥٩
٢١٩	يسألونك عن الخمر و الميسر قل فيهما إثم كبير	٥٠٤
٢٢٠	و يسألونك عن اليتامىٰ قل إصلاح لهم	١٩٤
٢٢٣	نساؤكم حرثٌ لكم	٣٠٤
٢٢٨	و المطلّقات يتربّصن بأنفسهن ثلاثة قروء	١٨٤
٢٢٩	الطلاق مرّتان فإمساك بمعروف أو تسريح	٥٠٩، ٥١٤
٢٣٠	فإن طلّقها فلاتحلّ له من بعد	٥٠٩، ٥١٤
٢٣١	و لا تتخذوا آيات الله هزواً	٥١٤
٢٤٠	و الّذين يتوفّون منكم و يذرون أزواجاً	١٨٧
٢٤٣	ألم تر إلى الّذين خرجوا من ديارهم	٤٤٦، ٥٤٩، ٥٥٦، ٥٦٠
٢٥٧	الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات	٧٨
٢٥٩	أو كالّذي مرّ على قرية و هي خاوية على عروشها	٥٤٩، ٥٥٦
٢٦٠	قال فخذ أربعة من الطير فَصُرهنّ	٤٤٣
٢٦٩	يؤتي الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة	٢٠٣

٢٧٥	و أحل الله البيع و حرم الرّبا	١٨٣
٢٨٢	و اتّقوا الله و يعلّمكم الله	٥٧
٢٨٦	لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها	١٥١

(٣) آل عمران

٧	هو الّذي أنزل عليك الكتاب... فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ	٢٠
		٤١، ٤٣، ٦١، ٦٨
٢٦	قل اللّهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء	١٠٤
٣١	قل إن كنتم تحبّون الله	١٠٨
٤٠	أنّى يكون لي غلام	٤٤١
٤١	قال ربّ اجعل لي آية	٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٣
٧٧	و لا ينظر إليهم يوم القيامة	٣٤١
٩٣	قل فأتوا بالتّوراة فاتلوها	١٢٩
٩٧	و لله على النّاس حجّ البيت	٣١، ١٧٤، ١٨٣، ١٨٩
١٠٤	و لتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير	١٤٠، ١٥٣
١٣٨	هذا بيانٌ للنّاس و هدىً	١٤، ١٥٣
١٦٤	لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً	٢٧
١٧٣	الّذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا الكم	١٠٦
١٨٧	لتبيّنه للنّاس و لا تكتمونه	٤٨
١٩٠	إنّ في خلق السموات و الأرض	٨٥
١٩١	الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً	٨٥

(٤) النساء

١	الّذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ	٢٩٧، ٤٨٠
٢	و آتوا اليتامىٰ أموالهم و لا تتبدّلوا	١٩٣

٤	فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً	٣٨٧
٦	و لا تأكلوها إسرافاً و بداراً	١٩٣
١٢	من بعد وصيّةٍ توصون بها أو دين	١٨٤
١٧	إنّما التوبة على الله للّذين يعملون السوء	٣٣٢
٢٤	فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أُجورهنّ	٥١٨، ٥٣٤، ٥٤١
٢٨	و خلق الإنسان ضعيفاً	٣٤٨
٢٩	و لا تقتلوا أنفسكم إنّ الله كان بكم رحيماً	٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٨
٤١	فكيف إذا جئنا من كلّ أمّةٍ بشهيد	٤٦٣
٥٩	فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله و الرسول	٢٠
٨٣	و لو ردّوه إلى الرّسول و إلى أولي الأمر منهم	٢١
٩٣	و من يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم	١٨٤، ٣٩٨، ٥٠٧
١٠١	و إذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح	٤٩٥، ٤٩٦
١٠٢	و إذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة	٤٩٥
١٠٣	إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً	١٧٤، ١٨٣
١٢٣	من يعمل سوءً يجز به	١٩٥
١٤٢	إنّ المنافقين يخادعون الله و هو خادعهم	١٩٥
١٥٩	و إن من أهل الكتاب الاّ ليؤمننّ به قبل موته	٤٦٨
١٧٤	يا أيها النّاس قد جاءكم برهان من ربّكم	١٤

(٥) المائدة

٣	غير متجانفٍ لإثم	٣٠٨
٦	فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق	٨٥ ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٩
٣٥	يا أيها الذين امنوا اتقوا الله	٣٣٣
٣٨	و السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما	٧٩
٤٩	و احذرهم أن يفتنوك	٤٩٥

٦٠	و أضلّ عن سواء السبيل	٣٣٨
٦٨	قل يا أهل الكتاب لستم على شيء	١٢٩
٨٢	لتجدنّ أشدّ النّاس عداوةً للّذين آمنوا اليهود	١٠٥
٨٣	و إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول	١٠٦
٨٤	و ما لنا لا نؤمن بالله و ما جاءنا من الحقّ	١٠٦
٨٥	فأثابهم الله بما قالوا جناتٍ	١٠٦
٨٦	و الذين كفروا و كذّبوا بآياتنا	١٠٦
٨٧	يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحل الله لكم	٥٢٣
٨٩	فكفّارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون	١٨٩
١٠٣	و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة	١٦
١١٠	و إذ تخرج الموتى بإذني	٥٥٠
١١٤	ربّنا أنزل علينا مائدةً من السماء	٤٣٧
١١٧	و كنت عليهم شهيداً مادمت فيهم	١٦٧

(٦) الأنعام

٢	هو الّذي خلقكم من طين ثم قضىٰ أجلاً	٥٦٥
٧	و لو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه	٤٠
١٩	و أوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم	١٤٨، ١٥٣
٢٢	و يوم نحشرهم جميعاً	٥٤٨
٣٧	و قالوا لولا نزّل عليه آية من ربّه	٤٠
٨٢	و لم يلبسوا إيمانهم بظلم	١٧، ١٨٤
٨٣	نرفع درجاتٍ من نشاء	١٠٥
٩٠	اولئك الذين هدى الله فبهداهم إقتده	٥٣
٩١	الكتاب الّذي جاء به موسىٰ نوراً	١٢٩، ٤٧٠
١٠٣	لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار	٧٣

١١٠	و نقلّب أفئدتهم و أبصارهم	٧٩، ١٠٣
١١٤	و هو الّذي أنزل اليكم الكتاب	١٤، ٤١
١٢٥	فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره	١٩٠
١٢٨	و يوم نحشرهم جميعاً	٥٤٨
١٥١	و لا تقتلوا النّفس الّتي حرّم الله الّا بالحق	٩٤

(٧) الأعراف

٣٣	قل إنّما حرّم ربّي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن	٥٠٣
٤٣	الحمد لله الّذي هدانا لهذا	١٠٨
٥٣	هل ينظرون الاّ تأويله يوم يأتي تأويله	٢١، ٣٢
٥٨	و البلد الطّيّب يخرج نباته بإذن ربّه	١٠٣
٨٩	افتح بيننا و بين قومنا بالحقّ	٢٤٦
١٤٦	سأصرف عن آياتي الّذين يتكبّرون	٥٦
١٥٦	و اكتب لنا في هذه الدنيا حسنة	١٦٥
١٧٦	و لو شئنا لرفعناه بها و لكنّه أخلد إلى الارض	٧٩
١٨٩	هو الّذي خلقكم من نفس واحدةٍ و جعل منها زوجها	٤٤٥
١٩٠	فلمّا آتاهما صالحاً جعلا له شركاء	٤٤٥
٢٠١	إنّ الذين اتّقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان	٣٣٢

(٨) الأنفال

١٧	و ما رميت إذ رميت و لكنّ الله رمى	١٠٩
٢٤	يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله	٢٧، ٧٧، ٧٨، ١٠٤
٢٥	و اتّقوا فتنة لا تصيبنّ الّذين ظلموا	٢٢٠
٢٩	يا أيّها الذين آمنوا إن تتّقوا الله يجعل لكم فرقاناً	٥٧
٣٣	و ما كان الله ليعذّبهم و أنت فيهم	٤٦٢

٤١	و اعلموا أنّ ما غنمتم من شيءٍ فأنّ لله خمسه	٢٢، ٢٣، ٤٩٨، ٤٩٩

(٩) التوبة

٣٧	انّما النسيء زيادة في الكفر	١٧
٩٧	الأعراب أشدّ كفراً و نفاقاً	١٠٦
١٠٠	رضي الله عنهم و رضوا عنه	٢٠٣
١٠١	و ممّن حولكم من الأعراب منافقون	١٠٧
١١٢	التائبون العابدون الحامدون السّائحون	١٨٨
١١٩	يا أيها الّذين آمنوا اتّقوا الله و كونوا مع الصادقين	٤٦٧

(١٠) يونس

٢	أكان للنّاس عجباً أن أوحينا إلى رجلٍ منهم	٤٧٠
٢٨	و يوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للّذين أشركوا مكانكم أنتم	٥٤٨
٣٧	و تفصيل الكتاب لا ريب فيه من ربّ العالمين	١٤
٦٤	لهم البشرى في الحياة الدّنيا و في الآخرة	١٩١
٨٣	على خوفٍ من فرعون و ملئهم أن يفتنهم	٤٩٥

(١١) هود

١	كتابٌ أحكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير	٣٧
٦١	هو أنشأكم من الأرض و استعمركم فيها	٢٩

(١٢) يوسف

٢	إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون	١٤٩
٧٦	نرفع درجاتٍ من نشاء	٢٠٣

(١٣) الرعد

٣	و من كلّ الثمرات جعل فيها زوجين اثنين	١٣١
١٢	هو الّذي يريكم البرق خوفاً و طمعاً	٢٦٣
١٧	أنزل من السماء ماءً فسالت أو دية بقدرها	٢٠٣، ٣٠١
٢٨	الذين آمنوا و تطمئنّ قلوبهم	٧٧
٢٩	الّذين آمنوا و عملوا الصالحات طوبىٰ لهم	٥٣
٣١	و لو أنّ قرآناً سيّرت به الجبال أو قطّعت به الأرض	٢٣٨
٣٩	يمحو الله ما يشاء و يثبت و عنده أمّ الكتاب	٤٢، ٢٥٥، ٥٦٤

(١٤) ابراهيم

٤	و ما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بلسان قومه	١٥٨، ١٦٠
١٤	و أفئدتهم هواء	١٦٨
٣٧	فاجعل أفئدة من النّاس تهوي إليهم	٤١٧

(١٥) الحجر

٩	إنّا نحن نزّلنا الذكر و إنّا له لحافظون	١٣٠، ١٦٥، ٤٦٦
٩١	كما أنزلنا على المقتسمين الّذين جعلوا القرآن عضين	١٩٠

(١٦) النحل

٣٢	الّذين تتوفاهم الملائكة طيّبين يقولون سلام عليكم	١٩١، ١٩٢
٣٨	و أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت	٥٥١
٣٩	ليبيّن لهم الّذي يختلفون فيه	٥٥١
٤٣	ما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم	٣٠٢، ٤٦٩، ٤٧٠
٤٤	و أنزلنا إليك الذّكر لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم	٩، ١٥، ٤٠
		٥٣، ٧٦، ٨٤، ١٥٣، ١٧٣، ١٧٦، ٢٩١، ٢٩٨، ٣٠١، ٤٤٠

٤٧	أو يأخذهم على تخوّفٍ فإنّ ربّكم لرؤوف رحيم	٢٠٩، ٢٤٦
٧٢	و الله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً	٤٨١
٨٩	و نزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء	٩، ١٤، ٧٤، ١٧٣، ٢٩٨
٩٠	إنّ الله يأمر بالعدل و الإحسان و ايتاء ذي القربىٰ	٥٤
١٠٣	و هذا لسان عربي مبين	٢٤٣

(١٧) الإسراء

٦	ثمّ رددنا لكم الكرّة عليهم و أمددناكم	٥٥٢
١٢	و جعلنا اللّيل و النّهار آيتين	٤٨٣
٢٥	ربّكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين	٣٣١، ٣٣٣
٢٩	و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك	١١٨، ١٩٤
٣٥	وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير و أحسن تأويلاً	٢٠
٥٨	في الكتاب مسطوراً	٢٤٨
٥٩	و آتينا ثمود النّاقة مبصرةً فظلموا بها	٦٦
٧٣	و إن كادوا ليفتنونك عن الّذي أوحينا إليك	٤٩٥
٧٨	أقم الصلاة لدلوك الشمس	١٨٣
٩٥	لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً	٤٠
٩٧	و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم	١٩١
١١٠	و لا تجهر بصلاتك و لا تخافت بها	٢٣٨

(١٨) الكهف

١١	فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً	٥٥٠
١٢	ثم بعثناهم لنعلم أيّ الحزبين أحصىٰ	٥٥٠
١٨	و نقلّبهم ذات اليمين و ذات الشّمال	١٠٣
١٩	و كذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم	٥٥٠

٢٥	لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين و ازدادوا تسعاً	٥٥٠
٤٧	و حشرناهم فلم نغادر منهم أحداً	٢٩٠، ٥٤٨، ٥٥٦
٦٥	فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمةً من عندنا	٤٦٧
٧٨	سأنبّؤك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً	٢٠
٨٢	ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً	٢٠

(١٩) مريم

٢٧	فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فريّاً	١٦٦

(٢٠) طٰه

٢٤	إذهب إلى فرعون إنّه طغىٰ	٦٥
١٠٤	أمثلهم طريقة إن لبثتم إلاّ يوماً	٣٢٦
١١١	و عنت الوجوه للحىّ القيوم	١٦٦

(٢١) الأنبياء

٧	و ما أرسلنا قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم	٤٧٠
٨	و ما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطّعام	٤٧١
٢٠	يسبحون اللّيل و النهار لا يفترون	٢٦١
٣٠	و جعلنا من الماء كلّ شيء حيّ	١٩٧
٤٤	أفلا يرون أنّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها	٢١٠
١٠٥	و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون	٤٧٤

(٢٢) الحج

٢٤	و هدوا إلى الطيّب من القول	٥٤
٧٨	ما جعل عليكم في الدين من حرج	٨٨، ٢٤٢، ٢٤٥

(٢٣) المؤمنون

٥	و الذين هم لفروجهم حافظون	٥٢٠، ٥٣٦، ٥٤٢
٦	الاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم	٥٢٠، ٥٣٦، ٥٤٢
٥٧	ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون	٢٠٦
٦٠	و الذين يؤتون ما آتوا و قلوبهم وجلة	٢٠٦
٦١	اولئك هم يسارعون في الخيرات و هم لها سابقون	٢٠٦
٧٦	فما استكانوا لربهم و ما يتضرعون	١٩٢
١٠٤	تلفح وجوههم النار و هم فيها كالحون	١٩٧

(٢٤) النور

٣٠	قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم	١٩٣
٥٥	وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات	٤٧٤

(٢٥) الفرقان

١	تبارك الَّذي نزل الفرقان على عبده	١٥٢
٦	أنزله الَّذي يعلم السر في السموات و الأرض	٤٥٠
٧	و قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام	٢٣٨
١١	بل كذبوا بالساعة	٤٨٥
٢٠	و ما أرسلنا قبلك من المرسلين	٢٣٨
٢٢	يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين	٢١
٣٢	لولا نزل عليه القران جملة واحدة	٤٠

٣٣	و لا يأتونك بمثل الّا جئناك بالحق	١٣، ١٤
٣٤	الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم	١٩١

(٢٦) الشعراء

١١٩	الفلك المشحون	٢٤٤
١٩٦	و أنه لفي زبر الأولين	١٤٧

(٢٧) النمل

١٧	و حشر لسليمان جنوده من الجن و الأنس	٥٦٣
٣٥	و إني مرسلة إليهم بهديّة فناظرة بم يرجع المرسلون	٣٤٠
٥٢	فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا	٢٦٦
٨٢	و إذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض	٢٩٠
٨٣	و يوم نحشر من كلّ أمة فوجاً	٢٩٠، ٥٤٧، ٥٥٦، ٥٦٠
٨٧	و يوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات	٢٩٠

(٢٨) القصص

٥	و نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض	٤٧٢، ٥٥٣
١٤	و لما بلغ أشده و استوى آتيناه حكماً	٢٨
١٧	قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين	٢٨
٢٤	رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير	٣٢٦
٨٦	و ماكنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب	١٠٨

(٢٩) العنكبوت

٢٩	و تأتون في ناديكم المنكر	١٩٢
٦٩	و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا	٧٤

(٣٠) الروم

٢١ و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ٤٨١

(٣١) لقمان

١٣ ان الشرك لظلم عظيم ١٧
٢٧ و لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ٢٣٨

(٣٢) السجدة

١٧ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم ٣٣

(٣٣) الأحزاب

٢٣ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ٢٩٨

(٣٤) السبأ

١٥ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ١٩٧
١٨ و قدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي و أياماً آمنين ٤١٦
٢٨ و ما أرسلناك الّا كافة للناس ١٥٢
٤٠ و يوم يحشرهم جميعاً ٥٤٨

(٣٥) الفاطر

١ فاطر السموات و الأرض جاعل الملائكة رسلا ٢٤٦
٩ و الله الّذي أرسل الرياح فتثير سحاباً ١٣٢
٣٢ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ١٩٨، ٤٥٥

(٣٦) يس

٧٨ قال من يحيي العظام و هي رميم ١٥٥

٧٩	قل يحييها الَّذي أنشأها أول مرة	١٥٥

(٣٧) الصافات

٢٤	و قفوهم انهم مسئولون	٤٥٨
١٢٥	أتدعون بعلا	٢٤٨
١٥٩	سبحان الله عما يصفون	٧٣

(٣٨) ص

٣	و لات حين مناص	٢١
٢٩	كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته	٥٢، ٧٦، ٨٣
٣٣	فطفق مسحاً بالسوق و الأعناق	٤٨٨

(٣٩) الزمر

٥	يكوّر الليل على النهار	١٣٣
١٧	فبشّر عباد	٤٥١
١٨	الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه	٥٤
٢٨	قرآناً عربياً غير ذي عوج	٨٣
٦٠	و يوم القيامة ترى الذين كذَبوا على الله	٣٨٠
٦٨	و نفخ في الصور	١٩٤

(٤٠) المؤمن (الغافر)

١١	قالوا ربنا أمتنا اثنتين و أحييتنا اثنتين	٢٣٥، ٥٥١، ٥٥٦، ٥٦١
٤٠	و من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى	٥٣
٥١	انا لننصر رسلنا و الذين آمنوا في الحياة الدنيا	٥٥١

(٤١) فصّلت

١٩	و يوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون	٥٦٣
٣٨	يُسبّحون له بالليل و النهار و هم لا يسأمون	٢٦١
٤٤	اولئك ينادون من مكان بعيد	٣٤٨

(٤٢) الشّورىٰ

١١	ليس كمثله شيء	٧٣

(٤٣) الزخرف

٣	إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون	٨٣، ٢٤٣
٤	و الكتاب المبين إنا جعلناه قرآناً عربياً	٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤٢
٦٧	الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدو	٣٤٧

(٤٤) الدخان

٥	حم. و الكتاب المبين. أمراً من عندنا	٣٨
٥٨	فانمّا يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون	٨٢

(٤٥) الجاثية

٢٠	هذا بصائر للناس و هدىً	١٤

(٤٦) الأحقاف

٣٥	كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الّا ساعة من نهار	٢١

(٤٧) محمد

١٧	و الذين اهتدوا زادهم هدى و آتيهم تقويٰهم	٥٤
١٨	فهل ينظرون الّا الساعة أن تأتيهم بغتة	٣٦٤

١٩ فاعلم انه لا إله الّا الله ٥٨
٢٠ و يقول الذين آمنوا لولا نزّلت سورة ٤٠
٢٤ أفلا يتدبرون القران أم على قلوب أقفالها ٧٦، ٨٢، ٤٤٠
٣٨ و ان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ١٥٤، ١٩٦

(٤٨) الفتح

١١ سيقول لك المخلّفون من الأعراب شغلتنا أموالنا ١٠٦
١٢ و كنتم قوماً بوراً ٢٤٧

(٤٩) الحجرات

٤ ان الذين ينادونك من وراء الحجرات ٥٥٥
٧ و لكن الله حبّب إليكم الإيمان ١٠٧
٨ فضلا من الله و نعمة و الله عليم حكيم ١٠٨
١٣ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ١٠٩

(٥٠) ق

١٠ و النخل باسقات لها طلع نضيد ١٩٤
٣٧ ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ١٠٤

(٥٣) النجم

٣٢ و يجزي الذين أحسنوا بالحسنى ٣٣٢
٦١ و أنتم سامدون ٢٤٧

(٥٤) القمر

١٧ و لقد يسّرنا القرآن للذّكر فهل من مدّكر ٨٣، ١٣٤
٤٨ يوم يسحبون في النار على وجوههم ١٩١

(٥٥) الرحمن

٩	و أقيموا الوزن بالقسط و لا تخسروا الميزان	٢٥
٢٢	المرجان	٢٥٥
٣١	سنفرغ لكم أيّها الثقلان	٤٨٥
٥٢	فيهما من كلّ فاكهة زوجان	١٣٦

(٥٦) الواقعة

٢٨	في سدر مخضود	١٧٥
٦٣	أفرأيتم ما تحرثون	١٠٩
٧٧	إنّه لقرآن كريم	٥٦
٧٨	في كتاب مكنون	٥٦
٨٠	لا يمسّه إلاّ المطهّرون	٤٣، ٥٦

(٥٩) الحشر

٢	هو الّذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب	٥١٠
١٩	و لا تكونوا كالّذين نسوا الله	٧٩، ١٠٤
٢١	لو أنزلنا هذا القرآن على جبل	٤٠

(٦٢) الجمعة

٢	هو الّذي بعث في الأميّين رسولا	١٥، ٢٩٨
٥	كمثل الحمار يحمل أسفارا	٣٣٧، ٤٣٧

(٦١) الصفّ

٢	يا أيهاالذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون	٢٦٦

(٦٥) الطلاق

١	فطلّقوهن لعدّتهن	٥٠٩، ٥١٠، ٥١٣، ٥١٤
٣	و من يتوكل على الله فهو حسبه	٧٧

(٦٤) التغابن

٩	و من يؤمن بالله و يعمل صالحاً يكفّر عنه سيّآته	٥٣

(٦٦) التحريم

٤	إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما	٢٣٧

(٦٧) الملك

٤	ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب إليك البصر خاسئا و هو حصير	٥١٤
٣٠	قل أرأيتم إن أصبح ماءكم غورا	٢٦، ٤٧١

(٦٨) القلم

١٣	عتلّ بعد ذلك زنيم	٢٤٥
١٥	إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين	٢٣٧

(٧٠) المعارج

٣٧	عن اليمين و عن الشمال عزين	٢٤٤

(٧٢) الجن

٣	و أنّه تعالى جدّ ربنا	٢٤٥
١٦	و أن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم	٢٩٨، ٤٧٢
١٨	فلا تدعو مع الله أحدا	٨٠، ٥٠٢

(٧٣) المزّمل

٦	إنّ ناشئة الليل هي أشدّ وطئاً و أقوم قيلا	٢٤٨

(٧٤) المدّثر

٢٩	لوّاحة للبشر	٣٠٣، ٣٠٤
٥١	فرّت من قسوره	٢٤٨

(٧٥) القيامة

١١	كلاّ لا وزر	٢٤٨
٢٣	وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة	٣٣٨، ٤٣٨

(٧٦) الإنسان

٣٠	و ما تشاؤون إلّا أن يشاء الله	١٠٣

(٧٨) النبأ

٧	ألم نجعل الأرض مهاداً	١٣٢

(٧٩) النازعات

٣٠	و الأرض بعد ذلك دحاها	١٣٢

(٨٠) عبس

٢٤	فلينظر الإنسان إلى طعامه	٢٧، ٢٠٨، ٢٢٣، ٤٧٥
٢٥	أنّا صببنا الماء صبّا	٢٠٨، ٤٧٥
٢٦	ثم شققنا الأرض شقا	٢٠٨، ٤٧٥
٢٧	فأنبتنا فيها حبّا	٢٠٨، ٤٧٥
٢٨	و عنبا و قضبا	٢٠٨، ٤٧٥

٢٩	و زيتوناً و نخلاً	٢٠٨، ٤٧٥
٣٠	و حدائق غلبا	٢٠٨، ٤٧٥
٣١	و فاكهة و أبّا متاعاً لكم و لأنعامكم	٤٦، ٢٠٨، ٤٧٥

(٨١) التكوير

١٥	الخنّس، الجواري الكنّس	٤٠٦
٢٩	و ما تشاؤون الّا ان يشاء الله	١٠٢

(٨٤) الانشقاق

٧	فأما من أوتي كتابه بيمينه	١٧
٨	فسوف يحاسب حساباً يسيراً	١٧
١٤	انه ظن أن لن يحور	٢٤٧

(٨٥) البروج

٢٢	بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ	٤٣

(٨٧) الأعلى

١٨	إن هذا لفي الصحف الأولى!	١٤٧
١٩	صحف ابراهيم و موسى	١٤٧

(٨٩) الفجر

١٠	و فرعون ذي الأوتاد	١٣٢
٢٤	فيومئذ لا يعذب عذابه أحد	١٦٧، ٥١٠
٢٥	و لا يوثق وثاقه أحد	١٦٧

(٩٧) القدر

١ إنّا أنزلناه في ليلة القدر ٣٨

(٩٩) الزلزال

٤ يومئذ تحدّث أخبارها ١٩٨

(١٠٨) الكوثر

٢ فصل لربّك و انحر ١٩٢

(١١١) المسد

١ تبّت يدا أبي لهب وتبّ ٣٤٥

(١١٢) الإخلاص

١-٢ قل هو الله أحد. الله الصمد ٢٨٢

فهرس الأحاديث

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

اتّقوا الحديث عَلَيَّ إلاّ ما علمتم ٦٣
إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم و لا تكذّبوهم ٢٥٦
افعلوا ما آمركم به ٥٤٥
الإيمان يمان ٣٤٣
البُشرى في الحياة الدنيا هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن ١٩١
الثقلان كتاب الله و عترتي ٣٧٨
الحمد لله الّذي جعل فينا الحكمة أهل البيت ٤٦١
السابق و المقتصد يدخلان الجنّة غير حساب ١٩٨
القرآن أُنزل على سبعة أحرف ٤٦٥
اللهم أنصر من نصر علياً ٤٠٦
اللهمّ بارك فيه و أنشر منه ٢٢٤، ٢٣١
اللّهمّ ثبّت لسانه و اهدِ قلبه ٢١٢
اللهمّ علّمه الكتاب و الحكمة ٢٢٤
اللهمّ فقّهه في الدين ٤٩، ٦٤، ٢٢٤، ٢٩٩
النجاة أن لا تخادعوا الله فيخدعكم ١٩٥
إن الّذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم ١٩١

إن الرجل الأعجمي من أُمّتي ليقرأ القرآن بعجميّته ١٣٨
إنّ الله أمرني أن أُدنيك و لا أُقصيك ٢١٦
إن على كلّ حقّ حقيقة، و على كلّ صواب نوراً ٨٦
إنّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن ٢٢
إن كنت تليط حوضها، و تردّ ناديتها ١٩٣
إنّما فاطمة بضعة مني ٣٣٤
إنّما مَثَل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ٤٦٢
إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يُسبغ الوضوء كما أمره الله به ٣٦٠
أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله و رسوله أعلم ١٩٨
أكثر ما أخاف على أُمّتي من بعدي، رجل يناول القرآن ٦١
ألا إنّي أوتيت القرآن و مثله معه ١٧٨، ١٨١
أما تُبتلون في أموالكم و أنفسكم و ذراريكم ١٩٥
أنا سيّد النبيين و وصيّي سيّد الوصيّين و أوصياؤه سادة الأوصياء ٢٨٣
أنا مدينة العلم و عليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها ٢١٤
أنزل القرآن على أربعة أحرف ٢٣٣
أوّل ما خلق الله الماء ١٩٧
أيُلعَب بكتاب الله و أنا بين أظهركم ٥١٣
أيّما رجل و امرأة توافقا فعِشْرَةُ ما بينهما ثلاث ليال ٥٣٨
أيّها الناس، إنّ الله أحلّ لكم الفروج ٢٧٧
أيّها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته ٨٦
بلّغوا عنّي و لو آيةً، و حدّثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج ٢٥٢
تشويها النارُ فتتقلّص شفاهها العليا ١٩٧
تعلّموا القرآن بعربيّته ١٢٤، ١٣٨
حدّثوا عن بني إسرائيل و لا حرج ٢٥٢، ٢٥٣
خذوا عَنّي مناسككم ١٧٤

ذلك العرض، و من نوقش الحساب عُذّب ١٧
زوّجتك خير أُمّتي ٣٧٩
سئل عن معنى «عِضينَ»؟ فقال: «آمنوا ببعض و كفروا ببعض ١٩٠
سياحة أمّتي الصيام ١٨٩
سيخرج من الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد بعده ٣٨٩
صلّوا كما رأيتموني أصلي ١٧٤، ١٨٥
طلبُ العلم فريضة على كلّ مسلم ٤١٨
عليٌّ مع الحقّ، و الحقّ معه ٢٢٧
عليّ مع القرآن و القرآن مع علي ٢١٤
فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن ٨٣
فما من آية إلاّ و لها ظهر و بطن ٩٧
فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل و ليجعلها عمرة ٥٤٦
في كلّ خلف من أُمّتي عدول من أهل بيتي ٤٦١
قد علمتم أني أتقاكم لله و أصدقكم ٥٤٥
كانوا يخذفون أهل الطريق و يسخرون ١٩٢
كتاب اللّه و أهل بيتي ٤٥٥
كتاب الله و عترتي ٤٥٥
كلّ شيء خلق من الماء ١٩٧
لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ٢٥٩
لا تُصدّقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم ٢٥٣، ٢٥٨
لا تقدموهما فتُهلَكوا، و لا تقصروا عنهما فتُهلَكوا ٤٥٨
لا، و لكنّه الذي يصوم و يُصلّي و يتصدّق و يخاف اللّه ٢٠٧
لعن الله المجادلين في دين الله على لسان سبعين نبيّاً ٦٦
لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة ٢٥٩
لم يجر في بني إسرائيل شيء إلاّ و يكون في أُمّتي مثله ٥٥٦

له ظهر و بطن، فظاهره حكمةٌ و باطنه علم	٧٦
ما أنعم الله على عبد، بعد الإيمان بالله	٨٥
ما في القرآن آية إلاّ و لها ظهر و بطن	٢١
من تركه (الحجّ) لا يخاف عقوبته و لا يرجو مثوبته	١٨٩
من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد اخطأ	٦١
من تكلّم في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار	٦٢
من تكلّم في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار	٥٩
من فسّر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ	٥٢
من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار	٥٢
من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم	٦١
من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ	٦٢، ٦٣
من قال في القرآن برأيه فقد كفر	٥٢
من قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار	٦١، ٦٣
من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار	٦١، ٦٢
من قال في القرآن بغير ما علم، جاء يوم القيامة مُلجَماً بلجام من نار	٦١
من كذب عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار	٥٠
من كنت مولاه فعليٌّ مولاه	٣٤٧
نور يُقذف به فينشرح له و ينفسح	١٩٠
و أبوهما خير منهما	٣٧٩
و أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض	١٠، ٢٢٣، ٤٥٥، ٤٦٠
و لكل شيء فارس، و فارس القرآن ابن عباس	٢٢٥
و هو الدليل يدلّ على خير سبيل، و هو كتاب فيه تفصيل	٩٧
وقفوهم أنهم مسؤولون عن ولاية عليّ	٤٥٨
ويل لمن لاكها بين لحييه ثم لم يتدبّرها	٨٥
هم الفرس. هذا و قومه	١٩٦

هو رجل وَلَدَ عشرةً من الوُلد ١٩٦
هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل، أو تُرى له ١٩١
يا ابن مسعود، أنّه قد أُنزلت عليَّ آية ٢٢٠
يا سلمان إنّك مدركهم و أمثالك و من تولاّهم حقيقة المعرفة ٥٥٢
يا علي، ما من عبد لقي الله يوم يلقاه ٣٨٢
يُحشر المتكبرون في صورة الذرّ يوم القيامة ٥٥٦
يحمل هذا الدين في كلّ قرن عدول ٤٦٣

أمير المؤمنين عليّ عليه السلام

ابن عباس كأنّما ينظر إلى الغيب ٤٩، ٢٢٤
إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار ٣٤٥
القران حمّال ذو وجوه ١٣٧
القران ينطق بعضه ببعض ٤٤٨
إنّ علم القرآن ليس يعلم ما هو ٥٦
إنّ الله قسم كلامه ثلاثة أقسام ٥٦، ٩٣
إنّ في القرآن تعابير كثيرة ١٠١
إنّ في جهنم حيات كالقلال و عقارب ٣٤٥
إن كان الوزر في الأصل محتوماً ٣٨٠
إنّ الله تبارك و تعالى طهّرنا ٤٦٢
إياك أن تفسر القرآن برأيك ٦٠
أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فهاب الإمام ١٨٧
أصحاب عبدالله سرج هذه القرية ٢٢٢
ألا لاخير في قراءة لا تدبّر فيها ٨٥
أمّا أبوبكر فلم تكن في ولايته أخماس ٥٠٠
أنّ عزيز خرج من أهله و امرأته ٥٤٩

سأل فاطمة ما خير النساء؟ قالت: ان لا يرين ٣٣٤
سلوا عن ذلك آل محمد ٤٦٣
سلوني سلوني سلوني عن كتاب الله ٢١٣
سلوني عن كتاب اللّه، فإنه ليست آية
إلاّ و قد عرفت بليل نزلت أم بنهار ٢١٤
فانظر ايها السائل فما دلك القرآن عليه ٤٤
فما نزلت على رسول الله آية من القرآن الّا أقرأنيها و أملاها عليّ ٢١٥
قال رسول الله قال الله جل جلاله: ما آمن بي ٦٠
قالت الحكمة من أرادني فليعمل بأحسن ما علم ٥٤
قسمت الحكمة عشرة أجزاء ٤٦٥
كنت أول داخل على النبيّ ﷺ و آخر خارج من عنده ٢١٥
لا حجة لهم في هذا لان القرآن المنزل علينا
على لسان نبيّنا ﷺ لم ينزل على الأوّلين ١٥١
لا تملؤا أعينكم من أعوان الظلمة ٣٣٤
لا و الّذي فلق الحبة و برأ النسمة ٤٦٦
لاني كنت إذا سألته أنبأني ٢١٤
لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها ٤٧٣
لما نزلت الآية فصلّ لربّك ١٩٢
لو لا أن عمر نهى عن المتعة ٥٢١، ٥٣١
ما تحمد الله عليه فهو منه ٣٧٩
ما نزل القرآن الّا بالمسح ٤٩٤
من اتقى الله عاش قوياً ٣٣٤
من وسع عليك الطريق ٣٨٠
و ليس كلّ اصحاب رسول الله كان يسأله ١٧٥
و قد علمتم موضعي من رسول الله ٢١٦

و إنّما هو تعلم من ذي علم ٢٩٩
و فيكم مثله ٥٥٢
هل عندك علم عن النبي لم يقع إلى غيرك قال: لا ٥٤
هم آل محمد يبعث الله ٤٧٣
يا حسن أسبغ الوضوء ٣٧٦
يا بن آدم أزعمت أن الّذي نهاك ٣٧٩

فاطمة عليها السلام

أن لا يرين الرجال و لا يرونهن ٣٣٤

السجاد عليه السلام

إذا كنتم في أئمة جور فاقضوا ٣٦٦
أترضى يا حسن نفسك الموت ٣٨١
سعيد بن المسيب أعلم الناس ٣٢٨، ٣٢٩
و الّذي بعث محمداً بالحق بشيراً ٤٧٣

الباقر عليه السلام

إجلس في مسجد المدينة و أفت للناسَ ٣٦٧
إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون ٢٦
الفجر هو الخيط الأبيض المعترض ٢٠٦
إلى العلم الّذي يأخذه عمن يأخذه ٢٢٣، ٤٧٥
إنّ العلم الّذي نزل مع آدم كناية عن العلم ٤٦٣
إن الله عز و جل يقول و إذا ضربتم ٤٩٦
أتى عمار بن ياسر رسول الله فقال: ٢٠٧
أنظروني حتى أرجع اليكم ٣٥٦

جاء رجل إلى النبي و سأله عن ١٩٣
ذاك الّذي يشبه كلامه كلام الأنبياء ٣٧٢
ذلك من خرج من بيته بزاد و راحلة ٤١٦
ذو القربى هم قرابة الرسول ٥٠١
ظهر القرآن الذين نزل فيهم ١٠٠
ظهره تنزيله و بطنه تأويله ٢١، ١٠٠
فأمّا الغنائم و الفوائد فهي واجبة عليهم ٢٣
فانّما على الناس أن يقرؤا القرآن ٤٦٣
قال زرارة بن أعين قلت لأبي جعفر ألا تخبرني من أين ٨٦
قال رسول الله كلّ مسكر حرام ٤١٨
كذب أبو ظبيان أما بلغك قول على فيكم ٣٦١
ما علمتم فقولوا ٦٧
ما بقي على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحج ٣٦٢
و لو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ٢١، ١٠٠
ويحك يا قتادة إنّ الله تعالى خلق ٤١٦
هم أصحاب المهدي في آخر الزمان ٤٧٤
يا جابر حديثنا صعب مستصعب ٤٢٣

الصادق عليه السلام

إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له ٨٦
إذا طلّق الرجل إمرأته على غير طهر ٥١٣
إلق عبدالملك بن جريج فسله عنها ٢٧٦
الميزان الّذى وضعه الله للأنام ٢٥
إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلوة ١٥
إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى ٨٤

إنّ الله أنزل على رسوله الصلوة ١٨١
إنّ رجلاً قال له إنّي طلقت امرأتي ٥٠٩
إنّ لله علمين علم مكنون ٥٦٤
إنّا أهل بيت لم يزل الله ٤٦٤
انّما هلك النّاس في المتشابه ٧٠
انّما القرآن أمثال لقوم يعلمون ٨٥
إنه أعمى القلب أعمى البصر ٤٧٧
أللّمم: الرجل يلمّ بالذنب فيستغفر الله منه ٣٣٢
أما و الله لقد أوجع قلبي موت أبان ٣٦٨
أنظر ما علمت من قولهم فأخبرهم بذلك ٣٦٨
تعلّموا العربيّة فإنّها كلام الله ١٣٨
جالس أهل المدينه فإنّي أحبّ أن يروا ٣٦٨
صلاة أربع ركعات يقرأ في كلّ ركعة ٣٣٣
طلق عبدالله بن عمر إمرأته ثلاثاً ٥٠٩
علّمه الّذى يأخذه عمّن يأخذه ٢٧
فيحشر الله يوم القيامة من كلّ أمة ٥٤٨
كثير النوا و سالم بن أبي حفصة و أبا الجارود ٤٧٧
كلّ شيء مردود إلى الكتاب و السنّة ٨٦
كلّ أمر يريده الله فهو في علمه قبل أن يضعه ٤٢
لا تحدث به السفلة فيذيعونه ٤٢٢
لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ٨٥
ليس منّا من لم يقل بمتعتنا ٥٣٤، ٥٥٧
من فسّر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر ٦١، ٦٧
من قتل مؤمناً على دينه فذلك ٥٠٧
من زعم أنّ الله عز و جل يبدو له ٥٦٥

نزلت في أمّة محمّد خاصّة ٤٦٣
و الأوّاب: النّواح المتعبد الراجع عن ذنبه ٣٣٣
و كان أبان إذا قدم المدينة ٣٦٧
يعرف هذا و أشباهه من كتاب الله عزّ و جلّ ٨٨

الكاظم عليه‌السلام

الخمس في كلّ ما أفاد الناس من قليل أو كثير ٢٣
بل هي محرمة في كتاب الله يا أمير المؤمنين ٥٠٣
في كلّ ما أفاد الناس من قليل أو كثير ٤٩٩

الرضا عليه‌السلام

لاتؤوّل كتاب الله عزّ و جلّ برأيك ٦١
ماؤكم، أبوابكم الأئمة و الأئمة أبواب الله ٢٦، ٤٧٢

الجواد عليه‌السلام

أمّا إذا أقسمت عليّ بالله ٨٠، ٥٠١
ما استوى رجلان في حسب و دين قطّ ١٣٨
فأمّا الغنائم و الفوائد ٤٩٩

❁ ❁ ❁

فهرس الأعلام

(حرف الألف)

آدم عليه السلام: ١٦٨، ٤٦٣، ٤٨١

آدم بن أياس: ٣٤١، ٤٣٠

الآلوسي: ٤٩٤

ابراهيم عليه السلام: ١٤٧، ٤١٧، ٤٤٣، ٤٥٠، ٤٨٥

ابراهيم: ٢٢١

ابراهيم بن ميسرة: ٣٤٧

ابراهيم بن هلال الثقفي: ٣٩٢، ٣٩٣

ابراهيم التميمي: ٤٦، ٤٨

ابراهيم الحربي: ٢٨١، ٢٨٢

ابراهيم الحسين الهمذاني: ٣٤١

ابراهيم حمروش: ١٤٤

ابراهيم النخعي (ابن سويد): ٣٨٥

ابراهيم النخعي (ابن يزيد): ٣٢٦، ٣٦٩، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٤٠٣، ٤٩٠

ابن اسحاق: ٢٣٧، ٢٤٩، ٢٧٢، ٢٧٨، ٣٨٥، ٤٢٨، ٥٣٢

ابن أبي حاتم: ٢٢٣، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٨١، ٢٨٥، ٣٥٤، ٤٠٥، ٤٢٠، ٤٢٧

ابن أبي الحديد: ٤٥، ٢١٤، ٣١٩، ٣٣٠، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٩٢، ٥٢٦

ابن أبي داود: ٧٩، ٤٢٠، ٥٠١، ٥٣٩

ابن أبي ربيعة: ٢٤٠، ٢٤١

ابن أبي رواد: ٤١٣

ابن أبي شيبة: ٢٥٩، ٢٧١، ٤٣٠، ٥٣٣، ٥٣٩

ابن أبي الصلت: ٢٤٥

ابن أبي عمير: ٤٢٢

ابن أبي ليلى: ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٢١، ٣٩٦، ٤١٠

ابن أبي مليكة: ٣٣٥، ٤٢٨، ٤٣٣

ابن أبي يزيد: ٢٤٥

ابن الأثير: ٢٠٤، ٢١٣، ٤٠١، ٤٠٦

ابن أذينة: ٢٧٧

ابن الأزرق: ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٧

ابن الأشعث: ٢٨٧

ابن أشيم: ٥١٣

ابن أم مكتوم: ٢٠٦

ابن الأنباري: ٦٣، ٢٤٢، ٢٤٣، ٥٠٦

ابن تيمية: ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٤٨، ١٧٦، ١٧٨، ٢٥٢، ٣١٦، ٣٤٢، ٤٢٩

ابن جريج: ٢٧٤ـ٢٧٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٨
٣٦٤ـ٣٦٦، ٤٤٦، ٤٤٧، ٥٢٣، ٥٢٤
ابن جوّاس: ٣٥٠
ابن حبّان: ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨١
٢٩٣، ٣٤٣، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٧١، ٣٧٨، ٣٩٠، ٤٠٣
٤٠٥، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٢، ٥٣٩، ٥٤١
ابن حجر العسقلاني: ٢٣٢، ٢٥٤، ٢٦٤، ٢٦٩
٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٢
٢٩٦، ٣١٨، ٣٤٦، ٣٥٠، ٣٥٢ـ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦٣
٣٧٠، ٣٧٤، ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٦، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٦
٤٠٧، ٤١٨، ٤٢١، ٤٣٩، ٥١٦، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٣٣
٥٣٩
ابن حجر الهيثمي: ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦١
ابن حزم: ١٥٠، ٥٠٣، ٥١٦، ٥١٨، ٥٢١
ابن حكيم: ٣٥٣
ابن حميد: ٣٨٥
ابن حيّان: ٤٢٧
ابن خالويه: ٥١٠
ابن خراش: ٤٠٧
ابن خزيمة: ٤١٠
ابن خلّكان: ٢٧٤، ٢٨١، ٢٨٩، ٣٢٥، ٣٢٧
٣٢٩، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٦٣، ٣٨١، ٤١٣
٥٣٠
ابن خيثمة: ٣٥١
ابن راهويه: ٣٥٥، ٤٢٦، ٤٣٠، ٥١٧
ابن رشد: ٧٦، ٥٣٧
ابن زياد: ٣٨٧، ٣٩٥، ٤٠٢، ٤٠٦
ابن السائل: ٣٦٥
ابن سعد: ٢٢١، ٢٢٢، ٢٦٣، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٣
٣٢٧، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٦٣، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٧، ٣٨٤
٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٦، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠
٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٢، ٤١٣
ابن سليمان بن عبد الملك: ٣٤٧
ابن سمرة: ٦٦
ابن سيرين: ٤٧، ٤١٠، ٥٣٤
ابن شبرمة: ٤١٠
ابن شهاب: ٣٢٧، ٤١١، ٥٣٢
ابن شهر آشوب: ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٩٤، ٣٣٠، ٣٤٣
٣٩٠، ٤٢٢
ابن الصلاح: ٣٠٤
ابن طاووس: ٢٢٠، ٢٣٠، ٣٠٥، ٤٠٩، ٥٥٢
ابن عامر: ٤٩٣
ابن عباس: ٤٦، ٤٩، ٥١، ٥٧، ٦١، ٦٣، ٦٤
١٧٦، ٢٠٤، ٢١٠ـ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٥ـ٢٢٩
٢٣١ـ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠
٢٨٣ـ٢٨٨، ٢٩١ـ٣٠٠، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١٦
٣٢٣ـ٣٢٦، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٤٨
٣٤٩ـ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٨ـ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٧٤
٣٩٠، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٦، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٤
٤٢٥، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٢ـ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٩

٤٥١، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٩٤، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥١٠، ٥١٤
٥١٥، ٥١٦، ٥١٩، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٤، ٥٢٨، ٥٣١
ابن عبد البرّ: ٣٥٤، ٣٧٨، ٣٩١، ٤٠٦، ٤٠٩
٥١٦
ابن عبد الحكم: ٢٣٢
ابن عجلان: ٣٧٠، ٤١٨
ابن العجوز (حزقيل): ٥٤٩، ٥٦٠
ابن عَديّ: ٢٧٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٢
٢٩٣، ٣٧٠، ٤٠٨، ٤١٩، ٤٢٦
ابن العربي: ٥٠٦، ٥٢١
ابن عساكر: ٤٦٥
ابن عطيّة: ٤٩، ٥٠، ٦٤، ١٨٢
ابن عقيل: ٤٢٥
ابن عون: ٣٨٩
ابن فهد الحلي ١٣٨
ابن قتيبة: ٢٧٩، ٣٢٥
ابن كثير: ٤٨، ٢٦٠، ٤٤٢، ٤٤٦، ٤٩٢، ٥١٩
ابن الكوّا: ٥٥٢
ابن لؤلؤ: ٥٤١
ابن المبارك: ٢٨١
ابن المديني: ٢٧٤، ٢٩٢، ٣٢٧، ٣٥١، ٣٧٢
٣٧٤، ٣٩٢، ٤١٠، ٤١١، ٤١٣
ابن مردويه: ٢١٩، ٢٨١، ٤٢٦، ٤٢٧
ابن مسعود: ٣، ٤٩، ٥٠، ٥١، ١٧٤، ١٧٦، ١٧٨
٢٠٤، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢
٢٢٤، ٢٣٦، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٩٨، ٣٠٠
٣٠٦، ٣١٦، ٣١٧، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢
٤٠٢_٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٩
٤٣١، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٦٤، ٤٦٥، ٥١٩، ٥٢٢، ٥٣١
ابن معين: ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٥، ٢٩٢، ٣٤٣، ٣٥٥
٣٦٣، ٤١١، ٤٣٤، ٥١٩، ٥٤١
ابن ملجم: ٥٥٢
ابن مندة: ٣٥١، ٣٥٤
ابن المنير: ٣٤٠، ٥١١
ابن مهدي: ٤٢١
ابن الناعمة الحمَصي: ١١٩
ابن النديم: ٢٩٥
ابن النقيب (محمد بن سليمان البلخي): ٦٨
ابنة ذي يزين: ٢٤٦
إسحاق بن جرير: ٣٢٩، ٥١٢
إسحاق بن عبد الله بن الحرث: ٢٦١، ٢٦٢
إسحاق بن عيسى: ٣٥٣
إسرافيل عليه السلام: ٤٨٤
إسماعيل بن أبي أويس: ٥١٧
إسماعيل بن أبي خالد: ٢٩٣، ٣٥٠
إسماعيل بن عبد الخالق: ٥٠٩
إسماعيل بن الفضل: ٢٧٦
الإسترآبادي (محمد أمين): ٨٩
الإسترآبادي (محمد بن القاسم): ٤٧٨
إلهي قمشهاي: ١٦٦

أبان بن أبي عياش: ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٨
أبان بن تغلب: ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٢١، ٣٦٧ـ٣٧٠
٤٣٤
أبان بن صالح: ٤٢٨
أبان بن عثمان البجلي: ٤١٣
أبان بن محمد بن أبان بن تغلب: ٣٦٩
أبو ادريس الخولاني: ٣١٩
أبو اسحاق (ابراهيم بن علي الذهلي): ٣٦٦
٣٩٤، ٤٠٥، ٤١١، ٤١٢
أبو الأحوص: ٤٢٣
أبو الأسود الدئلي: ٢٩٤، ٣٥٣
أبو أمامة: ١٧٥، ٣٥٣
أبو أيوب: ٤١٩
أبو بردة بن أبو موسى الأشعري: ٣١٨، ٣١٩
٣٨٧، ٣٨٩
أبو بصير: ٣٥٦، ٤٧٧
أبو بكر: ٤٦، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٥٦
٤٠٢، ٤٥٨، ٤٦٢، ٥٠٠، ٥١٥، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٥
٥٢٨، ٥٣٠
أبو بكر بن أحمد: ١٥٩
أبو بكر بن عياش: ٢٢٢، ٣٩١، ٥٥٣
أبو بكر الحضرمي: ٣٥٨
أبو بكر الهذلي: ٣٨٠
أبو بكرة: ٢٢٥
أبو البلاد: ٣٦٩
أبو ثور: ٣٥٥، ٥١٢
أبو الجارود (ابن المنذر سرحوب): ٢٦٩
٢٨٦، ٤٢٧، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٩، ٥٠٠
أبو جعفر بن محمد بن علي: ١٥٩
أبو الجلد (غيلان بن فروة الأزدي): ٢٥٤
٢٦٣، ٢٦٤
أبو جهل: ٤١٤، ٥٦٢
أبو الجهم خالد بن هاني: ١٥٩
أبو حاتم: ٢٨٥، ٢٩١، ٣٢٧، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٥٩
٣٧٠، ٣٧٤، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤٣٤، ٥١٧
أبو الحسن الأشعري: ٤١٣
أبو حمزة الثمالي: ٤١٥، ٤٦٨
أبو حنيفة: ١٢٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢
٢٨٢، ٣٦٣، ٤٣٠، ٤٣١، ٥١١، ٥١٢ ٥٣٥، ٥٤٦
٥٦١
أبو خالد الكابلي: ٣٢٨، ٣٣٠
أبو الخطاب: ٣٠٦
أبو خلدة: ٤٢٠
أبو داود (الطيالسي): ٥١٤، ٥٣٩
أبو الدرداء: ٣، ١٩٨، ٢٠٤، ٣١٣، ٣١٧، ٣١٩
٣٢٠، ٣٨٥، ٣٩٠، ٤٠٧
أبو ذر الغفّاري: ٣٤٣، ٣٥٨، ٣٩٠، ٤٠٤، ٤٠٧
٤١٩
أبو رافع: ٢٢٥، ٣٨٨
أبو رجاء: ٣١٨، ٣٧٧

أبو روق: ٢٨٠، ٣٦٨، ٣٧٠
أبو الزبير: ٥٢٣
أبو زرعة: ٢٧٠، ٢٧٩، ٣٢٧، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٥١٧
أبو سعيد الخدري: ١٩٧، ٢٨٤، ٣٧٤، ٤٥٨، ٥٢٢، ٥٣١
أبو سفيان: ١٠٦
أبو الشعثاء الأزدي: ٣١٦، ٣٢١، ٤٠٨، ٤٢٩
أبو الشعثاء الكوفي: ٣٢١، ٤٠٧
أبـو صـادق (ابـن عـاصم بـن كـليب الجرمي): ٣٩٣
أبو صالح: ٢١٨، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٤١، ٤٢٦
أبو طالب مكي: ٥١٧
أبو الطفيل ٢١٣، ٣٨٨، ٤٠٩
أبو ظبيان: ٣٦١
أبو العالية: ٢٢٣، ٣٢١، ٣٦٠، ٤١١، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٣٠
أبو العباس: ٥٠٥
أبو عبد الله الجدلي: ٢٨٦
أبو عبدالله الزنجاني: ١٥٦
أبو عبد الله الشامي ٣٤٧
أبو عبد الله (محمد بن علي السراج): ٢٢٠
أبو عبد الرحمان السلمي: ٥١، ١٧٤، ١٧٨، ٢٢١، ٣٦٦، ٣٩١، ٤٩٣
أبو عبيد: ٢٤٢، ٢٤٦
أبو عبيدة: ٢٠٩، ٢١٠، ٤١١
أبو عمرو بن العلاء: ٢٣٨، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٩٢
أبو عمرو الزاهد: ٢١٤
أبو عميس: ٥٣٩
أبو عوانة: ٢٩٠
أبو الفرج الأصبهاني: ٢٤٠
أبو الفضل العباس بن محمد العلوي: ٤٧٩
أبو الفضل الميبدي: ١٦٠
أبو القاسم (على بن محمد): ٢٢٦
أبو قطن: ٣٦٦
أبو مالك: ٢١٨، ٢٣٦، ٢٧٢، ٤٣٠
أبو المثنى رياح: ٣٨٦
أبو مخنف: ٤٠٢
أبو مروان: ٣٢٩
أبو مسعود: ٢٧٦
أبو مسلم: ٣٨٢، ٤٤٠_٤٤٤
أبو معاوية: ٢٦١
أبو معمر: ٤٦
أبو مليكة: ٥١
أبو موسى الأشعري: ٢١١، ٣١٣، ٣١٧، ٣١٨، ٣٧٤، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤١٣، ٥٤٤
أبو النجود: ٣٩١
أبو نجيح: ٢٩٥
أبو نضرة: ٥٢٨

أبو نعيم الأصبهاني: ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٤٣
٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٧٠
٤٢١
أبو نعيم الفضل بن دكين: ٣٩٢، ٣٩٣
أبو نوف: ٣٦٣
أبو وائل: ٣٠٠، ٣١٧، ٣٨٥، ٣٨٧، ٤٠٥، ٤٠٩
أبو الورد: ٣٦١
أبو الوليد: ٥٣٢
أبو هريرة: ١٩٧، ١٩٨، ٢١١، ٢٣٢، ٢٥٦، ٢٥٨
٢٦٥، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥
أبو هلال: ٣٨٤
أبو الهيثم ابن التيهان: ٣٩٥
أبو يسار بن أبي نجيح: ٢٩٥، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٢
أبو يعقوب (يوسف بن محمد بن زياد): ٤٧٨
أبو يوسف: ١٢٥، ١٤٨، ٤٣٩
أبو يونس: ٣٢٩
أبي بن قيس: ٣٨٥، ٣٨٨
أُبيّ بن كعب: ٣، ٤٩، ٢١١، ٢٢٣، ٢٣٨، ٢٧٨
٣١٣، ٣١٦، ٣٩٢، ٤٠٢، ٤١٩، ٤٢٠، ٥١٩، ٥٣١
الأجدع بن مالك: ٣٩٢
أحمد أمين: ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٠
أحمد بن حنبل: ١٧٨، ١٨٠، ١٨٢، ٢٢٣، ٢٥٩
٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٩٦، ٣٤٢، ٣٥٥
٣٦٦، ٣٧٠، ٤١٢، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٢٩
٤٩٤، ٥١٧، ٥١٩، ٥٣٢، ٥٣٣
أحمد بن سيّار: ٢٨١
أحمد بن عبد الحليم: ٤٢٨
أحمد بن محمد بن السياري: ٤٧٨
أحمد بن محمد الشافعي: ٣٦٢
أحمد بن موسى الأصبهاني: ٤٢٦
أحمد بن يونس: ٤١٠
أحمد الدلبشاني: ١٤٤
أحمد نصر: ١٤٥
الأخفش: ٥٠٥، ٥٠٦
الأخنس بن زيد: ٢٧٤
أرميا (عزير): ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٣
أسباط بن سالم: ٣٢٩
أسباط بن نصر: ٢٧٣
الإسكافي: ٣٩٢
أسلم المنقري: ٣٦٢
الأسود بن يزيد: ٣١٧، ٣٢١، ٣٨٥، ٣٩٢، ٣٩٣
٣٩٤، ٤٠٣، ٤٠٩، ٤٦٣، ٥٤٦
أصبغ بن نباته: ٣٢١، ٣٨٨، ٤٠٨، ٤٠٩
الأصمعي: ٢٩٠، ٢٩٣
الأعمش: ٢٨٦، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٦٠
٣٦٦، ٣٨٦، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤١١، ٤١٢، ٥٣٩
أم سلمة: ٣٧١، ٣٨٢، ٤١١
أم قيس: ٤٠٠
أم هانئ: ١٩٢، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٣

أنس بن مالك: ٢٠٩، ٢١١، ٣٦٠، ٣٨٢، ٣٩٠، ٤١١، ٤٧١
أوريا: ٤٨٢
الأوزاعي: ٥١١
أويس القرني: ٣٩٥
أياس بن سلمة: ٥٣٩
أيوب: ٢٧٥، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٨٤
أيوب عليه السلام: ٤٨٢

(حرف الباء)

البحراني (سيد هاشم بن سليمان): ٤٨٠
البحراني (الشيخ جعفر): ٩٢
البحراني (يوسف): ٩٣، ٩٤، ٢٧٧، ٣٣٠
البخاري: ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٩٤، ٣٤٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٤٢٩، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٩، ٥٢٧، ٥٣٣، ٥٣٨، ٥٣٩
البراء بن عازب: ٣٩٠
برد ٣٥٣
بريدة: ٣٤٧
البزّار (أبو بكر): ١٧٦، ٢٥٩، ٢٨٥، ٣٥٦، ٣٧٤، ٤٢٧
البزنطي: ٣٢٩
بشر بن عمارة: ٢٨٠
بشر بن عمرو: ٢٨٩
بشر بن معاذ: ٤١٧
بطرس طليطلي: ١٥٦
البغدادي (أبو جعفر): ٤٠٩
بقية بن الوليد: ٢٨٢
بكير بن الأشجّ: ٥١٣، ٥١٦، ٥١٧
بلاذري: ٢١٣
بلال: ٢٠٥، ٢٠٦، ٣١٩، ٤٠٣
البلخي (أبو القاسم): ٥٥٠
بهاء الدين العاملي: ١١٩
البيهقي: ١٩٦، ٣٦٠، ٥٠٩، ٥٢٨

(حرف التاء)

الترمذي: ٦٣، ٢٨٥، ٣٧٥، ٣٩٠، ٥١٦، ٥٣٢، ٥٣٣
التستري: ٢٣٠، ٣٥٨، ٣٧٥، ٤٠٣

(حرف الثاء)

ثابت بن مالك: ٢٢٧
الثعلبي: ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٦٥، ٣٨٤، ٣٩٥، ٤١٧، ٤٢٠

(حرف الجيم)

جابر بن عبد الله: ٢١١، ٢٥٩، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٦٠، ٣٧٤، ٣٧٨، ٥٢٠، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٨، ٥٣١، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٥، ٥٤٦
جابر الجعفي: ٢٨٩، ٣٢١، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣

٤٣٤
جبرائيل عليه السلام: ٣٠، ٤١، ٤٨، ٥٠، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٢، ١٩٢، ٤٩٢
جبير بن نفير: ٣١٩
جرير بن عبد الله: ١٩٣، ٤٢٣
الجزائري: ٩٢
الجزّار (أبو خلف): ٣٥٢
الجزري: ٢١٩
الجزيري: ٥٠٢، ٥١٢، ٥١٥، ٥١٨
الجصّاص (أبو بكر): ٤٣٩، ٥٢٨، ٥٢٩
جعفر بن أبي طالب: ١٥٤
جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ١٥، ٢٥، ٢٧، ٤٢، ٦١، ٦٧، ٧٠، ٨٤ـ٨٧، ٨٩، ١٠١، ١٠٨، ١٢٤، ١٣٨، ١٨١، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٤، ٢٢٩، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٤، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣١ـ٣٣٤، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٠، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٣٩، ٤٦٢، ٤٦٤، ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٩٠، ٥٠٩، ٥١٣، ٥٣٤، ٥٤٦، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٧، ٥٦٤، ٥٦٥
الجلودي: ٢٩٥
جندب: ٢٢٠
جندب بن عبد الله: ٤٧، ٦٢، ٦٣
الجوزجاني: ٢٨٦، ٢٩٣
الجوزي بن قيّم: ٥١٩، ٥٢٩، ٥٤٠، ٥٤٦
جولد تسيهر: ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣
الجوهري: ١٢٠، ٥٠٦
جويبر: ٢٨٠
جويرية بن مسهّر العبدي: ٣٨٨، ٤٠٩
الجويني: ٢٦٨

(حرف الحاء)

الحائري: ٢٧٧
الحارث بن عبد الله: ٣٨٧
الحارث بن قيس: ٣٢١، ٣٨٧، ٤١١
حارثة بن مضرب الهمداني: ٣٨٨
الحاكم: ١٩٢، ١٩٨، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٨، ٤٢٠، ٤٢٧، ٤٦٢، ٥١٧، ٥٣٩
الحاكم الحسكاني: ٤٦٥
الحبيب العجمي: ١٢٥، ١٥٢
الحجّاج: ٢٦٢، ٢٨٥، ٢٨٨، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٩، ٣٨٠، ٤٢٧، ٤٦٨
الحجّاج بن أبي عتاب الديلمي: ٣٧٣
الحجّاج بن محمد المصيصي: ٣٥٨
حذيفة: ٣١٧، ٣٨٥، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤١٩، ٥٥٧
الحراني: ٣٨١
الحرث بن عبد الله: ٥٥٥
الحرّ العاملي: ٩٠، ٢٨٠

حريث بن ظهير: ٢٥٨
حسان بن مخارق: ٢٦٢
الحسن البصري: ١٢٥، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ٣٢١، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٥١، ٣٦٠، ٣٧١_٣٨٥، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٣، ٤١٩، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٤، ٤٩٤، ٥٠٤، ٥٠٦
الحسن بن زيد: ٢٧٧
حسن بن سليمان: ٥٥٢
الحسن بن صالح: ٣٩٣
الحسن بن علي عليه السلام: ٢٣٠، ٢٨٦، ٣٨١، ٤٨٤، ٤٨٥
الحسن بن علي مندوس: ١٥٩
الحسن بن محبوب: ٢٨٣، ٢٨٤
الحسن بن محمد (نظام الدين): ١٦١
حسن خالد: ٣٨٥
الحسن العسكري عليه السلام: ٤٧٨
الحسين بن أبي العلاء: ٤٢٢
الحسين بن الحسن: ٢٨٧
حسين بن سعيد: ٣٦٩
الحسين بن علوان الكلبي: ٢٧٨
الحسين بن علي عليه السلام: ٢٧٤، ٢٨٦، ٣٦٧، ٣٨٩، ٤٠٢، ٤١٢، ٤٨٥
الحسين المصيصي: ٣٦٥
حصين بن الحر العنبري: ٣٤٨
حفص: ٤٩٣
حفصة: ٢٣٧
حكيم بن أميّة الأسلمي: ٥٢٤
الحلبي: ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٩٦
الحلي: ١٤٩
حماد بن زيد: ٣٧٦، ٣٨٤، ٤١٩، ٤٣٩، ٥٤٦
حمران: ٣٥٦
حمزة بن حبيب الزيات الكوفي: ٤٩٢
حمزة بن عبد المطلب: ٣٧٩
حمزة بن محمد بن كعب: ٣٩١
حميد بن قيس: ٢٩٥، ٣٨٤
الحميري: ٣٢٩، ٥٥٤
حنين بن اسحاق: ١٢٠
حوّاء: ٤٨١

(حرف الخاء)

خالد بن طهمان: ٢٨٦
خالد بن عبد الله القسري: ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥
خالد بن القاسم: ٣٤٩
خالد بن الوليد: ٤١٥
خالد الحذّاء: ٤٢٠
خباب بن الأرت: ٣٩٢
خديجة عليها السلام: ٢١٦
الخراساني: (الآخوند) ٩٨
خزيمة بن الثابت: ٣٩٧
الخطيب البغدادي: ١٧٨، ٢٧٤، ٢٨٢، ٢٨٧

٣٨٦، ٣٩٦، ٤٠١، ٤١٧، ٤١٨، ٤٣٤، ٥٣٠
الخطيم التميمي: ٢٤٥
خلف بن خليفة: ٣٢٥
خليل بن أحمد: ١٥٩، ٤٩٩
الخليلي: ٢١٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٨٤
الخوئي (أبو القاسم): ٧٠، ٨٨، ١٤٠، ٢٨٠
٣٦٦، ٤٠٨، ٤١٨، ٤٢٣
الخواجا عبد الله الأنصاري: ١٦٠
الخوارزمي: ٢١٩، ٤٠٦
خولة بنت حكيم: ٥٢٥
الخويّي: ١٧٦، ١٧٧
خيثمة: ٤٠٢، ٤٢١

(حرف الدال)

الدار قطني: ٥٣٣
داود عليه السلام: ٣٢٨، ٣٤٥، ٤٨٢
الداودي (شمس الدين): ٣٧١، ٤٢٠
دسوقي (عبد الله البدري): ١٤٤
دي كلو في: ١٥٦

(حرف الذال)

ذو القرنين: ٥٥٢
الذهبي (أبو عبد الله): ٣٨٣
الذهبي (محمد حسين): ٤، ٨١، ١٧٦، ٢٠٤
٢٠٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢٣٢، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٧٩
٢٨٤، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٩، ٣٥٥، ٤١٨، ٤١٩
٤٣١، ٤٣٨، ٤٥١، ٥٤٠

(حرف الراء)

الراجا: ١٥٤، ١٥٩
الرازي (أبو جعفر): ٢٢٣، ٤١١، ٤٢٠
الرازي (أبو الفتوح): ١٦٠، ٣٣٧
الرازي (محمود بن محمد): ٢٩٦
الرازي (هشام بن عبيد الله): ٢٩٣
الراغب الأصفهاني: ١٣، ١٦، ٤٠، ٥١، ٥٢، ٦٨
١٦٥، ١٦٦، ١٩٤، ٢٤٤، ٢٤٥، ٥٣٠
الربيع بن أنس: ٢٢٣، ٣٢١، ٤١١، ٤٢٠، ٤٢٥
٤٢٩، ٤٣٠
الربيع بن خثيم: ٣٩٥
الربيع بن سبرة: ٥٤٠
ربيعة: ٥٠، ٣٦٣، ٣٨٩
ربيعة بن أميّة: ٥٢٥
رفاعة بن رافع: ٣٦٠
روح بن عبادة: ٤٢٦، ٤٣٠

(حرف الزاء)

زائدة بن قدامة: ٢٨٩، ٤١٠
زاذان: ٣٦٧، ٤٦٥
الزبيدي: ٥٠٦
زبيد اليمامي: ٣٩٤

زبير: ٥٠، ٣٩٧
زرارة: ٨٦، ٢٠٧، ٢٧٧، ٣٥٧، ٤٨٦، ٤٩٦
زرّ بن حبيش الأسدي: ٣٢١، ٣٨٨، ٤٠٩
زرقان: ٧٩، ٥٠١
الزركشي: ١٧، ٥٥، ٥٧، ٦٨، ١٦٥، ١٨٠، ٢١٢، ٣٠٦، ٤٢٥
الزركلي: ٤٢١
زكريا عليه السلام: ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٨٢
الزمخشري: ١٦٥، ٢٤٧، ٣٣٧، ٣٣٩، ٤٤٦، ٥١٠، ٥٥٢، ٥٦٢
الزهري: ٣٢٨، ٣٥٤، ٤١٢، ٥٣٢
زهير بن معاوية: ٤٢١
زياد بن أبيه: ٣٩٩، ٤٠٠
زيد بن أرقم: ٢٨٤، ٣٨٧، ٥٠٠
زيد بن أسلم: ٣٢١، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٤، ٤٣٩
زيد بن ثابت: ٤٩، ٢١١، ٣١٧، ٣٧١
زيد بن وهب الجهني: ٢١٩، ٣١٩، ٣٢١، ٤٠٧
زيد الشحّام: ٢٧، ٤١٦
زينب بنت جحش: ٤٨٢
زين الدين العاملي: ٦١

(حرف السين)

الساجي: ٢٨٥، ٢٩٠، ٤١٠
سالم: ٥٣٢
سالم بن أبي حفصة: ٤٧٧
سالم بن هذيل: ٤٩٢
سبأ: ١٩٦، ١٩٧
سبرة بن معبد الجهني: ٥١٩، ٥٢٠، ٥٣٨، ٥٤٠
السجستاني (حزير بن عبد الله): ٣٦٧
السدّي (الصغير): ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٧
السدّي (الكبير): ٢١٨، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٩٢، ٤٠٤، ٤٢٠، ٤٢٥، ٥١٩
سراقة بن مالك: ٣٧٥، ٥٤٦
السرخسي: ١٤٨، ١٥٢، ٣٩٠، ٥٢٩
سعد بن أبي وقّاص: ٥٣٣
سعد بن عبادة: ٢٢٤
سعد بن عبد الله الأشعري القمي: ٤٧٩
سعد بن معاذ: ٥١٦
سعيد بن أبي عروبة: ٤٠٦
سعيد بن جبير: ٤٩، ٥١، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٧، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٩، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٣ـ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٦٦، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٢٩، ٥١٩، ٥٢٣، ٥٣١
سعيد بن قيس: ٣٨٩
سعيد بن محمد: ٢٨٧
سعيد بن المسيب: ٤٧، ٦٦، ٢١٣، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٦ـ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٥١، ٣٥٣، ٤١٢

٤٢٩
سفيان بن عبد الملك: ٢٨٢
سفيان بن عيينة: ٥٦، ٢٨٢، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٥١
٣٧٠، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٠، ٥٣٨
سفيان الثوري: ٢١٨، ٢٧٣، ٢٩٢، ٣٢٦، ٣٣٥
٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٥٠، ٤١٠، ٤٢٠، ٤٢١
٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٥١١
السفياني: ٥٦٠
سلاّم بن مسكين: ٣٤٩، ٣٥٠
سلمان بن ناصر الأنصاري: ٤٦٧
سلمان الفارسي: ١٢٥، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٧، ١٩٦
٢٢٠، ٣٨٥، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٧، ٥٥٢، ٥٥٣
سلمة بن الأكوع: ٥٣٨، ٥٣٩
سلمة بن أميّة: ٥٢٢، ٥٢٤
سلمة بن قتيبة: ٢٧٩
سلمة بن كهيل: ٣٦٤، ٣٨٥، ٣٩٣، ٣٩٤
سلمي: ٥٢٤
سليمان عليه السلام: ٤٨٢، ٥٥٣
سليمان بن داود المنقري: ٤٦٨
سليمان بن رفيع: ٣٦٤
سليمان بن صرد: ٣٨٩
سليمان بن عبد الملك: ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٦، ٣٤٨
سليمان بن موسى: ٣٢٧
سليمان بن هشام: ٣٦٣
سليمان بن يسار: ٥١٧
سليم بن أبي حيّة: ٣٧٠
سليم بن قيس الهلالي: ٣٧٣، ٣٧٥
سماعة: ٤٩٩، ٥٠٧
سماك بن حرب: ٢٩٣
السمرقندي (علي بن اسحاق): ٢٩٦
سنيد بن داود: ٤٢٦، ٤٣٠
سويد بن غفلة: ٣١٩
السيد الأمين العاملي: ٤٦٠
السيد الصدر: ٤٢٢
سيد قطب: ٤٣
السيوطي: ٤٦، ٤٧، ٥٥، ٥٦، ٦٨، ١٦٥، ١٧٦
١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ٢١١، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٣
٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٣، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٠، ٢٨٤
٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٥ ٣٠٤، ٤٢٠، ٤٢٧، ٤٢٩

(حرف الشين)

الشاطر: ١٢٨، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦
الشافعي: ١٧٨، ٢٣٢، ٢٥٤، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢
٣٢٧، ٣٦٢، ٤٢٩، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٥١١، ٥١٢
٥٣٥
شريح: ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٩، ٤١٠
شعبة بن الحجاج: ٢١٨، ٢٧٣، ٢٧٩، ٢٨٢
٣٦٦، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٩٢، ٥٢٨
شعبة بن ربيعة: ٥٦٢
الشعبي: ٤٧، ٣٢١، ٣٥٠، ٣٦٠، ٣٧٩، ٣٨٠

٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٨
٣٩٩، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٢٩، ٤٩٤
شوّاخ:١٢٧، ١٢٨، ٢٨٧، ٢٩٢، ٣٤٢، ٣٦٥
٣٨٥، ٤١٧، ٤١٨
شهر بن حوشب: ٣٥٠، ٤٣٥، ٤٦٨
الشهرستاني: ٣١٨، ٣٨٤، ٤٦٦
الشهيد الثاني: ٢٧٢، ٤٠٦، ٥٣٦
شيبان: ٢٦١

(حرف الصاد)

صالح بن أحمد: ٢٧٥
صالح بن محمد: ٢٦٩، ٤٢٦
الصاوي: ٢٣٣، ٢٦٥
صدر الأفاضل: ١٥٤
الصدوق (أبو جعفر): ٦٠، ٦٦، ١٩١، ٢١٩
٢٧٨، ٢٨٣، ٣٢٠، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٨٢، ٣٩١
٤٧٢، ٤٨٠، ٤٩٦، ٥٤٨، ٥٥٠، ٥٥١
صفوان الجمّال: ٥٠٩
الصفوي: ١١٩
صهيب: ٣٥٨

(حرف الضاد)

ضحّاك بن مزاحم:٢٧٨ـ٢٨٢، ٣٤١، ٣٥٠
٣٦٠، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٣٠
الضحّاك الفهري:٥٣٣

(حرف الطاء)

جعفر بن أبي طالب: ٣٧٩
طاووس اليماني:٢٢٥، ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٤٣
٣٤٤، ٣٤٧، ٣٦٤، ٤٢١، ٤٢٩، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٣١
الطباطبائي (محمد حسين):٣٣، ٣٦، ٣٩، ٤٢
٧١، ١٠١، ٣٠١
الطبراني: ٢٤٣، ٢٧٢، ٤٠٦، ٤٢٧
الطبرسي:٤٣، ٩٣، ١٥٠، ١٦٦، ١٨٨، ١٩٧
٢٠٩، ٢٤٤، ٣٣٧، ٣٦٠، ٤٧٥، ٤٩٥، ٤٩٩
٥١٠، ٥٥٠، ٥٥٣
الطبري الإمامي: ٣٩٥
الطبري (أبو القاسم): ٣٢٤
الطبري (محمد بن جرير):١٨، ٤٦، ٤٨، ٥٧
٦١، ٦٢، ١٥٧، ١٥٨، ١٦١، ١٧٤، ١٩٦، ٢١٨
٢٢٣، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣
٢٦٩، ٢٧٢، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩٧، ٣٠٦
٣٣٩، ٣٤٢، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٥
٣٧٥، ٣٨٥، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٥، ٤١٧، ٤٢٠
٤٢٣، ٤٢٧، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٩٤، ٥٢١
٥٢٢
طلحة: ٥٠، ٣٩٧
طلق بن حبيب: ٤٧
الطوسي:٢٥، ٩٣، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٨٣، ٣٤٠
٣٦١، ٤١٨، ٤٢١، ٤٣٩، ٤٦٤

الطوسي (خواجه نصير الدين): ٥٢٧

(حرف العين)

عائشه: ١٧، ٤٨، ٥٠، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٩، ٢٠٦، ٢١١، ٢٣٧، ٣٧٦، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٢، ٥٢٠
عادل نويهض: ٤٢١
عاصم: ٣٩١، ٣٩٩، ٤٠٥، ٤٠٩، ٤٩٢، ٤٩٣
عامر بن عبد الله بن زبير: ٥٠
عامر بن عبد قيس: ٣٩٥
العاملي (السيد محمد): ١٤٩، ١٥٠
عباد بن كثير: ٢٨٢
عبادة بن الصامت: ١٩٠، ٤٩٨
عباس بن عبد المطلب: ٥٠٠
عباس الجمل المحامي الشرعي: ١٤٦
عبد الله بن أبي رافع: ٤٠٩
عبد الله بن أحمد: ٢٧٩
عبد الله بن بديلة: ٣٨٩
عبد الله بن ثعلبة: ٣٢٧
عبد الله بن الجراح: ٤٢٦
عبد الله بن جعفر: ٣٩٠، ٥٠٩
عبد الله بن الحارث: ٢٦٢
عبد الله بن الحسن المثنى: ٣٤٤
عبد الله بن خفقة: ٣٧٠
عبد الله بن الزبير: ٢١١، ٢٨٦، ٥٢٨، ٥٣١
عبد الله بن زيد بن أسلم: ٤٢٥
عبد الله بن سلام: ٢٥٥، ٤٤٧
عبد الله بن سنان: ٥٠٧
عبد الله بن عبدياليل: ٢٢٦
عبد الله بن عطاء: ٣٤٦
عبد الله بن عمر: ٢١١، ٢٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٩، ٥٠٩، ٥٢٣، ٥٣٢
عبد الله بن عمر بن عبد العزيز (الهباري): ١٥٤، ١٥٩
عبد الله بن عمرو بن عاص: ٤٩، ١٩٤، ٢١١، ٢٢١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٣٠٦
عبد الله بن ميسرة الحراني: ٢٦٠
عبد الله بن نمير: ٣٩٣
عبد الله العتكي: ٣٥٩
عبد الأعلى: ٨٧
عبد بن حميد: ٤٢٦، ٤٣٠
عبد الجبار بن وائل الخضرمي: ٤٠٠
عبد الحق: ٢٩٢
عبد الرحمان بن أبي حاتم: ٤٢٧
عبد الرحمان بن أبي ليلى: ٥٠٠
عبد الرحمان بن الأسود بن يزيد: ٤٠٣، ٤١٣
عبد الرحمان بن بشر (أخو السائب): ٢٨٩
عبد الرحمان بن الحجاج: ٣٦٩
عبد الرحمان بن الحسن بن أحمد الهمداني: ٣٤١
عبد الرحمان بن زيد بن أسلم: ٤١٨، ٤٢٩

٤٣٠، ٤٣٩
عبد الرحمان بن عبد الملك الحزامي: ٥٣٩
عبد الرحمان بن محمد الأزدي الكوفي: ٣٦٨
عبد الرحمان بن يزيد (أخ الأسود): ٤٠٣
عبد الرحمان عليش الحنفي: ١٤٥
عبد الرحمان قراعة: ١٤٤
عبد الرحيم محمد علي: ١٣٩
عبد الرزاق بن همام (الصنعاني): ٢٥٨، ٢٨٢، ٤٢٦، ٤٣٠
عبد الرزاق (حافظ): ٥١٧، ٥٢٣، ٥٢٤
عبد على بن جمعة الحويزي: ٤٨٠
عبد المجيد سليم: ١٤٤
عبد المجيد اللبان: ١٤٤
عبد المطلب: ٢٢٩
عبد الملك بن الربيع: ٥١٩، ٥٤٠
عبد الملك بن عطاء: ٣٤٦
عبد الملك بن مروان: ٣١٩، ٣٣٥، ٣٧٧، ٣٨٤
عبد الملك بن ميسرة: ٣٧٩
عبد مناف: ٢٧٩
عبد الواحد بن زياد: ٥٣٩
عبد الوهاب (ابن مجاهد): ٣٣٦
عبد الوهاب الطالقاني: ١٦٧
عبد يزيد: ٥١٤
عبيد الله بن أبي يزيد: ٣٤٣
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: ٢٥٨
عبيد الله بن علي بن أبي رافع: ٢٢٥، ٣٨٧
عبيد الله بن عمر: ٤٧، ٤١٩، ٤٣٩،
عبيد الله بن موسى: ٢٢١
عبيد بن الأبرص: ٢٤٤
عبيد بن بشر (أخو السائب): ٢٨٩
عبيد بن عمير: ٣٣١
عبيدة السلماني: ٤٧، ٣١٧، ٤١٠، ٤٦٣، ٤٦٥
عثمان: ٥٠، ٢٠٥، ٢١١، ٢٢٤، ٢٤٦، ٢٦٢، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٩٥، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٠٣، ٥٠٠
العجلي: ٢٩٢، ٣٥٥، ٣٩٠، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١١، ٤١٩
عدي بن حاتم: ١٧، ٢٠٥
عروة بن الزبير: ٣٢٠، ٥٢٢، ٥٢٥
عريف بن عطاء: ٣٤٦
العطار النيسابوري (فريد الدين): ٣٧٣
عطاء (ابن أبي رباح): ٢١٢، ٢٢١، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨١، ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٦٢ـ٣٦٥، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٤٦، ٥٢١، ٥٢٣، ٥٣١، ٥٤٥
عطاء بن أبي سلمة الخراساني: ٤٢٥، ٤٣٠
عطاء بن سائب: ٢٧١، ٣٢١، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٤٠٢، ٤٠٤
عطاء بن يسار: ٣٣١، ٤١٨

عطاء الخراساني البلخي: ٢٧٦
عطية بن سعد العوفي: ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٤٢٥، ٤٣٠
العقيلي: ٣٣١، ٣٧٠
عكرمة: ٢٤٢، ٢٧٢، ٢٨٤، ٣١٦، ٣٢١، ٣٣٩، ٣٤٨ـ٣٦١، ٣٦٥، ٤٠٨، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٤، ٤٣٨، ٤٩٤
العلامة الأميني: ٤٥٦، ٥٤٦
العلامة الحلّي: ٢٢٩، ٤٢٢
العلامة الفاني: ٢٣١
العلاء بن عتبة الحمصي: ٢٧٠
علقمة بن قيس: ٢١٤، ٢١٨، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢١، ٣٨٥ـ٣٨٩، ٤٠٩، ٤٦٣، ٤٦٥
علم الهدى (السيد المرتضى): ٢١٩، ٣٧٣، ٣٨٠، ٤٧٩، ٥٥٨
علي بن أبي طالب (أمير المؤمنين)عليه السلام: ٣، ٢٢، ٢٤، ٤٤، ٤٩، ٥٤، ٥٦، ٦٠، ٧٢، ٧٤، ٨٥، ٩٣، ١٠١، ١٣٧، ١٧٦، ١٨٧، ١٩٢، ٢٠٤، ٢١٢ـ٢١٦، ٢١٨ـ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٧، ٢٧٨، ٢٨٥ـ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٠٦، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٢ـ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٥ـ٣٨٨، ٣٩٠ـ٣٩٩، ٤٠٢ـ٤١٥، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٣١، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٤٨، ٤٥٨، ٤٦٢ـ٤٦٨، ٤٧٣، ٤٨٥، ٤٩٣، ٤٩٤، ٥٠٠، ٥٠٣، ٥٢١، ٥٣١، ٥٣٨، ٥٤٩، ٥٥٢
علي بن أبي طلحة: ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨٠، ٤٢٥، ٤٢٦
علي بن جعفر (ابن جعفر الصادقعليه السلام): ١٩٠
علي بن حجر بن أياس السعدي: ٤٢٦
علي بن الحسينعليه السلام: ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٩، ٣٢٤، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٤٣، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٨١، ٤١٨، ٤١٩، ٤٣٩، ٤٧٣
علي بن عياش: ٢٧٠
علي بن محمد بن الجهم ٦١
علي بن محمد بن سيار: ٤٧٨
علي بن موسى الرضا: ٢٦، ٦١، ٣٢٩، ٣٩٠، ٤٧٢، ٥٠١
علي بن يقطين: ٥٠٤
عمار: ٢٠٧، ٢٢٠، ٣٩٧
عمارة بن أبي الأجلح: ٢٢٧
عمران بن حصين: ١٨٢، ١٩٨، ٥٣٣، ٥٣٤
عمران بن سوادة: ٥٢٥
عمر بن أبي ربيعة: ٢٤٠
عمر بن خالد الواسطي: ٢٧٨
عمر بن الخطاب: ٤٧، ٢٠٧ـ٢١١، ٢١٣، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٥٦، ٢٥٩، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٧١، ٣٩٠، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٧، ٤١٨، ٤٣٩، ٥٠٠، ٥٠٣، ٥١٥، ٥١٨ـ٥٢١، ٥٢٣ـ٥٣٥، ٥٣٨، ٥٤٠

٥٤٦ـ٥٤٣
عمر بن ذرّ: ٤١٣
عمر بن عبد العزيز: ٤١٢
عمر بن محمد النسفي: ١٦٠
عمر بن هبيرة: ٢٨٥، ٢٨٨
عمر الركاء: ٢٤٠
عمرو بن حبيش: ٢٥١
عمرو بن حريث: ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤
عمرو بن دينار: ٢٧٥، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٩، ٤١١، ٥٢٤
عمرو بن شرحبيل: ٣٢١، ٣٣١، ٣٩٣، ٤٠٥، ٤٠٦
عمرو بن العاص: ٣١٨، ٣١٩
عمرو بن عبيد المعتزلي: ٣٧٩، ٣٨٠، ٤٦٣
عمرو بن مرّة: ٣٩٣، ٤٠٤
عمرو بن معديكرب: ٣٩٢
عمرو بن ميمون: ٣٢٥، ٣٢٧
عمير بن زرارة: ٣٨٨
العياشي: ٦١، ٦٧، ٧٩، ١٨٤، ٣٥٧، ٤٧١، ٤٧٦، ٥٠١
عيسى (مسيح)عليه السلام: ١٣٦، ١٥٤، ١٦٦، ٢٨٣، ٣٤٥، ٤٦٨، ٥٥٠، ٥٦٠

(حرف الغين)

غالب بن هذيل: ٤٩٢

(حرف الفاء)

فاطمة عليها السلام: ٢١٥، ٢٨٦، ٣٣٤، ٣٧٩، ٤٨٥
الفخر الرازي: ٤١، ٣٣٨، ٣٤٠، ٤٤١، ٤٤٣ـ٤٤٦، ٤٦٨، ٤٩٠، ٤٩٤، ٥١٠، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٣٣، ٥٦٥
فرات بن ابراهيم الكوفي: ٤٧٧
فرّاء: ٢٠٩
فرعون: ٦٥، ١٣٧، ٤٧٣، ٤٧٤
فروة بن مسيك المرادي: ١٩٦
الفريابي: ٤٢٩
فضل بن زياد: ١٨٢
الفضل بن شاذان: ٣٢٨، ٣٨٩، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٠٠
الفضيل البرجمي: ٤١٣
فِطر بن خليفة: ٣٩٢
الفيروز آبادي: ٢٩٤، ٢٩٦، ٥٠٥
الفيض الكاشاني: ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٥، ٤٩٦

(حرف القاف)

القاسم بن أحمد الصفّار: ٢٨١، ٢٨٢
القاسم بن الحسن الهمداني: ٣٦٥
القاسم بن عبد الغفار: ٤٠٦
القاسم بن محمد بن أبي بكر: ٤٧، ٣٢٩، ٥٢٠
القاضي سوّار: ٥٥٤ـ٥٥٧
قتادة: ٢٣٦، ٢٤٦، ٢٤٩، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٥٠

٣٥١، ٣٦٠، ٣٦٣، ٤٠٨، ٤١١ـ٤١٧، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٤، ٥٢٨

قتيبة بن مسلم: ٢٨٨

القرشي (عبد العزيز بن عبد الله): ٣٢٩، ٤٠٦

القرطبي: ٦٤، ٦٦، ١٨٢، ٤٤٢، ٤٩١، ٥٠٦، ٥٢٠، ٥٢٩، ٥٣٣

القطاني: ٥٤٠

القطب الراوندي: ٣٧٦

قطبة بن مالك الذبياني: ١٩٤

القفّال: ٤٤٥، ٤٩٤

القمي (الشيخ عباس): ٢٨٦، ٤١٥

القمي (على بن ابراهيم): ١٩١، ٢٨٠، ٣٦٤، ٣٨٨، ٤٦٨، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٦

القوشجي: ٥٢٧

قيس بن أبي حازم: ٣١٧

قيس بن الربيع: ٢٧١

قيس بن سعد بن عبادة: ٤٠٥، ٥٢٣

(حرف الكاف)

كازانوفا: ١٦٧

كازيمير يسكي: ١٦٧

كاشف الغطاء: ١٣٩، ٥٦٠

كثير النوا: ٤٧٧

الكراجكي (محمد بن علي): ٣٧٩

الكسائي: ٤٩٣

الكشّي: ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٧٨، ٢٨٤، ٣٢٤، ٣٢٨، ٣٤٦، ٣٥٧، ٣٦٨، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٤، ٤٠٠، ٤٢٢

كعب الأحبار: ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦٦، ٤٤٧

الكلبي: ٢٧٣، ٢٨٤، ٢٨٧ـ٢٩٤، ٢٩٦

الكليني: ٢٧، ٦٧، ٩١، ١٩١، ٢٧٦، ٢٨٤، ٢٨٩، ٣٢٩، ٣٥٦، ٣٨٨، ٤٠٩، ٤١٣، ٤١٥، ٤٦٢، ٤٨٦، ٥٠٧

كميل بن زياد: ٣٨٨

(حرف اللام)

لبيد العامري: ٢٤٧

لوط عليه السلام: ٤٥٠

ليث بن أبي سليم: ٢٦٩، ٢٧١، ٣٩٤

(حرف الميم)

الشيخ المراغي: ١٤١، ١٤٥، ١٤٩

ماروت: ٤٨١

مالك بن أنس: ٢٧٥، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٣، ٣٥٤، ٤١٩، ٤٢٩، ٤٩١، ٥١١، ٥١٢، ٥١٧، ٥٢٥

مالك بن سليمان: ٤٢٦

المامقاني: ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٣٦٤، ٤٠٣

ماهيار (محمد بن العباس ابن الحجّام): ٢٥، ٤٧٧

المأمون: ٥٣٠
مجاهد: ٣٠، ٤٩، ٥١، ٢١٠، ٢٣٨، ٢٤٦، ٢٦٩، ٢٨١، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٥_٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٦، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٥١٠، ٥١٩، ٥٣١
المجلسي (محمد باقر): ٣٥٨، ٥٠٤، ٥٥٣، ٥٥٤
المجلسي (محمد تقي): ٢٧٧
المحاربي: ٢٨٩
محمد الأحمدي الظواهري: ١٤٦
محمد بخيت: ١٢٥، ١٤٨، ١٥١
محمد بن ادريس الشافعي: ٤٨٩، ٤٩٠
محمد بن أبي محمد: ٢٧٢
محمد بن أحمد بن شاكر القطّان: ٢٣٢
محمد بن أصبغ بن نباته: ٤٠٩
محمد بن جبير (بن مطعم): ٣٢٨
محمد بن حنفية: ٢٢٦، ٢٨٦، ٣٠٠، ٤٦٨
محمد بن رافع: ٥١٦، ٥١٧
محمد بن سنان: ٤٧٧
محمد بن عبد الله (الديباج): ٣٦٤
محمد بن عبدالله (رسول الله، النبي) صلى الله عليه وآله وسلم: ٩، ١٠، ١٥، ١٧، ٢١، ٢٢، ٣٠، ٣١، ٤٤، ٤٨_٥٤، ٥٩_٦٤، ٦٦، ٧٢، ٧٦، ٨٠، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٧، ١٠٠، ١٠٦، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٣، ١٣٨، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٠، ١٦٠، ١٦٧، ١٧٣_١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٨_١٩٩، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٢_٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٣_٢٣٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٦_٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٧_٣٠٨، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٨، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٦٠، ٣٦٧، ٣٦٩_٣٧٢، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٨_٣٩٤، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١٥، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٣٠، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٢_٤٦٥، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٩٢، ٤٩٥_٥٠٠، ٥٠٢، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٣_٥١٦، ٥١٨_٥٢١، ٥٢٣، ٥٢٥_٥٢٩، ٥٣١_٥٣٤، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤٣، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٦، ٥٥٧
محمد بن عبد الرحمان: ٣٧٠
محمد بن علي الباقر (أبو جعفر عليه السلام): ٢١، ٢٢، ٢٦، ٦٧، ٨٦، ٩٩، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٦٤، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٢٧، ٣٤٦، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٧، ٤١٥_٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٣٩، ٤٦٣، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٨٦، ٤٩٢، ٤٩٤، ٤٩٦، ٥٠١، ٥٠٧، ٥٤٩
محمد بن علي (الجواد) عليه السلام: ٨٠، ١٣٨، ٤٩٩

٥٠١
محمد بن القاسم: ٢٨٥، ٢٨٨
محمد بن قولويه: ٣٢٩
محمد بن كعب القرظي: ٣٢١، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٢٥، ٤٣٠
محمد بن مسلم: ١٩٥، ٤٩٦
محمد بن المنتشر: ٣٩٦
محمد بن المنكدر: ٢٧٨، ٣٣١
محمد بن موسى بن أبي مريم: ٣٦٨
محمد رشيد رضا: ٣٢، ٣٣
محمد رضا المظفر: ٥٦١
محمد سبيع الذهبي: ١٤٤
محمد سليمان: ١٤٦
محمد الشافعي الظواهري: ١٤٥
محمد (صاحب أبو حنيفة): ١٢٥، ١٤٨
محمد عبد اللطيف الفحام: ١٤٤
محمد عبده: ٣٢، ٤٤٢، ٤٨٨، ٤٩٤، ٥٣٥، ٥٣٦
محمد فريد وجدي: ١٣٣، ١٣٥
محمد مأمون الشناوي: ١٤٤
محمود بن لبيد: ٥١٣، ٥١٦
محمود الدنياوي: ١٤٤
المخارقي: ٢٧٥
المختار الثقفي: ٢٨٦
مخرمة بن بكير: ٥١٣، ٥١٦، ٥١٧
مرّة الهمداني: ٢١٨، ٢٧٢، ٣٢١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٧، ٤٠٤، ٤٢٥، ٤٣٠
مريم عليها السلام: ١٦٦
مساور: ٣٧٥
مسروق بن الأجدع: ٥١، ٢٠٤، ٢١٧، ٢٢٥، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣١٧، ٣٢١، ٣٩١ـ٤٠٤، ٤٢٩، ٤٤٨
مسروق بن وائل الحضرمي: ٤٠٠، ٤٠١ ٤٠٢
مسروق العكي: ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٠
مسعر: ٤٢١
المسعودي: ٣٩٣
مسلم: ٥١، ٢٧٣، ٣٠٤، ٣٥٣، ٣٧١، ٤٣٤، ٤٦٢، ٥١٥ـ٥١٨، ٥٢٣، ٥٢٨، ٥٣٣، ٥٣٥، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦
مسيب بن نجيّة: ٣٨٩
مصباح النخعي: ٣٨٨
المصيصي (حجاج بن محمد): ٣٥٨، ٣٦٥
مطر بن الورّاق: ٤١٢
مظفر أبو صالح: ١٥٨
معاذ بن جبل: ٣٩٢
معاوية: ٢٣٠، ٢٦٢، ٣١٨، ٣٨٧، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٢
معاوية بن صالح: ٢٦٨ـ٢٧١
معبد بن أميّة: ٥٢٢
المعتصم (العباسي): ٧٩، ٨٠، ٥٠١، ٥٠٢
معتمر بن سليمان: ٢٦١
معروف بن خربوذ: ٢٩٤

مغيرة بن شبيل: ٤٢١

مغيرة بن شعبة: ٢٢٢، ٣٠٣، ٣١٨

المفضل بن صالح: ٤٢٦

المفضل بن عمر الجعفي: ٤٢٢

المفيد: ٢٢٩، ٣٢٩، ٤٢٢، ٥٣٤، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٥١، ٥٥٥، ٥٥٧

مقاتل بن حيّان: ٢٨٢، ٤١١

مقاتل بن سليمان: ٢٨٠ـ٢٨٤، ٤٢٥، ٤٢٦

مكحول: ٣٢٧

منصور بن نوح: ١٥٧

المنصور العباسي: ٢٧٤، ٢٨٣، ٢٨٩، ٣٤٥، ٣٤٦، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧

موسى عليه السلام: ١٩، ٢٨، ١٣٧، ٢٥٢، ٢٥٩، ٣٢٦، ٤٦٧، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٨٢، ٥٤٨

موسى بن جعفر (الكاظم) عليه السلام: ٢٣، ١٩٠، ٣٢٩، ٤٩٩، ٥٠٣

موسى بن سالم: ٢٦٢ـ٢٦٤

المهدي عليه السلام: ٢٢٢، ٤٦٨، ٤٧٣، ٤٧٤، ٥٥٣، ٥٥٩، ٥٦١

المهدي العباسي: ٢٦١، ٥٠٣، ٥٠٤

ميثم البحراني: ٩٣

ميمونة: ٢٦٣

الميموني: ٥١٧

(حرف النون)

نافع: ٤٧، ٢٧٥، ٣٥٢، ٣٥٣، ٤٩٣

نافع بن بديل: ١٦٠

النجاشي (ملك حبشه): ١٠٦، ١٥٤

النجاشي (المورخ): ٢٨٦، ٢٩٥، ٣٩٦، ٣٧٠، ٤٠٩، ٤٢٢

نجدة الحروري: ٢٤٣، ٥٠٠

النسائي: ٢٩٤، ٣٧٠، ٤٢٦، ٥١٣، ٥١٦، ٥١٧

نصر بن مزاحم: ٣٨٥

النضر بن حارث: ٢٣٧

النعماني: ٤٧٩

النوري: ٤٢٧

النّووي: ٣٠٤

(حرف الواو)

واثلة بن الأسقع: ٣١٩

الواحدي: ٢٨٨، ٤٥٨، ٤٥٩

واصل بن عطاء: ٣٧٩، ٣٨٤

الواقدي: ٢٨٧، ٣٢٧، ٣٧٨، ٤٠٨، ٥١٦

الوحيد البهبهاني: ٢٧٣، ٢٧٧، ٣٦٥

الورّاق: ٣٧٧

ورقاء بن عمر اليشكري: ٢٩٥، ٣٤١

وكيع بن الجراح: ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٧، ٣٦٣، ٣٩٦، ٤٢١، ٤٢٦، ٤٢٧

وليد بن عبد الملك: ٣٣٤، ٣٣٥، ٤٢٢

الوليد بن مغيرة: ٥٦٢

وهب بن منبّه: ٣٤٧، ٤٤٧

(حرف الهاء)

هاروت: ٤٨١
هامان: ٤٧٤
هرم بن حيان: ٣٩٥
الهروي (ابن المأمون): ٢٩٦، ٥٠٦
الهروي (عمار بن عبد المجيد الهروي): ٢٩٦
هشام بن سالم: ٣٣٣
هشام بن عبد الملك: ٣٣٥، ٣٤٤، ٣٤٥
هشام بن عروة ٣٢٠، ٤١٢
هشام بن محمد بن السائب الكلبي: ٢٥٠
هشيم بن بشير: ٤٢٦
الهمداني: ١٢٣، ١٤٧
هنكلمان: ١٥٦

(حرف الياء)

يحيى عليه السلام: ٣٤٥، ٤٤٠، ٤٤١
يحيى البكّاء: ٣٥٢
يحيى بن أبي بكير: ٤٢١
يحيى بن أبي كثير: ١٨٢، ٤١١
يحيى بن أكثم: ٥٣٠
يحيى بن أم الطويل: ٣٢٨، ٣٢٩
يحيى بن سعيد: ٤٧، ٢٧٥، ٢٩٢، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٥٩، ٣٦٦، ٣٧٠، ٤١٣
يحيى بن شبل: ٢٨٢
يحيى بن قريش: ٤٢٦
يحيى بن محمد عبد الله الهروي: ٤٢٦
يزيد (ابن معاويه): ٢٦٢، ٣١٨، ٣٨٧، ٤٨٤
يزيد بن أبي زياد: ٣٦٦
يزيد بن زريع: ٤١٧
يزيد بن عبد الملك: ٣٣٥
يزيد بن هارون: ٤٢٦، ٤٣٠
يزيد النحوي: ٣٥٠
يعقوب بن سفيان: ٢٦٩
يعقوب بن شيبه: ٤١٨
يعقوب بن الصليبي: ١٥٦
يوحنّا بن بطريق: ١١٩
يوسف عليه السلام: ١٦، ٢٠، ٣١، ٤٥٠، ٤٨٢
يوسف بن عمر الثقفي: ٤١٠
يوسف بن محمد(يوسف بن محمد): ٤٧٨
يوسف الدجوي: ١٤٤
يونس: ٣٥٩
يونس بن عبيد: ٣٧٢
يونس بن محمد: ٥٣٩

فهرس المواضيع

كلمة الناشر ٣

مقدمة ٩

التفسير ١٣

التعريف بالتفسير ١٣

الحاجة إلى التفسير ١٤

الفرق بين التفسير و التأويل ١٨

معاني التأويل ٢٠

مفاهيم عامة منتزعة من الآيات ٢٢

ضابطة التأويل ٢٤

مزاعم في التأويل ٢٩

هل يعلم التأويل غير الله؟ ٤٣

هل التفسير توقيف؟ ٤٦

صلاحية المفسّر ٥٢

أوجُهُ التفسير ٥٧

التفسير بالرأي ٦٠

خلاصة القول في التفسير بالرأي ٦٩

حجّية ظواهر الكتاب ٨٢

نسبة خاطئة ٨٨

دلائل مزعومة ٩٥

منهج القرآن في الإفادة و البيان ٩٧

ترجمة القرآن في كفّة الميزان ١١٣

ترجمة القرآن ١١٤

مسائل ثلاث ١١٤

التعريف بالترجمة ١١٦

خُطورة أمر الترجمة ١١٧

أساليب الترجمة ١١٧

نواحي القرآن الثلاث ١٢١

الترجمة الحرفية للقرآن ١٢٢

الترجمة المعنوية (التفسيريّة) ١٢٦

المنع من الترجمة و أخطارها ١٢٧

دفاع حاسم ١٣٣

الترجمة من الوجهة الشرعيّة ١٣٧

وثائق شرعيّة ١٣٨

فتوى الحجة كاشف الغطاء ١٣٩

نظرة الإمام الخوئي ١٤٠

كتاب شيخ الأزهر ١٤١

فتوى علماء الأزهر ١٤٣

قرار مجلس الوزراء المصري ١٤٥

محاولة دون تنفيذ القرار ١٤٦

مناقشات فقهيّة ١٤٧

ترجمة القرآن ضرورة دعائية ١٥٢

تراجم إسلامية عريقة ١٥٧

كيفية ترجمة القرآن ١٦١

نماذج من تراجم خاطئة ١٦٥

التفسير نشأته و تطوّره في مراحل: ١٦٩

المرحلة الأولى

التفسير في عهد الرسالة ١٧١

هل تناول النبيّ ﷺ القرآن كلّه بالبيان؟ ١٧٦

حجم المأثور من تفاسير الرسول ﷺ ١٧٩

أوجه بيان النبيّ لمعاني القرآن ١٨١

نماذج من تفاسير مأثورة عن النبيّ ﷺ ١٨٨

المرحلة الثانية

التفسير في دور الصحابة ٢٠١

هم درجات عند الله ٢٠٣

المفسّرون من الأصحاب ٢١٠

أعلم الصحابة بمعاني القرآن ٢١٢

عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٢١٢

عبد الله بن مسعود ٢١٧

أُبيّ بن كعب ٢٢٣

عبد الله بن عباس ٢٢٤

توسّعه في التفسير ٢٣١

منهجه في التفسير ٢٣٣

مراجعته لأهل الكتاب ٢٥٢

نقد و تمحيص ٢٥٦

التحذير عن مراجعة أهل الكتاب ٢٥٨

استعماله للرأى و الاجتهاد ٢٦٧

الطرق إليه في التفسير ٢٦٨

تفسير ابن عباس ٢٩٥

قيمة تفسير الصحابي ٢٩٧

هل المأثور من الصحابي حديث مسند؟ ٣٠٢
ميزات تفسير الصحابي ٣٠٧

المرحلة الثالثة
التفسير في دور التابعين ٣١١

نِعم الخلف لخير سلف ٣١٥
مدارس التفسير ٣١٥
مدرسة مكة ٣١٦
مدرسة المدينة ٣١٦
مدرسة الكوفة ٣١٧
مدرسة البصرة ٣١٧
مدرسة الشام ٣١٩

أعلام التابعين المفسرين: ٣٢١

١ـ سعيد بن جُبَير ٣٢٣
٢ـ سعيد بن المسيّب ٣٢٦
٣ـ مجاهد بن جَبْر ٣٣٥
٤ـ طاووس بن كيسان ٣٤٣
٥ـ عكرمة مولى ابن عباس ٣٤٨
٦ـ عطاء بن أبي رباح ٣٦٢
٧ـ عطاء بن السائب ٣٦٦
٨ـ أبان بن تغلب ٣٦٧
٩ـ الحسن البصري ٣٧١
١٠ـ علقمة بن قيس ٣٨٥
١١ـ محمد بن كعب القرظي ٣٨٩
١٢ـ أبو عبد الرحمان السُلَمي ٣٩١
١٣ـ مسروق بن الأجدع ٣٩١

١٤ـ الأسود بن يزيد النخعي ٤٠٣
١٥ـ مرّة الهمداني ٤٠٤
١٦ـ عامر الشعبي ٤٠٤
١٧ـ عمرو بن شرحبيل ٤٠٥
١٨ـ زيد بن وهب ٤٠٧
١٩ـ أبو الشعثاء الكوفي ٤٠٧
٢٠ـ أبو الشعثاء الأزدي ٤٠٨
٢١ـ الأصبغ بن نباتة ٤٠٨
٢٢ـ زِرّ بن حبيش ٤٠٩
٢٣ـ ابن أبي ليلى ٤١٠
٢٤ـ عبيدة بن قيس بن عمرو السلماني ٤١٠
٢٥ـ الربيع بن أنس البكري ٤١١
٢٦ـ الحارث بن قيس الجعفي الكوفي ٤١١
٢٧ـ قتادة بن دعامة ٤١١
٢٨ـ زيد بن أسلم ٤١٧
٢٩ـ أبو العالية ٤١٩
٣٠ـ جابر الجعفي ٤٢١
قيمة تفسير التابعي ٤٢٣
ميزات تفسير التابعي ٤٣٢
منابع التفسير في عهد التابعين ٤٤٧

المرحلة الرابعة

دور أهل البيت في التفسير ٤٥٣

العترة إلى جنب القرآن ٤٥٥
المستفاد من حديث الثقلين ٤٥٨
دور أهل البيت في التفسير ٤٦٨

الخلط في التفاسير المأثورة........................ ٤٦٩
الوضع عن لسان الأئمة ٤٧٦
نماذج مختارة من صحاح التفاسير المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام........................ ٤٨٦
١- آية الوضوء ٤٨٦
أ- مسح الرأس........................ ٤٨٦
ب- مسح الرجلين........................ ٤٩٢
٢- آية قصر الصلاة ٤٩٤
٣- آية الخمس ٤٩٨
٤- آية القطع........................ ٥٠١
٥- تحريم الخمر ٥٠٣
٦- قتل المؤمن متعمداً ٥٠٧
٧- الطلاق الثلاث ٥٠٨
٨- حديث المتعة ٥١٨
أ- متعة النساء ٥١٨
قصة المنع من المتعتين ٥٢٦
لا نسخ و لا تحريم........................ ٥٣٥
محاورة مفيدة........................ ٥٤١
ب- متعة الحج ٥٤٤
مذاهب الفقهاء في حجّ التمتع........................ ٥٤٧
٩- حديث الرجعة........................ ٥٤٧
١٠- مسألة البداء........................ ٥٦٣

جمعداری اموال
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی